

شهود العصر

الأهرام

١١٠ مقالات و ١١٠ أعوام

١٨٧٦ ١٩٨٦

الأهرام
مركز الأهرام للترجمة والنشر



شهود العصر





الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠١ يو ان

تصميم الغلاف والإشراف الفنى
إيهاب شاكـــر

المحتويات





١- التصدير





تصدير

ابراهيم نافع

رأى الأهرام فى احتفاله هذا العام بمرور ١١٠ سنوات على صدور العدد الأول من اعرق صحيفة فى الشرق الأوسط صباح السبت ٥ اغسطس من عام ١٨٧٦ أن يهدى إلى قرائه ـ الذين تبادلوا معه الاحترام والتقدير طوال رحلة العطاء الممتدة ـ باقة منتقاه لنتاج كبار مفكرى هذه الأمة . . وحملة أقلامها . . ممن أثروا صفحات الأهرام طوال هذه الفترة التى تجاوزت القرن من الزمان بالفكر الرائق . . والكلمة الأمينة . . والرؤية القومية لقضايا الوطن واهتماماته فى شتى المجالات . . دون تقوقع فى مجالات السياسة وحدها . . وإن كان قد غلب على مقالاتهم الطابع السياسى الذى جاء متوافقا مع سنوات النضال الوطنى من أجل الاستقلال وتحرير ارادة مصر .

وإذا كانت هذه « الباقة الفكرية » التى يقدمها الأهرام لقارئه فى هذه المناسبة تضم ١١٠ مقالات جاءت بها اقلام ١١٠ من السياسيين والمفكرين والعلماء والأدباء والكتاب المصريين والعرب . . فربما كان تحديد هذا العدد يرمز أيضا إلى مرور الـ ١١٠ سنوات على أول لقاء للأهرام مع قارئه رفيق رحلته . . لا نقول أنها أفضل ١١٠ مقالات نشرها الأهرام لأن فى ذلك إجحاف لا يرضاه الأهرام بحق آلاف المقالات



الأخرى التى اضافتها إلى « رصيد الأهرام » أسماء عديدة كبيرة لها وزنها وفكرها وتاريخها . . فقط نقول أنها « عينة ممثلة » حاولنا أن تأتى تعبيرا صادقا ومتكاملا لخلاصة وعصارة الفكر المصرى والعربى خلال قرن وعقد من الزمان . .

ولكن تأتى « العينة » ممثلة بحق الفكر المصرى والعربى الذى حرص الأهرام دوما على أن تكون صفحاته هى منبعه ومصبه . . اقتضى الأمر بالضرورة عودة شيقة إلى تصفح ما يزيد على ٣٦ الف عدد صدر من الأهرام حتى الآن . . جال فيها البصر والفكر والذكرى لمحاولة الانتقاء بين سطور ٣ ملايين صفحة ضمتها هذه الأعداد . . زخرت بالوف المقالات والموضوعات . .

وحقيقة . . كان الانتقاء صعبا . . فإن كل كلمة لها قيمتها . . وكل رأى له احترامه . . وكل فكر له وجاهته . . وكل عطاء من أصحاب القلم للأهرام وقارئه له اعزازه الذى يدفع به إلى قائمة الانتقاء . . لكن الهدف كان دائما نصب أعيننا : اختيار مائة وعشرة مقالات فقط هى المنشورة بين دفتى هذا الكتاب . . انتهينا اليها بعد سلسلة متتابعة من الترجيح بين الأعداد الأكبر من المقالات . . وفى كل مرة كانت مجاهدة النفس أكبر فى الاختيار . .اعزازا وتقديرا لما نترك من مقالات . .

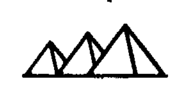
على أن ثمة اعتبارات محددة . . هى التى كانت تعين على الاختيار :

* أن تمثل الباقة المختارة من المقالات كافة مراحل الأداء التى مر بها الأهرام وتعبر عن سنوات عمره الممتدة باذن الله . . وبذلك لا نقع أسرى لفترة زمنية معينة تهدر التمثيل المطلوب المتكامل للفكر المصرى والعربى فى بقية الفترات . .

* أن تغطى المقالات المختارة كافة جوانب الحياة المصرية والعربية من سياسة واقتصاد واجتماع . . بالتكامل مع الجوانب الدينية والأدبية والفنية والعلمية والفكرية والنقدية .

* أن يكون كتاب المقالات المختارة من الشخصيات الغنية عن التعريف التى تمثل اتجاهات فكرية ووطنية مبرزة يعرف لها قارىء الأهرام دورها المؤثر فى تاريخ البلاد السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفنى والأدبى . .

* أن تمثل القضايا التى شملها التناول « مراة صادقة » تعكس ما كان يشغل اهتمامات المجتمع المصرى والعربى فى الفترة التى نشرت فيها . . فضلا عن



الاهتمام بالأفكار التى كانت تعبر وقتها عن دعوات جديدة وجادة أثارت أوسع المناقشات العامة حولها .

* أن تعبر المقالات عن كافة المدارس والاتجهات الفكرية التى برزت ونشطت فى مصر والوطن العربى فى كل حقبة من الزمان . . وهو ما يمكن أن يعبر بجلاء عن « الثراء الفكرى » وعن « تعدد الرؤية » . . وعن «المنحى الديمقراطى » للأهرام فى النهاية . .

* وأن يتوج الاختيار ويكفل بتعبير المقالات المختارة عن ذلك « البعد القومى » الذى حرص عليه الأهرام وصانه بافساح صفحاته لأقلام المفكرين العرب بمختلف اتجاهاتهم من قدامى ومحدثين .

ومن خلال تصفح هذه الباقة الفكرية المنتقاه من المقالات عبر ١١٠ سنوات . والتى تبدأ بمقال للإمام محمد عبده نشره الأهرام فى الثانى من سبتمبر من عام ١٨٧٦ تحت عنوان « الأهرام جريدة مؤسسة على أحكم قواعد الأحكام » والتى تنتهى بمقال محمد حافظ اسماعيل نشره الأهرام فى ١٩ أبريل الماضى تحت عنوان « رأى عن مصر وقضية التكامل » . . من خلال تصفح هذه الثروة الفكرية واستعادة احداثها . . يلمح قارئنا رفيق الرحلة عدة مؤشرات وحقائق اعتز الأهرام كثيرا وسوف يعتز دوما بالحفاظ عليها . . من أجل خدمة صحفية أمينة ومتطورة . .

* أولها : أن الأهرام كان منذ اليوم الأول لصدوره وسوف يظل « ساحة مفتوحة » لفكر وكتابات قادة مصر والأمة العربية فى شتى مجالات المعرفة . . وأيضا كان وسيظل « المنبر الحر » لكافة الاتجاهات والانتماءات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . .

* ثانيها : أن « البعد القومى » للأهرام متواصل دوما كسمة مميزة له . فضلا عن أن مؤسسيه ورؤساء تحريره الأوائل كانوا من الشوام . . فانه لم يغلق يوما احدى صفحاته أمام قلم عربى من أى قطر عربى . .

* ثالثها : أن الأهرام لم يتقاعس ولن يتقاعس عن التصدى لأية قضية تهم الرأى العام . . لا تحكمه ميول ذاتية . . ولا تحده مصالح خاصة . . ولا تخفيه





قيود مفروضة . . ولقد تعرض فيما مضى بسبب موقفه هذا إلى الكثير من المتاعب . . سواء من قبل السلطات الحاكمة أو من قبل المعارضين للآراء المنشورة التى كان الأهرام وسيظل يتيح أوسع الفرص لوصولها إلى القارىء ايمانا منه بالشعار الصينى الذى يقول : « دع مائة زهرة تتفتح » . .

ولعلى أستأذن قارىء الأهرام الآن . . اطلالة منه على « ذخيرة الأعوام الطوال » التى تهدى منها باقة اليه فى المناسبة التى نحتفل فيها معا بمواصلة الأهرام لعطائه المتميز لقارئه عبر ١١٠ سنوات . .

ولقد رأينا أن يكون « التسلسل الزمنى » هو انسب ترتيب للمقالات المختارة باعتبار أن الوقت هو الذى يحدد الأحداث . . ويفرض تتابعها المنطقى . .

هدفنا أولا وأخيرا : أن نضع أمام قارئنا العزيز شريطا ممتدا لأحداث ١١٠ سنوات من تاريخ بلده مصر وأمته العربية . . عايشتها وسجلتها وتناولتها بالمعالجة ١١٠ مقالات لمفكرى مصر والوطن العربى . .

ورجاؤنا أولا وأخيرا : أن يكتب الله لنا النجاح فى تحقيق الهدف . . .





٢ - المقالات



الأهــــرام .. جريـــدة مؤســـسة على أحكم قواعد الأحكام

إنه لما نظر لدى كل قاص ودان واشتهر بين بنى نوع الانسان ان مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك . إذ كانت قد اختصت بتربية العلوم وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم وانفردت بالبراعة فى الصنائع والابتكار فى أنواع البدائع . فكان أبناء العالم إذ ذاك ينتدون نداها ويستجدون جداها ، يستمطرون من الغيث قطرا ، ويستمدون من المحيط نهرا فكان التمدن فيها كهلا حين كان عند غيرها طفلا . ومازالت كذلك حتى زها فيها التمدن وأعجب إذ رأى الطالبين تنسل اليه من كل حدب . وان ملوك الأرض خدام عتبته وتيجان الكيانين تحت قبضته . فاستكبر واعتلا ، ولكؤوس الراحة اجتلا . فاقصته الى ممالك الغرب ، ليذوق مرارة الشغب واللغب ويتربى بذلك ويتأدب فبدا بتلك الممالك غريبا ، ونادى معلما وجد مجيبا ، وتناوشته أيدى الجاحدين ولفحته أقوال المنكرين ومازال يحتمل أنواع المتاعب ويقاسى مستعصيات المصاعب الى أن بلغ بها أشده وملك رشده ، وسار فيها شرقا وغربا ، وخامر الباب القوم حبا ، فعم انتشاره وبدت آثاره وتلألأت أنواره .

وإذ تحلى بحلل الجمال وتتوج بتاج الكمال وقضى مدة السياحة وباء بغاية الراحة استدار الزمان كهيئته ، ورجع الأمر إلى بدايته ، وأفل التمدن إلى مسقط رأسه ومقر تربيته ، فورد ديار مصر ورود الأهل وتمكن بها تمكن الأصل فاستقبلته الديار بغاية المسرة ، واكرمت مثواه واعظمت أمره واستردت ما كانت فقدت ، وادنت ما كانت أنأت وأحلته محل القرب وأنزلته



سوداء اللب ، فقام يؤدى حق خدمتها ويوفى شكر كرامتها فنظر إلى ما كان أبداه فى تلك الأزمان من شواهق البنيان ، التى كم بلغت الأسباب وحيرت الألباب ، وانبأت بما فيها عن براعة بانيها ونطقت بفيها أن آيات الكمال فيها . فلما أعجب بالمثال حداه حادى الكمال لأن ينسج على هذا المنوال ؛ فأنشأ لنا جريدة الأهرام المؤسسة على أحكم قواعد الاحكام الكافلة بارشاد المسترشدين وتنبيه الغافلين ، بما فيها من المبانى الرقيقة ، والمعانى الدقيقة ، والأفكار العالية المؤيدة بالبراهين الشافية ، القائمة بنشر العلوم بين العموم . فيالها من جريدة أسست قواعدها فى القلوب وامتدت مبانيها لكشف الغيوب تنادى بمقالها وحالها حى على الفلاح وهلموا إلى موارد النجاح ، لا تقفوا عند صورة المبنى ولكن تجاوزوا عنه إلى المعنى تلك أهرام أشباح ، وهذه غذاء أرواح تلك ظواهر صور وهذه دقائق عبر ، تلك مساكن أموات وهذه لسان سر السماوات .

نعم أين ذلك الزمان من هذا الآن الذى قد سطعت فيه شموس العرفان ، ونشأ فيه بنو الانسان نشأة أخرى وتقلبوا فى فنون الحقائق بطناً وظهراً فحقيق ان تكون أيامنا غير أيامهم وأهرامنا غير أهرامهم ؟ وأين الذى تفنيه الرياح والأمطار من الذى لا يوهنه توالى المدد والأعصار فان مقره العقول العاليات والنفوس الزاكيات التى لا يتناولها الفنا ولا يبددها العنا فبخ بخ بمنشيها وطوبى لقاريها فمن الواجب على ذوى الألباب أن يجتنوا جناها ، وان يستطلعوا سر معناها فيبوؤا بأنوار الحكمة ، وينقلبوا بفضل من الله ونعمه فان ليس شيء لدى العاقل أبهى من حقيقة يكشفها ، ولا ألذ من حكمة يصادفها ، هذا إيجاز فى مزاياها بسم الله مرساها ومجراها .

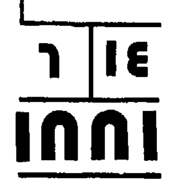




أحمد بك عرابى

جمعية التوفيق الخيرى بمصر ..

حيث كان لا يقوم قوام الهيئة الاجتماعية الا بالتعاضد والتعاون على تحصيل ما يحفظ لنا بقاياها من انتشار العلوم والمعارف وتقدم الصنايع والمتاجر والزراعة والاجتهاد فى فعل الخيرات . وقد تحقق بالتجارب عدم مقدرة أى حكومة على القيام وحدها بمصاريف هذه الفروع المهمة ، أجمعت الأمم المتمدنة رأيها على تأليف جمعيات عظيمة للتعاون على استخراج كنوز الأرض الحقيقية والمعنوية بما اكتسبته من العلوم والمعارف النقلية والعقلية ، ومن هذا القبيل جمعية التوفيق الخيرى التى موضوعها ابداء البر والاحسان كسائر الجمعيات المصرية الخيرية مجاوبة على مقاصد ولى نعمتنا الخديو الأعظم ، ورئيس نظارنا المعظم ، وهيئة نظارنا الكرام الذين هم هداة لنا نهتدى بنور معارفهم فى نجاح اعمالنا وخدمة اوطاننا تحت حماية ورئاسة سعادة الأمير الأجل محمد على بك الثانى أنجال الحضرة الخديوية الفخيمة الذى وفقه الله لأعمال سنة الختانة الحسنة المستحسنة مع سعادة شقيقه الأمير الأفخم ولى العهد فى ظل حضرة والدهما الخديو المعظم .



٣ سليم تقلا

ولئن تركنا السودان .. فانها لا تتركنا

هى جملة سطرناها فى الأهرام من يوم جزمت انكلترا بفسخ السودان عن مصر وجعل حدودها وادى حلفا ، وكان ذلك سببا لاستقالة وزارة المرحوم شريف باشا وهى الوزارة الأولى بعد الحوادث السالفة ثم لم تطل الأيام حتى حققت الحوادث مآل هذه العبارة فاعدنا تدوينها المرة بعد المرة . وقد مر بنا إلى الآن ستة أعوام ولم ينفض هذا المآل وستمر بنا الأعوام التالية تباعا ولا ينقضى أيضا ما دمنا والسودان على مانرى .

ولقد قال المثل العامى « ألف عدو فى خارج البيت ولا عدو فى داخله » وهو الحكمة بعينها فان ما يقوى العدو الواحد على تخريبه وهو فى البيت لا يقوى الأعداء العديدون على مثله وهم فى الخارج وليس يخفى أن البلاد السودانية من مشتملات مصر بالطبيعة فقد اكتسحتها من نحو نصف قرن وأقرت احكامها فيها ونشرت اعلامها فوق اغوارها وانجادها وفتحت لها أبواب الاتجار والتعامل ومهدت سبل صلاتها معها واقامت المواثيق والعهود بين قبائلها فى جنب طاعتها وسنت لها الشرائع والقوانين وما ضارع ذلك . ثم بدأ من أمر تلك البلاد ما يغنى قرب عهده عن شرحه فما عتمت مصر أن أعلنت سلخها عنها وقد استظهر رجال رؤساء الثورة فيها على رجالنا فغرهم منا ذلك وجرت فى عروقهم حميا النصرة فحملوا ما كان على ضعف منا واتخذوا المبادىء الدينية قاعدة لأعمالهم ورأوا العساكر الأجنبية تقاتلهم فتعززت كلمتهم لدى ذويهم بما ادعوه فقاموا على ساق وقدم يناصبوننا من جهة النيل ومن جهة البحر الأحمر .



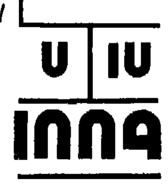


ذلك هو ملخص ما جرى لنا مع السودان ولم نتبين فى ما أوضحه الآمرون بسلخها عن مصر الا أمرا واحدا وهو أن بقاءها من مشتملات مصر استلزم بذل النفقات الفادحة التى ليس من ورائها جدوى . واننا لا نتعرض فى هذا المقام إلى ما أظهره الغير من العلل والأسباب التى ينوبها الآمر بالسلخ فان ذلك ليس من شأننا الخوض فيه الآن ولكنا نحول وجه البحث إلى احكام حاضرنا بمراجعة ماضينا لادراك مستقبلنا ولامراء أن الرأى العام واثق كل الثقة بأن المسألة السودانية انما هى فى مقدمة جميع مسائلنا السياسية والمالية بل هى بمثابة خلاصتها وزبدتها . ولذلك كان البحث فيها للتوصل إلى ما يكفينا شر غوائلها من أهم الأبحاث الحاضرة وهو موضوع لمحتنا هذه فنقول :

لا يأمن متجاوران من تعدى احدهما على الآخر الا بواحد من أمرين أما موازنة القوة بالعدد والعدد وما يستلزم ذلك من اقامة المعاقل والحصون . واماارتباط المواثيق والعهود كالناموس المرعى لدى الدول جمعاء وهو مبدأ النظام العام . وإذا لم يكن أحد الآمرين فلا سلام بين المتجاورين وهذا هو شأن مصر مع السودان ليس بالنظر إلى ذلك فقط بل بالنظر إلى ما اتخذ من الأحكام التى تستلزم بالطبع عدم الوفاق واليك البيان .

ليس من يقوى على الحكم بكون السودان تسمو مصر قوة أو توازيها بل كل يسلم بان مصر أقوى من جميع الوجوه التى لا يحتاج القارىء إلى شرحها وقد كان المبدأ يفضى بأن تخافنا هى لضعفها ولكنا نراها عاملة على مناصبتنا ونحن مع قوتنا نريد مسالمتها والانكفاء عن منازلتها ولا يتم لنا ذلك . وهذا هو مآل الجملة التى صدرنا بها اللمحة . ثم لو تنازلنا عن هذه القوة واردنا أن نعاملها معاملة الضعيف للقوى بعقد المعاهدات وابرام المواثيق لما تعنى لنا ذلك أيضا . وما دمنا ملازمين ومنتهجين خطة ماضينا وحاضرنا استوت عما حالة مستقبلنا وثبت قولنا بأن المسألة السودانية إن هى الا نشيد شيطانى لا قرار له .

تركنا السودان بعد استظهارها على رجالنا وبعد أن قام فيها المهدى وخليفته والغنى والنخاس وشيخ القبيلة وصاحب الكلمة النافذة وبالتالى بعد أن انتشرت الفوضى فى ارجائها وعاهدها الفقر المدقع ولا يخفى أن تلك البلاد قائمة بتجارة العاج والريش وغيرهما فسدت ابواب الاتجار عنها فازداد فقرها ومن عضة الفقر بنابه ولا رادع له من نفسه أو من نظام آخر شحذ غرار العزم على مسن المعصية ولا سيما إذا استصرخه دعاته إلى حيث له من جهله دافع ومن ميله نازع وذلك هو شأن الرحل القائم معاشهم بالغزو لغنيمة والسلب وإذا تبين ذلك وجب أن لا نتوقع من السودانيين غير ما بدأ منهم الا الآن ولن نتوقع الا استمرارهم على ملازمة هذا المنهج وكيف يتسنى لنا أن ندفع شرهم عنا وليس بيننا وبينهم من شوامخ الجبال الصعبة المسالك وانبساط البحار البعيدة المرامى ما يكفينا مؤونة هجماتهم وطوارق عدوانهم وروحاتهم ومن تراه يقوم ازاءنا من رؤسائهم ويواثقنا على الاخاء والمودة والوئام ولو جار علينا فى المطالب



٣

وسامنا الخسف والضعف ـ ذلك ما ليس لهم ليكون لنا والناقص بنفسه لا يكمل غيره فلا حيلة لنا معهم بالترك فلئن تركناهم فانهم لا يتركوننا .

وإذا قيل أن لنا من حاميتنا المصرية ما يدفع عنا نوازلهم قلنا أن هذا موضع البحث فكلنا يعترف ببسالة جنودنا وشجاعتهم وصبرهم على المقاتلة وطالما قام الأهرام بنشر هذه الصفات لجنودنا عكسا لما رمتهم به بعض الجرائد الأجنبية ولكن ما الفائدة من الصدم والصد فى حين ليس للهجوم نهاية إذ قد قضينا بان نلازم الدفاع دون أن نتقدم خطوة وقضى السودانيون بملازمة الهجوم وعدم الاكتراث بالصد وليس دوننا جيش منظم لنقتص منه بموقعة أو أثنتين حتى لا تقوم له بعدها قائمة بل أمامنا زمر واخلاط وسلبة وقطاع سبل نطردهم من هذه الجهة فيأتوننا من تلك الناحية ونقتل منهم العشرة فيتجدد العشرون بالاعتياض ولا يجب أن نعتبر فقد الواحد من المصريين بموازاة العشرة من السودانيين فنحن نشعر بفقد الواحد منا وأما أولئك فلا يشعرون بفقد العشرة ومن تراه يجهل ما وراء ذلك من الخسائر المالية المتتابعة لما يحتاجه الجندى الشاكى السلاح القائم بالمدافعة المستمرة من المؤونات والذخائر والميرة وما شاكل ذلك فصرنا والحالة هذه إلى ما هربنا منه بل إلى ما هو أشد وانكى وامامنا مستقبل مجهول لا ندرى مصيره فمما ذكر يعلم القارىء داء المسألة السودانية باسبابه وعلله ويدرك تشخيصه وتمحيصه ثم يعلم أن العلاج المستعمل له لا يقوى عليه بل يطيل عهده ولكن ليس من وراء ذلك شفاء واحرى به أن ندعوه داء صدريا لا يلبث أن يتمكن فيمسى سلاق درجته الأخيرة ، ولذلك وجب أن ننقب لنتوصل إلى العلاج الشاق قبل أن يتعاصى الداء عليه . واننا موردون فى هذه اللمحة ما عن لنا فى هذا الشأن ولعله لا يخرج عما يراه الرأى العام أيضا فان الغاية من كل ذلك اما هى راحة مصر ولا راحة لها والمسألة السودانية على حالتها المعلومة واليك البيان :

لقد تقرر أن السودان لا تتركنا ولئن تركناها ومن المسلم به أيضا أن مصر أقوى من السودان بما نوفر لها من المعدات وسهولة النقل فضلا عن نظام الجيش

وإذا كان ذلك فالدواء الوحيد لهذا الداء إذا انما هو معاودة افتتاح السودان واخضاعها لسلطتنا ولا ننكر أن ذلك يستلزم أمرين مهمين : أولهما توفر المال والثانى توافر الجند والأمران متوافران لدينا إذا أردنا فان مسألتنا هذه متعلقة بالارادة لا بوجود المطلوب فالأولى غير حاصلة وأما الثانى فحاصل فاذا أردنا كان لنا من وجود المطلوب ما ينيلنا واسطة تلك الغاية والا فلا .

فأما توفر المال فقد حصلنا عليه وهو تلك القيمة المهمة التى خصصت للمسألة السودانية وقد انفقت ولم تتحول هذه المسألة عن مركزها الأول فكأننا اضعناها سدى ومع ذلك فاننا لا نزال فى مقام يتيح لنا توافر ما يفى بالحاجة مع الوقت للأسباب التى سنوردها عقيب ايرادنا مطلب الأمر الثانى وهو توافر الجند .

فاما هذا المطلب فلا يحتاج إلى تدقيق شروح لأن القطر المصرى يمكن أن يكون له مع





السهولة التامة جيش مؤلف من ١٦ ألف جندى يؤخذ من ذلك أربعة آلاف للخدمة فى البر ويعين الأثنا عشر لافتتاح السودان .

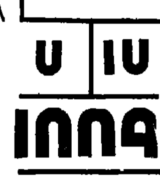
وافضل طريقة لذلك وضع هذا الجيش بقيادة ضباط مصر . . بين محنكين قد خبروا السودان وحكموها وعلموا مواقعها وعرفوا قبائلها وطباع أهلها ويجب أن يتخذوا طريقة الافتتاح بالقوة والحكمة ذلك أنهم والحدود الآن وادى حلفا يتربصون فيها مكاشفين القبائل التى أمامهم فهى بين مصافية فدواؤها الاعزاز والاكرام لتتأيد بالاخلاص وتزيد فى قوتنا وبين متذبذبة ودواؤها التمليق والاستمالة لتامن فتنقلب إلى حيث القوة متسلطة . وبين عاصية ودواؤها الانذار فان أطاعت فيها والا فالحسام . وبعد التأنى والوقوف على الخبايا تنتقل القوة المصرية إلى مركز أخر فى الداخلية وتكون تخوم مصر حيث تكون جيوشها وبالاستقراء نتقدم شيئا فشيئا حتى بربر فدنقله ثم تعمل إلى أن تصل إلى الخرطوم .

وليس من ينكر أن هذه الطريقة لا تجعل العساكر المصرية عرضة للخسارة ولا تزيد فى النفقة المالية قيمة فاحشة بل تحفظ الجيش مصونا من الطوارق لأنه ينقل القدم الا متى أمن الزلق فهو بحكم مدافع فى حين هو مهاجم .

وقد ثبت لنا أن النفقات المخصصة الآن للحدود لا تجدينا نفعافاذا كانت قليلة فهى بالنظر إلى استمرارها وعدم فائدتها كثيرة فاذا أضيف اليها ما لا يتعذر على الحكومة اقتصاده من ميزانيتها أمكن تاليف هذا الجيش وهو متى تمكن فى السودان افاد الحكومة افادة مادية تعوض عليها ما انفقته عليه ذلك فضلا عن مكاسب التجارة التى لا يجهلها المصريون وقد شعروا الآن بخسارة فوائدها ومنافعها .

ثم أن لنا من أيصال الجيش المصرى إلى العدد المذكور ومن وضعه فى النظام الذى أوضحناه فائدة مزدوجة وهى تعزيز القوة الوطنية من جهة وامكان الاستغناء عن جيش الاحتلال من جهة أخرى وأن فى الثانية وسيلة عظيمة لتوفر المال وهو مطلبنا الأول لأن ما تدفعه الحكومة المصرية على جيش الاحتلال الآن تحوله إلى ميزانيتها الحربية للانفاق على جيشها الجديد فيتوافر لها ذلك مبلغ معتدل ولا نظن أن الدولة الانجليزية تأنف من هذا الأمر ما دامت ملازمة قولها بوعودها من نحو الانجلاء .

ومن تذكر علم أن حضرة صاحب الدولة الغازى أحمد مختار باشا قد شار بذلك فى تقريره المهم عن السودان وهو ذاك التقرير الذى نشره الأهرام مجملا ومفصلا وظهر فضله للجميع الا لذوى الغرض وان ما أتينا به الآن إن هو الا من فضلات ذاك التقرير فاننا كيفما قلبنا المسألة لا نرى لها وجها أفضل من ذلك كيف لا وأن لنا فى الحوادث الأخيرة أعظم برهان فهذا ولد النجومى يهاجم حدودنا بعد أن استراحت مدة وكنا ذكرنا فى لمحتنا الأولى عن السودان خوفنا من مثل ذلك بناء على راحة أفكار السودانيين من جهة الحبشان بعد أن انتصروا عليهم





ولم يمر على قولنا إذ ذاك الا أيام قليلة حتى ظهر ولد النجومى بطليعة ٣٥٠٠ رَجل .

أجل أن عساكرنا الباسلة استظهرت عليه ودافعت أشد الدفاع وما برحت توافينا الاخبار مشيرة إلى تضعضع عسكره وانحطاطه ولكن ما فائدة ذلك يا ترى فهب أن القوة المهاجمة الآن انقرضت عن بكرة أبيها وقتل قائدها أو أسر فهل انقرض السودانيون وداخلهم الهلع والخوف وهل ليس لديهم ولد نجومى آخر .

بل قد دلنا الماضى على أننا كلما شتتنا شمل طليعة منهم وافتنا طليعة أخرى بعد فترة من الأولى وقد مر بنا العامان والثلاثة والأربعة والحالة واحدة وسيكون لنا فى المستقبل ذلك ما دمنا ملازمون خطتنا . وأن هذا يقود الى استمرار احتياجنا للجيوش المحتلة لتأخذ بيد حاميتنا القليلة العدد عند تكاثر المهاجمين كما جرى لنا فى هذه المرة وفى غيرها أيضا .

نتج عما ذكر أن رعاية المنهاج المعلوم فى المسألة السودانية ليس من ورائها نهاية بالتالى ليس لاحتلال الجيوش الانكليزية نهاية وذلك ما لا يناسب صالح مصر وانكلترا فمرجونا والحالة هده من رجال الحكومتين أن يروا فى أنجع الادوية لهذه الأدواء والله من وراء التوفيق . .





قســمة الوظــائف بــين الجنســـيات والأديــان فى مصــر

نشرت جرائد الاحتلال مقالات ضافية الذيول فى الأيام الأخيرة منددة بها فى عمال الحكومة ولا سيما رجال النظارة الراهنة لأنهم فرقوا بين الجنسيات والأديان ، وعدوا أن لا مصرى إلا المسلم لا غير ، ولو أنهم فضلوا المسلم المصرى على أخيه المسلم العثمانى ، وقالت أن الحكومة بعدم قسمة الوظائف والمناصب بين المسلمين والاقباط أبدت مبادئها هذه التعصبية مما أوجب على المحتلين أن يضعوا حدا لها لما هو مشهور عنهم من حسن المبادىء واعتدالها وعدلها . تلك هى تقريبا خلاصة أقوال المحتلين الذين يستخدمون جرائدهم فى بث هذه الروح الخبيثة والمبادىء السيئة .

ونحن وإن كنا لا نريد الخوض فى عباب هذه المواضيع لا نرى بدا من إعلان الحقيقة لا بقصد المدافعة عن حضرات النظار لأننا نعلم فى بعضهم روح التفريق ، بل لنبرهن أن حضرة المحتلين بما أتوه من الأعمال والاجراءات زادوا الطين بلة والنغمة رنة .

تقاسم المناصب المصرية فى قطرنا أقباطها ومسلموها من غابر الأزمان ، وكانت المسائل الحسابية فى أيدى الأقباط والادارية فى أيدى المسلمين . وتوظف فى الادارة المصرية أفراد من السوريين والأرمن واليهود وجميعهم تقدموا تقريبا فى الوظيفة والراتب ، وكلنا نتذكر شوكة رجال المغفور لهُ محمد على باشا من الأرمن وآل بحرى ، وقد كانوا أقرب الجميع إلى ذلك البطل



لصدقهم وإخلاصهم ، مما برهن على أن المذهب والجنسية لم يحولا دون توظيف العثمانى سواء كان ارمنيا أو سوريا .

وهكذا اطرد الخديويون بمصر مبادىء محمد على باشا إلى يومنا هذا إلا أنه زاد عدد المصريين وتعلموا وتهذبوا فوجب أن يفضلوا على غيرهم ، واتفق أن الأجانب بديونهم وامتيازاتهم ايدوا نفوذهم وتمكنوا من أكثر المناصب والوظائف وعدوها ملكا لهم ، حتى إذا مات الواحد أو اعتزل الاشغال قام حضرة القنصل يطالب بالوظيفة لابن بلاده ، مما أوقع النفرة بين المصرى والأجنبى لأن الأخير معضد من قنصله وأما الأول فضحية حاكمه الذى كان لا يهتم إلا برضى الغريب .

وهى حالة كانت متبعة إلى ما بعد الاحتلال الانكليزى ، الذى بدلا من أن يسعى إلى ملافاة أضرارها ساعد كثيرا على زيادة التفريق خدمة لمصالحه السياسية ، ولهذا قامت قيامة البعض على غير المصرى قيامة مجانية . ونحن لا نلوم الانكليزى لأنه يفرق ليحكم بل لمنا ونلوم المصرى الذى اغتر بالمحتلين فخدمهم وأبعد العثمانى غير المصرى عنه ليزيد الانكليزى تأييدا ، وهى أمور غير بعيدة عن ذهننا فلا تحتاج إلى برهان ولا حجة .

ولكن لما قبض العباس على أزمة مصر قال برئيس نظار مسيحى ، أما انكلترا فعارضت ذلك واشترطت أن يكون مسلما لا غش فيه ، فمتى برهن الانكليز على حرية مبادئهم . افلا يستخدمون الوثنى ضد المسلم فى الهند والتركى ضد اليونانى فى قبرص ، فكيف يأتون غير ذلك فى مصر بأن يستخدموا جرائدهم اليوم للتفريق بين المسلم والقبطى توصلا لأغراضهم وخدمة لمصلحتهم .

وهل نسى حضرة المحتلين أن بين نظار اليوم ناظرين مسيحيين ، الواحد أرمنى وهو تكران باشا والثانى قبطى وهو بطرس باشا غالى وهو أول ناظر قبطى عرفناه فى مصر ، والفضل لشرف غاية العباس وحزم مبادئه الوطنية .

ونحن نجل جامعة الأقباط عن مبادىء التفريق هذه ، فإنه يوم تكون مصر انكليزية شرعا وعرفا يتقدم المسلم وحده لأنه أكثر عددا ويستخدم القبطى لالقاء النفور وزيادة التفريق لتأييد الانكليز ، وهل من واجب الذمة أن ينكر الاقباط جميل الخديويين .

أما نحن وإن كنا فى مقدمة القائلين بوجوب احترام مصلحة المصريين وتفضيل المصرى على أى كان من سائر الجنسيات العثمانية ، إلا اننا نسأل أن تكون الأهلية رائد أعمالنا فإن الذين حطوا بمصر وبالمصريين ليسوا أولئك السوريين أو أمثالهم لأنهم لم يتقلدوا من الوظائف إلا الوضيعة منها .

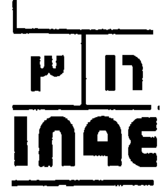




نعم يسوّغنا أن نسمع عن زيد الناظر وبكر رئيس القلم أن يتحاملا على فلان لأنه غير مصرى ، فيستعبد بلاده ونفسه للانكليزى لينتقم من هذا السورى أوذلك البلغارى ، وهى سياسة عرفنا نتائجها العظيمة من الماضى ، فكيف نقدم عليها اليوم والأجانب مالكون زمامنا والاحتلال العسكرى مؤيد لهم ومعضد لأعمالهم .

ولهذا لا نرى لجميع الجنسيات العثمانية إلا أن تكون واحدة فى خدمة الوطن والأمير ، على مبادىء خديوينا العباس الطاهر ، وألا تعطى الوظائف إلا إلى المستحقين أيا كانت جنسيتهم ، لأن المصرى والسورى والتركى والأنضولى وابن العراق إذا توظفوا لأهليتهم حالوا دون أطماع الغريب ، وإلا لو قام الموظفون فى السابق بمهام وظيفتهم وعرفوا مواجبهم الوطنية لما كان التداخل المالى أولا والادارى ثانيا والعسكرى أخيرا . ولله الأرض وما عليها والسلام .





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ الأمير شكيب أرسلان

سكنى الإسرائيليين في فلسطين

من المسائل المهمة التى تتعاورها أقلام الباحثين وتتداولها ألسنة المتحادثين مسئلة سكنى اليهود فى فلسطين . فقد اشتدت رغبتهم فى ذلك منذ بضع عشرة سنة ، وازداد حنينهم إلى هذا الوطن الأصيل ، وتمادى ولوعهم انتجاع الأراضى المقدسة إلى درجة أن دخل على خاطر الدولة العثمانية منهم ريب وخامر قلبها من ذلك شبهة ، فشرعت تسد فى وجوههم الأبواب وتدفع فى صدورهم إلى الوراء على رصف المرافىء بين حيفا ويافا ، وأخذت تمتنى بصغير خطبهم خشية الوقوع فى كبيره وتقتلع غرسهم قبل نموه . فكانوا كلما نزعوا إلى هذه البلاد أقامت الدولة دونهم حاجزا ، وكلما هموا بالدخول ضربت من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشتهم فهم لا ينظرون من أرض الميعاد إلا بصيصا .

ولا نطمع أن نعرف حقيقة مقاصد اليهود فى هذه المهاجرة ، وأن نكنه دخيلة صدورهم والله عليم بذات الصدور ، ولكن لا شبهة فى أن لميلهم هذا أسبابا معقولة وعللا فواعل فى نفوسهم تستفزهم إلى الرحيل إلى فلسطين كلما تيسر ذلك لهم . وما تنكر أهمية هذه الأسباب وهى البلاد المقدسة عندهم والبقعة الطيبة ، ولا يستغرب حنينهم إلى هذه الأرض من علم منشأهم ومنبت أسلتهم وعرف متقلبهم فى البلاد وقرأ تاريخ هذه الأمة ، وهو أعظم التواريخ اشتهارا لكونه عبارة عن التوراة .





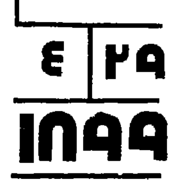
على أنه لم يكن الحادى الوحيد بهم مؤخرا إلى قصد هذه البلاد أنها موطن آبائهم وحظيرة قدسهم ومهوى أفئدتهم ووادى شعرائهم ، فقد كانت فى كل عهد بلادا مقدسة وبقاعا مباركة ولم تكن شهوتهم إلى نزولها بالدرجة التى عليها الآن ، فلابد وأن يكون انضاف إلى هذا الاعتبار لديهم أسباب أخر ، أهمها والله أعلم ما حصل لهم منذ بضع عشرة سنة ولا يزال يحصل فى بلاد الروسية وما جاورها من الأصقاع الصقلبية من القهر والاعنات ، وما أصابهم من نكد العيش وضنك الاقامة فى بعض جهات أوروبا مما أولد فيهم شعور التضام والتساكن فى بلاد لا قهر فيها ولا اضطهاد على بنى اسرائيل ، وأى بلاد أليق لسكناهم على هذه الصورة من البلاد العثمانية ، وأى بقعة آخذ بمجامع قلوبهم من هذه البقعة التى فيها بيت المقدس .

وليست هذه بأول مرة وقع فيها الاضطهاد على اليهود فى أوروبا فالتجأوا إلى الممالك الشاهانية فقد كانت هذه شنشنة يعرفونها من أخزم ، وقد علمنا كيف أن يهود أسبانيا حينما استلحمهم الأسبانيول وأرادوا استئصالهم قتلا وأسرا لحق فلهم بممالك الدولة العلية وأقاموا بالأستانة وأزمير وغيرهما .

وأضف إلى الوجهة المعنوية والذكر القديمة والحماية الحديثة كون هذه البلاد طيبة النجعة كثيرة الخيرات غزيرة موارد الرزق قليلة الزحام مع عذوبة المنهل ، مما جعلهم أن يتواجدوا على نزولها ويذوبوا شوقا إلى استيطاء أكنافها فاجتمع لهم بذلك دين ودنيا وعاجلة وأخرى .

إلا أن بعض متحمسيهم فى أوروبا وأميريكا لم يقفوا عند هذا الحد ، ولا اكتفوا بالنجاة من الاضطهاد مع مجاورة مراقد الأنبياء والأولياء ، بل أباحوا بما فى صدورهم ، وحدثتهم أنفسهم بتأسيس مستعمرة وتأثيل ولاية ، وتألفت لذلك جمعية اسمها الصهيونية مقصدها إعادة ملك فلسطين واسترجاع أرض الميعاد وضم اليهود تحت راية واحدة فى وطنهم القديم إلى غير ذلك من الخيالات ، التى لعل اليهود أتوا بها بعد جلائهم عن أسبانيا . فكان فى مجاهرتهم هذه بما عقدوا عليه عزائمهم تحذير للدولة العلية من قبولهم فى هذه البقعة المحدودة من الجنوب ببادية التيه ، ومن الشمال بجبل لبنان ، والواقعة بين مالح البحر المتوسط وعذب بحر الجليل ومر البحر الميت . وأباحت الدولة لهم سائر ولاياتها الفسيحة ليسكنوها ولم تجعل عليهم حرجا فى مكان من أرض تظلها راية الهلال الا جوار البيت المقدس . وهكذا بعد أن فلت منهم جماعة وتمكنوا من بعض الأراضى بالشراء سرا وبرشوة بعض المأمورين ، ضيقت الدولة المنافذ وأوثقت الحبال وتوالت الارادات السنيات بمنع دخول اليهود وعدم تسجيل المبيع لهم بشبر من أرض الميعاد . وطالت مجاهدتهم وفى مقدمتهم كبارهم فى أوروبا فى أمر الحصول على موافقة الحضرة السلطانية ، فذهبت مساعيهم كلها عبثا ولم تزل العقدة غير منحلة .

وقد كان اليهود يبذلون دون هذه الأمنية كل نفيس ـ والنفائس عندهم ـ وربما يؤدون عن



الدولة العلية جميع ديونها لو سمحت لهم بمركز القدس الشريف ، ولكن أبت الدولة أن تبيع شبرا من أراضيها ، خصوصا ما كان مقدسا عندنا كما هو عند اليهود وما وجوده فى حوزتنا من جملة القوى العظيمة والمنن الباهرة التى ترجع إليها الدولة العلية وتدل بها على أوروبا ، فلنا فى ذلك وجهان خطيران أحدهما دينى والآخر سياسى .

بقى علينا أن نبحث هل أن إطلاق المنع لسكنى اليهود فى هذه الأراضى وتجمعهم فيها إخوانا متناصرين وجيرانا متراصفين هل هو من السداد والصواب أم لا .

فنقول إما إطلاق الحرية لهم فى فلسطين يشترون فى كل سهل وجبل ويبتاعون ما يشاءون ، فهو زعيم بأن لا يبقى فى شهر واحد قطعة من هذه الأرض إلا وهى داخلة فى ملك اليهود ، إذ تنهال عليها أموالهم وتنهل سحب روتشيلد وهيرش وغيرهما « ومن يسد طريق العارض الهطل » ولا يزالون يغالون فى الأثمان وقد وقعت لهم هذه الفرصة حتى يستنزلوا بعزائم الدنانير الصفر أشد الخواطر المعتصمة بمعاقل الامتناع ، ولا يمضى شهر أو شهران إلا وقد عاشت مملكة بنى إسرائيل على إنقاض المملكة التى أخربها تيطس ولو بعد بضعة عشر قرنا .

فلهذا لم يكن من الحكمة ولا من الصواب إباحة الشراء لليهود أينما شاءوا ، ولا تركهم يتجمعون فى بقعة إلى حد أن تتمكن سطوتهم وتعلو كلمتهم ويصير لهم صولة بين عدد الرجال ومدد المال . وإنما يمكن الدولة أن تجرى على نمط آخر فى أمر قبولهم وإسكانهم حرصا على المنافع المتأتية من وجودهم فى هذه البلاد فى جانب الخزانة العثمانية ، وذلك بأن لا تبيع لهم فى كل قضاء شراء أكثر من قرية واحدة ، وأن لا تجيز لهم ابتياع قرية عامرة بأسرها ، وأن يكون جميع ما يشترونه خرابا لأجل أن يعمروه ، وأن يدخلوا جميعا فى الجنسية العثمانية كما هم جارون على ذلك إلى الآن ، وأن تؤخذ عليهم الوثق التى معها تؤمن غائلتهم ويستمتع بفوائدهم دون أن يشوب الفائدة شىء من الخطر أو يلحقها نتف من الضرر .

ولعمرى إذا وجد منهم فى كل قضاء قرية واحدة أو قريتان ، فإنما ذلك نقطة من غدير ولا يشعر بقوتهم القوم ولا يحسون بوطأة لهم ، وأكثر البلاد الجنوبية من الشام بلاد إسلامية محضة لو زدتها من اليهود بقدر ما هى عليه الآن اضعافا ما خرجت عن كونها إسلامية .

ولما كان اليهود الداخلون إلى بلادنا يقبلون فى الحال التابعية العثمانية ، كنا نكسب بهم رعية جديدة ، وكان لا يصيبنا بسببهم من المشاكل مع الأجانب ما يصيبنا بسبب الأجانب المقيمين بين أظهرنا .

وما شوقنى إلى الاستزادة قليلا من سكنى اليهود إلا ما رأيته من انتظام زمارين فى قضاء حيفا ، وما سمعته عن غيرها من قراهم ، وحققته من استفادة بيت مال المسلمين من ارتفاع أملاكهم وريعها ، وما أعلمه من ضرورة ازدياد دخل الولايات وأهمية المسألة الاقتصادية عندنا .





وقد علمت أن قرية زمارين هذه كانت خرابا فصارت جنة ناضرة . فحسبى أنه لو كان لهم فى كل قضاء قريتان من نحو سبعين أو ثمانين قرية محيطة بهم ، وكان دخل هاتين القريتين نحو خمسة أو ستة آلاف ليرة من أعشار وويركو ورسوم وبدل عسكرية وتمتع وغير ذلك ، وحسبنا فى فلسطين وتخومها وجوارها عشرين قضاء ، بلغ مجموع ما يزيد بسبب اليهود فى دخل السلطنة نحو مئة ألف ليرة ، وهذا ما عدا ما تستفيد الجمارك من مكوس البضائع الواردة باسمهم ، وما يستفيده الفقراء من الشغل فى أراضيهم مما يكتفون به مؤونة المهاجرة ويسمنون به من جوعهم وما يكون من منفعة الاقتداء باتقان فلاحتهم وزراعتهم وإدخالهم الآلات الجديدة وجريهم على الطرق الحديثة فى إحياء الزرع والضرع .

فإذا اتسق لنا أن نستفيد من زراعة اليهود أو صناعتهم ، وعمرنا بهم جانبا من أراضينا بدون أن يتمثل لنا من ورائهم شبح سياسى أو خيال ولو فى الوهم ، فلا نحجرن فى الواسع ولا نذهبن فى الاحتياط أقصى مذاهب الوسواس ، فإن الافراط مثل التفريط ومن طلب الزيادة وقع فى النقصان ، والبلاد محتاجة إلى المال والعمارة واليهود قوامون على هذه الأمور بلا مراء ، وقد قيل أنهم لما فارقوا أسبانيا صارت جسما بلا روح . وقد طردوا من فرنسا مرارا فى الغابر وكانت حكومتها تستدعيهم بعد ذلك شعورا منها بالحاجة إلى وجودهم فيها لتحريك التجارة والأخذ والعطاء . وقد يظن الآن أن بعض اليهود كلفنى بالمدافعة عنهم وتسهيل أمرهم ، والله يشهد أننى قد قرعت هذا الباب بسائق وجدانى فقط ، وفاتحة مقالى تؤيد ما أقول ، ولكننى ممن يشعرون بحاجة البلاد إلى التقدم المادى .

وفى محفوظى أنه لما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه الاسكندرية كتب بهذا الفتح الجليل إلى الامام عمر رضى الله عنه ، فكان من جملة ما عدده من محاسن المدينة المفتوحة بعد ذكر الحمامات والملاهى وسائر آثار العمران قوله « وفيها أربعون ألف يهودى يؤدون الجزية » .





٦

لبيبة هاشم

هذه آثارنا تدل علينا

لا جرم في ان المراة هي مرآة الامة ومقياس درجة تقدمها في سلم الحضارة ، تصعد بصعودها وتنحط بانحطاطها ، بل هي ام العالم وأصل سعادته وعلة شقائه فبادابها تطبع في اخلاقه آثار الفضل والفضيلة وبجهلها تقذفه في مهاوى المذلة والحقارة .

ومن كانت هذه منزلتها في المجتمع الانساني لا يجوز الاغضاء عن تعليمها وتهذيبها وبذل ما في الوسع لجعلها صالحة للقيام بهذا المركز الخطير . ولقد نلنا بعض هذه الأمنية في عصرنا الحاضر حتى أننا لا نرى بين الأسر الغنية والمتوسطة من يقفل في وجه بناته أبواب العلم والتربية ، بل إن هن حرمن الأول ، أي العلم ، لبعض دواع خصوصية فلا يعدمن من الثاني ، أي التربية ، ما يكفي لاستنارة عقولهن واتباع طرق الهداية في معارج حياتهن . إني لأسف كل الأسف على حالة أولئك اللواتي لا مال يسد مطالبهن ولا علم يكبح جماح أميالهن ، فهن في ظروف سيئة لا تنالهن فيها أيدي التهذيب ، ولا تجد الآداب في نفوسهن تربة صالحة لنموها وتغلبها على طماح النفس وقتل الرذيلة ، فلا غرو أن سرن وهن على هذه الحال إلى مهاوى الضلال ولا عجب أن نفر الأزواج من قربهن أو عافت الفضيلة مساكنهن .

بل إن العجب في تقاعس الشرقي وإهماله أمر تلك الفتاة الشقية وهو يراها أمامه عارية من أثواب العلم معطلة من حلى الكمال غارقة في بحار الجهل ، ومع ذلك لا تدفعه الحمية والشهامة لنجدتها وصيانة ذلك الهيكل البديع التكوين من التعثر والسقوط الذى يناله من أذاه أكثر



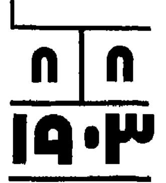


مما ينالها ؛ فيأخذ بيدها ، ويجعل لها من وسائط التعليم ما يمنحها معرفة ورصانة ، ويتركها بعد ذلك تمرح فى فضاء الحرية دون أن يخشى عليها من تأثيرات الطوارق وسموم الأهواء.

وغير خاف ان هؤلاء هن السواد الاعظم وان بتهذيبهن يتحسن الحال ويسعد الرجال .

ومعلوم أن عملا كهذا لا يمكن أن تقوم به يد واحدة بل يحتاج إلى التعاون والاتحاد ، وذلك بإنشاء الجمعيات العلمية والأدبية التى تساعد على امتزاج الأفكار والخواطر ، وتجتمع الآراء على التماس كل أمر فيه فائدة وعلو شأن فى المجتمع الانسانى ، كما سبق وتكلمت غير مرة فى هذا الموضوع ورجوت السيدات أن يشتركن معى فى هذا العمل النافع ، غير أن ذلك لم يأت بفائدة لأن مجرد ذكر العلم يولد الجبن فى قلوبهن ومحاولة الاشتغال بالأمور الأدبية تبعث على النفور والتشتت بينهن ، مع أن عددا عظيما منهن ذوات مقدرة وأهلية لمثل هذه الأعمال ، ولكن الاهمال وعدم التعود يقيدان السيدة الشرقية ضمن دائرة أمها وجدتها بحيث لا يظهر من أعمالها ما يميزها عنهما ، أو يجعل لها فضلا على العالم بأكثر مما كان لهما .

وجل ما نرى من اهتمام البعض هو إنشاء الجمعيات الخيرية على أغراض مختلفة منها لايواء العاجز ومساعدة المسكين ، وأخرى لتزويج البنات وإعالة المحتاجين ، وكلها على حسن غايتها لا تخرج عن حد الاسعاف الوقتى الذى لا يفيد المرء إلا فى قليل من الأحوال دون أن يغنيه عن ذل السؤال ، بل ربما كان اجتماع المال مع الجهل سببا لتمادى أولئك البائسين فى الكسل والشرور ، فضلا عن أن العالم لا ينتفع منه إلا كما ينتفع الجسم من عضو أشل فيه . وإذا كان لابد من الاكتفاء بهذه الجمعيات الخيرية فلا أقل من أن يهتم أصحابها فى مستقبل الفقير فيمنحوه رأس مال ينتفع منه مدة حياته ، ويفيد المجتمع الانسانى ، وذلك بالتعليم الذى هو مصدر الثروة وأساس النجاح ، وحبذا لو وجهت جمعياتنا الخيرية التفاتها إلى هذه الغاية الشريفة ، وخصصت قسما من دخلها لتعليم الفقراء بعض العلوم أو الصنائع بحيث يكفون مؤونة العوز والفاقة ، ويعتمدون على أنفسهم فى تحصيل قوتهم ، وهكذا لا يمضى طويل زمن حتى يصبحوا فى غنى عن مساعدتها بل هم يساعدونها على تعليم بنيهم وبناتهم ، وبذلك تكون قد منحتهم أفضل ما يضمن سعادة أيامهم ورخاءها وخدمتهم خدمة صادقة تستحق عليها شكر الأمة وثناءها . ومما يجمل ذكره ما نراه من أعمال جمعية العروة الوثقى وجمعية التوفيق اللتين تنبهتا إلى هذا الخلل ووجوب إصلاحه ، فأنشأت كل منهما مدرسة صناعية لتعليم أولاد طائفتها ، وهذا لعمرى من أفضل الأعمال الخيرية وأجملها عناية ، وليس من العدل ألا يكون للفتيات مثل نصيبهم من العلم وهن أكثر حاجة إليه ، وضرر الجهل عليهن أعظم بالنسبة لما يبتغى منهن من الصيانة وما يترتب عليهن من الواجبات .



وهذا ما أقنع بعض الفاضلات من السيدات المارونيات فوافقنني على تأليف جمعية خيرية يصرف دخلها لتعليم البنات الفقيرات من هذه الطائفة فى أشهر المدارس المصرية وغيرها حسب رغبة الوالدين . على أن مثل هذا العمل الكبير لا يتم إلا بأمرين · أحدهما المال وهو ما نرجوه من أريحية المحسنين من هذه الطائفة الكريمة ، وقد جعلت قيمة الاشتراك فى هذه الجمعية قرشين صاغا فقط فى كل شهر ، مع جعل أبواب الاشتراك والتبرع فيها مفتوحة للمحسنين كافة على اختلاف الأجناس والملل والطوائف ، فرجاؤنا من الأدباء الأفاضل ـ ولا سيما أبناء الطائفة المارونية ـ أن يمدوا لهذه الجمعية الحديثة يد المساعدة والتعاون ، وبذلك يبعثون فى صاحباتها روح النشاط والاقدام فيتمكن من القيام بهذا المشروع المفيد . والأمر الثانى : هو الثبات والمواظبة وهذا ما يطلب من المشتركات فى هذه الجمعية بحيث لا ينال هممهن فتور ولا ملل . أما المال فلا نطمع فى نيله منهن ولا نكلفهن دفع شىء مرتب لأن البنان التى يدميها لمس الحرير قد يؤلمها أيضا إنفاق النقود ، التى إنما تحرزها بعرق سواها ، وأفضل ما يمكن أن تصنعه لخدمة بنات جنسها الفقيرات هو أن تخص بعض دقائق فراغ من وقتها لعمل يدوى تتحف به الجمعية فى نهاية كل عام ، والجمعية تقوم بتصريف تلك الأشغال بما يضمن حسن رواجها وتوفير دخلها .

ومع أن ذلك لا يكلف السيدات شيئا مذكورا فقد يكون منه فائدة عظيمة إذ يفعل فعل البذر فى تربة الاحسان ، فلا تلبث أن تنبت وتتفرع وتتدلى أغصانها على أقدامهن شاكرة اهتمامهن بها ، ويهب النسيم على أوراقها ممزوجا بعبير أنفاسهن فتنحنى امتنانا لما لهن عليها من الأيدى البيضاء وتسمع لصوت حفيفها ألفاظا ملخصها بقدر المعروف يكون الجزاء . وما أجمل اليوم الذى تظهر فيه ثمارها ناضجة فيفوح شذاها بين الملأ مرددا قولهن تلك حسناتنا عادت إلينا ، وهذه آثارنا تدل علينا .





ل

داود بركـــــــات

علموا المصريين الاقتصاد

يرى صديقى « مرسل » فى « الجورنال دى كير » انى قد أكون فى نثرى شاعرا ، يعود به قلمه وتخيله إلى عصر هومير وما بعده ، لأنى نقلت رواية عن مهندس بان أميركيا عثر على عدة من منابع البترول فى جبل الزيت ، « ومرسل » لا يعتقد بتلك المنابع ولا يريد أن يعتقد ببترولها حتى يضىء امام عينيه ، وانا لا اكلف نفسى ان اضع مصباحا من ذلك البترول امام عينيه ، لأنه إذا همنى أن تظهر فى مصر المعادن الغنية على المصريين يربحون منها إما بالعمل وإما بتدنى الأسعار فإنه لا يهمنى أن تربح شركة وتخسر اخرى ، فتهمة الشاعرية وتهمة الشعر الهوميرى أبعد عنى بعد يقين « مرسل » بزيت المهندس الأميريكى .

على أن قلم صديقى الكاتب قد مس اليوم موضوعا جليلا أريد أن أتناوله منه وأعاونه فيه وهو موضوع تعليم الاقتصاد لأهل هذه البلاد ، فإن الفلاح المصرى لا يجمع « النقود البيض للأيام السود » ولا يخزن من سنى البقرات السبع السمان لسنى البقرات السبع العجاف .

وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ولا يختلف عليها اثنان ، بل « لا ينتطح فيها عنزان » ـ فهو ـ أى الفلاح ـ لا يطلب إلا الوصول إلى المال ، فإذا وصل المال إلى يده لا يهتم إلا بتبذيره وتبديده . فإما أن يتزوج ولو كان متزوجا والبنون يملأون داره ، وإما أنه يقصد الحج ولو كانت فريضة الحج ساقطة عنه لأنه لا يستطيع إليه سبيلا ، وإما أنه يقصد الموالد ويقيم الأفراح

والحفلات لينفق المال الذى يكون قد رهن عليه أرضه ومحصوله ، غير ذاكر أن ذلك الرهن قد يحل قريبا ، وأن المحصول لا يكفى لدفع الدين ، وأن صاحب المال لا يلبث أن يأخذ أرضه وملكه ويتركه عاريا حافيا جائعا عطشانا .

تلك مسألة أوافق عليها زميلى ويوافقنى وكلانا يعرف دواءها الوحيد ، وهو إنشاء النقابات الزراعية وصناديق التوفير الزراعى ، فقد قال : « **إن الاقتصاديين المصريين يفكرون منذ زمن بعيد فى أن يعلموا الفلاح المبذر المسرف الاقتصاد وتوفير الأموال** ، وتلك المهمة التى يلقونها على أكتافهم لهى مهمة شريفة جليلة يقل كل تنشيط فى جنبها فلا يسعنى أن أخالف فى مدحها الرأى العام الطالب إنشاء النقابات الزراعية وصناديق الاقتصاد العقارى ، فإن هذين المشروعين قد دل اختبارهما فى العالم كله على النفع والفائدة الجليلة ، فلا شك ولا ارتياب بأنهما يثمران ثمارهما فى وادى النيل . على أن أصحاب المشروعين يداوون المرض الذى تتطلب مداواته الاسراع بالدواء ومداركة المريض العليل الحاضر ، فما أجمل وما أجل مشروعهم ، بل ما أشد العقبة التى تقوم فى وجههم لأنهم سيكافحون إهمالا مزمنا ، وتوانيا متأصلا ولكن ذلك يجعل فضلهم أكبر وأجل ودعوتهم بل رسالتهم أشرف وأنبل » .

ذلك كلام رصيفى يمتدح به المشروع كأنه قد أنجز أو كاد ، لأنى رأيته ينتقل منه إلى نصح أصحاب المشروع بزرع بذر آخر يحيا به مشروعهم ، ويقوى إلى الأبد ، وهو أن يعلموا تلامذة المدارس الاقتصاد بصناديق ينشئونها لهم كما فعل المسيو كافه فى فرنسا . وجوابى على قوله جواب لا يدحضه بل يعززه ، إن الحكومة التى انتظرنا منها أن تنجز مشروع النقابات الزراعية لا يبدو على وجهها ولا على أقلامها ، ولا على دواوينها الرغبة الشديدة حتى الآن فى إنجاز مشروع النقابات . فهى تناولت ذلك المشروع منذ ستة أشهر ونيف ونقلته من يد إلى يد ، ومن ديوان إلى ديوان حتى بتنا لا ندرى فى قمطر من هو مخزون الآن لنسأله عنه ؟ ألا أن الحكومة التى ترى الفلاح فى أشد الضيق والفاقة والحاجة ، وترى البنوك تبيع أطيانه بالألوف والملايين لا تتعب نفسها ولا تجهد فكرها فى مشروع يخلصه وينجيه !!

ولو كان بالامكان ان تقوم الأمة به دون الحكومة لقلنا للأمة تجاوزى عن مساعدة الحكومة ، ولكن ذلك ليس بالامكان ، وإذا قلنا : إن فلانا من الحكام المسئولين لا يريد بالبلاد خيرا لأنه أهمل مثل هذا المشروع ، قام دعاته وأحزابه علينا ورمونا بالتحامل والتجريح . وهكذا يغمضون جفونهم على أهم شئون البلاد وينصرفون إلى مالا يهم بل إلى مالا ينفع . وحكومة مصر كما هو معلوم لا تشتغل إلا بضعة أشهر من نوفمبر إلى فبراير ، فإذا ذكرناها اليوم بذلك المشروع فلعلمنا أنه مشروع حيوى لابد منه للبلاد بعد الأزمات التى توالت وبعد أن غرق الفلاح بالديون .

فالواجب إذن أن نطلب الآن علاج الداء القاتل وبعد ذلك نبذر ذلك البذار الذى يشير به

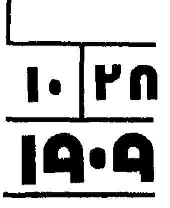




رصيفى الباحث ، وهو تعليم الناشئة الاقتصاد والتعاضد على طريقة « كافه » الذى توفى منذ شهر وتباركه الآن فرنسا بطولها وعرضها ، لأنه ابتدع صناديق التعاضد فى المدارس منذ سنة ٨١ فبلغ عدد أعضاء هذه الصناديق حتى الآن ٩٠٠ ألف عضو ، وطريقتهم أن يأتى الطالب كل يوم اثنين بعشرة سنتيمات للمعلم الذى يشطرها شطرين : أحدهما يحفظ للشخص بفائدة ٣ ونصف بالمئة ، والثانى يصرف لاعانة التلاميذ المرضى باعطاء المريض نصف فرنك فى اليوم فى الشهرين الأولين ، وعلى هذا حتى يبلغ الطفل ٦٥ سنة فيكون عنده دخل فى السنة لا يقل عن ١٢٥ فرنكا .

فكل هذا حسن نتمناه ونود إنفاذه ، ولكن قبل ان نعلم الغريق السباحة يجب علينا ان ننشله من اللجة فليعطونا النقابات.





محمد فريد

بيع امتياز القناة .. كلمة فى أذن الوزراء وعلى مسمع من الأمة

تنقسم مسالة قناة السويس إلى قسمين : الأول سياسى والثانى مالى .

فالسياسى يتعلق بمصر أولا وبالدولة العلية ثانيا وبالدول الأوربية ثالثا . فمصر يهمها أن تكون هذه القناة حرة لجميع الدول « بعزلة عن الخصام بينها » يخفر الأمن فيها جنود مصر وسفنها ، وتحترم الدول عهودها ومواثيقها بهذا الشأن . فلا تخترق حرمة حيادها ـ كما فعل الانكليز يوم حاربوا العرابيين ـ ولا تكون مجالا لقضاء المآرب والغايات ـ كما أراد الانكليز أن يفعلوا يوم وصل الأسطول الأسبانى إلى بور سعيد ، فحاولوا منعه عن أخذ الفحم اللازم له حتى أول ميناء يبلغه . وهذا ما يهم الدولة العلية أيضا من حيث سيادتها على مصر وتابعية مصر لها ، ثم هى تشارك الدول من جهة أخرى بحرية القناة ، لأن هذه القناة طريق الانكليز إلى الهند والترنسفال والفرنساويين إلى الهند ومدغسكر والألمان إلى الكامرون وإيطاليا إلى الأريتره ، وهى أيضا طريق الدولة العلية إلى سواحل الحجاز وسواحل اليمن وأطراف خليج فارس . ولم تقصد فى إقامة حدود طور سينا سوى ما قدمنا لأنها خافت من سطو الانكليز على القناة فأحبت أن تكون قريبة منها لحمايتها ، وخاف الانكليز الخوف ذاته فأحبوا إبعاد الجنود العثمانية عن القناة فتم لهم ما أرادوا كما تم لهم قبل ذلك احتلال مصر من أجل القناة خوفا على هندهم .

أما الدول الأخرى فكلها على هذا الهم والمذهب ، مذهب حفظ حرية القناة . ولم ينسه





الفرنسويون يوم عقدوا اتفاق ١٩٠٤ ، فأدرجوا بين شروط ذلك الاتفاق « حفظ حياد وحرية القناة » .

على أن هذه الدول كلها لا ترى فى مد أجل الامتياز مسا بالسياسة فهى لا تتعرض للمشروع ، وفى مقدمتها الدولة العلية التى أجازت لحكومة مصر فى آخر فرمان أصدرته بشأن القناة : مد أجل هذا الامتياز .

وعلى هذا تكون المسألة السياسية خارجة عن موضوع البحث خروجا تاما مطلقا ولا تستطيع دولة من الدول التداخل رسميا .

فلم يبق إذا إلا الوجهة الاقتصادية أى المالية وهى تختص بمصر أولا لأن القناة تصير ملكا لها بمعداتها وآلاتها وتخرج منها الشركة نافضة يدها حتى غبارها وتختص ثانية بالمساهمين الذين يتناولون الأرباح كاملة مدة ٥٩ سنة أيضا .

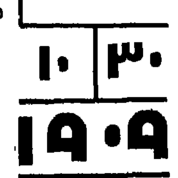
وعلى هذه القاعدة قام النزاع كثيرا ، فالمستعمرات الانكليزية تطلب تخفيض أجور السفن التى تمر بقناة السويس وتطلب توسيع تلك القناة حتى يسهل مرور تلك السفن ، حتى أنها تطلب حفر قناة جديدة محاذية لقناة دلسبس حتى تظل إحداهما حرة لصعود السفن والأخرى حرة لنزولها .

والمساهمون يأبون إلا التحسين بمبالغ قليلة لا تمس الأرباح التى توزع عليهم ، ولا تمس الزيادة التى ينتظرونها عاما فعاما من تلك الأرباح . حتى أن الحكومة الانكليزية ذاتها حاملة أكثرية الأسهم لم ترض تخفيض الأجور وزيادة الانفاق على القناة مخافة أن يقل دخل الخزانة ـ كما قال المستر لويد جورج منذ عهد قريب فى مجلس النواب .

وهم يأبون فوق ذلك الإنفاق على تحسين القناة لأن مدة الامتياز تنتهى قريبا . أى أنها تنتهى بعد ٢٠ أو ٣٠ سنة من إنفاذ التحسين المطلوب الذى يتطلب وقتا طويلا فتكون الشركة على هذا النحو قد دفعت أموال المساهمين فى سبيل خدمة مصر دون المساهمين .

ورغم اختلاف مذهبى الفريقين فريق التحسين وهم التجار والمستعمرات وفريق المحافظين وهم حملة أسهم القناة ، فقد اعترف الفريقان بأن التحسين واجب وبأن القناة باتت عاجزة عن تأدية الخدمات المطلوبة منها وبأنها إذا ظلت على حالتها هذه قام لها غدا مناظران كبيران أحدهما فى الشرق وهو السكك الحديدية التى توصل تركيا بإيران والآخر فى الغرب وهو ترعة بناما التى تفتح الطريق من الأطلنطيك إلى الهند والصين .

فلدفع ذلك وتلافيه وجدوا أن الحل الوحيد يكون بمد مدة الامتياز ٤٠ سنة جديدة ، حتى يسهل على الشركة إنفاق الأموال فى سبيل التحسين ولا تقوم لها دعوة بأن هذا





التحسين لا ينفعها ولا يعود عليها بالخير بل على مصر التى تستلم القناة بعد تحسينها بمدة قليلة . فقامت مصلحة مصر فى وجه هذا المشروع فرأوا أن يبتاعوا منها حصتها مدة ٤٠ سنة بالمال ، فحسبوا حسابهم بما يوافقهم لا بما يوافق مصر ، لأن وزير مالية انكلترا الحريص على الأرباح لا يسمح ولا يتساهل بأن تكون مصالح مصر محفوظة كلها على القاعدة الحسابية - دعنا من السياسية - ولا يمكن أن يخالفه مستشار ماليتنا فى ذلك لأنه رئيسه - ومصالح انكلترا مقدمة على مصالح مصر فى نظر الأثنين معا .

فجانب مصر مهضوم حقيقة من هذا الوجه لأن ٤ ملايين ج الآن إذا حسبناها على الفائدة البسيطة تكون بعد ٥٩ سنة ٧ ملايين ج ، وإذا حسبنا ما تتناوله الحكومة من الأرباح من الآن حتى انتهاء مدة الامتياز الجديد لا يكون أكثر من ذلك ، فهى تبيع نصف الامتياز أو نصف حقوقها إذا بنحو ١٥ مليون جنيه ، فإذا قلنا أنها تبيعه بثلاثين مليونا لوجدناه بخسا رخيصا مقابل ما ينتظر لها من النفع الآجل .

فلا يشك احد إذن ولا يرتاب بان هذا البيع بخس مضر بمصلحة مصر وخزانتها إضرارا عظيما جدا . لا يعادله إلا بيع البواخر والحياض التى استعادت منها الحكومة حوضا واحدا فى الاسكندرية بما كانت قد أخذته من الشركة ثمنا عن الحياض كلها .

ولابد لنا من جهة اخرى من النظر إلى الموضوع من حيث الاقتصاد المصرى البحت ، لأنه قد يحدث للانسان أن يبيع بأبخس الأثمان ملكا يستخدم ثمنه بما يكون نفعه أعظم وأكثر ثمرة .فهل تسير حكومة مصر غدا على هذه القاعدة ؟ فلنفرض - والافتراض بعيد عن الحقيقة - أن انكلترا لا تكرهنا على البيع وإنا فعلنا ذلك توخيا للربح العاجل . فأى شىء يعوض على مصر تلك الخسارة التى تدل عليها الأرقام . انا نجيل نظرنا فى جنوب القطر فلا نرى غير الزراعة والتعليم . فعندنا مليون ونصف مليون فدان لا تباع ولا تشترى لأنها رمال بائرة . وهى على تقدير كبار المهندسين لا تطلب أكثر من ١٠ ملايين وإذا ما انفق عليها هذا المال يصير ثمنها على أقل تقدير ١٥٠ مليون جنيه ويكون دخل الخزانة منها نحو ٤٠ ألف جنيه فى كل سنة . ومصر فى الحقيقة كادت تضيق بسكانها وكادت أطيانها تذهب إلى يد أصحاب الديون عليها ، افلا تكون جريمة حكومة مصر جريمة لا تقبل الغفران إذا هى باعت شيئا ثمينا بأبخس الأثمان ، ثم بددت ذلك الثمن فى فيافى السود ورمال السودان ؟ ولم تعوض الخسارة الكبرى على الأمة بتعمير أرضها وسد حاجة أهلها .

وقد كفانا تبديد ٢٢ مليونا هى المال الاحتياطى . وإذا طلبنا مدرسة قالوا أين المال . بل إذا كانت الحكومة على هذا النحو من جهل المبادىء الاقتصادية افلا تكون كالغلام المبذر الذى يقوم عليه القوام والأوصياء ، فالأمة لا ترضى البيع بهذا الثمن وإذا تم البيع رغم إرادتها فهى



تطلب الثمن على تعمير أرضها لا على مد السكة الحديدية من الخرطوم إلى الأوغندا ولا على فتح السودان للانكليز من الكاب .

وما أظلم أمما ترى حقوق أمة تؤكل فتمدح الآكل ثم تهتز غضبا باسم الانسانية لرجل فوضوى يقتل . فما صدق أديب اسحاق بوصفهم :

قتل امرؤ فى غابة خطيئة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

بل مسألة عندهم يمدح عليها القاتل .

١٨٦٣
١٩٥٢

٩

نبوية موسى

المحاضرات النسائية في الجامعة المصرية

كلفتنى إدارة الجامعة هذا العام بتدريس تاريخ مصر وسنعلم منه إن شاء الله حالة نساء الفراعنة القدماء ، كما يظهر لنا كفاءة المرأة فى زمن العرب الفاتحين .

ويسرنى أن أقول أن فى كلتا الأمتين المصرية والعربية قد بلغ الاهتمام بشأن المرأة شأوا بعيدا حتى ساوت الرجل أو كادت . ففى الأمة المصرية شاركته فى سياسة الملك وتدبير الحروب ، كما شاركته فى تعضيد الصناعة وترقية البلاد ، وكانت بجانبه فى حفلاته ولازمته حتى فى مدفنه العظيم . أما الأمة العربية فقد شاركت المرأة الرجل فى حروبه وشجاعته وزاحمته فى أسواق الشعر والأدب ، واتصفت بما اتصف به من حسن الأخلاق وسيظهر لنا ذلك بالتفصيل .

ولعل السر فى تقدم قدماء المصريين فى العلم والحضارة كان فى رقى نسائهم ، كما كان نجاح العرب ناشئا عن رقى المرأة رقيا ضارعت به الرجال والتاريخ كله شواهد ساطعة على أن الأمة إنما ترتقى بنسائها وتحط بانحطاطهن .

كأنى بسيدات القاهرة وقد بلغهن نبأ هذا الدرس ، فقلن مبتسمات عبثا تتعب هذه الفتاة نفسها وتأتى من مدينة بعيدة لتسرد لنا حوادث تاريخية لا يكلفنا الاطلاع عليها أكثر من تصفح صفحات كتب التاريخ ، ومن هى يا ترى تلك السيدة التى تتكلف الذهاب إلى محل إدارة الجامعة





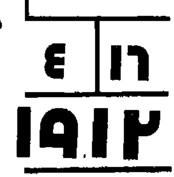
لسماع هذا الدرس وهى تحسن القراءة وفى منزلها كثير من كتب التاريخ ، وماذا تستفيد ربة المنزل من ذكر خوفو وامنمحعت ومنقرع وغيرها . من تلك الأسماء التى تنفر منها العادة ويمجها الذوق .

يقلن ذلك وقد فاتهن أنى سأبذل الجهد فى جعل هذه الدروس أخلاقية نسائية ، فلا أترك فرصة تمر إلا انتهزتها فى إظهار مكانة النساء فى الماضى والحاضر راجية أن أستحث بذلك هممنا نحن المصريات فنعرف ما وصلت إليه فضليات النساء وكريماتهن فنقتدى بهن فى علو الهمة والشمم ، عسى أن نسترد شيئا من ماضى مجدنا وسالف عزنا فننهض من ذلك السبات العميق الذى كان من أهم الأسباب فى انحطاط مصر . فما كان التاريخ إلا عبرة وذكرى .

أريد أن تحيا النساء ولو اسما لا حقيقة ، فيقال أنهن قد اجتمعن اليوم فى دار الجامعة ليناقش بعضهن بعضا ولا يلبث هذا الاسم أن يصير حقيقة ، وقد يكتسب الانسان الطبع بمجرد التظاهر به فيعتاده . أريد أن نحيا نحن النساء ، ولا أرى من عائق فى سبيلنا فقد أصبح من أنصار نهضتنا عقلاء الأمة المصرية كما مد إلينا عظماء الاحتلال يد المساعدة ولم يعد فى سبيلنا إلا الكسل والخمول . أريد أن تحيا المصريات حياة حقيقية ، فيقبلن على العلم ويسعين إليه سعيا متواصلا فلا يمضى زمن حتى أرى فى هذه الدار مئات من السيدات ، ولقد آليت على نفسى ألا أتأخر عن الحضور إليها كل يوم جمعة حتى يصبح معلوما لدى السيدات ذلك اليوم فلا نحتاج فيه إلى إعلان . وأملى وطيد أن تعضدنى السيدات فى تلك النهضة الوطنية ، فمصر البلاد المحبوبة جديرة بأن نتفانى فى حبها ونعلى من قدرها ، وما لنا نحن السيدات إلا ما نستطيع الآن وهو الاهتمام بنشر التعليم بيننا وترقية شؤوننا ليرقى بها الوطن العزيز . أريد أن نحيا ونكثر بيننا المجتمعات العلمية حتى وإن قلت فائدتها . هذه نساء أوروبا قد زاحمت الرجال وتطرفت فى التمسك بحقوقها إلى حد بعيد فطلبت حق الانتخاب ونحن بإزائها أثمات . يطلب منا الرجال اليقظة فلا يرون إلا الكسل والخمول وإنى يسؤونى جدا أن أرى هذا التقاعد مع تعضيد الرجال لنا وطنيين وأجانب يسؤونى أن أحضر إلى هذا المعهد فلا أجد به إلا القليل من المصريات .

لعل قائلا يقول إنها تريد أن تروج بضاعتها وتستحث النساء إلى الحضور . نعم أنا أفعل ذلك ويعجبنى أن أدعو إلى محاضراتى من هى أكثر منى علما ، لا لأن تستفيد منى ولكن لتفيد المصريات عموما وتدعوهن إلى المعاهد العلمية ، فلا رقى للأمة إلا بقدر نصيب نسائها من العلم والحضارة ، ولا عيب فيمن يدعو إلى رقى أمته .

ولنعد إلى موضوعنا الأول وهو تاريخ مصر فأقول إن مصر بلد خصب واقع فى وسط الدنيا القديمة تقريبا معتدل الجو ولهذا كان محط اطماع الأمم قديمها وحديثها ، فتداولت عليه العمالقة والفرس واليونان والرومان والعرب والترك والفرنسيس وغيرهم ، فكانت



محاسنه شقاء على أهله وهو من أقدم البلاد حضارة وعلما ، فقد ابتدأت حضارته فى الأزمان الغابرة التى كان يسميها الغربيون بالأزمان المظلمة ، لهذا كان تاريخ مصر غامضا علينا ولم نعلم منه إلا ما وجد مدونا على الآثار القديمة بالقلم الهيروغليفى .

وقد نامت مصر بعد هذه اليقظة واستيقظ الغرب ، فجاء الغربيون وحلوا رموز الكتابة الهيروغليفية واستنبطوا منها معظم تاريخ المصريين وقد اهتموا بهذه الآثار اهتماما يليق بها فجاءوا إليها من جميع الجهات ، وأخذوا كثيرا منها إلى بلادهم ليزينوا بها متاحفهم .

انتبه الشرقيون بعد النوم وأرادوا تدوين التاريخ وقد درست آثاره ، فأخذوا يترجمون تاريخ مصر عن الكتب الأفرنجية . ومن العجيب أنى قرأت بعض هذه الكتب المترجمة ، فوجدت أن كتابنا الشرقيين سامحهم الله قد حذفوا فى ترجمتهم كثيرا منا يتعلق بذكر النساء مع اهتمام الغربيين بذكر تاريخ مصر .

ولعل العادة التى قضت على الشرقيين بالغضب والنفور ، من أن يذكر أحد نساءهم ، هى بعينها التى جعلت كتابنا يحترمون الفراعنة فى مضاجعهم الأبدية ولا يجسرون على ذكر ملكاتهم ، خشية أن يغضبوا ، فيالهم من كتاب يخافون الأموات ويدوسون على عواطف الأحياء من النساء .

ذكر الغربيون فى كتبهم أن وراثة الملك كانت من جهة النساء ، فكان ينتقل الملك من الملك إلى ابن ابنته وإذا كان قاصرا أناب عنه أبوه . ولم يكن لابن المالك حق الوراثة فى الملك إلا إذا تزوج بفتاة لها هذا الحق ، ولهذا كان يتزوج ابن الملك بأخته حتى لا يحرم من ملك أبيه .

ذكر هذا الغربيون ولم يذكره أحد من كتابنا ، فهل ظنوا أن وراثة الملك من الأمور التافهة التى لا تستحق الذكر . أم خافوا أن تسمع نساؤنا ذلك فتعرف ما للمرأة من المكانة العالية وتخرج من ذلك الخمول والهبوط إلى العمل والحياة ، فيصعب عليهم قيادتها كما يزعمون ، مع أن لهذا الموضوع دخلا عظيما فى تاريخ مصر فإن الأسرة الثامنة عشرة التى اشتهرت بفتوحاتها العظيمة وعظمة ملكها لم تقم إلا بالنساء فقد أسسها أحمس الأول وكانت تساعده فى ذلك أخته وزوجته الملكة نفرتارى ، ثم خلفه ابنه أمنيوفيس الأول وكانت تساعده والدته أولا ثم زوجته وأخته . وما زالت تتوالى الملوك والملكات إلى أن جاء أمنيوفيس الثالث ، وقد ارتقت الأمة ارتقاء عظيما ، وكانت تخلف الملكة ابنتها كما كان يخلف الملك ابنه ، فاشتهر كثير من الملكات فى تلك المدة من أشهرهن الملكة هاتاسو فقد كانت لها اليد البيضاء فى ترقية الملك ، فلما جاء أمنيوفيس الثالث تزوج بأجنبية تعبد الشمس فخالفت بذلك قوانين البلاد وصح فيها ما كان يتوقعه القدماء من دخول الأجانب فى الملك فقد علمت هذه الأم ابنها أمنيوفيس الرابع عادات بلادها ، فنشأ أجنبيا عن مصر والمصريين ونفرت منه الأمة لأنها لم تكن تعده ملكا



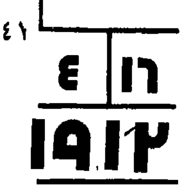


شرعيا لها ، وسرى هذا التنافر بين الطرفين ومال أمنيوفيس إلى ما عودته أمه من العبادات فهدم المعابد المصرية وأقام معابد أخرى لعباده الشمس ، فانقسمت الأمة إلى قسمين ، واشتغلت بالحروب الدينية ، فانتهزت البلاد التابعة لها هذه الفرصة وانسلخت منها واحدة فأخرى . وجاء بعده حور محب فأعاد العبادة المصرية القديمة ، إلا أنه لم يرض الأمة جميعها ، بل غضب عليه الشطر الذى اعتنق الديانة الجديدة وما زالت الأمة فى اضطرابات داخلية إلى أن انحطت ، فنهضت بها النساء إلى أوج العلا ثم انحطت بعد ذلك بسببهن ، وهذا أجلى مثال يظهر لنا تأثير هذه الأم فى نفوس الرجال ، فنعلم مقدار إصابة المصريين فى جعل أم الملك من بيت الملك حتى ينشأ على الوطنية الصحيحة لما يعتاده من عادات أمه فى الصغر .

ولا يفوتنى هنا أن أظهر خطأ الرجال فى زواج الأجنبيات ، زعما منهم أن الرجل يؤثر فى أخلاق المرأة وعاداتها ولا تقوى هى على التأثير فى نفسه . وهو خطأ يثبته الواقع فإن الرجل ميال إلى أهل زوجته فهو يكاد يعد منهم وذلك بتأثير الزوجة فى نفسه . ولا يقول بضعف المرأة عن التأثير فى الأسرة إلا جاهل معاند . ولقد نشاهد أن بيت الرجل المصرى الذى يتزوج بغربية يعد من البيوت الغربية كما أن أولاده لا يصح البتة أن يطلق عليهم اسم مصريين لتطبعهم بالعادات الغربية . وعلى هذا أقول أن الرجل إذا تزوج بأجنبية أصبح هو وأولاده أجانب .

والمصرية إذا تزوجت بأجنبى ، ولا أقصد به إلا المسلم من الفرس مثلا ، فقد أضافت إلى الأمة المصرية أفرادا جددا . هذه حقيقة تكاد تلمسها الأيدى وإن أنكرها بعض رجالنا لأغراض فى النفس ، هداهم الله سواء السبيل .





خليـــل مطـــران

١٠

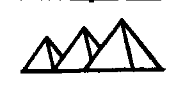
تـذكار صحـافى

ما انس من شىء لا أنس مقدمى إلى الاسكندرية سنة ١٨٩٢ عائدا من اوروبا ، وفى عودى نضارة من الصبى وفى راسى تاجج من الآمال .

جئت ذلك الثغر لا أنوى الاقامة فيه على ما فيه من شمائل أهله ومكارم أخلاق المصريين ، وكان أحد الفرقدين المؤسسين للأهرام قد رماه القضاء بسهمه فغيبه واستمطر عليه العيون أسفا ، فعلمت أن القوم يقيمون له حفلة دينية ورأيت الناس على اختلاف الملل والنحل أخوة فى ذلك المصاب ، فعزمت على شهادة تلك الحفلة وهيأت لها كلمات .

حضرت فى الموعد ولم يكن فى الاسكندرية ذو مقام مسلما كان أو مسيحيا أو إسرائيليا إلا وقد حضر . فلما ختمت صلاة الجنازة راعنى أنه لم يقم أحد للتأبين ، فهجمت على المنبر والناس يتقلقلون للانصراف واستهللت كلامى فيما أذكر بهذا السؤال : أين خطباؤكم أين شعراؤكم . ثم عددت من مناقب الفقيد ما أملاه الارتباط القديم بين البيتين وما أوحاه الجزع العام على تقوض ذلك الركن المتين من أركان النهضة الحديثة .

فلما فارقت المنبر أقبل على رجل ربعة أتب الصدر عريض الجبهة ترسل عيناه الأشعة قويمة دالة على قوة العزيمة وصدق المشيئة ، فشكر لى ما ظهر من ودادى وتسمى فاذا هو الفرقد الثانى .





ذلك اليوم كان مبدأ صلتى بالمغفور له بشارة تقلا باشا .

نظرنى لأول وهلة وكأنه خبرنى ، فلم يكن إلا أسبوع أو نحوه حتى دعانى لتولى قسم من تحرير الأهرام . وكنت مع ازدياد معرفتى بمصر قد شعرت من نفسى بمزيد من الحب لها ، إذ أننى آنست فيها ما يلائم مزاجى وفطرتى ، فأجبت الأستاذ الكبير إلى ما أراد .

ههنا مناسبة الباعث الذى بعثنى على كتابة هذه السطور .

رأى الرجل وقد تراضينا على عمل أعمله فى جريدته أن يوصينى بما يوافق مذهبه وخطته ، فقال لى ما محصله .

« الغرض الأول الذى أسسنا له جريدتنا إنما هو خدمة مصر والمصريين . والشعار الذى لا يبرح نصب عيوننا وإليه توجه ميولنا وآمالنا إنما هو « مصر للمصريين » .

هذا البلد جميل وهذه الأمة سمحة كريمة الشمائل جديرة بأن يصادقها النزيل وأن يصدق فى خدمتها .

الصدق فى خدمتها على ما اعتقدناه يقوم بخلال ثلاث .

الولاء لمليكها ـ لأن منزلة العرش منها منزلة الرأس من الجسم ، إذ أن هذا العرش هو معقد الرابطة بينها وبين الدولة العلية صاحبة السيادة عليها ، وهو الحصن الذى بالتفافها حوله تتقى غوائل الحاضر وتهيىء أسباب الرقى للمستقبل .

الاخلاص فى نصحها ـ لأن السواد الأعظم منها على جهل ، وبهم ضعف وتفرق من نتيجة ذلك الجهل ، فآية الاخلاص السعى إلى نشر المعارف وتقويم التربية . ويلى هذا فى الرتبة الدفاع عن حقوق المستضعفين من الأهلين ، ورقابة الحكام فيما يفعلون منعا لهم من الزيغ وحملا لهم على الاستقامة والنزاهة .

إحداث شعور عندها بذاتيتها وتنمية الغيرة فيها على كرامتها ـ ذلك لأن مصر أصبحت فى هذا الزمن أحوج ما كانت إلى انبثاق هذا الشعور فيها ، وانبثاث تلك الغيرة بين أبنائها ، إذ أنها فى السابق كانت مستقلة فى بيتها حرة فى تصريف معظم أمورها الداخلية على ما تشاء ، أما الآن فهى تحت نير احتلال ولا ينفعها فى إلقاء تلك الربقة عنها إلا أن تتهيأ لذلك بأن تعرف قدر نفسها وتغضب غضبا صحيحا لكرامتها ، فإذا تم لها مع هذا أن تتعلم وأن تتقوم أخلاقها وأن تكون على اتفاق لا يتزعزع مع مليكها ، فبهذه الأمور الثلاثة معافاتها ونجاتها وسعادتها » .



تلك النصيحة الغالية هى التى جعلتها قبلتى منذ مبدأ عهدى بالخدمة الصحافية ، وهى التى اتخذتها مدار فكرى ومحور إحساسى فى حياتى الأدبية .

فإذا كنت اليوم أتلقى شيئا من الاكرام ، فإنما الفضل فيه صادر عنها وراجع إليها .

11

أنطــون الجميــل

الطربــوش والبرنيطــة

أرجو من صديقى سليم افندى سركيس أن يقفل بهذه الكلمة وبما عرف عنه من سلامة الذوق باب المناقشة فى الطربوش والبرنيطة للأسباب الآتية :

١ ـ إن تربيتنا الاجتماعية وأخلاق البيئة التى نحن فيها ونقص التعليم فى بلادنا جميع ذلك مما يضعف روح الجرأة الأدبية فى معظم المفكرين ، ولا سيما عند من استفتيتهم فى هذه المسألة ، اللهم إلا من كان على شاكلة المرحوم قاسم بك وإخوانه . وأما شبيبة (اليوم) فجرأتها الأدبية تقف دون هذه المواضيع الاصلاحية لأسباب كثيرة أنت أعرف بها من سواك . .

٢ ـ إن الدين الاسلامى خصوصا ، وجميع الأديان عموما ، لم تتعرض لملابس الناس وأزيائهم ، لأن الأديان فى القلوب تعمل على تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق . وأنا كمسلم أقول بملء الصراحة ـ لا لأدفع فرية ألصقها الجهلاء بالاسلام ، لأن مبادىء الاسلام معلومة للجميع وليست من المسائل السرية ، وإنما لأبين حقيقة حالة المسلمين وتمسكهم بالخيالات ـ انه ليس فى القرآن ولا فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى إجماع الأمة (وهذه اهم مصادر الاسلام واركانه) ما يثبت خلاف ذلك وليس الطربوش مسلما والبرنيطة مسيحية . ومحمد لم يلبس طربوشا وعيسى لم يعرف قبعة ، ولو لبس عيسى القبعة لكان لبسها مستحب عند المسلمين ، لأن الاسلام كرم عيسى (فى اعتقادى) أعظم من جميع الأديان ، فالطربوش يونانى أخذه الترك عن اليونان سكان الموره وجوارها وقد خلعه جيشهم





الآن واستبدل الأنورية به ولبس ضباط الترك القابق الأنورية وبعض البرانيط الألمانية ذات الريش الأبيض . والبرنيطة من صنع الأفرنج قبل المسيحية والاسلام وجميع ذلك ملابس وأزياء تتعلق بأذواق أهل البلاد وعاداتهم وما يناسبهم فى مناطقهم .

٣ ـ ما عجبت لشىء عجبى من الوهم السائد على عقول الذين يظنون انه إذا كانت البرنيطة من لبس المسيحيين فلا يجوز للمسلمين لبسها ، وإذا كانت العمامة من لبس المسلمين فلا يجوز للمسيحيين استعمالها ، وهذا وهم باطل وخرافة بعيدة عن حقيقة الاسلام والمسيحية بعد السماء عن الأرض . فالاسلام لم يمنع إلا استعمال الزنار (المنطقة) الأسود الذى يلبسه الرهبان ، إذا كان القصد منه التشبه بالرهبان ، لأن مبادىء الاسلام ضد الرهبنة .

وخلاف ذلك لا دخل له بالدين ، والمسألة من أولها إلى آخرها عادة رسخت مع الزمن ، والعادات لا تذهب بمجرد معرفة مضرتها وإنما تحتاج لزمن طويل . ألا ترى أن فريقا من المسيحيات القبطيات والسوريات تعودن التبرقع واشتدت بهم العادة إلى درجة أنهن تمسكن به أكثر من تمسك المسلمات ، وهكذا الحال عند المسلمات فى شأن الحجاب . ومن العجيب أن فريقا من المسلمين بل من أشد المسلمين تمسكا بالاسلام ، وهم سكان اليمن ،يلبسون قبعات من القش واسعة لتقيهم حر الشمس لأن الحاجة دعت إليها ـ لا يعتنى بهم ويتمسك الناس بالطربوش ، وشبان الآستانة الذين أخذ الطربوش عنهم أبعد الناس عن التمسك بالاسلام . .

وصفوة الكلام أن المسألة عادة فقط درجت حتى تمسك بها الناس ولا يتزحزحون عنها إلا مع الزمن ، ولو أعتقد الجميع حتى الجهال حقيقتها الدينية .

اما رايى فى البرنيطة فانا لا استحسن شكلها ، ولكنى اعتقد بفائدتها للوقاية من الشمس ولا سيما فى هذه البلاد . وأما الطربوش فإنى أحب شكله على الراس ومنظره على الوجوه ، ولكنى أعتقد انه خال من الفائدة ، وقد وجدت منه أضرارا فى البلاد الحارة اضطرتنى للبس البرنيطة فى السودان والعقال فى الحجاز .





١٢

سليم سركيس

الشىء بالشىء يذكر :
اللهم خلصنى
من أصدقائى

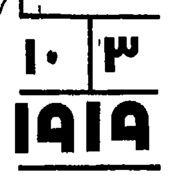
أسأل الله أن يخلصنى من أصدقائى ، وأما أعدائى فأنا أعرف كيف أتخلص منهم .
لى حديث عن مصلحة التليفون ـ وأعتقد أن كل من لديه عدة تليفون يشاركنى فى شكواى .

كانت فى مصر شركة تليفون . كانت تخاف الحكومة . وتراعى الشعب وتراعى آداب السلوك . وكانت تراعى مصلحة الأهالى . كانت تعتبر اللغة العربية وكان رئيسها قريبا من الأمة . وكان للشكوى فائدة .

ثم رأت الحكومة أن تستولى على الشركة فصارت مصلحة . وقالوا لنا هذا هو ا لخير كله . والحكومة التى حلت محل الشركة ليست حكومة انجلترا ، بل هى حكومة يقال لها الحكومة المصرية .

وفى كتاب ولدى الصغير الذى يتعلم منه الجغرافية الابتدائية أن « القطر هو جزء محدود من الأرض ، تسكنه أمة واحدة تحت سلطة حكومة واحدة كالقطر المصرى » .

وكنت حتى الآن أعلم أن الحكومة المصرية ذات لغة واحدة يقال لها اللغة العربية ، تدرسها فى مدارسها ، بل تشترط على كل موظف أجنبى أن يتعلمها . أليس الأمر كذلك ؟ ألا تقول لنا الجرائد من حين إلى آخر أن المساتير أو المسترات جون وهنرى وفيليب وغيرهم قد جاوزوا الامتحان فى اللغة العربية ؟



١٢

وفضلا عن هذا ، فإن على رأس الحكومة المصرية عظمة السلطان فؤاد وقبله كان السلطان حسين وقبلهما كان أولياء الأمور ، تختلف أسماءهم بين محمد على وعباس وتوفيق وما شاكل من الأسماء ، ولا أعلم إلا أن هذه عربية . ثم يرأس وزراء الحكومة وزير اسمه محمد سعيد ، وليس فى اللغات الأجنبية أسماء فؤاد وحسين ومحمد على ومحمد سعيد .

فضلا عن أن ١٤ مليونا من سكان هذا القطر لغتهم عربية .

إذن لم يبق ريب فى أن هذه البلاد عربية وأن حكومتها عربية .

ولكن لما تحولت شركة التليفون إلى مصلحة من مصالح الحكومة العربية المصرية ماذا جرى ؟

١ ـ طرأ انقلاب على لغتها .
٢ ـ وطرأ انقلاب على عملياتها الحسابية .

فمن الانقلاب الذى طرأ على لغتها : إذ بها تطبع أوراقها وأوامرها وإرشاداتها بغير اللغة العربية . وتخاطب الأهالى باللغة الانجليزية . ومن شاء أن يضمن سلامة حديثه وسرعة الحصول على النمرة التى يريدها فعليه أن يخاطب العمال بالأفرنجى ، **ولو كان المتكلم شيخ الجامع الأزهر نفسه** . مع أن فى وسع المصلحة أن تجعل بين موظفيها من يعرف اللغة العربية ليكتب أوامرها وإرشاداتها .

أليس غريبا ، بل مستهجنا ، بل من قلة الذوق أن ترسل مصلحة التليفون المصرية إفادة باللغة الانجليزية فقط لا غير إلى الحاج محمد عبد ربه تاجر الملوخية فى السيدة ؟ فإذا قيل أن المراد مراعاة الأجانب من مشتركى التليفون ، قلنا بل الأوجب مراعاة الأكثرية فى بلادها . وإذا قيل أن عمال المصلحة أجانب ، قلنا لماذا يكونون كذلك ، وقلنا أيضا لماذا ولماذا . أليس الأسهل أن يتعلم مئة موظف أجنبى اللغة العربية من أن يتعلم ١٤ مليون مصرى اللغة الانجليزية .

وعن الانقلاب الذى طرأ على المصلحة فى عملياتها الحسابية : كنت أعلم حتى تشرف هذا الوجود بوجود مصلحة التليفون أنك إذا أعطيت طفلك الصغير برتقالتين وأعطيت أخته مثلهما وسألته عن مجموعها يقول لك أنها أربع فقط . وأما مصلحة التليفون فتقول بكل صراحة أن مجموع ٢ و ٢ هو ٢٥ وإليك البيان الغريب :

عندى تليفون . وأحتاج أحيانا إلى مخاطبة الاسكندرية وغيرها من المدن ، فأرسلت إلى المصلحة خمسمئة غرش صاغ ـ ٥ جنيهات مصرية . صحيحة غير مزيفة . خمسة آلاف مليم . ولماذا أرسلت كل هذا المبلغ مع أن نفقة مخاطبتى لخارج العاصمة لا يمكن أن تزيد على ٥٠





أو مئة غرش ؟ فعلت ذلك لأننى أردت أن أرتاح . أردت أن يكون لى فى الشركة فضلة من المال ، لا أن أكون مدينا لها . أردت أن أحتاط لنفسى فإذا خلصت فى حسابى لا تمنعنى المصلحة من المخاطبة .

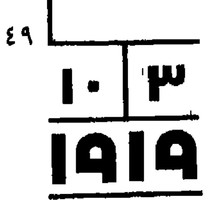
فى الشهر الماضى جاءنى علم من المصلحة أن نفقاتى بلغت ٦٥ غرشا . يكون الباقى لى من مالى فى صندوق المصلحة ٤٣٥ غرشا ، أى أننى إذا استعملت التليفون على هذا المعدل مدة نصف سنة لا أكون مديونا للمصلحة بشىء . ومع ذلك أردت أن أخاطب بورصة الاسكندرية فمنعونى . ولماذا ؟ لأننى مديون للمصلحة . أرجوك أيها القارىء أن تقف قليلا عند لفظة « مديون » ، لى فى صندوقها ٥٠٠ غرش ولها عندى ٦٥ غرشا ، فأنا (مديون) لها وهى « الدائنة » ، أليس ٢ و ٢ مجموعها ٢٥ .

شركة التليفون لم تفعل هذا ، وكانت تربح وكانت منظمة ، وكانت على ما يرام ، وكانت شركة محتكرة مستبدة ، وكانت أجنبية . وأما مصلحة التليفون فإنها مصلحة من مصالح حكومتنا التى تحبنا حبا كثيرا ، وتريد لنا كل الخير وتسهل لنا أمورنا ، تساعدنا على صلاح أحوالنا وهى ونحن أبناء بلد واحد وأمة واحدة ولغة واحدة . ولكنها ترى (لحكمة لا ندركها) أن تحفظ فى صندوقها ٥٠٠ غرش من رجل فقير مثلى وتطالبنى بمبلغ ٦٥ غرشا ، ثم تمنعنى عن استعمال التليفون الذى تناولت من أجله ٥٠٠ غرش .

الغلط جائز . لا أريد أن أكون ظالما ، ولكن إلى هذا الحد فقط وصلت معارفى فى الحسابية .
فهل للمصلحة أن تصلح غلطى وتطلعنى على موضع الضعف من تعليل هذا وأكون شاكرا .

بشرط - أن يكون جوابها لى باللغة العربية .





١٣

عباس محمود العقاد

ستنال الأمة ما تستحقه : الحياة رجاء

ليست مصر باضعف الأمم المغلوبة وليست انجلترا باقوى الأمم الغالبة في تاريخ هذا العالم .

إن ساسة الانجليز يرمون بما يقولون ويفعلون إلى شيء واحد هو افهامنا انهم اقوياء بالأساطيل والجيوش وانهم قادرون على قهرنا وارغامنا واننا اضعف من ان نصاولهم في ميدان تغلب فيه القوة ، ويحكم فيه البأس والسطوة ، وهذا شيء نفهمه ولا نجهله وما بنينا رجاءنا على خطأ في تقديره . ولكن الشيء الوحيد الذي لا نفهمه ولا يستطيع الانجليز أنفسهم أن يؤمنوا به هو أن القوى يفعل كل ما يشاء ويظفر بكل ما يريد ، وإذا أبينا أن نفهم ذلك فنحن أولى أن نأبى ما هو أخطل منه في رأى العقل والعيان : نحن أولى ألا نصدق أن قويا تمالئه الحوادث اليوم فينال شيئا أراده ضمين بأن يظل كذلك إلى أبد الآبدين ، وأن الضعيف إذا غالبته القوة فقد قضى عليه باليأس الدائم والخنوع السرمدى .

هذا ما انكرناه ولن نزال ننكره . وما كانت عبر الحرب الأخيرة الا حجة قائمة عليه وبرهانا داحضا له . ولو جاز وهم كهذا في العقول لما كان تاريخ العالم إلا حكاية واحدة منذ خلق الله العالم إلى اليوم ولا وقع فوق هذه الأرض إلا حدث مفرد لا يتكرر : قوى غلب الضعفاء من حوله فبقى القوى قويا والضعيف ضعيفا وفرغ الأمر وبطل الكلام .





ما جهلنا بأس انجلترا ولا نسينا ضعف مصر . ولكننا عرفنا مكاننا من انجلترا وعرفنا مكان انجلترا من الزمن ، ولم يحجب عنا العالم الذى يحيط بنا . وفى كل ما عرفنا ورأينا لم نر سبيل الأمل موصدا ، ولم نعرف كيف يقضى علينا باليأس من الخلاص أو يحتم علينا الاخلاد إلى حال لا تحويل فيه ولا تبديل .

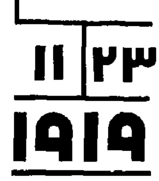
مصر كعبة الشرق القريب وامامه . إليها ينظر وبها يسترشد ومنها يقتبس حكمه على الغرب والغربيين . تحققت ذلك يوم رفعت قيود السفر عن جيراننا فاقبلوا من كل صوب ينسلون . فما قصدت مكتبة من مكاتب القاهرة إلا رأيت تجار الكتب غادين إليها رائحين . يسالون عن كتب مصر ومجلات مصر وآثار أبناء مصر . ماذا ألفوا ؟ وماذا نظموا ؟ وماذا يؤلفون وينظمون ؟ ثم قفلوا بعد أيام إلى بلادهم : إلى تونس والشام واليمن والعراق . إلى الشبان المتعطشين الذين أرسلوهم يرودون لهم وينتجعون . هذه كتب مصر فخذوا منها ما تشتهون ـ فهل يداس بلد له هذا النفوذ بين عشرات الملايين ، وهل تتقلى مصر على جمر المضض وهؤلاء يلهون ويطمئنون ، وإذا عرفنا اليوم ما كان فمن ذا الذى يعرف فى غد ما يكون .

أما انجلترا فهنيئا لها انها اليوم أقوى من دولة الرومان فى ابان مجدها وأوج عظمتها ولكن اين من كانوا يزاحمون الرومان فى جميع عصورهم ممن يزاحمون انجلترا من الأصدقاء والأعداء فى عصر واحد ؟ ؟ إن الأصدقاء يزاحمونها فى ميدان الاقتصاد والأعداء يزاحمونها فى كل ميدان وهى تملك من أسواق العالم ما لا يملكه هؤلاء ولا هؤلاء . وهذا الذى يحق لعقلاء الانجليز أن يتخوفوا منه ، لأنهم إذا تغلبوا على مزاحميهم وأمنوا جانبهم فانى لهم أن يأمنوا عواقب الثقة برواج متاجرهم ؟ ؟ انى لهم أن يأمنوا عواقب هذا الأمن على صناعاتهم وفنونهم وطبائعهم ؟ ؟ وهل يستوى فى الجد والعمل رجلان هذا واثق من ربحه وهذا لا يحصل على اليسير من الربح إلا إذا بلغ غاية الاتقان ، ونزل بسلعته إلى أرخص الأثمان ؟ ؟

إن ساسة الاستعمار يتكلمون على القوة وحدها ولكنهم لا يأمنون فى نفس بلادهم أن تغلبهم على سياستهم هذه احزاب لا ترى فى حكم الشعوب رايهم ولا يهمها من السياسة ما يهمهم ، ولا سيما أولئك الذين يصيبهم من عداوات الدول اشد ويلاتها ، ولا ينالهم من حكم الأمم الضعيفة إلا اقل خيراتها . فمن بنى ملكه على القوة فانما يبنيه على أساس لم يستقر قط فى موضع واحد . وما أوهن مثل هذا الأساس .

أيها المصريون :

لا ييئسنكم ضعفكم فإن الضعيف هو الذى يرجو الرجاء البعيد وما أغنى القوى عن طول الرجاء ! !



١٣

انكم بخير ما دب الرجاء في نفوسكم فإن تولاكم القنوط فما غلبتكم القوة ولا ظلمتكم ولكنكم انتم الظالمون .

انكم ستنالون ما تستحقون لا محالة فماذا عساكم مستحقين . ؟ ؟

هذا سؤال معكم انتم جوابه وليس مع أحد كائنا من كان من العالمين .





١٤ على فهمى كامل

سيرة الرئيس الراحل المرحوم محمد بك فريد

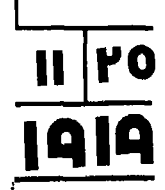
سافرت إلى الريف طلبا للراحة والاستشفاء من مرض طال فانهك القوة واقلق الصديق . وما تقدمت للشفاء خطوة حتى فاجانى القدر بما اخره خطوات ، فاجانى بموت صديقى القديم ورئيسى الجليل محمد فريد وانه لخطب جلل .

جئت إلى القاهرة فوجدت اللجنة الادارية للحزب الوطنى قد أعدت مع أسرة الفقيد العظيم معدات المأتم فى أكمل مظاهرها ، وقررت إنشاء مستوصف للعمال باسمه الكريم تخليدا لذكراه وأثرا باقيا ينفع الناس ونحن أحوج ما نكون إليه ، فأقررت فكرتهم وشكرت همتهم ورايت واجبا مقدسا على بالرغم مما أنا فيه من الضعف والنحول إزاء هذا الزعيم الراحل والوطنى المجيد أن أقدم للناس سيرته الطيبة المحبوبة لدى بعد سيرة مصطفى ، مجملة لا مفصلة ، ليقرأها من لم يكن قد قرأها من قبل عسى أن يكون فيها خير ذكرى للناشئين . وأن الذكرى تنفع المؤمنين .

نشـــاته

والده المرحوم المبرور أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية سليل بيت من أكبر بيوتات المجد فى مصر ، ووالدته المرحومة المبرورة من بنات بنى العباس شريفة حسيبة نسيبة .

ولد رحمه الله من هذين الأبوين الصالحين الشريفين فى عاصمة مصر فى السابع



والعشرين من شهر رمضان من عام ١٢٨٤ هجرية الموافق ٩ يناير من عام ١٨٦٨ ميلادية ، فتكون سنة قد بلغت عند ما اختاره الله إلى الرضوان الأعلى نحو اثنتين وخمسين سنة ميلادية .

ولما أن بلغ السابعة من عمره أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا الابتدائية بجهة المسجد الحسينى ، فأتم فيها الدراسة الابتدائية ، ثم دخل مدارس الفرير الفرنسية فمكث بها سنة ، ثم انتقل إلى المدرسة التجهيزية الثانوية ، وبعد أن أتم دراسة التعليم الثانوى لحق بمدرسة الألسن ومنها دخل مدرسة الحقوق الخديوية ، فكان مثال الجد والاستقامة والصلاح حتى حبه أقرانه حبا جما .

فى الحكومة

ولما نال رحمه الله إجازة الحقوق فى شهر مايو عام ١٨٨٧ ميلادية عينته الحكومة بقلم قضايا الدائرة السنية الذى لم يلبث فيه إلا قليلا حتى أصبح رئيسه . وقد أنعم عليه الخديو توفيق باشا بالرتبة الثانية فى شهر أبريل من عام ١٨٩١ ميلادية . ثم تدرج فى وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية فى محكمة الاستئناف الأهلية .

وكان وهو فى الوظائف يكتب فى المؤيد المقالات الخلقية والاجتماعية .

وتجلت وطنيته الصادقة فى حادثة المؤيد فى شهر يوليو من عام ١٨٩٦ ميلادية ، وهى حادثة التلغرافات الشهيرة بعد حملة دنقلة .

تعرف رحمه الله فى هذه السنة إلى الزعيم الأكبر « مصطفى كامل » ، فعملا معا يدا واحدة فى هذه القضية مناصرين صاحب المؤيد حتى خرجا من الجهاد بالفوز .

فأرادت حكومة الاحتلال نقله من القاهرة إلى مغاغة فى ٢١ نوفمبر من عام ١٨٩٦ ميلادية ، ولكن إرادته القوية كانت فوق إرادتها . وبعد أن استأذن المرحوم والده قدم استقالته غير مؤثر مستقبلا أو باك وظيفة شأن الأحرار الذين وهبهم الله قلبا كبيرا ونفسا أبية .

فى المحاماة والسياسة

قيد اسمه فى المحاماة فى شهر يونيو من عام ١٨٩٧ ميلادية ، وانضم بكل قواه إلى الجمعية الوطنية العاملة لتحرير مصر واستقلالها ، ولازم صاحبيه مصطفى كامل والمرحوم الوطنى الكبير الدكتور محمود لبيب محرم الذى (مات فى برلين ودفن فيها) ملازمة الظل للشيخ ، فما كان ينقطع عن لقائهما ليل نهار حتى خاف عليه والده من الاشتغال بالسياسة فاستعان عليه بأبن عمه المرحوم رياض باشا الذى نصح لفريد بك ألا يكثر من اجتماعه بمصطفى كامل ، فأجابه صاحب الترجمة على الفور بما معناه :





« إن الوطنى الذى يحب بلاده لا يتعرف إلا إلى من كان على شاكلته ، وقد رأيت فى صديقى وأخى « مصطفى » قلبا كقلبى ونزعة كنزعتى وفصاحة خلابة ووطنية صادقة . فوالله الذى وهبنا نعمة الشعور واليقين لا أبتعد عنه إلا بالموت . . » .

وما سمع منه رياض باشا هذه الكلمات النبيلة حتى بدل الحديث غير الحديث ودعا له بالنجح وحسن العقبى .

استمر فى المحاماة إلى شهر أكتوبر من عام ١٩٠٤ ، حيث صفى أعماله ليتفرغ إلى السياسة والسياحة والتأليف . وقد كان صافى ربح مكتبه حتى ذلك التاريخ نحو ألفى جنيه فى العام .

تأليفه وكتاباته

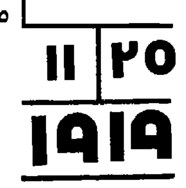
ألف رحمه الله كتاب البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسسى العائلة الخديوية وتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الرومان ، وأنشأ مجلة الموسوعات بالاشتراك مع أحد أصدقائه « على بك بهجت » ، وكتب آلاف المقالات فى اللواء والمؤيد ولتندار والصحف التونسية والجزائرية والتركية والأوروبية على اختلاف نزعاتها ، وقد تجلى فى كل ما كتبه روحه الطاهرة ورأيه الثاقب ووطنيته الصادقة مع انتقادات وحملات وحكم ومواعظ .

وألقى من الخطابات فى مصر وأوروبا ما بلغ خمسة وثلاثين خطابا ، وحادث السياسيين وأرباب الأقلام فى شئون مصر والاسلام أكثر من مائة مرة ، وكتب فى عظماء الرجال درسا لرجال الغد جعله مقدمة لسيرة مصطفى كامل وأنه أبلغ ما كتبه كاتب فى هذا الشأن .

سـياحاته

بدأت سياحاته فى عام ١٨٩٥ ميلادية ، فزار أغلب ممالك أوروبا وعواصمها وبلادها . واستمر يسافر فى صيف كل عام للاستفادة من مياه ينابيع فيشى الفرنسية لأن كبده كان فى حاجة إليها ، حتى إذا ما جاء عام ١٩٠١ زار بلاد الأندلس وبعض سواحل مراكش وبلاد الجزائر وكتب فيها رسالة وزعها فى كل مكان بلا ثمن .

وفى عام ١٩٠٢ سافر إلى تونس فخبر حالتها وزار بلادها ثم عرج على الجزائر وطرابلس الغرب ومالطة وإيطاليا فتفقد آثارها ووقف على رقيها وحالتها الاجتماعية وكان ينشر فى اللواء والمؤيد كل ما يراه فى سياحته ، صريحا فى كتابته صادقا فى انتقاده حتى أن الحكومة الفرنسية عنيت بما كتبه انتقادا على الادارة فى تونس وانحطاط التعليم بين الوطنيين وحرمانهم من وظائف بلادهم ، فكانت هذه الانتقادات داعيا من دواعى أخذها بإنهاض الأمة التونسية . ولقد لقى



رحمه الله من جماعة الصحفيين المنتصرين لسياسة الاستعمار الفرنسية طعنا شديدا وحملات منكرة ، ولقد تسبب عما كتبه فى هذا الشأن فى جريدة المؤيد واللواء منعهما من الدخول فى الجزائر وتونس .

لم تقعد المرحوم هذه الحملات عن متابعة سيره فى إصلاح حال بلاده وبلاد إخوانه المسلمين ، فانتهز فرصة المؤتمر الذى عقده المستشرقون الفرنسيون فى مدينة الجزائر فى عام ١٩٠٥ ميلادية وقيد اسمه عضوا فيه وكتب عدة رسائل فى شأنه نشرها اللواء .

وفى عام ١٩٠٣ زار إيطاليا الشمالية وبعض البلاد الجنوبية فى بحر الأدرياتيك ، ثم عرج منها إلى سويسرا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك ، وكتب فى هذه السياحة المقالات الشيقة التى كان لها تأثير كبير فى نفوس القراء .

وفى عام ١٩٠٤ زار بقية البلاد الأوروبية التى لم يزرها من قبل حتى وصل إلى بلاد نروج ، وبلغ فيها إلى رأس الشمال لمشاهدة الشمس فى منتصف الليل . وقد كان أول مصرى زارها وكتب فيها رسائل عدة فى جريدة اللواء .

وفى عام ١٩٠٦ وافق المرحوم مصطفى كامل فى الجزء الأخير من سياحته بعد دفاعه عن حادثة دنشواى ثم تولى إدارة جريدة « لتندار الفرنسية » .

وعمل بجد ونشاط لضعف صحة مصطفى كامل وتضاؤل جسمه فكان يشتغل معنا فى الأربع والعشرين ساعة ثمانى عشرة ساعة على الأقل ، وما كانت تزيده المتاعب إلا نشاطا .

ولما شعر مصطفى بدنو الأجل جمع اللجان والأصدقاء وأوصاهم بأن ينتخبوا فريدا بعده رئيسا للحزب .

فما فاضت روح مصطفى فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٨ حتى أخذ صاحب السيرة فى إدارة الحزب بمهارة ونشاط غريبين ، فمضى ينعى الفقيد إلى كل قرية من قرى القطر وأعد المعدات لمشهده ومأتمه وتمثاله وتخليد أثره .

ولما تجدد انتخاب الرئيس فى مؤتمر عام ١٩١١ ، أى بعد ثلاث سنوات ، انتخبته الجمعية العمومية لذلك بالاجماع رئيسا دائما للحزب .

قاد الحزب قيادة الساهر اليقظ وعنى بإنشاء النادى وتعميم اللجان ونشر مدارس الشعب بمعونة إخوانه عناية فائقة حتى إذا ما جاء شهر مايو من هذا العام برح البلاد إلى الغرب وحمل فى صحف أوروبا المختلفة حملات صادقة على الاحتلال الانجليزى وخطب فى لوندره وباريس وليون وغيرها عدة خطابات فائضة بالروح الوطنية والحجج الدامغة على أن المصريين أكفاء للحرية والاستقلال .





وكان رحمه الله يميل إلى رفع صوت مصر فى المؤتمرات ، فعقد مؤتمرا فى جنيف فى عام ١٩٠٩ احتجاجا على الاحتلال وقد نجح نجاحا باهرا ، وكذلك عقد مؤتمرا فى بروكسل فى عام ١٩١٠ وقد دعا إليه أكثر من أربعمائة نائب من الممالك الكبرى ، وسافر من مصر وفد تحت رياستى مؤلفا من خمسة وعشرين زعيما من أكابر زعماء الحزب على سفينة خاصة لهذا الغرض وقد نجح هذا المؤتمر نجاحا كبيرا وجمعت أعماله فى مجلد بلغت صحفه نحو خمسمائة صحيفة لم يكتب مثلها .

وبعد أن انفض مؤتمر الحزب الوطنى سافر رحمه الله إلى لوندرة لحضور مؤتمر الأجناس ، كما حضر مؤتمر السلام عام ١٩١٢ بمدينة جنيف وخطب فيه خطابة جليلة وحصل على قرار من المؤتمر باحتجاجه على بقاء الاحتلال فى مصر ، كما حضر مؤتمر الأجناس المستعبدة فى عام ١٩١٤ وله فيه أثر جليل ونفثات من صدره الوطنى المجيد .

مآثره

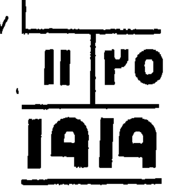
من مآثره الجليلة إنشاء مجلة إيجبت بلوندرة فى عام ١٩١٠ ، وإهداء مكتبة مؤلفة من نحو أربعة آلاف مجلد لنادى المدارس العليا ، وإنشاء جماعة السلام بمصر لتكون فرعا من مؤتمر السلام العام ، وتربيته الكثيرين على نفقته فى المدارس المصرية العالية ومعونته المطردة لمكتبة جامعة الحقوق فى ليون ، ويده البارة فى تأسيس المدرسة الاعدادية الثانوية والبعثة الأزهرية .

صحيفة الشرف

إن أكبر صحيفة كان يفخر بها فى حياته صحيفة القوانين الاستثنائية التى وضعت خصيصة بزعماء الحزب الوطنى تلك القوانين التى كان من جرائها الحكم على الرئيس الراحل بالحبس ستة أشهر فى سجن الاستئناف فقضاها كبير النفس على المقام .

وبعد أن لبث نحو شهر من يوم أطلق سراحه بين أهله ومواطنيه سافر إلى أوروبا لحضور مؤتمر السلام فى إيطاليا الذى تأجل إلى عام ١٩١٢ واجتمع فى جنيف كما سبق ذكره ثم سافر إلى دار السعادة للمرة الثالثة (سافر المرة الأولى فى عام ١٩٠٩ وحضر ثورة الحرية وخلع السلطان عبد الحميد . وسافر للمرة الثانية فى يونيو سنة ١٩٠٩ مع طائفة من كبار أعضاء الحزب الوطنى وقدم تحية مصر إلى أحرار العثمانيين لمناسبة ذكرى عيد الحرية) فلقى فى كل مرة هو وإخوانه إكراما لم يسبق له مثيل وتشرف بلقاء الخليفة الأعظم .

وما عاد من سياحته هذه حتى جمع الجمعية العمومية للحزب فى الثانى والعشرين من شهر مارس عام ١٩١٢ ، وخطب خطابة حمل فيها على الحكومة وانتقدها فى عدة شئون انتقادا



١٤

صادقا وفى اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر سافر إلى أوروبا فجأة بعد أن حققت معه النيابة فى شأن هذه الخطابة إذ عزم على نفى نفسه بنفسه من وطنه .

إبان الحــرب

ما أذن مؤذن الحرب وسافر بعض أعضاء اللجنة الادارية وكرام الوطنيين إلى أوروبا حتى لقيهم أحسن لقاء ونظم صفوفهم هم ومن كان معه فيها من قبل ، وأخذوا يجولون فى المدائن فى كل فرصة ذاكرين مصر والدفاع عن استقلالها .

ولقد نشرت الصحف المصرية فى الأيام الأخيرة موجز هذه الأعمال الكبيرة وعلى الأخص ما جاء برسائل الوطنى الصديق الأستاذ أحمد وفيق وهى التى نشرتها جريدة الأفكار .

بعد الحـرب

لم ييأس قلب الفقيد ولم يتسرب إلى نفسه الكبيرة شىء من القنوط بعد أن علم الناس نتيجة الحرب ، فأخذ يعد المذكرات الضافية ويرسلها إلى رؤساء الحكومات وفى مقدمتهم الدكتور ويلسون .

ولم يكتف رحمه الله بذلك ، بل أصدر مجلة شهرية لنشر الدعوة فى كل مكان حتى أن جهوده بعد الهدنة كانت أكبر مما يتصوره العقل ويحيط به البيان فقد كتب باللغة الفرنسية فى قضية مصر من يوم وضعت الحرب أوزارها إلى غاية شهر أغسطس الماضى ما ينيف على ألفى صحيفة كلها آيات بينات .

ثمانى سنوات قضاها بعيدا عن وطنه حبا فى بلاده وخدمة لاستقلالها فوق ما مضى من قديم السنين ، مضحيا بماله وصحته ، راضيا بفراق أهله وذويه فياله من قلب وطنى كبير . اشتد عليه المرض وتحايل الصحب وذوو العواطف مع فحول الأطباء على إزالته بين سويسرا وألمانيا وفيها قد بلغ العلم غايته ـ تحايلوا على إنقاذه من هذا الداء العضال داء الكبد والاستسقاء ، فلم ينفع تحايلهم ولم يرد قضاء .

هذه صحيفة وجيزة من صحف الرئيس الراحل الذى شرفه الخليفة الأسبق بالوسام المجيدى الثالث وشرفه الخليفة السابق بحسن لقائه ، واستقبله الامبراطرة والملوك والعظماء والساسة والأحرار فى كل مكان بالتجلة والاحترام ، وأكرمت أمته فى شخصه زعيما من أطواد الزعماء ووفيا من أوفى الأوفياء .

إلى رحمة الله أيها الصديق الجليل والرئيس النبيل ، فقد كنت آية الاخلاص شرفا وطهرا ومثال الوطنيين عملا وذكرى . نسأل الله الكريم أن يلحقنا بك مخلصين ، فإن الاخلاص سلاح المجاهدين .





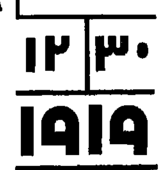
أمين الرافعى

موقف الأمة حيال بلاغ اللورد ملنر

صدر بلاغ اللورد ملنر الذى يفسر به مهمة لجنته وسياسة الحكومة الانجليزية فى المسألة المصرية . وقبل أن نبدأ بتحليله لا نرى مندوحة عن القول بأنه اعتراف صريح من الانجليز أمام العالم أن المصريين يرفضون الحماية رفضا باتا . ولذلك لم تجد اللجنة مصريا واحدا يقبل المفاوضة معها فاضطرت أن تنشر هذا البلاغ بالأسلوب الذى وضع به لتحاول تغيير وجه المسألة . وهذا الاعتراف من الانجليز قد كسبته الأمة بثباتها وقوة تضامنها وعدم تهاونها فى حقوقها السياسية .

على أننا إذا طرحنا حسن أسلوب البلاغ جانباً ، لا نرى تغييرا صريحا فى الجوهر إلا توسيع دائرة المناقشة .

أولا ـ قال البلاغ « إن اللجنة ادهشها ما راته من الاعتقاد بان الغرض من مجيئها هو سلب شىء من الحقوق التى كانت لمصر إلى اليوم » . ولا يخفى أن الحقوق التى كانت لمصر إلى اليوم لم يتفق عليها مع الانجليز ، فنحن نرى أن هذه الحقوق هى الاستقلال التام لأننا كنا متمتعين بالاستقلال الذاتى التام منذ عام ١٨٤٠ ولم تكن هناك غير السيادة التركية الاسمية وحيث أن هذه السيادة قد زالت من يوم أن وافقت تركيا على مبادىء ولسن وأعلن المصريون رغبتهم فى الاستقلال التام ، فقد أصبحنا أحرارا فى جميع شئوننا الداخلية والخارجية ، أى مستقلين استقلالا تاما .



١٥

هذا ما نفسر به الحقوق التى كانت لمصر إلى اليوم ، أما الانجليز الذين أعلنوا الحماية من تلقاء أنفسهم ، ومنعوا الوفد المصرى من دخول المؤتمر ، وحملوا كثيرا من الدول على الاعتراف بالحماية ، فيفسرون هذه الحقوق بما هو داخل تحت دائرة الحماية ولذلك يتردد وزيرهم **بلفور** فى القول بأن السيادة الانجليزية موجودة على مصر وستبقى عليها وكذلك أعلن اللورد **كرزون** تمسكه بالحماية ، ولم يخرج بلاغ اللورد **اللنبى** عن هذه الدائرة . فلو كان فى نية الحكومة الانجليزية تغيير هذه السياسة لفسر اللورد **ملنر** هذه الحقوق فى بلاغه تفسيرا صريحا بأنها الاستقلال .

ثانيا ـ يقول اللورد فى بلاغه « **إن اللجنة ترغب فى ان تكون الصلات بين بريطانيا العظمى ومصر أساسها إتفاق ودى يستاصل كل سبب للتنافر** » . وهى عبارة حلوة على السمع ولكنها فى عرف السياسة لا تمنع الحماية مطلقا ، لأن الانجليز يعلمون حق العلم أن الحماية لا تثبت بالقوة والتنافر ، وإنما تتأيد وتكتسب الصفة القانونية بالاتفاق الودى بيننا وبينهم ، أى بقبولنا إياها . فلذلك نحن لا نشك مطلقا فى هذه الرغبة الصحيحة الصادقة من جانب اللجنة فإن وصولها إلى إقامة الحماية على رضا المصريين إذا استطاعت إلى ذلك سبيلا لأعظم الأمانى التى تتوق إليها ولكن الأمة ترفض كل اتفاق ودى على أساس غير أساس الاستقلال التام .

ثالثا ـ تقول اللجنة **إنها تود أن تقف على آراء الهيئات المشخصة للأمة المصرية وآراء الأشخاص الذين يهتمون اهتماما صادقا بخير بلادهم** » . وهذا تجاهل لما أعلنته الأمة فى جميع مواقفها من أنها لا ترغب سوى الاستقلال التام سواء فى ذلك الأفراد والجماعات ، ويكفى إجماع الأمة على توكيل الوفد فى دائرة خاصة هى الاستقلال التام ، واللجنة واقفة على كل ذلك فلا محل إذن لأن توجه هذه الدعوة إلى الهيئات المذكورة .

رابعا ـ تقول اللجنة أنها « **تعلن أن الدخول فى المناقشة لا يعتبر اعترافا بمبدأ أو تنازلا عن رأى من قبل اللجنة أو من قبل المناقش معها** » .

ولما كان البلاغ لا يفيد أن انجلترا عدلت عن التمسك بالحماية ، فهذا الاحتياط من قبل اللجنة يفيد أنها لا تبغى سوى الوصول إلى مفاوضة المصريين بأى طريقة دون أن تتزحزح عن موقفها الذى رسمه لها بلفور وكرزون وحدده الجنرال اللنبى .

❖ ❖ ❖

على أننا لا نفهم مطلقا دعوة الأمة لمناقشة اللجنة حتى ولو كان الغرض المفاوضة على أساس الاستقلال ، لأن المفاوضات السياسية لا تكون بين لجنة وأمة بأسرها ، وإنما تكون بين مندوبين من كلتا الأمتين . فإذا كانت اللجنة تريد حقيقة الوصول إلى حل المسألة المصرية على





أساس الاستقلال فلتفاوض الوفد الذى وكلته الأمة للدفاع عن قضيتها .

على أن نتيجة مفاوضات الوفد المقيدة بالاستقلال التام لا تلزم الأمة إلا إذا أقرتها ، فكما أن شروط الصلح بين الأمم لا يكفى ف تنفيذها توقيع المندوبين ، بل يجب تصديق المجالس النيابية عليها ، فكذلك وثيقة الاستقلال لابد من عرضها على الأمة .

وحيث أن لنا هيئة نيابية وضع نظامها قبل الحماية ، فنحن نكل التصديق اليها . ولكى يكون تصديقها قانونيا يجب إجراء انتخابات جديدة ، حتى يراعى الناخبون ف انتخابهم أنهم سيختارون من يبتون ف مصيرهم ويصدقون على وثيقة استقلالهم ، ويتعين بداهة ف هذه الحالة رفع الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات .

ولما كانت المسألة مصرية دولية ويجب أن تبقى دولية من وجهة تعهد الدول باحترام استقلالنا ، فلابد من عرض وثيقة الاستقلال على الدول التى وافقت على الحماية لتوقع عليها حتى تكون مشتركة ف ضمان استقلالنا .

هذه هى الأدوار التى يجب أن تمر بها المسألة المصرية ، إذا كان للانجليز رغبة صحيحة صادقة ف كسب صداقتنا . فإن اكتساب الصداقة لا يكون إلا باحترام الحقوق .

وبالجملة فموقف مصر حيال البلاغ الجديد يتلخص فيما يأتى :

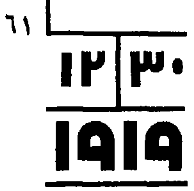
أولا ـ إن الأمة لا ترى بدا من الاستمرار على مقاطعة لجنة ملنر والتمسك بالاستقلال التام وبتوكيل الوفد .

ثانيا ـ إذا كان ثمة مجال للمفاوضة فلتكن على أساس الاستقلال التام ومع الوفد وحده .

ثالثا ـ نتيجة مفاوضات الوفد لا تلزم الأمة إلا بعد تصديقها عليها .

رابعا ـ يجب تصديق الدول على ذلك حتى تكون ضامنة لاستقلالنا .





١٦

محمـــد توفيـــق ديـــاب

إحيـــاء ... الموسيقى الشرقيـــة واجـــب مقـــدس

إن الآذان المصرية لشديدة الحنين إلى تلك النغمات العذبة الشرقية التى كان المرحوم « عبده » ومن على شاكلته يطربون بها نفوس امتهم ايما طرب . تلك الأغانى التى كانت تهز أفئدة الملوك منا والسوقة ويترنح من سحرها وقار الشيوخ كما ترقص لها أغصان الشباب . ولو رأيتهم شيبا وولدانا مئات من كل طبقة وهم يحفون بذلك العرش الموسيقى المعروف « بالتخت » ، لو رأيتهم يتضرعون من أعماق نفوسهم إلى ملك ذلك العرش الروحى « كمان يا سى عبده » ، يتضرعون إليه كالعطاشى يلتمسون الرى من سلسبيل فرات ، لو رأيت القوم فى ذلك الحين لأذرفت العبرات على عهد جميل من عهود الفن الجميل قد مضى ـ لولا أن أتاح الله لنا إخوانا من خيرة الرجال أخذوا على أنفسهم إيقاظ الفن من نومته وأقالته من عثرته ـ رجال نادى الموسيقى الشرقى .

لولا أريحية أولئك الأخوان الغيورين على جمال الموسيقى القومية لكانت اليوم خبرا من أخبار ماضينا القريب ، فلا تسمعها الأذن ولكن تسمع بها . ولست أدرى كيف نفرط فى مميز من أسمى مميزات الأمم قديما وحديثا ، وكيف نغفل لسانا هو أبين ألسنة الشعوب وأصدقها أعنى لسان الوجدان ؟ **كانا نجهل أن اناشيد الأمة عنوان مدنيتها ورمز ما تقدسه من ذكرى وتجده فى سويدائها من شعور وتحيا به من امل** ! كانا نجهل أن الأمة لا موسيقى لها كالفرد لا روح له . وإن الشاب المصرى والفتاة المصرية ، بل والطفل فى المهد والشيخ الفانى على باب





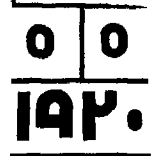
اللحد ، يجب أن يكون لهم جميعا من الأغانى القومية المتميزة بمصريتها ما به تترعرع روح الطفل وتفتدى رجولة الشاب وأنوثة الفتاة ، وما به يودع الشيخ الفانى وطنه المحبوب وداع المحبة والاخلاص . أين موسيقانا اليوم خارج هذا النادى ؟ أى أغنية مصرية ترتفع بها عقائر العقائل وتجرى بتوقيعها أناملهن فى البيوت ؟ أى أنشودة مصرية يصدح بها شبابنا مجتمعين فى حفلة أنس أو موطن سرور ؟

أليسوا جميعا محرومين من تلك السعادة المعنوية التى تشعر بها النفس فى صفاء النغم وحلاوة التوقيع وسمو المعانى ، والتى هى أنس فى كل وحشة ورفيق مسامر فى كل عزلة ، تشحذ الهمم الكليلة وتجلو الصدأ عن القلوب الخامدة وتشعر المتغنى والمستمع خفة الطرب ولذة الرجاء ورغبة الحياة ؟

إن حاجة مصر إلى إحياء الموسيقى بوجه خاص ، وإلى إحياء الفنون الجميلة بوجه عام ، لا تقل عن حاجتها إلى تاسيس المعارف واتقان الزراعة وتوسيع التجارة . ذلك أن نمو الأمة يجب أن يكون متناسب الأجزاء ومتوافرة فيه جميع الجوانب . وكما أن وفرة المال لا تغنى الفرد عن جمال الروح إذا كانت روحه شوهاء ، كذلك ما كانت وفرة المال ووسائل المادة لتغنى عن الأمة شيئا إذا نقصتها الجوانب المعنوية . ليست الأمة مجموعة من الأجسام والبطون فحسب ، بل هى مع ذلك وفوق ذلك مجموعة نفوس لا تقل مطالبها عن مطالب البدن .

فمن حسب الدعوة إلى تعضيد نادى الموسيقى الشرقى دعوة ثانوية فى جنب الدعوة إلى المشروعات المالية والاقتصادية فقد أخطأ . يجب أن تكون عنايتنا بشئون المادة مقترنة برعايتنا للروح جنبا إلى جنب . وأنك لترى أشد الأمم ارتطاما فى كثافة الماديات من أشدهن حرصا على الفنون السامية فى وقت معا . لأن القوم يعلمون علم اليقين أن ينبوع القوة ومبعث العزيمة والحافز إلى كبار الأعمال إنما هو ذلك القلب الذى يخفق بين الجناحين ، فهم يتعهدونه بأغذية معنوية مقوية وأفضلها الغناء والتوقيع . أفلا تراهم يستعينون على الشجاعة والاقدام وكل صفة نافعة بأناشيد تبعث فى القلب حرارة الرغبة فى طلب المعالى ، وتخفف عن البدن ما يعانى فى سبيلها من وصب وكلال ؟

نريد أن تكون لنا موسيقى شرقية مصرية . ولكن لا نريد أن نقف عند ما وصل إليه « عبده » من ضروب الفن . ينبغى أن نزيد على قديمنا ضروبا وأفانين تقتضيها نهضتنا الحديثة . لنا آمال جديدة متنوعة يجب أن يعرب عنها الفن الجميل بأساليب جديدة متنوعة كذلك . تشعر قلوبنا الآن بما لم تشعر به فى عهد رجال الفن السالفين ، فعلى المعاصرين لنا من رجال الفن أن يزيدوا على تلك الألوان القديمة ما يكفل نمو مشاعرنا الوليدة . اللغات كائن حى نام فكيف تكون الموسيقى جامدة راكدة وهى أسمى اللغات ؟



١٦

عجبت فى صدر هذه الكلمة كيف فرطنا فى الموسيقى المصرية التى تميزنا بها زمانا ، ولكن لعل السر فى ذلك هو أن هذا الفن عندنا لا ينقاد لمطالب الزمان الجديد ولا يعبر عن محدثات الوجدان المصرى . وفى يقينى أنه لو تطاول العمر بعبده ومدرسته إلى هذا اليوم ، لالتمسوا إلى قلوبنا سبلا من الاطراب غير السبل القديمة وهم مع ذلك متبعون لأصول الفن غير خارجين عليها ، وهذا معنى العبقرية . إذ كما أن لكل فصل من فصول العام لباسا خاصا يناسبه ، ولكل حالة من أحوال الجسم طعاما خاصا يلائمها ، فما كان غذاء للضعيف الواهى لا يصلح غذاء للقوى المتين ، كذلك أحوال الأمم وأطوار الشعوب يحتاج كل منها إلى أناشيد وتواقيع لا يناسبه سواها . وهل يغنى المحزون بغناء الفرح ، أو المريض الأعصاب بغناء السليم ، أو اليائس بغناء الراجى ؟

هذه دقائق لا تخفى على رجال نادى الموسيقى الشرقى ، فإنهم من خاصة أبناء مصر الذين يقدرون الأحوال النفسية ويهيئون لها حاجتها من فنهم السامى . وكفى بهم نشاطا ومثابرة أنهم مذ أسسوا ناديهم المبارك سنة ١٩١٣ ما زالوا يعرجون به فى معارج النجاح ، حتى صار أهل الفن من أعضائه غرة فى جبين كل حفلة ذات شأن من حفلاتنا القومية الخيرية . وهم لا يرجون فى تطوعهم هذا جزاء إلا تعضيد الأمة للفن وإحلاله من نفوسهم فى مكانه العالى . ليسوا بطلاب مال ، فهم فى غنى ويسار ، ولا طلاب شهرة ، فإنهم دائبون فى عملهم المجيد سكوتا صامتين . لكنهم مع ذلك يطلبون إلى الأمة أن تمكنهم من بناء الموسيقى المصرية على أساس مكين وأن تيسر لهم نشر فنهم على الطريق التى رسموها لأنفسهم ذلك أن يفتشوا بين الأحداث من أبناء مصر عن ذوى الأصوات الرخيمة والمواهب القابلة فيعلموهم أصول النغم وأساليب التوقيع تعليما حرا بلا أجر ، حتى إذا نضج أولئك الأحداث انتشروا بين ظهرانينا رسل طرب وجمال . وذلك يقتضى من المال مالا قدرة لهم عليه ولا يستطيع النهوض به إلا الأمة . أضف إلى هذا أنهم سعوا عند ولاة الأمور حتى حصلوا على قطعة من الأرض فى خير صقع من أصقاع العاصمة ، عولوا على أن يقيموا فيها بناء فخما لنادينا القومى الموسيقى الجليل . ولابد لاقامة هذا البناء من آلاف من الذهب ليس غير الأمة المصرية كفيل بها .

هذه حاجتنا إلى الموسيقى ، وهذا موقف ناديها ، وهذه أمتنا أناديها أن انهضى بهذا العمل المجيد فإن فيه لك فخارا وغذاء للنفوس ودليلا على صدق الهمة .





١٧

محمد حسين هيكل

التعليم باللغة العربية

من يوم بدأت فى مصر حركة تعليم العلوم بلغة غير لغة البلاد قامت فيها حركة احتجاج على هذا العمل والمطالبة بإعادة التعليم باللغة العربية ، ولسنا ندرى هل كان للمناقشة فى هذا الأمر محل ، ويكفينا الرد على كل مايقال أن نتساءل عن اللغة التى يمكن أن تحل محل اللغة العربية ، هل هى الانكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو اليابانية . يكفينا ذلك لنعلم ان هذا التغيير الذى حصل والذى يراد الرجوع عنه لمصلحة البلاد هو فى الحقيقة ليس إلا أثرا من آثار التحكم الصرف لم تراع فيه الأمة أى مراعاة .

كان تعليم الحقوق فى الماضى القريب باللغة الفرنسية ، وكانت الحجة فى ذلك أن القوانين المصرية مأخوذة من القوانين الفرنساوية ، وأن المراجع التى يجب أن يرجع اليها الطالب هى القوانين وكتب الشرح التى وضعها الفرنساويون . ولكن ذلك لم يمنع أن يمحى القسم الفرنسوى من مدرسة الحقوق وأصبحت العلوم القانونية والاقتصادية تدرس باللغة الانكليزية ، مع أن عددا غير قليل من المصريين كان قد الف وكتب فى المواد القانونية باللغة العربية فى حين لم يكن الى يومئذ قد وضع كتاب واحد باللغة الانكليزية فى شرح القوانين المصرية .

ولقد كانت نتيجة تعليم الحقوق بالانكليزية ، وتفرغ بعض المدرسين لها سنين متوالية ،أن

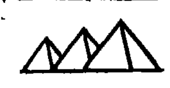


وضعت بعض كتب انكليزية فى القوانين المصرية وفى الاقتصاد وعلاقته بمصر . ولو أن حضرات الأساتذة الذين وضعوا هذه الكتب استمروا فى التدريس ، واستمروا فى ابحاثهم العلمية لما اقتصر فى تأليفهم على الموجزات التى وضعوها ، بل لوضعوا بالأسف مطولات بلغتهم فى العلوم التى يدرسونها . ولكن المراكز الادارية التى تقتضى السياسة أن يملأوها كانت تجعلهم يتركون منابر التدريس ويتركون بالتالى البحث والتنقيب والتأليف ، ويتركونها ليحل محلهم غيرهم ممن يضطرون لتناول البحث من أوله .

لو أن اللغة العربية هى التى حلت محل اللغة الفرنساوية فى تدريس الحقوق لكانت النتيجة الطبيعية أن تظهر بدل هذه المؤلفات الانكليزية مؤلفات عربية تعادلها ـ ولانقول تفوقها . ولدينا الدليل على ذلك فى المواد التى تدرس باللغة العربية ، كالشريعة الاسلامية وكقانون المرافعات ، فقد ظهرت فى هذه المواد مؤلفات لاينكر أحد عظيم قيمتها العلمية ، بل ان الأساتذة المصريين الذين استدعت ظروف الحرب دعوتهم للتدريس باللغة الانكليزية لم يبخلوا بوضع كتب باللغة العربية فى المواد التى درسوها فى هذه المدة القصيرة ، ولو أنهم درسوا علمهم باللغة العربية لكانوا بلا شك أكثر انتاجا ، لأنهم كانوا يجدون فى طلبتهم اقبالا أكثر يزيد فى مقدار النظريات العلمية التى يتلقونها من جهة الدقة والتوسع .

وفضلا عما سبق فإن المراكز الادارية التى تستدعى الانكليز اليها لاتستدعى المصريين المشتغلين بالتعليم لامكان الاستعاضة عنهم بسواهم ، والنتيجة التى تترتب على ذلك أن الأساتذة المصريين يستمرون أساتذة ويستمرون فى أبحاثهم وفى انتاجهم العلمى ، وهذا الاستمرار فى البحث يصل بهم حتما الى التخصص والتعمق . والتخصص والتعمق هى الغاية العليا فى المسائل العلمية ، ومتى كتبت لنا كتب من اقلام هؤلاء كان السواد الأعظم منا فى غنى عن الرجوع الى الكتب الموضوعة بلغة غير لغة البلاد .

كنت فى غنى عن أن اتكلم فى استطاعة تحمل اللغة العربية الكتابة فى مسائل العلم لأن فساد هذه العبارة بديهى واضح ، ولكن البديهات أصبحت للأسف محل المناقشة هى الأخرى . وإنما أكتفى بأن أقول إن الكاتب والمتكلم هما اللذان يخلقان اللغة فى أسلوبها وفى ألفاظها وفى نحوها وصرفها . والحاجة كما يقول المثل أم الاختراع . فاذا جلس مدرس على منبر التدريس كان فى حاجة الى الألفاظ التى يؤدى بها آراءه وأفكاره والتى ينقل بها الى الناس صورة مباحثه واستنتاجاته ـ وأظن ان الحال كان كذلك من مائة سنة فقط فى أوربا ـ فتدفع الحاجة المدرس الى ايجاد هذه الألفاظ بالطريقة التى يراها متفقة مع صور اللغة وأساليبها وتاريخها ، ومتى وجدت هذه الألفاظ وصقلت وكتبت وتداولها المتكلمون أصبحت ألفاظا عادية ، سواء فى ذلك الألفاظ التى يكون الأستاذ أو الكاتب قد استعادها الى الحياة وقد كانت دفينة من قبل ، والألفاظ التى اشتقها أو خلقها خلقا جديدا .



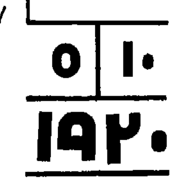


قد يترتب على التعليم باللغة العربية ضعف معظم المتعلمين فى اللغات الأجنبية . هذا اعتراض جديد واعتراض صحيح ، ولكنه اعتراض لاقيمة له ، لأن المتعلم سيجد مقابل الضعف فى اللغة الأجنبية قوة فى العلم والمادة التى درسها ، قوة تمكنه من الوصول الى حقيقة العلم وقلبه لاضعفا يقف به عند قشوره وسطحه ، وسيجد فى المؤلفات العربية التى ستكون أمامه مايزيد فى هذه القوة . وأظن أن ليس هناك محل للتردد إذا وضعت القوة العلمية والقوة اللغوية فى كفتى الميزان ، اللهم إلا إذا اريد الوصول فى النهاية الى خلق لغة جديدة فى البلاد . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فقد ثبت بالتجربة أن قليلين جدا هم الذين يصلون فى اللغة الأجنبية الى حد من الاتقان كبير فى حين يبقى الأكثرون وشأنهم شأن الغراب الذى أراد أن يقلد الحجلة ، لأن مسألة إتقان اللغة هبة خاصة . فاذا كانت هذه الأكثرية ستبقى كما هى أو تكون أضعف بعض الشىء فى حين يزداد محصولها العلمى وقوتها الفكرية ، فمن المخاطرة بمصلحة البلاد ، بل من الخيانة الكبرى ،أن نحول بين هؤلاء وبين العلم الصحيح لنجعلهم غرباء فى اللغة الانكليزية .

على أن هناك ماهو اهم من هذا كله ، هناك الأمة بأسرها ، ماذا تستفيد من الكتب التى تكتب باللغة الانكليزية او باى لغة أجنبية ، لاشىء مطلقا ، ولكن مايكتب باللغة العربية يكون فى متناول الجميع قراءته وفهم ما تمكنه معلوماته من فهمه . فاذا أكثرنا الكتب العلمية المكتوبة بالعربية خلقنا بذلك فى الحقيقة مدرسة جامعة لكل من يحب العلم ، ولو لم تمكنه شهاداته أو حالته المادية أو مقر وجوده أو جهله اللغات الأجنبية . وفى هذه المدرسة الجامعة يتعلم الجميع ، وبذلك نكون قد نقلنا العلم الى الأمة ولم ننقل بعض أفرادها الى العلم ، ونكون قد مكنا النوابغ من أن تظهر ملكاتهم المقهورة على الاستكنان بسبب عدم وجود المدارس التى تنهل منها .

سيبقى لاشك جماعة غير قليلين منا يعنون العناية التامة بدرس اللغات . وجميع الذين يشتغلون بالتعليم يجب أن يقفوا على أكثر من لغة من اللغات الحديثة ، ويجب أن يدرس بعضهم اللغات القديمة أيضا ، وهؤلاء هم الذين يكونون الصلة بين مصر والأمم المختلفة والذين يمثلون مصر العلمية فى العالم . ولكن العلم يجب أن يكون فى مصر بلغة المصريين .

أرى أن اختم كلمتى هذه بملاحظة بسيطة تكفى وحدها لتدل على الضرر الفاحش والخطر العظيم الذى يجىء بسبب التعليم بلغة أجنبية ، ذلك هو عدم التفاهم بين طائفة المتعلمين وباقى طوائف الأمة تفاهما تاما ، لأن مجرد عدم معرفة المجموع باللغة المكتوبة بها الكتب التى تعتمد عليها هذه الطائفة يجعلها إن لم تتشكك فى قيمتها فهى على الأقل تشعر بشىء من عدم الطمأنينة التامة لها . وأثر ذلك يظهر فى أحيان كثيرة حين يظن الشعب أن المتعلمين إنما يقلدون فى أفكارهم واعمالهم وآرائهم . فهذه التهمة التى يتذرع بها الكثيرون تسقط حتما لو أن التعليم كان بلغة البلاد ثم أتيح لكل قادر على الفهم أن يراجع مصادره ويقف على دقائقه . وزوال عدم التفاهم هذا يترتب عليه زيادة التضامن وقوة الأمة الحيوية زيادة عظيمة .



أظن أن هذه الملاحظات البسيطة كافية لتقنع كل من كان حسن النية ويريد العمل لصالح هذه البلاد أن يقلب النظام الحاضر من الغد . وأنا ضمين أن يوجد من الأساتذة المصريين المستعدين للقيام بمهمة التدريس أكفاء يستطيعون أن ينهضوا بالأمة فى سنين معدودة نهضة علمية تضعها فى مصاف الأمم الراقية المتقدمة فى العلم . ويومئذ تنتشر فى الأمة كلها جميع العلوم ، ويومئذ تصل مصر الى ذروة المجد .

اما إن بقى الحال كما هو اليوم فلن تقوى فى مصر نهضة علمية صحيحة . وكم يكون أثر ذلك سيئا لا على مصر وحدها ولكن على الشرق كله .

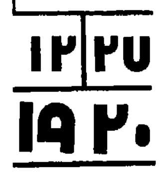
١٨ مرقـــس سـميكة باشـــا

متحـف الآثــار القبطيـة

اذا كان من المسلم به ان الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والحفر والموسيقى من دلائل المدنية ومميزاتها عند الأمم القديمة والحديثة . وعلى قدر القسط الذى يكون لكل أمة من تلك الفنون يكون الحكم على مقدار مدنيتها كمالا أو نقصا . فالمدنية المصرية على هذا القياس يحق لها ان تكون من أمهات المدنيات الغابرة ، بما دلت عليه آثارها الخالدة من مهارة المصريين ونبوغهم فى الفنون الجميلة من عهد قديم جدا ، وماسبقوا به سواهم فى صناعتى الحفر والتصوير بنوع خاص .

يشهد لهذا النبوغ أن المدنية الأشورية مع التسليم بأنها تعادل فى القدم مدنية الفراعنة لم تعمر طويلا ولم تغالب الأجيال ، فضاعت معالمها وطمست آثارها إلا النذر اليسير منها . كذا المدنية اليونانية ، وهى أحدث عهدا من المدنية المصرية ، وان كان لها بعض الآثار فى جزر البحر الأبيض ، فان شعلة حياتها فيما عدا تلك الجزر قد انطفأت ، ومايرى اليوم فى غير تلك الجزر من بلاد اليونان القديمة من آثار تلك المدنية العجيبة لايرجع تاريخه الى اكثر من القرنين السادس والسابع قبل الميلاد . ولم تبق إلا المدنية الرومانية وأبعد آثارها عهدا بالوجود لايتجاوز الألف سنة قبل الميلاد .

اما مصر فبقيت فنونها حية ماثلة للأعين حافظة لجمالها الرائع وجدتها الأولى من



عصور موغلة في القدم الى اليوم . حتى ان من بين تماثيلها ما رده بعض علماء الآثار الى ٤٠٠٠ سنة وارجعه بعض آخر الى ٥٠٠٠ سنة قبل التاريخ الميلادى . ولم يكن تقلب الدول على مصر وتغلب الفاتحين الاجانب عليها بعد أن دالت دولتها الوطنية بقادر على محو معالم تلك المدنية أو بمقلل من عظمتها الفنية الباقية على الدهر . بل هي بالعكس اجتذبت اليها المدنيات الوافدة عليها وادمجتها فيها ، فاتصلت المدنيات الفرعونية واليونانية والرومانية الوثنية فالمسيحية والعربية بعضها ببعض كأنما هي حلقات السلسلة . ووقف الفاتحون خاشعين أمام تلك الهياكل والبرابى والمدافن والأهرام والمسلات ، وأمام تماثيل الآلهة والملوك والكهنة التى أودعها المصريون كل عبقريتهم وخلاصة ذكائهم الفنى ، فحدا بهم ذلك الى التشبه بالفراعنة في إقامة النصب وتعمير المعابد تخليدا لذكراهم . وهكذا اتصلت عصور الفن في تاريخ مصر ببعضها فلم يتخللها قطع ولافراغ .

ولما تغلبت الديانة المسيحية على مصر منذ نيف وأربعة عشر قرنا ، أبقى المنتصرون على كثير من هياكل آلهتهم القديمة ، وحولوا معابد ايزيس واوزوريس وهوريس الى كنائس رفعوا فوقها الصلبان ، واستعاضوا عن صور الآلهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله ، واستخدموا المذابح لتقديس العشاء الربانى كما يشاهد ذلك الآن بالهياكل والبرابى الموجودة بأسوان والكرنك والأقصر ، ولبثوا هكذا الى أن تسنى لهم تشييد كنائس جديدة على طراز آخر هو الطراز البيزنطى مثل الديرين الأبيض والأحمر بالقرب من سوهاج وكنائس قصر الجمع المعروف بقلعة بابيليون . وجاء الفتح العربى فأدخل الى البلاد نوعا جديدا من فن الزخرفة والهندسة البنائية يفوق في الجمال كل ما تقدمه ، اذ بدل تصوير الاشخاص والحيوانات والطيور وغيرها مما هو معدود من مميزات الفن في العصور الوثنية والمسيحية بالآيات الكتابية والأشكال الهندسية البديعة التنسيق .

ولما كانت عناية الحكومة السلطانية قد تناولت المحافظة على جميع الآثار إذ حوى المتحف المصرى بالقاهرة كثيرا من النماذج والأمثلة من الفنون المصرية في العصور الفرعونية ، وضم المتحف التابع لمجلس بلدية الاسكندرية نماذج أخرى من فنون العصور اليونانية والرومانية ، كما جمعت دار الآثار العربية أمثلة العصر العربى ، فلم يكن باقيا لاتمام هذا المربع سوى ضلعه الرابع وهو نماذج الفنون في العصر المسيحى .

وأول من لفت الأنظار الى جمال الفنون المصرية في العصر المسيحى ووجه الانتباه الى آثارها البادية فيما بقى من الكنائس والأديرة على رغم تصاريف الحدثان هو العالم الانكليزى الدكتور الفرد بطلر في كتابه « الكنائس القبطية القديمة بمصر » ، والف بعده المستر سمرز كلارك كبير مهندسى كنيسة القديس بولس الشهيرة سابقا بلندن كتابه « الآثار المسيحية في وادى النيل » ، وكان هذان المؤلفان ولاسيما أولهما داعيا الى التفكير في صيانة تلك





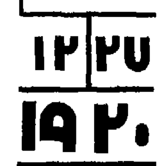
الآثار . فتقدمت فى سنة ١٨٩٥ الى الحكومة السنية طالبا منها أن تضع الكنائس القبطية الأثرية تحت عناية « لجنة حفظ الآثار العربية » فصادف طلبى لديها حسن القبول ، ثم خطرت لى بعد ذلك فكرة إنشاء المتحف القبطى ، فعرضتها على غبطة البطريرك المعظم الأنبا كيرلس الخامس فلقيت منه عظيم الارتياح وبمعونة غبطته أقدمت على تنفيذها . وبدىء اولا بتخصيص غرفتين لذلك فى بناء كنيسة المعلقة الآثرية بمصر القديمة ، وهى كنيسة قائمة على أبراج الحصن الرومانى الذى شيده الامبراطور تراجان فى أوائل الجيل الثانى للميلاد ، ولم يزل قائما به الى اليوم الباب العظيم الذى دخل منه عمرو بن العاص . وكان افتتاح المتحف فى سنة ١٩١٠ بحضور غبطة البطريرك والمرحوم فخرى باشا وزير الأشغال ومسيو بوانيه سكرتيرها العام . ومن ثم أخذت فى زيارة الأديرة والكنائس فى أنحاء القطر وحصلت على ما استطعت الحصول عليه من الأيقونات والكتب المخطوطة والصلبان والأوانى الذهبية والفضية والنحاسية والملابس الكهنوتية ، ويرجع بعض هذه التحف الى أجيال ماضية . ولايزال شيء غير قليل من ذلك باقيا فى حوزة بعض الكهنة والرؤساء . ووجهت الدعوة فى الوقت ذاته الى البيوتات القبطية العريقة والأسر الغنية ، فأهدى الى المتحف كثيرون من حضرات مطارنة الاقباط وأساقفتهم وأعيانهم أشياء ثمينة مختلفة . وتبرع غيرهم بأموال استخدمت فى شراء ما وجد من التحف والنفائس عند التجار قبل أن يتسرب الى عشاق الآثار القديمة فى الخارج كما تسرب غيره مما يملأ اليوم متاحف أوربا . وأخذ المتحف يتسع نطاقه شيئا فشيئا وتزداد التحف المودعة به زيادة متواصلة ، الى أن اصبح اليوم يشغل مكانه الحالى الذى شيد خصيصا له على طراز قبطى قديم بملاحظة المرحوم هرتس باشا وجناب مسيو باتريكولو باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية ، وهو واضع رسومه وتصميماته ، ومساعدة حضرة القمص يوحنا شنودة رئيس كنيسة المعلقة . وجميع غرف هذا البناء مغطاة بسقوف خشبية من نفيس الصناعة الدقيقة القديمة ، وكذلك نوافذها بمشربيات الخرط العديمة النظير ، وقد عثر على هذه المصنوعات وعلى الأعمدة الرخامية التى قام عليها البناء فى الخرائب القديمة التابعة لأوقاف الأقباط بالقاهرة .

ويحتوى المتحف الآن :

اولا ـ على مجموعة من الآثار الحجرية والرخامية والجرانيتية وبقايا توابيت الموتى التى يرجع تاريخ بعضها الى أقدم العصور .

ثانيا ـ مجموعة من الفخار المنقوش والخزف المصقول والزجاج المدهون .

ثالثا ـ مجموعة من المصنوعات الخشبية ـ وهذه المجموعة نفيسة جدا ، وتتألف من مذابح قديمة واحجاب وأبواب للهياكل وصناديق ومقاعد وغيرها ، يرجع تاريخ بعضها للجيل الرابع للمسيح ، ومن ألواح منقوشة نقوشا بارزة تمثل حياة السيد المسيح وصور القديسين



والحياة المنزلية وصور طيور وحيوانات ، وبعض هذه النقوش مطعم بالسن ،وبعضها قد أنزل فيه الصدف وأيات مقدسة بالقبطية والعربية .

رابعا ـ مجموعة من الأدوات المعدنية كالصناديق الفضية المنقوشة بالنقش البارز لحفظ الكتاب المقدس والمزخرفة بالكتابات الجميلة البارزة أيضا ، وبعضها مرصع بالحجارة الكريمة ـ وفي هذه المجموعة عدد من أنية الخدمة الدينية وعكاكيز البطاركة والصلبان الكبيرة والصغيرة ذهبية وفضية ونحاسية وتاريخها قديم جدا .

خامسا ـ مجموعة من الملابس الكهنوتية الحريرية المطرزة بخيوط الذهب والحرير الملون وقد وشيت برسوم الشهداء والصلبان والآيات الكتابية ، فضلا عن أستار الهياكل والأعلام الخاصة بالاحتفالات وكلها مزركش كذلك .

سادسا ـ مجموعة من الأيقونات التى تمثل حياة السيد المسيح وصور القديسين أيضا .

سابعا ـ مجموعة من المؤلفات الدينية المكتوبة بخط اليد على رقوق أو على ورق قديم جدا ، وبعضها رسمت عليه بماء الذهب والألوان المختلفة أشكال هندسية وصور الشهداء .

وقد تفضل حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد أيد الله بالعدل دولته وأتم على هذه الأمة في ظل عهده الميمون نعمته ، فجعل حفظ الله عظمته للمتحف القبطى حظا كبيرا من عنايته العالية ، اذ اشار بانشاء مكتبة بالمتحف تضم كل ما كتب عن الأقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات ، وهى فكرة سامية ستتخذ التدابير اللازمة للعمل على تنفيذها في القريب العاجل ـ ويطلق على المكتبة اذ ذاك اسم عظمته تيمنا باسم أعظم نصير للعلوم والفنون في هذه الديار .

وبعد إنشاء المتحف تفضلت حكومة عظمة مولانا السلطان فوهبته إعانة مالية مقدارها مئتا جنيه سنويا ، ثم زادتها الى ٣٠٠ جنيه منذ سنة ١٩١٨ ، على أن نفقاته لاتقل في الوقت الحاضر عن ١٠٠٠ جنيه في السنة بالنظر لارتفاع الأثمان والأجور . ومعظم هذا المبلغ يجمع بطريق التبرع من أعيان الأقباط ، وهذا غير مايجمع لأجل التجديدات المتتابعة في أبنية المتحف مما يقتضيه النمو المتواصل في محتوياته .

ولم يكد المتحف يستتم وجوده حتى أخذ يؤمه العدد الجم من الزائرين وأخصهم العلماء ورجال الدين والوزراء والعظماء والأعيان من الأجانب والوطنيين .

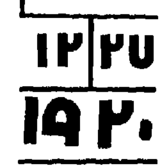
والمتحف مدين لكثيرين من أهل الفضل بما بلغه الى اليوم من مراتب النجاح ، نذكر في مقدمتهم ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل وغبطة البطريرك المعظم وحضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال وأصحاب الدولة والمعالى رؤساء الوزارات ووزراء مصر السابقين وجناب السير بول هارفى والمرحوم السير الدون غورست وحضرات الأفاضل الأجلاء آل ويصا



وداود بك تكلا وخليل باشا ابراهيم والمرحومين يعقوب أرتين باشا والكومندور واصف جريس والخواجه أمين خياط وواصف بك غالى وغيرهم من الوجوه .

غير أننا مهما شكرنا أهل الفضل الذين ساعدونا ووصفنا الجهود الى بذلناها جميعا فى سبيل رقى هذا المعهد ، فإن الخطوة التى نخطوها فى هذا اليوم وحده لأوسع من كل خطواتنا فى ذلك الأمد الطويل .

فإن مولانا السلطان فؤاد حفظه الله تسج على منوال الملوك العظام الذين قرنوا الملك بالعلم ، وعضدوا المشروعات العلمية والفنية ، ولم يصرفه سؤدد الامارة الى راحة الجاه بل وهب شبابه للعلم ، وقدم همته ونفوذه وهو أمير لنصرة المشروعات العلمية والاجتماعية ، فلما ارتقى عرش أجداده زاد عطفه على كل مشروع يؤدى الى رقى الحضارة والعلم والعرفان فى البلاد المصرية ، وزادت مساعدته الثمينة لها . فزيارة مولانا السلطان اليوم لهذا المتحف ستكون بأذن الله فاتحة عصر جديد فى نموه وإتساعه وإبلاغه غاية الكمال . ولذلك نتقدم لأعتابه الكريمة شاكرين لعظمته تعطفاته السنية وميوله الأبوية ، طالبين الى المولى سبحانه وتعالى أن يطيل فى ملكه ويجعل الخير يعم بلادنا المحبوبة فى أيامه ، إنه السميع المجيب آمين .



.. مملكة الجنس اللطيف !!

ايها القارىء : هل عهدت فى غير الصدق والحق الصراح ؟

صدقنى إذن إذا قلت لك ان الواحد منا ـ نحن الرجال سيتمنى بعد قليل أن لو كان « انسة » أو « سيدة » أو « عجوزا شمطاء » من الجنس اللطيف ! !

واحسرتاه عليك أيها الجنس الخشن ـ الجنس المضمحل ـ الجنس المتقهقر الى الوراء بالتدريج ! !

دالت دولتنا ايها السادة القراء ، فلكم جميل العزاء ـ وللجنس اللطيف طول البقاء ! !

* * *

مصر ، مصر الشرقية فى أخلاقها ـ فى عوائدها ـ فى تقاليدها تجتاز الآن دورا « عكسيا » ستهدم فيه كل قديم ـ وتبنى على أطلال الماضى « مملكة » عصرية ـ رشيقة ـ ظريفة ـ قوامها السيدات . وعمادها الآنسات . الويل يومئذ للمحافظين المتأخرين ؟ !

طالما استبد أجدادنا السابقون « بالمرأة » فسلطوا عليها أنواع العذاب . وقد حل دور الانتقام .





وانى لأتخيل الساعة « حكومة نسائية » قوية الشوكة ـ مهيبة الجانب تقوم على بقايا وأنقاض « حكومة الرجال » . . وويل لهؤلاء من حساب النساء ! !

* * *

لست بالمغالى المغرق فى الوصف السابح فى جو الخيال . . لقد برزت المرأة المصرية فى الميدان فاشتركت فى التضحيات العمومية ـ واشتركت فى المظاهرات العمومية ـ وخطبت فى المجتمعات العمومية ـ وكتبت فى الجرائد العمومية ـ وأبدت رأيها فى السياسة العمومية ـ ونالت من عطف « الرئيس الجليل » وتشجيعه ماقوى عزيمتها ، ورسخ قدمها ، وثبت دعائم اعتدادها بنفسها . . فلها الآن « شخصية » بارزة مستقلة ـ وإرادة حرة قوية ـ ورأى سياسى ناضج ـ ولها الآن حقوق « تحت الطلب » . فما على الرجال إلا أن ينتظروا « المعركة » المقبلة ويعدوا لها العدة إن جاز لهم مقاومة « الجنس اللطيف » !

هل يسرك هذا أيها الرجل الذى يقرأ كلمتى ؟ ـ أنا « على الحياد الدقيق » أنظر وأرى ولا أبدى رأيا ! !

أسفى على الشبان أمثالى ! ! واحسرتاه ! ! لم يسعدنا الحظ « بالزواج » أيام الرخاء ـ أيام السكون ـ والويل لنا أن أقدمنا الآن . . ستستفسر الخطيبة عن « شكلى » أولا ـ ومبلغ رقى العصرى ثانيا ـ ونزعتى الحزبية ثالثا ـ ورأيى الاجتماعى رابعا ـ فان تم الزواج وعرضت مسئلة سياسية اختلفنا فيها فستنادى « بسقوطى » وسأنادى « بسقوطها » وستكون لها من أولادى حزبا يقاوم الحزب الذى أكونه منهم ، وهكذا سينقلب المنزل الهادىء الوديع الى قاعة محاضرات ومناورات ومناوشات يتبارى فيه حزبان ، حزب ترأسه « الزوجة » وحزب يرأسه « الزوج » . . والويل كل الويل حينما يتغلب الحزب الأول ! !

هذه « مملكة الجنس اللطيف » أتصورها على مقربة منا . . فهل أعد « الجنس الخشن » لها العدة ! !





٢٠ محمد عبد الله عنان المحامى

الاشتراكية المصرية لاتدعو إلى ثورة أو فوضى

إن تفضلكم بانهر صحيفتكم الثمينة على بعض الاشتراكيين المصريين ليبسطوا اراءهم فيها بمناسبة السعى فى تاليف جمعية اشتراكية او حزب اشتراكى يعمل على نشر الدعوة الاشتراكية حادثة هامة فى تاريخ الصحافة الشرقية ، خليقة بحرية النشر التى قرنت بمبادىء جريدتكم الغراء .

نشرتم كلمة للرفيق سلامة موسى ثم مقالا إضافيا للرفيق الدكتور العنانى وتفضلتم كذلك بنشر كلمتى . ولقد تضمنت الكلمتان الأولى والثانية شيئا من المبادىء الاشتراكية ، فعطف الرفيق الأول على إزالة المخاوف التى أبديتموها يوم أن أشرتم الى الشروع فى تأليف حزب اشتراكى بمصر ، وشرح الرفيق الثانى اشتراكيته فحسب لانكم تساءلتم عنها .

أما أنا فأرى هذه فرصة سانحة ، لا لشرح المبادىء الاشتراكية فذلك واجبنا يوم نفوز بتأليف حزب وننشط الى دعوة ، ولكن لتبديد بعض الشكوك التى تقرن باسم الاشتراكية فى بلد لاتزال فيه فى حيز النظريات والتى كنتم أول معرب عنها حيث قلتم أن حالتنا الاجتماعية تتنافى مع الانقلابات الفجائية وأشرتم الى مراقبة الجماعة الاشتراكية .

لايزال يعتبر الكثيرون المبادىء الاشتراكية ضربا من الخيال فى الوقت الذى امتلكت فيه ناصية العقول فى أوربا ، وأشتد ساعدها حتى أصبحت تعتبر معها النظم الحرية نظما





رجعية . وربما كان لذلك الاعتبار نصيب من الصحة بالنسبة للاشتراكية قبل عهد ماركس ، يوم كان فوربيه وأوين وغيرهما لايرون تحقيق مبادئها بواسطة العمل السياسى بل بتكوين جماعات سامية تحترم الحقوق والعدالة ، منها ينفذ ضوء المبادىء الى أركان العالم بأسره ، ونجاحها يفضى الى تحطيم استبداد الملك والحاكم وإنهاض البائسين والتعساء والتوفيق بين طوائف المجتمع حتى تعدل الأمم عن منهجها القديم وتوطد دعائم الأنظمة الجديدة . والاشتراكيون يسمون ذلك العهد بالخيالى (عهد اليتوبى Atopie) ـ وهو الذى أشار اليه الرفيق الدكتور العنانى فى مقاله ، وهو يخالف العهد الحاضر من حيث أنه علمى وعملى ، ولم تعد له سوى أهمية تاريخية بعد ان لفظته الاشتراكية الحاضرة وأصبحت تعتمد على تحقيق مبادئها بالصراع السياسى .

ويقرن خصوم الاشتراكية أيضا مبادئها بالثورة والفوضى ، ولكن الاشتراكية ليست على الاطلاق من ضروب الثورة لأنها لاتسعى الى إحلال غاية محدودة مكان حالة معينة ، وإنما ترمى الى هدم الأنظمة الاجتماعية الحاضرة واستئصالها كاملة شاملة ، وذلك خلافا للانقلابات السطحية كتغيير الحكومة من ملكية الى جمهورية مثلا أو كالسعى الى نيل حقوق سياسية ، فإن ذلك يمكن تحقيقه بالالتجاء الى القوة والسفك ، ولكن انقلابا يراد به إحكام وسائل الانتاج وتنظيم العلائق بين العمل والمكافأة على أسس عادلة وسحق نظام أفضى الى خلق الغنى الفاحش والبأساء البالغة جنبا لجنب لايمكن أن تؤدى الى تحقيقه ثورة قوامها سفك الدماء .

أما اقتران الاشتراكية بالفوضى والشيوعية فهو خطأ جسيم أيضا ، لأن الشيوعية تقوم على اعتبار الثروة كتلة عامة يستمد منها المستهلك حاجته لا بالنسبة الى خدماته ولكن وفقا لحقوقه الطبيعية فى أن تسد حاجاته ، أما الاشتراكية فانها تعلق المنح على قوة الانتاج وقيمة الخدمات . فكلا المبدأين يتفق فى توحيد الثروة ، ولكنهما يختلفان فى تحديد حقوق الفرد بالنسبة اليها ، لان الاشتراكية تقرر التوزيع طبقا للكفاءة الشخصية ، والشيوعية تقرره طبقا للحاجة البشرية .

ولما كانت المبادىء الشيوعية كثيرا ما تقرن بالفوضى ، فانهم يقرنونها بالاشتراكية أيضا . ولكن شتان ، فإن الفوضى مذهب سياسى لاعلاقة له بالنظم الاقتصادية وخلاصته إنكار السلطة الحكومية القائمة على العنف والقوة وإقامتها على أسس الرضى المتبادل والعوامل الاجتماعية . والاشتراكية تقر استمرار التشريع أو بعبارة أخرى تقر وجود الحكومة القائمة على القوة ، بينما لاتقر الفوضى إلا الحكومة الادارية الاختيارية .

نعطف بعد ذلك على أمرين ، ربما كان سوء فهمهما من أشد العوامل النائلة من هيبة الاشتراكية عند من يرى تحقيقها ضربة قاضية على رفاهية ونعيم لم يغنمهما إلا بفضل النظم الحرية الظالمة ، وهما مسألة إلغاء الملكية الشخصية والمساواة بين أفراد المجتمع



٢٠

إن القول على إطلاقه بأن الاشتراكية ترمى الى محو الملكية الشخصية خطأ شديد كخطأ قرنها بالفوضى ، فالاشتراكية لاتريد إلا القضاء على النتائج السيئة التى تؤدى اليها الملكية الشخصية بشكلها الحاضر ، وتحقيق انظمتها العادلة المستطاعة ، ولاغاية لها من ذلك إلا أن تحول دون نمو المصالح الخاصة التى تهدم من سعادة المجتمع وتقتات على حقوقه .

وليس ابلغ إيضاحا للمأساة المحزنة التى تمثلها الآن النظم الحرية من أن الأغلبية الساحقة فى المجتمع الحاضر قد جردت من الملكية ، وأن طائفة صغيرة تستأثر بنعيم الملكية الشخصية فى حين أن السواد الأعظم منها غارق فى تحقيق شهواته السافلة لايسدى الى المجتمع عملا ما . ولئن كانت قلوب اخوان العمل والفاقة تبتهج اليوم لأن افرادا منهم يظفرون بنعيم الثروة بعد الكد النافذ المستمر ، فإن اولئك الأفراد قليل عديدهم بالنسبة الى مجموع أرباب الرفاهية الذى لم يذوقوا للفاقة طعما ولم يسبروا غورا لبأساء العمل وجحيم الحرمان .

ويترتب على ذلك ان الاشتراكية لاتحتم إلغاء الوراثة ولاتعترض عليها إلا حيث تفضى الى إدقاع السواد الأعظم . وبالجملة فان برنامج الاشتراكية الاقتصادية يرمى الى تحطيم نظم الاستثمار والاستغلال بتحديد حق الملكية الشخصية .

ولايضاح ذلك نقول أن تلك النظم تقضى بحاجة العمل الى الملكية الشخصية فى شخص رأس المال ، وكلما عظم المال المطلوب لتسيير العمل خارت قواه عن مناهضة رأس المال واشتد انزواؤه وبولغ فى استعباده ، وكلما قصرت قدرته على المساومة نهكه طغيان المال . وبذلك تصبح الملكية الشخصية التى أقرتها الطبيعة والنواميس الاجتماعية منذ بدأ الخليقة واسطة لتجريد جموع هائلة من الثروة ويصبح الاستئثار بها استئثارا بالثمرات ذاتها ، وهذا معناه استغلال عمل العامل ودفعه الى ظلمات الشقاء والفاقة .

من أجل ذلك رات الاشتراكية أنه حيث أفلت رأس المال من الرقابة المشتركة والاستعمال المشترك واستأثر الأفراد بالموارد الطبيعية ، فإنه يستحيل من الوجهة الاقتصادية على جماعات كبيرة أن تحوز ثروة ما ، وأن توحيد بعض صنوف الثروة شرط لازم لتعميم الملكية الشخصية . وعلى ذلك فليس الغرض من توحيد ملكية رأس المال الصناعى والأراضى إلغاء الملكية الشخصية ، والقول بأنها أساس المجتمع الرأسمالى الحاضر خطأ فادح .

أما المساواة فى المذاهب الاشتراكية فليست مساواة فى الحالة الاجتماعية مطلقا ، وما هى إلا المساواة « فى الفرص » ؛ فيبدأ الطفل حياته وجميع الأبواب مفتوحة فى وجهه فلا يغلق ثمة منها فى وجهه ما يستطيع ولوجه ، وذلك ضرب من أسمى ضروب العدالة بلا ريب .

لى بعد ذلك كلمة فى صراع العمل ورأس المال هنا . فقد ذكر رفيق اشتراكى أن علاقة المالك والأجير هنا بعيدة عن ذلك الجمود الذى يفرق بين المالك والعامل فى أوروبا ، وأما أنا فاقرر أن





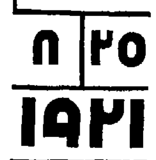
استبداد رأس المال هنا شائن بالغ حد الارهاق والقتلة وأن العمل مهيض مسلوب ، وان استئثار طائفة برأس المال هنا يقترن به طغيان فادح يوضحه لك عسف أصحاب الضياع بالفلاح البائس التعس ، وتغشاه خيبة مخزية فى تقديم أى خدمة للمجتمع .

كذلك لاأرى بدا من الاشارة الى أن توزيع الثروة بمصر يستند الى اعمق ضروب التحكم والاستبداد ، وان الهاوية بين الرفاهية الجاهلة والفاقة المفكرة ابعد فى العمق عما سواها فى المجتمعات الأخرى .

فلئن نشط بعض اخوان العمل اليوم لتأليف حزب اشتراكى مصرى فذلك لكى يعمل على تخفيف آثار ذلك الاضطهاد الرائع بالالتجاء الى الوسائل المشروعة التى تقرها مبادىء العدالة الطبيعية .

« حاشية » بعد كتابة ما تقدم قرأنا فى أهرام السبت مقالا تحت عنوان « النظام الاجتماعى المصرى والخطر الذى يتهدده) ، وما كان أبلغ من دهشتنا عند تلاوته لا لأنه قد ثبت لدينا فحسب أن كاتبه لايعرف من الاشتراكية سوى الاسم وأنه هوى فى خياله الى أعمق ضروب الوهم ، بل لأنه انتهج فى كتابته لهجة تشعر بانه يتوقع منا أن ندعو الى تأليف جماعة للسفك والفوضى ، واستصرخ رجال الدين والحكومة الى البطش بنا قبل أن يتفاقم الخطب . وقد رأينا أن نبقى كلمتنا بشأن ذلك الى فرصة عاجلة أخرى ، لا لأنا نريد أن نساجله دليلا ما فليس فى أقواله مايخلق بذلك ، ولكن لكى نبذل مجهودا آخر فى تبديد سحب تحيق بالمبادىء الاشتراكية فى تلك البلاد .





٢١

سليــــم حســــن

كنز الأقصر الجديد
أو ..
قبر توت عنخ آمون

منذ بضعة أسابيع عثر المستر كارتر الذى يحفر باحثا عن الآثار على حساب اللورد كرنرفون على باب مقبرة الملك توت عنخ آمون أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر . وما كاد خبر هذا الكشف العظيم يذاع حتى انتشر ذكره فى أنحاء المعمورة من أقصاها الى أقصاها ، فتحرك العالم أجمع لهذا النبأ لأهمية هذه الآثار ، ولأول مرة تحرك الشعب المصرى وأخذ ينادى بوجوب بقاء هذه الآثار الثمينة فى المتحف المصرى . ولعمر الحق إنها لأول صرخة حقة قام بها ذلك الشعب الناهض ليحافظ على أرث الأجداد والآباء . وأنى أحمد لبنى وطنى تلك الصرخة التى تنم عن غيرة شديدة وحماسة متقدة وأرجو الا تكون سحابة صيف .

قرأت كثيرا فى الصحف المصرية والاوربية وسمعت من العلماء الأثريين شيئا كثيرا عن أهمية هذه الآثار وثمانتها وما عساه يكون وراءها من الفائدة العلمية للعالم أجمع ، فتاقت نفسى لرؤية هذا الكنز قبل أن يصل الى المتحف المصرى . تاقت نفسى لرؤيته فى مكانه قبل أن ينقل من مقره الأصلى ، فساعدنى الحظ ولحظتنى العناية فوفقت لرؤيته أثناء البعثة العلمية التى أقوم بها أنا وزملائى المصريين .

فى المتحف ، فى صعيد مصر ، رأيت هذا الأرث العظيم ودرست معظمه درسا صحيحا ، فبادرت بعد الفراغ من زيارته مباشرة بوصفه لأبناء وطنى تلبية للكثيرين من أخوانى الذين طالما كانوا يطلبون منى وصف هذا القبر إن اتيحت لى زيارته . قبل وصف هذا القبر ومحتوياته أريد

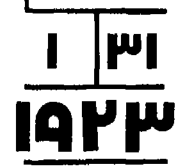


أن أقول كلمة وجيزة عن هذا الملك حتى يتسنى للقارىء فهم كل ما سأصفه له .

توت عنخ آمون هو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر الذين خلفوا الملك أخناتون الذى غير عبادة آمون رع إله طيبة الأعظم ، وعبد القوة الكامنة وراء قرص الشمس ، ورمز لهذه القوة بقرص الشمس الذى كان فى نظره أكبر مظهر لهذا الاله الخفى ، ولذلك يدعوه المؤرخون أول نبى ظهر على وجه البسيطة وعبد إلها واحدا (منذ ٣٣٦٠ سنة تقريبا) . وقد بقيت عبادة القوة الممثلة فى قرص الشمس الى عهد توت عنخ آمون الذى ظل يعبد هذه القوة مدة إلا أن كهنة طيبة تغلبوا عليه وأكرهوه على الرجوع الى عبادة آمون ، فكان اسمه أولا (توت عنخ آتون) أى تمثال قرص الشمس الحى فصار بعد ذلك (توت عنخ آمون) أى تمثال آمون الحى . وكانت عاصمته فى مكان البلدة التى تدعى الآن تل العمارنة (بالقرب من ملوى) ، فنقلها الى طيبة ثانية وبقى فيها الى آخر أيامه ، ودفن فى أبواب الملوك حيث عثر على قبره حديثا ! ومما لامراء فيه ان عصر هذا الملك كان مفعما بالقلاقل والاضطرابات مما أفضى الى ضياع معظم آثاره ، إذ كان فى الحقيقة عصر انتقال من دين الى دين ، وفى مثل هذه الأحوال يكون النزاع شديدا والاحقاد عظيمة فيجتهد كل واحد أن يمحو آثار الآخر من عالم الوجود . وغاية ما نعلمه عن تاريخ هذا الملك من المصادر الموثوق بها أنه كان باسطا نفوذه على بلاد السودان وبلاد الشام ، إلا أن بسط نفوذه على بلاد الشام محل الشك والريبة . أما مدة سنى حكمه فلم تعرف بالضبط وكل ما وصلنا اليه قطعة من القماش مكتوب عليها (صنعت فى السنة السادسة من حكم توت عنخ آمون) . ومما يؤسف له جد الأسف أن كل ما أخرج من القبر الى الآن ليس فيه أوراق بردية ، غير أن الأمل عظيم بالعثور على بعض أوراق فى الصناديق التى لم تفض حتى الآن . هذا كل مارواه لنا التاريخ عن هذا الملك الى هذه اللحظة . والآن نبدأ بوصف المقبرة ومحتوياتها .

على الشاطىء الغربى للنيل وعلى مسير نصف ساعة تقريبا تقع الهضاب الصلبة التى اختارها فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها لحفر مقرهم الأخير ، وقد كانوا يبالغون بالاعتناء بها وإتقانها لدرجة تفوق الوصف ، ومقبرة توت عنخ امون ليست من هذا الطراز ، بل هى بالعكس بسيطة جدا عارية من النقوش ، حتى أنه ليخيل الى بعد رؤيتها أنها ليست مقبرة لهذا الملك بل مخبأ وضع فيه أثاثه وجثته خوفا من اللصوص كما وضع ملوك الأسرة الحادية والعشرين جثث الملوك الذين سبقوهم فى مقبرة ساذجة بالقرب من الدير البحرى ، وقد عثرت عليها أسرة عبد الرسول فى عام ١٨٧١ ونقلت الى متحف مصر عام ١٨٨١ .

وهاك وصف هذه المقبرة .



٢١

ينزل الانسان الى هذه المقبرة بسلم عدد درجاته أربع عشرة درجة ، ثم يلى ذلك منحدر يبلغ نحو الستة أمتار تقريبا وهذا المنحدر يفضى بالزائر الى حجرة يبلغ عرضها نحو أربعة أمتار وطولها سبعة أمتار تقريبا ، وفى هذه الحجرة كانت مكدسة الآثار التى نقل معظمها الى مكان آخر قريب (قرب سيتى الثانى) ، أما الآثار التى كانت فى المقبرة عند دخولى اليها وشاهدتها فى مكانها الأصلى فهى :

١ ـ عندما دخلت الحجرة والتفت يمينا استرعى نظرى تمثالان عظيمان للملك توت عنخ آمون بالحجم الطبيعى وهما واقفان أمام باب مبنى وعليه خاتم الملك وخاتم رئيس الكهنة ، وهو الباب الذى ينتظر بعد فتحه العثور على جثة الملك ! !

أما التمثالان فمصنوعان من خشب الجميز وعليهما طبقة من القار إلا الملابس فإنها مطلية بطبقة من الذهب ، أما السبب فى طلائهما بالقار فلأجل أن يمثلا الملك وهو محنط ، وكان من لوازم التحنيط ان يطلى الميت بطبقة من الزفت . ويوجد فى المتحف المصرى تمثال للملك منتحوتب أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة (!!) مدهون بطبقة من القار ويظن الزوار أنه كان نوبى الجنس ! !

وفى يد كل تمثال من هذين التمثالين عصا الملك ، وهى طويلة يبلغ طولها نحو المتر والنصف ، وفى يده اليسرى آلة حربية وهى عبارة عن عصا قصيرة فى آخرها كرة كان يؤدب بها الملك الاعداء ، وهذه الآلة مطلية بالذهب أيضا . وينتعل كل تمثال فى رجليه حذاء من الخشب مموها بالذهب أيضا . ويرى فى التمثال الواقف على يسار الباب كسر فى وجهه لايعلم سببه ، والتمثالان فريدان فى بابهما .

٢ ـ استرعى نظرى بعد ذلك متكآت الملك ، وهى ثلاثة من أحسن ما خلفه ملوك الأرض . مصنوعة من خشب الجميز وعليها طبقة من الذهب المطروق ومنقوشة بعض أجزائها بنقوش واشكال دينية بديعة الصنع . وهاك وصف كل منها :

المتكأ الأول على شكل « شزلونج » ، أى كرسى طويل قوائمه على شكل أرجل أسد ومقدمتاه مثبت فيهما رأسا أسدين كل منهما فاغر فاه ومكشر عن أنياب من العاج الجميل الصنع ولسانه بارز يكاد الانسان يحسبه لدقة صنعه أسدا صحيحا . والسبب فى صنع هاتين المقدمتين على شكل رأسى أسدين أن ملوك قدماء المصريين كانوا يشبهون أنفسهم بالأسود ، وكثيرا ما ورد ذلك فى كتاباتهم ونقوشهم .

المتكأ الثانى مثل الأول فى الصنع غير أن مقدمتيه على شكل (ابن آوى) فاغر فاه كذلك ، وهو الاله (ست) أو نيفون كما سماه اليونان فيما بعد ، وهو إله الشر عند قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة والدولة الوسطى . غير أنه فى خلال الدولة الحديثة ابتدأ الاله تكون له منزلة





عظيمة عند قدماء المصريين وأخذوا يعظمونه وينظرون اليه كأنه إله الخير . وقد تسمى بعض الملوك باسمه مثل سيتى الأول وسيتى الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشر ، وبذلك ذهبت منه تلك السمعة الشنيعة ، واصبح الملك يحلى به متكأته حماية له .

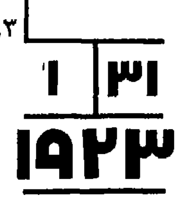
المتكأ الثالث رأيته وهو ينقل الى معبد سيتى الثانى من مخدعه الأصلى . هذا المتكأ كسابقيه غير أن قوائمه على شكل قوائم بقرة ، والقائمتان الاماميتان مثبت فى طرفيهما رأسا بقرتين كل منهما تحمل بين قرنيها قرص الشمس ، وهذه البقرة تدعى عند قدماء المصريين (حات حور) أو بيت الشمس ، وكانت تعتبر عند قدماء المصريين إله السماء وإلاهة الجمال وإلاهة الحب .

ومما يلفت النظر فى هذا المتكأ أن قوائمه الخلفية والأمامية رأسية مموهة جميعها بالذهب غير أنه يتخلل هذا الطلاء بقع بيضاء وسوداء ، وفى اعتقادى أن هذه النقط والعلامات التى تتخلل الجلد هى الرموز الخاصة ، وبعبارة أخرى ، المميزات للبقرة حاتحور . ومن الحقائق الغريبة أن هذا المتكأ مصنوع من خشب الجميز ، وذلك أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن الالهة حاتحور تسكن شجرة الجميز ، اضف الى ذلك ان هذا النوع من الخشب لايتسرب اليه العطب بسرعة ، ولذلك كان قدماء المصريين يتخذون تماثيلهم وأثاثهم منه لأنه جمع بين الدين والمتانة . ويقال أن هذه المتكأت كان يجلس عليها الملك أو بعبارة أخرى يتمدد عليها متى أراد الراحة . ومن العجيب ان أمثال هذه المتكأت تستعمل الآن عند ملوك العجم غير أنها ليست بهذه الابهة ولابتلك العظمة .

لفت نظرى بعد ذلك عربة مطلية بالذهب الوهاج ومرصع بعض أجزائها بمختلف الأحجار الكريمة (عند قدماء المصريين) . ودقة صنع هذه العربة تستوقف النظر طويلا وعجلاتها مغطاة بطبقة من الجلد بدلا من الكوتشوك الحالى . وقد شاهدت عربتين أخريين مثل السابقة نقلتا الى معبد سيتى الثانى غير أنها مفككة كلها ، إذ من الصعب نقلها قطعة واحدة ، وكل واحدة منها تسع شخصين . ومما يؤسف له أن هذه العربات قد هشم منها جزء كبير مما يدل دلالة واضحة على ان هذا القبر فتح فى زمن ماقبل هذا الوقت .

شاهدت بعد ذلك عددا وفيرا من الاقواس والنشاب مبعثرة فى داخل الحجرة ، وكذلك باقة صغيرة من الأزهار حافظة لشكلها غير أن لونها الطبيعى قد ذهب عنها .

وفى نهاية هذه الحجرة رأيت فى الجدار (المواجه للباب) من نهايته ثقبا صغيرا يسع الانسان أن يدخل منه برأسه ، فركعت على الأرض وزحفت على يدى من تحت أحد المتكئات ونظرت فى هذا الثقب فاذا بها حجرة فيها شىء كثير من الأمتعة مكدس بعضه فوق بعض ، وقد أمكننى أن اشاهد فيها قاربا صغيرا من الخشب وكرسيا جميل الصنع وأوانى من المرمر



٢١

وصناديق مفتوحة كلها موضوعة من غير أى نظام مما يدل على أن أثمن شىء فيها قد نهب فى العهد القديم .

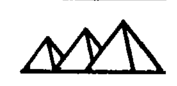
وبعد أن فحصت كل ما فى الحجرة فحصا دقيقا وهممت بالخروج مع اخوانى ، استرعى نظرى بعض أثاث مغطى ، فسألت المستر كارتر عنه فقال لى انها بعض قطع من المصوغ يبلغ عددها نحو العشرين قطعة وجدها مفككة ، وهو يجتهد أن يرجعها كما كانت عليه من قبل . وبعد الفراغ من زيارة المقبرة انصرفنا على أن نعود ثانية مع المستر كارتر لرؤية الآثار التى نقلت الى مقبرة سيتى الثانى .

***

حوالى منتصف الساعة الثالثة استدعانى المستر كارتر أنا وزميلى لزيارة الأشياء التى نقلت الى مقبرة سيتى . سرنا معه الى المقبرة ، وكان فى انتظارنا المستر لوكاس ، فأخذ يشرح لنا كل شىء هو والمستر كارتر بالتفصيل ، ولما كانت هذه الأشياء كثيرة جدا رأيت أن اقتصر على وصف المهم منها على أن أعود للموضوع فى محاضرة طويلة بعد العودة إن شاء الله .

أول ماوقع عليه نظرنا فى هذا المكان بقايا ملابس الملك ، وقد وجدت فى صندوق غير إن الزمان قد عبث بها حتى أصبحت هباء ، ولم يبق منها إلا قطعا صغيرة تدل على ماكانت عليه من البهجة وحسن الصنع وسلامة الذوق . رأيت قطعة من هذه البقايا متماسكة فاذا بها قطعة من القماش الرفيع الخيوط جدا ، مطرزة بالخرز المختلف الألوان ، ومرصعة بقطع من الذهب المطروق على شكل دوائر الواحدة منها يبلغ حجمها حجم المليم ، ولونها لايزال وهاجا . أما بقية القطع التى أصبحت تقريبا هباء فنزع كل ما عليها من الخرز والذهب ووضع فى صناديق . وقد أخبرنى المستر كارتر ان فى استطاعته بما عنده من البقايا المتماسكة الصغيرة أن يعيد الملابس الى ما كانت عليه إذ انه أخذ صورتها الفوتغرافية كما وجدت أولا . ومما يؤسف له أن المواد الكيماوية لم تجد نفعا فى حفظ هذه الملابس .

شاهدنا بعد ذلك صندوقا آخر فيه ملابس وحلى للملك ، وهذا الصندوق لم يكن قد فتح بعد ، وقد فتحه المستر كارتر أمامنا لأول مرة فاذا به يحتوى على ملابس مرصعة بقطع من الذهب الوهاج على شكل نجوم ، غير أن لون القماش قد ذهب عنه وأصبح كلون التراب . نظرنا أيضا فى هذا الصندوق خنجرين من الفضة المنمقة بالأحجار الكريمة وهما آية فى الابداع ، وقد كان الملك يستعمل مثل هذه الآلات ليرمى بها فريسته عن كثب ، وهما يشبهان نوعا من الحراب عند الاستراليين يسمى (اليا مرانج) . ومن محتويات هذا الصندوق كذلك ثعبان طوله نحو عشرين سنتيمترا ، وسمكه نحو أربعة سنتيمترات ، وهو مصنوع من خالص الذهب المرصع بالأحجار الكريمة . وهذا الثعبان كان يعتبر عند قدماء المصريين كحارس للملك بل للأفراد فى





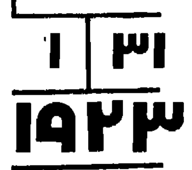
منازلهم ، وكان يعتبر كذلك حارسا للملك من الشياطين التى كانت تعترضه فى سياحته الى الآخرة . وفى هذا الصندوق أيضا رأيت جعرانا من الذهب الخالص وآخر من حجر يشبه اللؤلؤة . هذا كل ماشاهدناه على سطح هذا الصندوق ، اما بقية مافيه فلم يعلم بعد إذ لابد من المحافظة الشديدة ووضع المواد الكيماوية حتى لاتمزق الملابس التى فيه .

انتقلنا بعد ذلك الى صندوق آخر وجدت فيه ملابس الملك بحالتها الطبيعية ، ولحسن الحظ لم يعبث بها الزمان . ولأول مرة تحقق لى ماكنت اعتقده من زمن بعيد ، أن الملابس التى يراها الانسان على التماثيل ليست ملابس حقيقية بل هى لمجرد الزينة كانت توضع حلية على التماثيل ، اذ ترى فى التماثيل وفى الصور أن الملك أو غيره من العامة أو أهل اليسار لابسا رداء من وسطه الى ركبتيه وباقى أجزاء الجسم عار من الملابس ، والحقيقة الواقعة أن الملك كان يلبس قميصا مسبلا عليه من عنقه الى قدميه وهو يشبه الجلابية الحالية وكذلك وجد معه قميص صغير كان يلبس تحت هذه الجلابية ولباس يستر به عورته ، وهذه كلها مصنوعة من الكتان الأبيض الدقيق الخيوط . وقد وضع المستر كارتر هذه الملابس تحت ضغط شديد بعد أن وضع عليها مواد كيماوية لتحفظ رونقها الأصلى . وهذه الملابس من أهم ماوجد فى هذا الكنز .

لفت نظرى بعد ذلك المستر لوكاس الى قفاز (جونتى) صغير للملك لونه أسود مصنوع من الكتان الرفيع الخيوط ، وقد ظننته لأول رؤيته أنه قفاز المستر كارتر أو المستر لوكاس ، لانه ما كان يخطر ببالى قط أن أرى مثل هذا الجونتى (قفاز) بين طرائف هذا الكنز . ويظن المستر كارتر أن هذا القفاز هو قفاز الملك وهو صغير ، وقد غاب عنه ان هذا الملك كان مريضا بالسل وأن صغر حجم القفاز مما يبرهن على نحافة جسم الملك . ولا أظن أن الصناعة الحديثة يمكنها أن تأتى بأحسن من هذا القفاز .

انتقلنا بعد ذلك الى المكان الذى فيه نعال الملك وهى ثلاثة أزواج من الأحذية كلها من الجلد الذى قد ذهب بنضرته الزمن ، غير أن الذهب الوهاج والأحجار الكريمة المرصع بها لاتزال باقية ، تدل على عظم تأنقهم وتفننهم فى الملبس ، وقد لفت نظرى كثيرا حذاء من بين هذه الأحذية وهو يشبه (السندال الحالى) أو مايطلق عليه فلاح مصر (القرقة) . خيوط كلها أعمدة من الذهب الخالص وحافة كل حذاء مرصعة باللؤلؤ وسيوره كذلك منمقة بالذهب واللؤلؤ . ومن هذه النعال زوج يشبه المركوب الحالى وهو مرصع بالأحجار الكريمة ومنمق بالذهب .

بعد أن فرغنا من فحص أحذية الملك انتقلنا الى عرشه وكراسيه . أما عرش الملك أو اريكة ملكه فهو من أعظم مخلفات التاريخ ، وهو أول عرش عثر عليه الى الآن . وهو عبارة عن كرسى عظيم (فوتيل) مموه بطبقة من الذهب السميك ومرصع بالأحجار الكريمة ، وهذا الكرسى عار عن الأشكال الدينية ، وليس فى المجموعة الخشبية التى عثر عليها شىء يضارع هذا العرش من حيث الاتقان وجلال المنظر . ومن الحقائق التاريخية المقيدة المنقوشة على هذا العرش اسم الملك



قبل ان يغير عبادة آتون ويعبد آمون ثانية ، إذ وجد عليه الشعار الآتى : (توت عنخ آتون) ، اى تمثال قرص الشمس الحى . وذلك مما يدل على أن هذا الملك رغم تغيير ديانته ورجوعه الى عبادة آمون ، فانه كان لايزال متعلقا بعبادة القوة الممثلة فى قرص الشمس ، وأنه أرغم على الرجوع الى عبادة آمون ولذلك نقل هذا العرش معه من تل العمارنة عاصمته الأولى الى طيبة عاصمته الثانية ولم يكتف بذلك حتى نقله معه الى دار الآخرة . تلك هى الحقيقة التاريخية التى يمكن الانسان أن يستخلصها من وجود هذا الشعار على عرش الملك .

شاهدت كذلك كرسيا من خشب الجميز مموها بعضه بالذهب وعليه أشكال بعض الآلهة . ورأيت عدة كراسى من غير ظهر ، استرعى نظرى واحد منها منقطع النظير وهو يشبه الكراسى التى نشاهدها الآن من غير ظهر وتثنى وتفرد ، غير أن هذا الكرسى منشور على ظهره (المكان الذى يجلس عليه الانسان) شكل جلد ماعز لونه أسود فيه بقع بيضاء ، أما الأسود فمصنوع من الابانوس والأبيض مصنوع من العاج . من ناحية من نواحى الكرسى مدلى شكل ذيل هذا الحيوان وهو مصنوع من الأبانوس والعاج أيضا . وقد أراد الصانع المصرى أن يصنع جلدا من العاج والأبانوس وينشره على الكرسى حتى يحاكى به جلد الماعز ، وبذلك يريد أن يحاكى بصناعته الدقيقة الطبيعة . وهذا الكرسى يربط أجزاءه ببعضها حبال من الذهب الخالص ومسامير دقيقة الصنع من الذهب أيضا .

كذلك شاهدت كرسيا صغيرا يظهر أنه كان لأبن الملك ، وقوائم هذا الكرسى وظهره محلاة بالأشكال الدقيقة البديعة الصنع . ومن مجموعة هذه الكراسى كرسى صغير من الخشب كان يضع الملك عليه رجليه وقد رسم عليه بطبقة من الذهب الوهاج شكل رجل آسيوى وآخر أفريقى دلالة على أن الملك كان مسيطرا على أهل آسيا وأفريقيا ، وبعبارة أخرى على بلاد الشام والسودان ، وكثيرا مانرى امثال هذه الصورة على الآثار المصرية وذلك إظهارا لما كان لفرعون من القوة والجبروت .

وانتقلنا بعد هذا لمشاهدة عصى الملك وصوالجه ومنشاته . وهذه المجموعة من العصى من الغرابة بمكان . رأيت أولا عصا للملك يبلغ طولها نحو متر ونصف تقريبا يدها مقوسة كالعصى التى نستعملها الآن ، وهذا التقويس أو القبضة محلاة بأسيرين ، الأول من السودان والثانى من السوريين ، ورأس الأخير فى نهاية العصا ، وهذان التمثالان مصنوعان من الذهب الخالص ، وذلك دلالة على أن الملك قابض على ناصية هذين الجنسين . ورأينا كذلك عصاوين كالسابقة غير إن الأسيرين هنا من الخشب المموه بالذهب . ثم رأينا مجموعة ثانية من العصى ، أو اذا شئت صوالجة الملك ويبلغ عددها نحو الأثنى عشر صولجانا كلها من خالص الذهب الذى لايشوبه اى شىء ، ويبلغ طول الواحد منها نحو المتر والنصف تقريبا ، وأعجب واحدة فى هذه المجموعة عصا من الذهب مزركشة بعدد وفير من أجنحة نوع خاص من الجعارين لونه يشبه لون قوس قزح غير



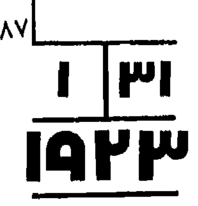
أن الأحمر والأخضر يغلب فيها ، وهذا النوع من الجعارين ذات الأجنحة نادر الوجود جدا ، والزركشة به من أصعب الأمور وأدقها إذ تحتاج الى مهارة فائقة وخفة فى اليد . ومثل هذه العصا تحتاج الى آلاف من أجنحة هذه الحشرة النادرة الوجود . ويخيل الى أن هذا أثمن صولجان وجد فى التاريخ الى الآن ، وهو يشهد بأن المصرى القديم بلغ شوطا بعيدا فى التأنق والاتقان والنزوع الى استعمال النادر ، واستخدم كل شىء فى الطبيعة حتى أجنحة تلك الحشرة النادرة الوجود ! ! . والمصرى القديم لم يستعمل أجنحة هذه الحشرة عبثا بل كان لها فائدة دينية كبيرة نظرا لندرتها . وذلك أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن الجعران يمثل الاله الذى خلق الوجود ، فكل شىء من هذه الحشرة فى قبر الميت يعتبر بمثابة تعويذة

لفت نظرى بعد ذلك المستر لوكاس الكيماوى الشهير الى منشتين من شعر الخيل الأسود ، قبضة واحدة منهما رأس فهد وقبضة الثانية رأس أسير من أسرى السودان . ومن الغريب أن هاتين المنشتين لاتزالان حافظتان لشكلهما الأصلى ولم يؤثر عليهما مرور ٣٣٥٨ سنة تقريبا . ولا أكون مبالغا اذا قلت أن أمهر صناع أسيوط لايمكنهم أن يصنعوا منشة مثل واحدة من هاتين ! ! !

شاهدت بعد ذلك باقتين من الزهور واحدة منهما عظيمة الحجم والثانية صغيرة ، وأوراق هذه الزهور لاتزال حافظة لشكلها الأصلى غير أن الزمان عبث بلونها الطبيعى . والى الآن لم يعلم نوع هذه الزهور بالضبط ، فلننتظر حتى يفحصها أحد علماء النباتات .

وكان آخر شىء متعنا به نظرنا فى هذا الكنز العظيم الأوانى المرمرية والفخارية ولا عجب اذا قلت أن الانسان يقف حائرا أمام بعض هذه الأوانى ويعترف بتفوق قدماء المصريين على جميع شعوب الأرض فى هذه الصناعة !

رأيت أولا آنية كبيرة من المرمر الشفاف على شكل مخروط مقلوب بقاعدة مستديرة لونها شفاف كانت تستعمل لحفظ الزيوت ذات الروائح العطرية ، وهى التى كان يستعملها الملك . وشاهدت كذلك عدة أوان من الفخار الملون بألوان مختلفة غاية فى الابداع ، غير أن الذى اجتذب نظرى وجميع شعورى ثلاث أوان مرصوصة الواحدة بجوار الأخرى يبلغ ارتفاع الواحدة منها نحو ٦٠ سنتيا فى عرض ٦٠ سنتيا كذلك ، وهى عبارة عن آنية تشبه الزير الحالى يحيط به من أحد جوانبه طائفة من عيدان نبات البردى وينتهى كل عود منها بزهرة مدلاة فى فوهة الآنية ، ومن الجانب الآخر عدد من سيقان نبات البشنين ينتهى كل ساق منها بزهرة من أزهار هذا النبات مدلاة فى فوهة الآنية ، ولهذه الآنية قاعدة على هيئة حمالة الزير . والغريب فى كل ذلك أن جميع هذه الأجزاء المختلفة مفرغة فى قطعة واحدة من المرمر الأبيض الشفاف اللون . هذا من حيث دقة الصنعة ، حتى أنه ليخيل للانسان أن زهور البردى والبشنين حقيقية لاصناعية ، وقد وجد المستر لوكاس فى هذه الأوانى مادة عطرية لاتزال رائحتها الى الآن ، وكل آنية من هذه





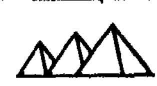
الأوانى الثلاث تدل على رمز تاريخى عظيم :

وذلك أن ورقة البردى تمثل الوجه البحرى ، والبشنين تمثل الوجه القبلى . وقد كان الوجهان البحرى والقبلى قبل الأسرات منفصلين ، فلما ضمهما مينا أول ملوك مصر اصبح لزاما على كل ملك أن يظهر أنه حاكم القطرين ، فكانوا يرمزون لهما بالنباتين ، إذ أن الأول لاينبت إلا فى ريف مصر والثانى لاينبت إلا فى صعيدها (الوجه البحرى والقبلى) . وقد مثل توت عنخ أمون سيطرته على الوجهين على هذه الآوانى الفريدة فى بابها . ولا أعتقد أن أحدا فاق المصريين الأقدمين فى هذه الصناعة ، وعند عرضها فى المتحف المصرى يتحقق كل مصرى ماترك السلف للخلف من المعجزات التى يماط عنها اللثام كل يوم ، ويقف العالم الأوربى أمامها فى حيرة .

شاهدت بعد ذلك صندوقا لم يمس بعد غير أن ظاهره يدل على أنه كان فيه بعض مجوهرات ثمينة سرقها اللصوص عند فتح القبر . اذ كان جل هم اللصوص فى الأعصر الخالية كما هو حالهم اليوم أن يسرقوا كل ما خف وغلا ثمنه ، أى الأشياء التى لها قيمة مادية كبيرة ويتركوا الاشياء الثقيلة والتى لاقيمة لها فى نظرهم كالعربات والعروش ، وهى التى لاتقدر بمال فى أيامنا هذه .

ولعمرى أن معظم المصريين الآن لايتساءلون عن شىء فى هذا الكنز إلا عن مقدار قيمته المادية ، أى ما يحتويه من الكتل الذهبية والأحجار الكريمة . وإنى ردا على هذا السؤال أجيب هذا الفريق من الناس بأن هذا الكنز لايحتوى على كتل من الذهب والأحجار الكريمة ، وإنما هو برهان ساطع على مقدار ما كان عليه الآباء والأجداد من الرقى والحضارة والأبهة والعظمة . فهل نحن عاملون على أن نعيد ذلك المجد الغابر وتلك العظمة الخالدة .





٢٢ مــى زيــادة

أزهــار منثــورة ..
لجريدة « الأهرام »

لاشرر اليوم ولا حبب . وإنما أزهار تجول فيها ماء الحياة وتنيلها هيبة الفكر جلالا ، ويكسبها نبل النشاط خلودا .

❖ ❖ ❖

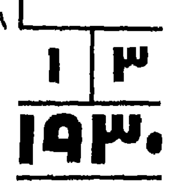
أزهار كلها كلمات : وأية قوة فى العالم تغلب هذه القوة ؟ فالكلمات أزهار تزين مجد الأبطال والعاملين ، والكلمات حجارة تشيد الأبنية والصروح ، والكلمات أفكار متبادلة بين المتكلم والمخاطب ، والكلمات كلمات يتراسل بها الكاتب والقارىء فتخلق بينهما التيار القاهر المفعم بنشوة اليقظة وجذل الحياة .

❖ ❖ ❖

٥٥ عاما أيتها « الأهرام » وأنت الرسالة الى كل قارىء . فأنت السجل المهيب الذى عرف مصر والشرق فى بواقى كبوتهما ، وفى عز نهضتهما ، وانت العامل المرهف الذى عمل فى تحويل الكبوة الى نهضة ميمونة يوما بعد يوم .

❖ ❖ ❖

عاصرت الجالسين على عرش مصر من سعيد الى اسماعيل ، الى كل من أبناء اسماعيل ، وها أنت اليوم تعاصرين « فؤادهم » . وعرفت مختلف الزعماء فى شتى فروع اليقظة من جمال



الدين الأفغانى الى محمد عبده ، الى قاسم أمين ، الى مصطفى كامل ، الى سعد زغلول ، الى طلعت حرب ، وكل الذين تخللوهم من المصلحين والنابهين ، فتغذيت من روحهم وحميتهم ويقينهم ، ومددتهم بتأييدك ويقينك وآرائك . وها أنت تشهدين هذا الازدهار العظيم بفضل زعماء الأمس ومن جاء بعدهم من زعماء اليوم فى ميادين الوطنية والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، وأنت وأياهم يد واحدة وقلب واحد وإرادة واحدة فى السير الى الأمام .

وشهدت حماسة الشعب ، أيتها « الأهرام » . شهدت الشعب يتململ ويموج ويتحفز وينهض ويأتى بهذه الحركة البسيطة العجيبة التى تثير البكاء من فرط السرور ، حركة تكسير القيود وتمزيق الأكفان . فكان لك الفخر فى ان تكونى أحد الأصوات المسموعة فى إعلاء شأن الشعب والسعى الى تأييد مطالبه والبحث فى حاجاته ، وكان لك الفخر فى تعظيم الزعماء ، وفى الدعوة الى الالتفاف حول العرش عند اشتداد الكروب ، وفى تعريف وسائل التنظيم الاجتماعى ، وفى تقديس العلم الأخضر المفدى .

ورأيت الاتحاد والانقسام والائتلاف والاختلاف ، فعلمت أن لاجمود مع اليقظة ، وأن ما هذه إلا مظاهر من الحياة المتدافعة المقتحمة الباحثة لها عن مظهر جديد جليل جميل فى الأمة المصرية .

ورأيت نشأة الصحافة ونموها ، ياشيخة الصحافة ! فلا غرو اذا تسابقت اليوم أخواتك من مختلف الأعمار الى نثر الأزهار ، فأنت منهن الجذع الراسخ المملوء حياة وقوة وجمالا ، وهن منك الأغصان الفتية الملأى بالحياة والقوة والجمال .

ولئن حق نحوك التقدير والاكبار ، فقد حق التقدير والاكبار كذلك للأرض التى نشأت فيها . ما هو ترى مصير الحبة الصالحة فى الأرض غير الصالحة ؟ فأنت الحبة الحية الصالحة المزروعة فى أرض الخصب والكرم .

خمسون عاما هى عيدك الذهبى أضفت اليها حتى اليوم أعواما خمسة هى الحجارة الماسية المرصعة بالحلية الذهبية ، وسيتزايد عدد حجارتك هذه عاما بعد عام ، إن شاء الله ، حتى يختفى الذهب الخالص تحت الماس المتشعع ، وعندئذ تكون مصر قد أوغلت فى تطورها ، هى



التى تبشر الآن بكل رجاء ، وتسيرين أنت مثلها فى طريق المجد دواما .

اليوم يتحرك فى مقره جذلا مؤسسك الميت الباقى حيا فى من خلفه ساهرا على شؤونك ومحسنا تنظيمها وتنسيقها . فللوالد وولده معا التهنئة والحمد .

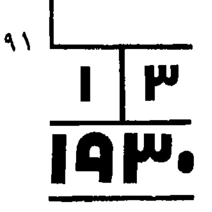
ولئن زففنا التحية الى جميع المتعاونين على انضاجك وتقديمك بهذه الصورة الشائقة ، فشملت تحيتنا الأحياء منهم والموتى جميعا ، فمنا تحية خاصة الى كبيرهم ، داؤد بركات ، « الينبوع الصامت » المتدفق كل يوم يوزع من خيره دون حساب لينعش العقول والنفوس .

ماذا ترى يهدى الناس الى أهرام الفراعنة سوى نظرات الاعجاب وعواطف التقدير والاجلال ؟ للصرح القرطاسى الخالد كما للصرح الحجرى الخالد إعجاب وتقدير وازهار .

وبعض هذا يتمثل اليوم فى هذه الكلمات ؟

والكلمات ، أيتها « الأهرام » سلاحك وقوتك ، والكلمات أمضى سلاح فى العالم ، والكلمات أقوى قوة .





٢٣ أحمد الصاوى محمد

من هو .. توفيق الحكيم .... مؤلف « أهل الكهف »

فى ليلة من ليالى شتاء ١٩٢٧ ، فى مقهى « الروتوند » بحى مونبارناس ، حى الفنانين والطلبة والشعراء الجديد الذى اجتذب أرباب التعليم والريشة من الحى اللاتينى ، رأيت توفيق الحكيم ، بملابسه السوداء القاتمة ، وقبعته الفنية العريضة السوداء كذلك ، وهو جالس فى ركن من المقهى يحدق مليا فى صورة زيتية معلقة أمامه بحائط المقهى حيث يعرض عادة فقراء الفنانين صورهم ، وكان يطيل التحديق والتأمل كأنه يختزن فى عقله الباطن تلك الثورة الفنية التى سيحبو بها أدب بلاده بعد سنين .

وبعد تلك الليلة اختفى عنا توفيق الحكيم ولم نعد نلقاه لا فى مونبارناس ولا فى الحى اللاتينى ، وانقطعت أخباره حتى عن أصدقائه المقربين ، وكنا نسمع حديثا غامضا عنه وعن تعلقه بحى « مونمارتر » ذلك التعلق الذى فسره لنا بعد ذلك لحسن الحظ فى مقال شائق سينشر له فى كتاب « باريس » .

وكان لا يخالط أحدا من الناس حتى مواطنيه ، فانصرف عنهم إلى كتبه وتأملاته . وكانت حياته مقسمة بين غرفته التى يقرأ ما قرأه فى ليله وما رآه فى نهاره . اعتاد أن يخلو فيه بنفسه ليستخرج خلاصة ما قرأه فى ليله وما رآه فى نهاره ويدون لنا ما سوف نقرأ بعد ذلك فى : « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « بعد الموت » و « الخروج من الجنة » و « عودة الروح » و « الموتى » و « إلى هناك » وهى كما قال الدكتور هيكل بك عنها « إنها ثروة أدبية كاملة » .



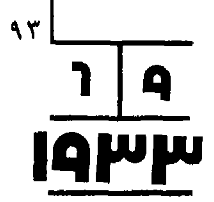
وعاد توفيق الحكيم إلى مصر عام ١٩٢٨ فقابل الأستاذ لطفى السيد بك وزير المعارف يومئذ وتحادثا مليا فى الأدب والفلسفة فأشار عليه الأستاذ لطفى بك بالاقامة فى باريس والاشتغال بالأدب والتأليف . ولكن الظروف شاءت أن يبقى فى مصر ، وأن يكون من رجال القضاء وأن يشغل وظيفة وكيل نيابة طنطا ثم دمنهور ، وأن يظل حتى بعيدا عن العاصمة المركز الفكرى للبلاد ، حيث يجد أديب مثله المراجع فى المكاتب العامة ، مما لا غنى عنه لمن يريد أن ينتج ويؤلف وينشر .

وعلى الرغم من ذلك استطاع أخيرا أن ينشر إحدى قصصه الرائعة التى أسماها « أهل الكهف » فتلقاها أهل الأدب وقادة الفكر فى مصر بثناء إجماعى لم يسبق له نظير ، فقد قال عنها الدكتور طه حسين : « إنها حادث ذو خطر لا فى الأدب المصرى وحده بل فى الأدب العربى كله وأنها تؤرخ عصرا جديدا فى هذا الأدب . وإن الأوروبيين سيقرأونها ويعجبون بها إذا ترجمت لهم إعجابهم بأروع ما أنتج كبار مؤلفيهم » . وقال عنها الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق : « إنها من خيرة القصص التى عرفها الأدب العربى » وقال عنها الأستاذ العقاد : « إنها عمل يستحق التهنئة من كل محب للأدب الجميل والفكر البليغ » . وقال عنها الأستاذ المازنى : « إن الانسان يشعر خلف سطورها بعقل مفكر واسع الاطلاع » .

ومثل هذا الاستقبال الحافل ، السريع ، الاجماعى لكتاب « أهل الكهف » يعد أمرا فذا فى مصر . والواقع أن هذا الكتاب قد طرق بابا جديدا من أبواب التفكير القصصى ، إذ بعث أهل الكهف من رقادهم بعد آلاف السنين وجعلهم أشخاصا أحياء يرزقون تدب فيهم الروح كأنهم ناموا ليلة واحدة لاتسعا وثلاثمائة عام ! . . ولقد جعل المؤلف من السورة القرآنية الكريمة موضوعا واسعا فيه الصراع بين الانسان والزمن وبين الزمن والحب وبين العقيدة والعاطفة وبين الايمان الموروث والايمان المكتسب . . موضوعا زاخرا بالشعر والفلسفة تتمشى فيه موسيقى داخلية تحسها النفس وتطرب لها . . موضوعا ما أخلقه بموسيقى كبير مثل « فاجنر » .

ومؤلف « أهل الكهف » يجمع بين الثقافة العربية الصميمة والثقافة الأوروبية العالمية ، وينتظر أن تترجم مؤلفات الأستاذ توفيق الحكيم إلى اللغات الأجنبية فيطلع الأوروبيون على صفحات رائعة من الأدب المصرى الحى الجديد تكون من أكبر وسائل الدعاية لهذه البلاد ونهضتها الشاملة وتطورها الفكرى كما تكون خير واسطة للاتصال العقلى بين الشرق والغرب .





٢٤ توفيـق الحكيـم

آن الآوان
أن نلبـس القبعـة ! !

نعم ، إذ طالما يوجد فى مصر شيء اسمه « طربوش » وشيء اسمه « قبعة » فستبقى دائما كلمة « أهالى » وكلمة « أجانب » ومهما جهدنا للتخلص من عار الامتيازات بمقتضى الاتفاقات أو بنصوص القوانين ، فإن ذلك لن يخفف إلا قليلا من وطأة تلك الامتيازات المعنوية والأدبية التى يتمتع بها كل لابس قبعة على حساب لابس الطربوش ، كلنا نحن المطربشين نعرف ذلك ونتألم ، وكلنا له رأى فى حياته اليومية كيف أن طربوشا يبخس قدره بغير حق ويضعه دون موضعه بلا مبرر ، حيث ترفع القبعة صاحبها بغير استحقاق ، وتقدم لابسها بلا سبب ، وأن لابس الطربوش لا يجرؤ على لبسه إذا خرج عن بلده إلى بلد من بلاد النور .

من المسئول عن هذا ؟ لا أحد ، إنما هو سلطان العصر . إن المحقق الموثوق منه أن الحضارة الأوروبية اليوم هى صاحبة الأمر والنهى فى شعوب الأرض كافة ، وأن هذه الحضارة تتميز عما سبقها من الحضارات بنزعتها القوية إلى توحيد الزى فى مختلف شعوب الأرض وتوحيد المظهر الخارجى للعالم ، فليس اليوم على الأرض مظاهر مختلفة للحضارة ولكن الموجود هو مظهر واحد لهذه الحضارة ، هو المظهر الأوروبى ، ففى اليابان وفى الصين وفى جنوب أفريقيا وفى جنوب أمريكا وفى أقاصى كندا وأيسلندا لا يمكن أن نرى غير المظهر الأوروبى فى اللباس ، هو وحده العلامة على نفوذ النور إلى تلك الجهات والبلاد . وعبثا نحاول إقناع العالم بأننا تحضرنا ما دام العالم لا يرى مظاهر هذا التمدين بادية أول الأمر فى الشكل الخارجى للمدنية العصرية .





وقد فهمت ذلك لا اليابان والصين وحدهما على شدة تمسكهما بالتقاليد ، ولكن إيران والعراق وتركيا وكل دولة شرقية أو غربية أرادت أن تسير خطوة أو خطوتين فى طريق التقدم .

فاليوم وقد أصبح لنا جيش منظم على أحدث الأساليب ، أفلا ينبغى أن نجعله متحدا فى لباسه مع بقية جيوش العالم المتحضر ، وألا نجعله يبدو بينها فى هيئة جيوش المستعمرات بزيها الخاص كالفرقة الهندية بعمامتها فى الجيش الانجليزى والفرقة المغربية « بزرها » الطويل فى الجيش الفرنسى . ما فائدة إصرارنا على أن نضع على رأس جيشنا هذا الشىء الأحمر الذى لا تعتبره أوروبا إلا صنوا « للطرطور » ؟

إن كل من ارتاد مقاهى الليل وحانات الرقص فى أى بقعة من بقاع العالم يجد الطربوش الأحمر والطرطور الأحمر على رؤوس الراقصين المترنحين السكارى كأنه علامة من علامات الهزل ورمز من رموز المرح والعربدة . هذا الشىء الأحمر الذى يلفت الأنظار لو وضع على رؤوس جنودنا المظفرة المسافرة إلى ميادين أوروبا لنصرة حليفتها ، فأى ضحك واستغراب يقابل بهما هؤلاء الجند لهذا الرداء الذى يعد عندهم رداء المراقص والمساخر ، بل أكثر من ذلك ما أحسن هذا الطربوش بلونه الأحمر هدفا لرصاص العدو وقنابل الطائرات ، وإن لم تصلح هذه الاشارة الحمراء هدفا يصيبه الأعداء بكل السهولة واليسر والاطمئنان فكيف ومتى يكون الهدف ؟

أذكر أن الجيش الفرنسى منذ نصف قرن كان يرتدى السراويل الحمراء فلما فطن إلى أنها قد تسترعى أنظار العدو بدلها فى الحال ، على أن اليوم كما ذكرت لم يعد هناك خلاف ولا تمييز يذكر فى لباس جيوش الأمم المختلفة لا من حيث اللون ولا من حيث الشكل ، فالجيش الانجليزى يماثل الجيش الصينى والفرنسى واليابانى والألمانى الخ . . فى كل المظاهر من الحذاء حتى القبعة . .

فمسألة الجيش ومسألة الامتيازات لا يمكن حلهما على الوجه المثمر إلا إذا توحدت الأمة فى زيها وقوانينها ودخلت ضمن نطاق عصبة أمم العالم ذات الشكل الواحد والمظهر المتحد فى حضارتها ، وبغير ذلك فلا أمل فى أن نمحو الفروق الواضحة بين « الأجانب » المعتزين بمدنيتهم « والأهالى » الأذلاء فى تأخرهم .

ولقد فطن أحد شطرى الأمة إلى هذه الحقيقة ، فارتدى القبعة من نفسه بغير جلبة ولا ضوضاء ودون استماع إلى جدل فارغ ومناقشات عقيمة وأعنى بهذا الشطر : المرأة المصرية اليوم ترتدى القبعة بلا مراء ، فهى قد علمت بسليقتها وذكائها الفطرى أنه لن يقوم لها احترام فى بلدها وفى العالم إلا إذا اتحدت فى مظهر لباسها مع المرأة المتحضرة فى العالم أجمع .

وقد شعر بهذه الحقيقة أيضا شباب الجيل الجديد فهم فى حيرة من أمرهم ، قد نبذوا الطربوش ولم يجرؤوا على لبس القبعة ، فوقفوا فى منتصف الطريق عارى الرؤوس . وهؤلاء



٢٤

الشباب هم أمل الغد وهم مصر الغد وهم بـإحساسهم أيضا وشعورهم قد أدركوا من أنفسهم بغير حاجة إلى جدل أو كلام أنهم ينبغى لهم أن يسايروا العالم والحياة إذا أرادوا الظفر بالحياة ، وفهموا أن مصر ينبغى أن تغير وأن تتجدد إذ لا حياة لمن لا يتغير ويتجدد . إن الأشجار والأزهار لتغير وتجدد أوراقها البالية وأرديتها الصفراء ، وإن الطيور لتبدل ريشها ، وإن الحيوان يبدل ويجدد جلده ووبره . إن فى تجديد اللباس تجديد للنفس ، وفى تغيير الشكل تغيير للروح .

أما هؤلاء الذين يعارضون فى تغيير ردائهم البالى بحجة بالية هى « التقاليد » ، فإنى أظن أنه قد آن الأوان أن لا نأخذ كثيرا على سبيل الجد هذا الكلام الذى يقال عن الطربوش وعن علاقته بتقاليدنا فإنه لم يمض بعد قرن كامل على تشرفنا بمعرفته ، ولعل هذا الرداء الفاقع دخل فى تقاليد الحانات والمراقص الأوروبية كأداة للاضحاك قبل أن يدخل فى تقاليدنا المحترمة . ولو كانت « التقاليد » تحترم لمثل هذا القدر الزهيد من الأعوام فى حياة أمة فقد أخرجت هذه « الكلمة » من غير شك عن موضعها ولحق لنا أن نمضى فى السير والتقدم ، وإلا نحكم على أنفسنا بالموت والتأخر من أجل « كلمة » كهذه .

إن مصر لن يقوم لها قائمة حتى يصنع أهلها جميعا ما صنعت المرأة المصرية : ترك الجدل والكلام جانبا والمبادرة إلى العمل فى صمت ، وتغيير كل شىء فاسد فى صمت ، والاقدام فى جرأة على ارتداء كل رداء جديد ترى فى لباسه غنما وكسبا .

أيها الشباب الحائر أقدموا على لبس القبعة ولا تخشوا شيئا ما دمتم مقتنعين أن الطربوش لم يعد يصلح لحاضركم ولا لمستقبلكم ، فما من قوة فى الأرض تستطيع أن تحيى شيئا حكم إحساسكم عليه بالموت .





د . سليمان عزمى باشا

فلاح مصر كما يصفه .. عميد كلية الطب

اطرد التقدم فى مصر وانتشر التعليم ، كما انتشرت المهن العلمية الحرة وتقدمت الصناعة والتجارة وغيرهما ، فأصبح الرقى عاما يشمل كل مرافق الحياة .

على أن الزراعة لا تزال المصدر الرئيسى لثروة البلاد ، لا يزال الفلاح عمادها وقوامها ، فهو بحق المجاهد العظيم فى سبيل مجد الوطن وازدياد ثروته .

وليس من شك فى أن الثروة لا تزيد إلا بكثرة الانتاج ، وأن الانتاج لا يكثر إلا بقوة المنتجين المالية والعلمية والفنية وقدرة الفلاحين على تحمل مشاق العمل ، ولا يكون ذلك إلا إذا صحت أبدانهم ، وبرئت من الأمراض المنهكة للقوى .

هذه مبادىء يعترف بها كل من ألم بمهنة الطب وعنى بحالة الفلاح الصحية ، ولذلك يجب على الأطباء تنبيه الأذهان إلى هذه الناحية الخطيرة ، لأن الفلاح بحالته الصحية الراهنة لا يستطيع أن يؤدى أكثر من ٦٠٪ مما ينبغى أن يؤديه من العمل .

٨٠٪ مصابون بفقر الدم

ولقد أمضيت أخيرا ، بضعة أيام فى مزرعتى فهالنى ضعف الفلاح وسرعة شعوره بالتعب وما لذلك من التأثير فى قوته . فقمت ببحث حالة نحو ٥٠ فلاحا ممن قابلتهم فى الحقل وفحصت

٢٥

دمهم فوجدت أن كمية الهيموجلوبين لا تزيد عند أكثر من ٨٠٪ منهم - على ٦٠٪ وأنها فى الغالب ٥٠٪ . وهؤلاء هم الذين يستطيعون العمل ، على ما بهم من ضعف وإعياء ، فما بالك بمن أقعده الضعف عن العمل ؟

ولا يخفى أن معظم أسباب فقر الدم بينهم ناشىء من إصابتهم بديدان الأنكلستوما ، لأن البلهارسيا وإن كانت تحدث مثل هذا الأثر ، فهى نادرة فى هذه المنطقة . ولذلك تجب مقاومة هذا المرض والعمل بأنجح الوسائل على علاج أكبر عدد يستطاع علاجه من المصابين .

وأرى فى مقدمة الحلول لهذه المشكلة أن تبذل الحكومة ما فى وسعها لزيادة عدد المستشفيات الخاصة بالأنكلستوما - متنقلة كانت أو ثابتة - على أن تكون ذات أسرة وأقسام داخلية لا أن تكون مجرد عيادات خارجية ، لأن هذه مع قيامها منذ حوالى ثلاثين عاما ، لم تأت إلا ببعض الفائدة ، ولا يزال المرض شديد الانتشار فى أنحاء البلاد . وليس بالكثير أن تأوى المستشفيات هؤلاء المرضى الفقراء ، فحسب المريض منهم ، أن يحرم من كسب قوته فى أثناء المرض .

على أننى قد تنبهت إلى هذه الحالة ، بعد أن تبينت لى جليا فى مستشفيات الجامعة سنة ١٩٣٨ ، وأرسلت إلى وزارة الصحة تقريرا عن ذلك عام ١٩٣٨ ، غير أنه لم يتخذ شىء فى شأن هذا التقرير . ثم أعدت الكرة هذا العام مؤملا خيرا ، من هذه التذكرة ، وخاصة أن على رأس وزارة الصحة وزيرها الحالى القدير الأستاذ الوكيل بك ، يعاونه نخبة من رجال الطب الأكفاء .

وليس من شك مع هذا فى أنه كان للاحتياطيات الوقائية أثرها المحمود فى تجنيب البلاد ويلات الأوبئة ، والأمراض المعدية ، وإنه كان لنظام رعاية الطفل أحسن الأثر ، فنقصت الوفيات وازداد عدد السكان زيادة محسوسة . ولهذا نرجو أن يسير الطب العلاجى بخطوات واسعة لعلاج المصابين بمختلف الأمراض ، ولا سيما الأمراض المتوطنة التى تفتك بالزراع ، فتقام لهذا الغرض المستشفيات الخاصة فى مناطق متعددة . إذ أن المسألة من المسائل الحيوية سواء من الناحية الصحية ، أو الانسانية ، أو المالية .

وهناك حل آخر للمشكلة غير الذى تقدم ذكره . وهو حل اقتصادى اجتماعى يصعب تنفيذه ، إن لم تتذرع له الحكومة بالحزم والجد والمثابرة .

وهذا الحل يتناول مسألة سوء تغذية الفلاح . ولما كان ذلك يرجع إلى عدة أسباب يرتبط بعضها ببعض ولا يتسع المقام لشرحها ، فحسبى أن أذكر منها ما يأتى تاركا لغيرى استيفاء هذا الموضوع الحيوى الخطير من جميع نواحيه ، نظرا إلى تشعبه وعلاقته بحياة الفلاح نفسه والبيئة التى يعيش بها .





تربيـــة الماشـــية

وفى مقدمة هذه الأسباب ، ما يبدو فى العهد الأخير ، من عدم عناية الزراع بتربية الماشية . فقد كانوا فى العهد الماضى ، يضطرون إلى تربيتها ، لاستخدامها فى فلاحة الأرض ، والانتفاع بروثها فى التسميد . وكانوا ، إلى جانب هذا ، يتغذون بجبنها ويبيعون من زبدها ما يزيد على حاجتهم ، وينفقون ثمنه فى إصلاح شئونهم . أما الآن ، بعد أن انتشر استخدام السماد الكيماثى فى الزراعة وأصبح من اليسير الحصول عليه ، فقد أهمل الفلاح الماشية ، وقل اهتمامه بها .

يضاف إلى ذلك ما حدث من تغيير فى نظام الزراعة . فبعد أن كان الفلاح يملك قطعة أرض أو يشارك المالك فى استغلال أرضه أو يستأجر أرضا ، أو يشتغل عند مالك بما يسمى نظام التملية ، وهو أن يزرع مساحة من الأرض مقابل أجر ، فيضطر إلى اقتناء ماشية ـ أصبح الكثير من الفلاحين يفضلون العمل بأجر يومى ، وبذلك حرموا من مزايا تربية المواشى واجتناء خيراتها .

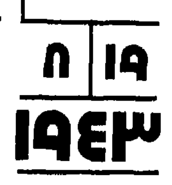
ســـوء التغذية

وقد انتهت هذه الحالة ، إلى أننا كثيرا ما نرى منهم ، من لا غذاء له سوى الخبز « البتاو » والملح والبصل . وكان من نتائج ذلك أن فترت عزائمهم ورغبت نفوسهم عن العمل ، حتى أننى شاهدت فى جهة برقاش من يشتغل ليحصل على ثمن كيلة من الذرة ، ثم يترك العمل ولا يعود إليه إلا حين يحتاج إلى كيلة أخرى . وهذا على خلاف من عنده قطعة أرض يزرعها ، فهو دائم العمل فيها . كذلك كان من أسباب قلة حاجة الزراع إلى الماشية ، انتشار وسائل النقل الحديثة وآلات الرى والزراعة .

فلاح اليوم وفلاح الأمس

إن الفلاح الذى تعودنا رؤيته فى صغرنا ليس هو فلاح اليوم ، فالأول كان ممتلئا صحة وقوة ، قادرا على العمل ، قامت على عاتقه جميع المشروعات الكبرى ، أما فلاح اليوم ، فهو معتل الصحة ضعيف البنية ، ليس له ما لسلفه من المقدرة على العمل .

على أنه لا حاجة بنا إلى الماضى فحسبنا أن نقارن الآن فى أى مزرعة أو قرية ، بين الفلاح الأجير الذى لا يملك ماشية وليس عنده زراعة يزرعها وبين من يملك أرضا أو يستأجرها ، لنجد الفرق ظاهرا جليا . ولقد قمت بتجربة فى مزرعتى ـ فتبينت صحة النظرية التى ذكرتها . وذلك أننى ساعدت الفلاحين على اقتناء المواشى وزراعة الأرض بأنفسهم ، فبدت عليهم علامات الصحة والعافية والنشاط .



٢٥

السـم الأسـود

وهناك عامل ثالث له أثر شديد فى حالة الفلاح ، وأعنى به الشاى الذى سماه بعض المفكرين « السم الأسود » لما نسب إليه من المضار المتعددة . وإنى مع اتفاقى معهم فى النتيجة ، أختلف فى الأسباب ، فالشاى ليس سما ، وهو إذا شرب فى اعتدال لا ضرر منه على الصحة إلا عند من فى أجسامهم استعداد خاص للتأثر به ، أو الذين يفرطون فى شربه فيتناولونه بكميات غير معقولة . وأما ضرره على الفلاح ، فهو ليس ضررا مباشرا ، ولكنه راجع إلى أن الفلاح مع سوء حالته المالية ، ينفق نقوده فى شرب الشاى - وهو يكاد يكون خاليا من المواد الغذائية - بدل أن - ينفقها فى مواد غذائية أخرى تعود عليه بالفائدة .

والشاى « كيف » يتعوده من يشربه مدة طويلة فإذا تأخر عنه ، بدت عليه أعراض تزول بشربه ، ولذلك إذا تعوده الشخص أدمن على شربه مرغما .

وقد شاهدت ظاهرة خطرة ، وهى أنى رأيت عددا من الزراع يأكلون وقت الظهر فى شهر رمضان . ولغرابة هذا المنظر فى الريف ، سألتهم فى ذلك فعلمت أنهم مفطرون ، لا لعدم مقدرتهم على تحمل الجوع - حسب تعبيرهم - بل لأنهم لا يستطيعون الانتظار إلى الغروب بدون شرب الشاى مع قيامهم بالعمل . وهكذا قضى عليهم « كيف » الشاى بالاستخفاف بأحكام دينهم .

ومن الأمثلة على أن الشاى ليس سما ، كما زعموا ، أن أهل سيوه يشربونه بكثرة ، ولكنهم يأكلون معه التمر والفول السودانى ، كما أنهم يأكلون اللحم مرتين فى الأسبوع على الأقل . ولهذا فإن ضرر الشاى عندهم أقل منه عند الفلاحين ، وفى وسعى أن أقول : إننى لم ألاحظ حالة واحدة من حالات مرض البلاجرا فى سيوه .

قلت إن الفلاح مجاهدنا العظيم لأنه يكد ويشقى فى زراعة الأرض ويجاهد فى مقاومة الآفات الزراعية أكبر جهاد ، وإنه عماد الثروة فى البلاد . وقد تبين مما تقدم أنه فى خطر صحى لا يصح السكوت عليه ، فإن لم نتداركه بإقامة المستشفيات ذات الأقسام الداخلية الخاصة بفقر الدم . . « الأنيميا » . . وغيرها من الأمراض المتوطنة - كما ذكرت فى تقريرى سنة ١٩٣٨ - ازدادت الحالة سوءا .

قوة الفلاح ضمان لنجاح المشروعات

إن وزارة الشئون الاجتماعية ، آخذة فى إصلاح حالة الفلاح ، وقد وضعت لذلك طائفة من المشروعات ، فلعل ما أبديته فى هذه الكلمة من الملاحظات تعين ذوى الشأن على استجلاء بعض ما يبحثونه من المسائل .

وهذه وزارة المالية تفكر فى تخصيص أموال متوافرة ، لمشروعات لم تنفذ بعد .



٢٦

د . عثمـــان أميـــن

هــل تتحقــق آمــال الأســتاذ الإمــام

فى مايو سنة ١٩٠٥ أملى الأستاذ الامام محمد عبده باللغة الفرنسية ، رسالة طريفة بسط فيها آراءه وآماله فى التربية والتعليم ، وأدلى بمقترحاته فى إصلاح نظم الادارة والقضاء فى مصر ، وفى ديسمبر من تلك السنة نشر « السير دوجرفيل » عن مصر الحديثة مؤلفا ضخما ذيله ببضع رسائل عن شخصيات مصرية كبيرة ، ومن بينها تلك الرسالة التى أملاها الأستاذ الامام قبل وفاته بنحو شهرين وقد نشرها دوجرفيل بعنوان « وصية سياسة للمرحوم محمد عبده مفتى الديار المصرية » . والذى يعنينا هنا من رسالة المصلح المصرى إلى المؤلف الفرنسى إنما هو قسمها الأول الذى تحدث فيه الشيخ عن الشئون المصرية حديثا عرض فيه بالنقد لسياسة التعليم التى كانت تتبعها الحكومات فى ذلك العهد ، فنادى بتعميم المجانية ، ومكافحة الأمية ، وإنشاء « جامعة مصرية » ، تكون مهمتها إعداد بيئة ثقافية عالية ، وإذاعة روح البحث العلمى الخالص . قال الأستاذ الإمام ، رحمه الله ، ما نترجمه فيما يلى :

« تنفق الحكومة المصرية على التعليم ألفين من الجنيهات ، فى حين أن ميزانيتها التى تبلغ اثنى عشر مليونا ، تسمح لها بأن تخصص للتعليم ما يزيد على ذلك المبلغ الضئيل ، ثم أن الحكومة تزيد المصروفات التى تدفعها الأسرات لتعليم أبنائها . وقد سارت الحكومة على زيادة النفقات سيرا مطردا ، حتى أصبح تعليم الأبناء عبئا يرهق كواهل الطبقة المتوسطة فى الأمة . وإذا استمرت الحكومة على تلك الخطة أصبح التعليم كله ضربا من الترف لا يستطيعه



إلا الموسرون . ومن مبادىء الحاكمين عندنا أن أولاد الفقراء لا حق لهم فى التعليم : وهو مبدأ ينادون به جهارا فى أحاديثهم وفى كتبهم وفى تقاريرهم .

« وقد نسلم معهم إلى حد ما بأن رب الأسرة الذى يخصص جزءا من دخله لتعليم أبنائه يكون فى الغالب حريصا على ألا يضيع عليه ماله ، ويكون معنيا بالاشراف على أبنائه إشرافا فعليا ، حتى ينتفعوا بتعليم يؤوده ويكلفه المال الكثير . ولكن القول ، من أجل هذا ، بأن كل تعليم مجانى عقيم ، هو زعم غير مقبول ولا تؤيده التجربة : فالواقع أنه منذ عهد محمد على إلى سنة ١٨٨٢ ، كاد يكون دخول المدارس المصرية مجانيا كله ، ولم تحل تلك المجانية دون أن تخرج المدارس طائفة من الرجال تعلموا تعليما صحيحا ، وأغلبهم ينتمون إلى أفقر طبقة فى الأمة . على أن كثيرا من بلاد أوروبا قد جعلت التعليم مجانيا ولم تجد على نفسها من ذلك ضيرا . ولكن ما عسى أن تنفع تجربة الماضى وأمثلة البلاد الأوروبية إذا كان أولو الأمر فى حكومة مصر قد ركبوا رؤوسهم ، وأبوا أن يفعلوا إلا ما يلائم هواهم !!

« ومن المشاهد المؤلمة المتكررة كل عام أن ترى الآباء والأمهات يطوفون بأبنائهم على وزارة المعارف ، راجين مستعطفين متوسلين بإظهار ما هم عليه من رقة الحال أو بما يكون قد قدمه أفراد عائلاتهم إلى الدولة من خدمات ، مؤملين بعد ذلك كله أن تلين الشفاعة قلوب الحاكمين ، فيثنوا جموح مبدئهم ولو مرة ، ويقبلوا ابناء الفقراء فى المدارس مجانا ، ولكن أولئك الآباء يضطرون آخر الأمر إلى أن يعودوا إلى قراهم خائبين ، قانطين ، ساخطين لا يدرون ماذا يصنعون بأبنائهم الصغار الأعزاء ، الذين بنوا لمستقبلهم قصور الآمال .

« ما العمل ؟ يقول لنا البعض أن فى مصر أغنياء يستطيعون أن ينشئوا مدارس مجانية للفقراء . أى والله إن بنى وطننا الاغنياء يستطيعوا أن يعملوا ذلك وأكثر منه ولكن مصر ليس فيها بعد محسنون ! ويعوزها على وجه الخصوص المحسنون المستنيرون !

« قد يوجد عندنا من الأغنياء من ينشئون المساجد التى لا ندرى وجه الحاجة إليها ، نظرا إلى كثرة عدد الموجود منها من قبل ، ويوجد من الأغنياء من يجعلون جزءا من مالهم وقفا على ولى من الأولياء ، لكن همة الأفراد عندنا لم تتجه إلى التعليم ، وقد لبث شعبنا حقبة طويلة من الزمان معتمدا على الجماعة فى كل شىء !

« فإذا نظرنا الآن إلى التعليم الحكومى من حيث قيمته اضطررنا إلى أن نلاحظ أنه لا يكاد يؤهل رجلا لممارسة حرفة مستقلة يكتسب بها عيشه ، ومن المستحيل أن ينهض هذا التعليم بإعداد عالم أو كاتب أو فيلسوف فضلا عن إعداد نابغة . وكل ما لدينا من المدارس التى تمثل التعليم العالى فى مصر ، إنما هى مدرسة الحقوق والطب والهندسة وأما بقية الفروع التى يتألف منها العلم الانسانى فقد ينال منها المصرى أحيانا صورا سطحية فى المدارس الاعدادية ،





ويكاد يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئا ، وهو فى الغالب مكره على أن يجهلها جهلا تاما . ذلك شأن علم الاجتماع وفروعه كالتاريخ والأخلاق والاقتصاد ، وذلك شأن الفلسفة القديمة والحديثة والآداب العربية والأوروبية والفنون الجميلة أيضا ، كل ذلك مجهول لا يدرس فى مدرسة مصرية .

« ونتيجة ذلك أن فى مصر قضاة ومحامين وأطباء ومهندسين تتفاوت كفاياتهم فى ممارسة مهنهم ، ولكنك لا تجد فى الطبقة المتعلمة الرجل الباحث ولا المفكر ولا الفيلسوف ، ولا العالم ، لا ترى الرجل ذا العقل الواسع والنفس العالية والشعور الكريم ، ذلك الذى يرى حياته كلها فى مثل أعلى يطمع فيه ويسمو إليه .

« والخلاصة أن الخطة التى رسمتها الحكومة ، والتى يبدو أنها مصممة على ألا تحيد عنها هى تشجيع التعليم المختصر فى المدارس الصغيرة التى تسمى « كتاتيب » حيث يتعلم الأولاد الكتابة والقراءة وقواعد الحساب الأربع ، ثم شدة التضييق فى نشر التعليم الثانوى والتعليم العالى .

« والمصريون مقتنعون أن الذين يدبرون شؤونهم العامة لا يعلمون كل ما يستطيعون لرفع المستوى الأخلاقى والثقافى عند الأجيال الجديدة ، وهذا الموقف مما يؤسف له من جميع الوجوه . إنه سيخلق فى الرأى العام ـ عاجلا أو آجلا ـ تيارا من التذمر والسخط . ولسنا نرى ما المنفعة التى تعود على الانجليز من تركهم معتقدا كهذا يثبت فى أذهان الوطنيين ، وإذا كان هناك ما يمكن أن يقع عليه إجماع ، فهو التعليم العام ، ولا تعارض فيه بين مصالح الانجليز ومصالح المصريين .

« ينبغى ، لحسن استغلال مصر ، أن ينتفع بجميع قواها ومواردها ، ولا سيما الانسان ، الانسان كله روحا وبدنا . ومن الخير أن يتعاون الأوروبيون والمصريون على النهوض بذلك العمل ، فإذا سعى الانجليز إلى إضعاف الوطنيين ، كانوا عاملين على اختلاف ما فيه مصلحتهم فى أن يكون المصريون أقوياء أغنياء أحرارا . . »

وبعد فقد أحببنا أن ننشر اليوم قسما من هذا الحديث الممتع ، تحية لذكرى الأستاذ الامام ، واعترافا بأمانته لا فى أمور الدين بحسب ، بل فى أمور الدنيا أيضا ، ونحسب أن المقام يغنينا عن التعليق ، فإن هذه الآراء الحرة التى جهر بها الشيخ عن التعليم والعدالة الاجتماعية ، منذ أكثر من نصف قرن لم تتخلف عن العصر ، ولم تخلق الأيام جدتها ، بل إننا نراها اليوم تعود أشد ما تكون قوة وحياة وخصبا . وإذا كان الناس فى عهد الامام قد عدوها ضربا من الأوهام ، فنحن نراها فى هذا العهد وقد أخذت سبيلها إلى التحقق ، ولعله لا يمضى زمن طويل حتى تدخل فى باب الأمر الواقع والوجود الثابت ، بفضل الجهود المحمودة التى تبذلها ، وزارتا المعارف والشئون الاجتماعية .

٢٧ عبد الرحمن الرافعى

حرية الصحافة ... فى مصر

قرأت فى صحف الصباح خبرا ورد من جنيف عن مؤتمر حرية الأنباء المنعقد الآن فى هذه المدينة ، جاء فيه : أن اللجنة القانونية فى هذا المؤتمر العالمى وافقت على مشروع قرار يوصى الدول بمراجعة قوانينها من وقت إلى آخر ، وتعديلها على نحو يكفل حرية القول والرأى .

لفت نظرى هذا النبأ . واستعدت فى ذهنى الصور المتعاقبة للنظم والتشريعات المتعلقة بالصحافة فى مصر . وتساءلت هل تؤيد الحكومة المصرية هذا القرار وهل النظم الصحفية عندنا تحتاج إلى تعديلها على نحو يكفل حرية القول والرأى أم لا . ولم يطل بى التفكير فى الجواب على هذا السؤال . بل إننى أكثر ما أكون يقينا بأن معاملة الصحافة تحتاج حقا إلى تعديل كبير . لا فى النظم فحسب . بل فى تطبيقها أيضا .

أنا لا أتردد فى الجهر بأن الصحافة فى مصر لا تتمتع بمثل الحرية التى تتمتع بها فى سائر البلاد الديمقراطية ما دام الحبس الاحتياطى قد يتخلل التحقيق فى القضايا الصحفية ، ولا سيما إذا حكم القضاء فيها (على ما يحكم به فى كثرة الأحوال) إما بالبراءة ، وإما بعقوبات تتضاءل بجانب الحبس الاحتياطى .

وإن هذه الملاحظة وحدها لتكفى للاعتقاد بأن الصحافة لا تعامل فى الجملة معاملة عادلة . لأنه إذا كان مرجع الأمر فى نهايته إلى القضاء فمن الواجب ألا يتخذ الحبس الاحتياطى أداة





احتياطية . فإن هذه الأداة قد تكون فى ذاتها عقوبة . والعقوبة هى من حق القضاء لا من حق الحكومة ولا من حق النيابة (مع احترامى لهذه الهيئة الموقرة) .

إن للنيابة أن تعمد إلى الحبس الاحتياطى فى تحقيق بعض التهم . ولكن فى الحدود التى شرع لها الحبس الاحتياطى . لأن الحكمة منه ألا يؤثر المتهم فى استكمال الأدلة أثناء التحقيق إذا ترك مطلق السراح . وهذه الحكمة منعدمة فى التهم الصحفية لأن موضوع التهمة أو كما يقولون « جسم الجريمة » - إن كان ثمة جريمة - هى المقالة التى نشرها الصحفى . وهذه المقالة لا تحتمل تغييرا أو تبديلا بعد نشرها وجمع الأدلة بالنسبة لها لا يعدو أن يكون تفسيرا لهذه المقالة . وهذا التفسير لا يقتضى الحبس الاحتياطى . إذ ليس الحبس الاحتياطى وسيلة من وسائل التفسير .

فما دامت التحقيقات الصحفية قد تقترن بالحبس الاحتياطى ، لا يمكن القول بأن الصحافة عندنا تتمتع بالحرية الكاملة للقول والرأى . وإذا كان الغرض من هذه التحقيقات محاكمة الصحفى على تهمة معينة فما الذى يمنع النيابة من أن تحقق معه وهو مطلق السراح ، وأن تقدمه إلى المحاكمة بطريقة الاستعجال إذا أرادت لكى يصدر القضاء فيه حكمه العادل بالعقوبة أو بالبراءة . إن هذا ولا شك أقرب إلى تحقيق العدل القانونى والقضائى وأبعد عن مظنة إتخاذ الحبس الاحتياطى عقبة فى سبيل حرية الصحافة . والصحافة لا تستطيع أن تؤدى رسالتها إلا فى جو من الحرية . والقضاء كفيل فى أحكامه النهائية بمعاقبة من يتجاوز هذه الحرية ويتخطى الحدود التى رسمها لها القانون .

لقد عرض على مجلس الشيوخ فى دورة ماضية مشروع قانون بتحريم الحبس الاحتياطى فى التهم الصحفية . ولكن أغلبية المجلس (مع الأسف) لم تقر هذا المشروع . وكانت حجتها فى ذلك أن الحكومة تقدمت بمشروع قانون بتعديل الاجراءات الجنائية عامة ولم يبت فيه إلى اليوم . ولعل كثرة ما يقع من الحبس الاحتياطى فى التحقيقات الصحفية تدعو المجلس الموقر وتدعو مجلس النواب أيضا إلى إعادة النظر فى هذه المسألة . لأن رسالة الصحافة جديرة بأن تحاط بضمانات تكفل لها حرية التفكير والرأى . وها نحن أولاء نرى المنظمات الدولية التى نشترك فيها تتجه نحو كفالة هذه الحرية ، ولا يداخلنى شك فى أن ممثل مصر فى مؤتمر جنيف سيؤيد الاقتراح الذى قبلته اللجنة القانونية فى هذا المؤتمر . فلا يجمل بنا فى الوقت الذى تؤيد فيه الحكومة هذا الاقتراح أن نعمل على نقيضه داخل حدود بلادنا . إذ لا يليق أن نظهر أمام العالم بغير المظهر الذى نعلنه فى المحافل الدولية .





٢٨ عباس حافظ

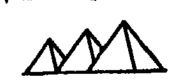
حى الصحافة فى باب الخلق و شارع محمد على

أهاج بنفسى صديقى محمد الصباحى ذكريات جيل قديم كانت هاجعة فى مراقدها من خاطرى ، وان ردها إلى خمسين عاما فى التقدير والحساب ، وكان أكثرها أقل من هذا فى السنين عددا ، وأقرب منه عهدا ، ولكنها على التفاوت واليسير متقاربة ، يجمعها جيلنا القديم .

وقد أحسن الأستاذ محمد الصباحى الينا ، معاشر زملائه القدامى وأصحابه الأولين ، إذ رسم صورا خاطفة لوجوه متفرقة من حياتنا الماضية ، ومعالم عيشنا القديم ، ليبين بها للجيل الحاضر الفروق الكبيرة بين العهدين ، وكيف كان العيش يومئذ « رخيصا » وهو اليوم فادح ، والشراب كيف كان زهيدا وهو اليوم بالغ النفقات ، والدنيا مليئة على عهدنا بخير ، وهى فى هذا الجيل شاحة به ، والعالم بالأمس البعيد ضاحك متهلل ، وهو الآن مكفهر الجبين .

وأحسب « الصباحى » لم يخطىء حين عرض للصحافة والحياة الأدبية ، فأوجز ، ومر بها ولم يعقب ، وإن آثر زميلنا « الأستاذ عبد الحميد حمدى » لو أنه أطال السرد ، ودقق فى التدوين .

وأكبر ظنى أن أخانا الصباحى توخى القصد فى الحديث عن هذه الناحية بالذات حتى لا يفتح باب المقارنة منه ، بين صحافتنا الأولى ، على قلتها ، وحياتنا الأدبية الماضية ، على ضيق حدودها ، وبين الصحافة المحدثة ، وهى مع وفرة أنواعها ، لم تزد غير ألوان وبهاريج ، ولم





تتسع سوى آلات وأجهزة ، ولم تكتسب غير صور ودهان وطلاء ، وبين الحياة الأدبية الجديدة ، وهى مع ترامى آفاقها ، وكثرة الشباب المشتغلين بها ، لا تزال فى الجملة سطحية ، يعوزها العمق الذى كان طابع الأدب فى جيلنا القديم .

وقد يكون هذا رأى رجل معتز بأدب الجيل الذى نشأ فيه ، وإن لم يقره عليه فريق كبير من المحدثين الذين ألفوا القراءة الخاطفة ، واعتادوا الاسترواح إلى السهل الطلى السريع ، ولكن الواقع أن الأدب القديم فى أكثر بلاد العالم لا يزال فى تقدير الثقات خيرا وأبقى من الانتاج الأدبى الحديث .

ولعل هذا هو ما تجنبه صديقى « الصباحى » حين ألم بالصحافة والحياة الادبية فى جيلنا الماضى ، ولم يستأن ليستفيض أو يطيل ، وحسنا فعل ما دام قد توخى التصوير الفكه ، وعنى بالنواحى البراقة من الحياة عندما كنا شبابا نرتع مع الراتعين .

ولكننى أريد أن اتبسط قليلا فى هذا الوجه من العرض ، متجنبا النقد ، متحاميا التحليل ، حتى لا أغضب أحدا ، أو استهدف للاتهام بريبة أو تعريض ، والنية فيما أنا متناوله أن أرسم صورا لحياتنا الأدبية منذ أربعين عاما أو تزيد .

وقد رأيت الانجليز يتحدثون فى شىء من العزة عن حى للصحافة فى لندن ، يرجع العهد له إلى عشرات السنين وهو حى « فليت ستريت » الذى تقوم فيه دور الصحف والمجلات ويقضى الصحفيون والكتاب فيه أعمارهم رائحين للعمل وغادين .

وأحسب أنه كان لنا حى كهذا أو شبيه به ، فى العهد الذى نتحدث عنه ، وإن لم يعد للصحافة اليوم شىء على غراره ، فقد تباعدت فيها الدور ، وتفرقت ادارات الصحف فى كل مكان . لقد كان لنا يومئذ « باب الخلق » والشارع الذى يخترقه ، وهو شارع محمد على من العتبة الخضراء إلى القلعة ، ويتفرع منه « غيط العدة » والطواشى ، والمناصرة ، والعلواية ، ودرب المهابيل . .

وكان « باب الخلق » ميدانا أنشئت فيه دار الكتب ، ولا أزال ذاكرا العهد الذى بنيت فيه ، وإن كنت يومئذ صغيرا لم أتجاوز العقد الأول من العمر ، ولا تزال ترتسم فى خاطرى ظلال واهية كالحالم ، للبنائين وهم قيام فوق « الصقالات » وللسور الخشبى المحيط بالبناء قبل الفراغ منه ، وباعة « الفلافل » بطباليهم من حوله ، والمعلمة « بخيتة » بائعة « المنبار » ولحم الرأس ، جالسة اليه ، إذا ما غضبت ملأت الجو صياحا ، وصالت بعصاها تهزم « الفتوات » والعصبجية والمتشاجرين .

وليس بغريب أنني لا ازال اذكر « باب الخلق » ففيه كان منشىء ، فقد ولدت فى ناحية



٢٨

منه ، وكان بيتنا قائما خلف « الكتبخانة » يطل على الخليج ، وله حائط ناضر بالزهر والشجر والرياحين .

وحين أريد بناء دار الكتب ، دخل جزء من بيتنا فى المنافع العامة ، وبيع البستان المحيط به بعد ردم الخليج فلم تبق منه إلا « زريبة » تضم أكواخا كنا نؤجرها مساكن للحمارين وكان لهم « موقف » فى العتبة الخضراء ، ومواقف فرعية فى بعض أنحاء المدينة ، أيام كان ركوب الحمير شائعا يشترك فيه الرجال والنساء ، بجانب « العربيات الكارو » و « الحناطير » . وهكذا درجت فى « باب الخلق صبيا » ارتع فى نواحيه ، مع صبيان من اللدات ونلعب الكرة « الشراب » من الأصيل إلى أوان المساء ، ولا أزال اتخيل صحابا لنا ونحن يومئذ نتدافع بالأكتاف ، ونجرى وراء الكرته مستبقين ، وكان بيننا أحمد زكى البهنيهى ، وكيل مجلس الدولة الآن والحجة الدرة فى القانون ـ وكان أكبر منا بقليل ، وعبد الله شداد ، اللحانة الظريف الذى لست أدرى أين هو الآن ، والسيد أمين المهدى سليل بيت عباس المهدى ، وسيد العازفين على العود من القدامى والمعاصرين .

وانى لا تمثل الساعة رجلا كان ملء الأسماع إلى عهد قريب ، وقضى نحبه على أثر رجعته من الحج معتمرا مسلما مستغفرا فكان رحيله خطبا أليما ، وهو المرحوم حفنى الطرزى باشا وكان جارا لنا ، وهو قادم على الطريق يتهادى ، وعلى رأسه عمامة لطيفة كان يحسن تكويرها ، وفى قفطانه من حرير يسر الناظرين ، يهز الشباب عطفيه ، مرهف القد فارعا ، ونحن ممسكون عن اللعب حتى مر باسما متهلل الأسارير .

ورأيتنى فى دورة التعليم الابتدائى منذ أربعين عاما ، أحسن الانشاء ، ولست أدرى ما الذى بعثنى على الاحسان فيه ، ولعل مرده إلى قراءه « اللواء » ، وكانت أعداده تأتى الينا اشتراكا مع موزع يركب « حمارا » على جنبيه « خرج » يطوف به المدينة ليوزع الأعداد على المشتركين .

وكنت اتناول « اللواء » خلسة لاقراه على مكث ، خلال جلسات المذاكرة ، كأنه نوع من « التهريب » . وكانت وفاة « مصطفى كامل » وأنا أعد العدة لامتحان الشهادة الابتدائية وكان الشيخ اسماعيل ، معلم العربية فى « مدرسة الشيخ صالح أبو حديد » رجلا متحمسا للوطنية المصرية وفى وقدتها الأولى ، فطلب من تلاميذه أن يكتبوا قطعة انشائية عن « مصطفى كامل » فكتبت فى الكراسة عدة صفحات ، وقرأها أستاذنا « أبو السباع » فأعجب بها كل الاعجاب ، وكتب فى ذيلها « أحسنت وأثرت » ودعانى فى الفصل إلى قراءتها جهرة على زملائى فى وسط صمت رهيب .

ولم ألبث فى الثامنة عشرة وأنا فى المدرسة الخديوية أن بدأت أكتب للناس ، وأظهر فى « باب الخلق » ـ أو فليت ستريت ـ لعهدنا القديم ، وأعرف الأدباء الذين يختلفون اليه ،





والكتاب والصحفيين الذين يكثرون عليه الترداد .

وكانت أبرز معالم الميدان قهوة « محمد أغا » وهى مشرب للشاى والقهوة ، يملكه رجل عملاق من الأرناؤود الذين كانوا فى ذلك العهد يشتغلون فى الريف « نظار زراعات » فى ضياع الأغنياء ، وعزب السروات ، فقد كان هؤلاء يستعينون بهم فى الأشراف على « أطيانهم » لرهبتهم فى نفوس الفلاحين . وكان « محمد أغا » صاحب المقهى رجلا طيبا أحسبه قد أسند فى حدود الشيخوخة ، فترك الزرع والقيام عليه وانشأ ذلك المشرب ندوة « لبلدياته » ومختلفا لمعاشر الأرناؤود إذا قدموا من الريف ، أو تقطعت بهم الأسباب .

وقد أشتهرت « قهوته » بجودة الشاى ، فقد كان « محمد اغا » شريبا له ، معنيا به ، يقدمه إلى جلساء محله فى اكواب من الزجاج المذهب من الخارج ، ويجود فى صنعه كل تجويد ، فلم يلبث المقهى أن اجتذب اليه أكثر الأدباء والصحفيين المعروفين .

ولم يكن يعيب قهوة « محمد أغا » شيء غير قيام مسقاة للخيل قبالتها ، يقف بها « الحوذية » تسقى الخيل إذا مسها اللغوب ، وتزدحم من حولها فى أيام الجمعة جماعات من الخيول المعروضة للبيع فى المزاد ، وينبعث منها رائحة « الروث » عند اشتداد الهجير .

ولكن جلساءها كانوا من حبهم لها يضحون بأنوفهم من أجل « الشاى » الجيد الرخيص الذى يستمتعون به ، وأحاديث الأدب التى يتجاذبونها ، والندوة الفنية البديعة التى تجمعهم ضحى ، أو تضمهم عشاء .

ألا طابت ذكراك يا قهوة « محمد أغا » وذكرى زبائنك الكرام من صحفى ، وكاتب ، وقاض ، وشاعر مجيد .





معركة .. الحقوق السياسية للمرأة

عجب كثيرون لصمتى والمعركة تدور حولنا مختلطة الأصوات عالية الضجيج ينادى فيها فريق بمنح المرأة كل الحقوق السياسية التى يتمتع بها الرجال ، وتتمتع بها النساء فى أندونيسيا والباكستان ، وفى بلاد الانجليز والطليان والأمريكان ، ويناضل فريق آخر لكى تبقى المرأة فى البيت حيث كانت من عهد الأم حواء .

ولم يكن صمتى استهانة بخطر الموضوع الذى تدور من أجله هذه المعركة ، فما أعرف موضوعا أجل منه ولا أمس بسلامة كيان الأمة . ولقد كتبت فيه كما لعلى لم أكتب فى سواه ، وأطلت الحديث عنه حتى خلتنى قد بلغت ، لكنى حين رأيت المسألة تثار اليوم فى جد وعنف ، آثرت أن أمسك عن الكلام ، واكتفى بتتبع المناقشة ، لعلى استبين وجه الرأى فى دعوى كل فريق ، وأعرف مدى ما تنطوى عليه من خير للمرأة ، وتقدير للصالح العام .

فى هذا الذى قرأت وسمعت عن الحقوق السياسية للمرأة ، قليل يستحق الاعتبار ، لاتصاله بما نرى ونعانى فى حياتنا اليوم ، كهذا القول فى مقتضيات التطور وحكم الزمن ، وتلك الاشارة اللافتة إلى ما يتهدد الأسرة من انشقاق وتصدع إذا خاضت المرأة معترك الأحزاب ، وذلك التنبيه إلى ما يخسره الرجل وتخسره الأنثى إذا اندفعت فى الطريق الشائك الوعر ، وبلت مثل الذى يبلوه الرجال من التناحر الحزبى .





ولكن فيه ـ إلى جانب ذلك القليل ـ كلاما مكررا معادا ، قيل وسمع فى مناسبة وغير مناسبة ، وما يزال يكرر ويعاد كلما أثير أى موضوع يتصل بالمرأة ، وإن لم يكن لهذا الذى يقال صلة بموضوع الحديث .

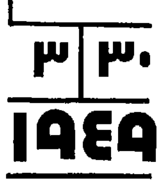
فنحن نسمع اليوم ـ فى معركة الحقوق السياسية ـ ما قيل فى معركة السفور ، وما أعيد فى حركة التعليم ، وما ردد يوم خرجت المرأة إلى ميادين الأعمال . نسمع كلاما عن حق الحرية والمساواة ، وما نالته نساء الغرب من ذاك ، وما أباحه الدين لنا من مثله ، كما نسمع ألفاظا بعينها عن محنة الأخلاق وضلال الخروج ، وعن ضعف الأنثى وطغيانها على الرجل فى ميادين عمله مما لا يقره عدل ولا تشريع . وهو كلام أن يكن قائلوه لم يتعبوا من تكراره فقد تعبنا نحن من قراءته ، ومللنا سماعه وأصبحنا نرى فى كثير منه ، ضربا من اللغو لا تحتمله الحياة فى زمن أنطق الجماد ، وأذاب الصخر ، وطير الفولاذ وحطم الذرة !

أجل ، لم تعد عقولنا تسيغ الاشتغال بمعارك لفظية ، تردد فيها عبارات مهلهلة النسيج ، مبهمة المدلول ، مبتذلة المعنى ، ظلت الألسنة تلوكها عندنا نصف قرن من الزمان ، وهى هى لم تتغير ولم تتبدل : الحق والعدل ، الخروج والطغيان ، الظلم والاستبداد ، العجز والضعف ، النور والظلام !

جدت فى الحياة ـ فى نصف القرن هذا ـ أحداث باعدت بيننا وبين ذلك الأمس البعيد الذى نردد اليوم ما قيل فيه . ولست أبعد فأعنى هنا الانقلابات الخطيرة التى استحدثها العقل الانسانى فى الميدان العلمى ، ولا أشير إلى الأحداث العالمية التى غيرت من الدنيا ـ ونحن فيها ـ ما غيرت ، وبدلت ما بدلت ، وانما أعنى أننا هنا فى حياتنا الخاصة ، وفى مجتمعنا الشرقى هذا ، تاريخنا الاجتماعى الطويل ، ما يدانيه سرعة ، وعنفا ، وعمقا أثر : ففى جيل واحد ، تخطينا الأسوار ووثبنا من خدور الحريم ، لا إلى الدنيا الطليقة فحسب ، بل إلى المدرسة ، فالجامعة ، ثم انطلقنا إلى شتى الميادين . وقد كانت حركة الخروج وحدها بحيث تستغرق نصف القرن الذى هو كل ما مر من عمر نهضتنا ، كما كانت حركة التعليم بحيث تحتاج إلى زمن جديد ، ومثلها حركة العمل خارج البيت .

ولم نجد فيمن احترفوا الدفاع عن حقوق المرأة ، من أهتم بدراسة هذا الانقلاب السريع العنيف ، وتسجيل خطواته ورصد آثاره القوية العميقة فى الأسرة والمجتمع ، كما لم يعن أدباؤنا بهذه « المرأة » التى طبعت الجيل بطابعها المتميز ، وتعرضت لهزات الانتقال ، فلم يرسموا صورتها وهى تواجه وتختبر ، وتتألم وتتحمل ، وتنتصر أو تستشهد .

ومن هنا كان الفراغ الذى شكوناه ونشكوه فى أدبنا المعاصر ، وكان الاضطراب الذى عانيناه ونعانيه فى سير الحركة النسوية .



٢٩

ولو قد درست هذه الحركة ، لسمعنا اليوم جديدا من الآراء والاتجاهات ، وقرأنا غير هذا الذى ظل يسمع ويقال طيلة نصف قرن ، وإنه لعبث أن يتحدث متحدث اليوم عن مزية الحرية ، ونور العلم ، أو يكتب كاتب فى ضعف الأنثى وعجزها ، إذ ما عاد أحد يمارى فى قيمة التعليم أو يشك فى جدوى نهضة المرأة ، ولو وجد من يرى الخير فى الأمية وينادى بعودتنا إلى الحريم ، لما اكترثت به الدنيا ، ولا وقفت الحياة لتصغى إلى ما يقول ، ولا دارت عجلة الأيام ورجعت القهقرى كى تردنا إلى الأسوار التى هدمها الزمن وأبلى أنقاضها أو تعيدنا إلى قيود الجهالة التى حطمها التطور وذرى حطامها فى الهواء !

فكرامتنا العقلية ، تلزمنا أن نقدر تلك الأحداث الكبار التى جدت فى حياتنا وفى حياة العالم حولنا ، فنديرالمعركة الجديدة على أساليب أخرى مستحدثة ، ونبحث فى مسألة هذه الحقوق السياسية بحثا جديا يتصل بحياتنا اليوم ، ويساير تطورها ، ويلبى حاجتها ، ويحقق غاياتها ، على هدى ما كشفت عنه التجربة فى الحركة النسوية من أخطاء دفعنا ثمنها غاليا .



٣٠ فتحى رضوان

بين بطلين

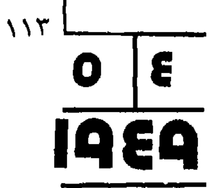
حينما طلب إلى أن أشارك فى تحية ذكرى وفاة قاسم أمين ، ولبيت الدعوة ونظرت فى تاريخه ، لم أحس أنى أسير فى أرض موحشة ، فقد كانت معالم الطريق له مألوفة ، وكان الجو داعيا إلى الايناس والطمأنينة .

فلقد كنت أرى وجه مصطفى كامل وأحس أنفاسه الحارة ، وألمس طابعه الناطق ، فى كل تقاطيع هذه الصفحة التاريخية التى يحتلها لنفسه قاسم أمين فى تاريخ مصر المعاصر .

الحق أن دعوة قاسم أمين ، لم تلق من الحزب الوطنى وصحفه الترحيب لا غضا من شأن المرأة ، ولا انصرافا عن حقها فى التربية والتعليم ، ولا ضيقا بالدعوة إلى فسح مكان لها فى الحياة القومية ، وإنما ذلك كله إشفاقا على الحركة الوطنية من أن تهب عليها مهاب الفتنة ، وأن تزيغ الأبصار ، بسبب هذه البحوث الفقهية فى تفسير آيات القرآن ونصوص الأحاديث ، أو أن يضل الناس فى خضم الآراء المتضاربة .

إن الحركة الوطنية تقوم أول ما تقوم على التكتل والتراص فى الصفوف ، فكل ما يوهن هذه الوحدة ، أو يفرق صفوفها ، لا تطيب له نفس الزعيم ، ويزوّر عنه دعاة الحركة الوطنية .

والغريب الذى يطالع الانسان ، أن أكثر من وجه شبه ، يجمع بين مصطفى كامل وقاسم أمين . فقد التقيا فى الحياة فى عهد واحد ، إذ ولدا فى آخر القرن التاسع عشر ، لا يفصل بينهما



إلا عشر سنين ، ثم التقيا في الموت ، إذ توفاهما الله الواحد في إثر الآخر في سنة ١٩٠٨ ، توفى مصطفى في ١٠ فبراير وتوفى الثاني في ٢٢ أبريل من العام نفسه .

وقد كان والد كل منهما رجلا من رجال الجيش ، ومع ذلك فقد لحق كلاهما بمدرسة الحقوق ، وقد حصل كلاهما على إجازة القانون من فرنسا ، حصل عليها (مصطفى) من تولوز وحصل عليها (قاسم) من مونبلييه . وقد اتصل كلاهما بالسيد عبد الله النديم ، أكبر خطباء الثورة العرابية ، وقد كان مصطفى صديقا للسيد عبد الله ، أما قاسم فقد كان صاحب الفضل في الافراج عنه ، والاختفاء به بعد القبض عليه ، حينما كان مستخفيا فارا من وجه الحكومة بعد انتهاء الثورة العرابية ، وتشتت أنصارها ونفى زعمائها . وقد كان حكمدار البوليس في مديرية الغربية ، يود أن يعامل السيد عبد الله معاملة المجرمين ، فأبى عليه قاسم بك أمين رئيس نيابة الغربية ، ورفض أن يودع في السجن ، وترك عمله في طنطا ، إلى القاهرة حيث عرض على رياض باشا رئيس الوزراء في ذلك العهد ، أن يفرج عن السيد عبد الله اكتفاء بالسنين الطويلة التى قضاها خائفا يترقب ، ينتظر في كل وقت أن يدهمه رجال الحكومة ويسوقوه إلى السجن . وقد نزل رئيس الحكومة على مطلب رئيس النيابة ، وأعيدت إلى السيد نديم حريته فانطلق من جديد إلى سابق كفاحه المجيد .

لقد كانت نفس قاسم أمين مطبوعة على حب الحرية ، وكان مناضلا ، ولذلك فاضت كتبه بالتحريض على مواجهة الظلم ومكافحته ومطاردة الاستبداد ومنازلته . وكان يرى أن الاستبداد بالمرأة هو ثمرة الاستبداد بالرجل ، وأن الأخوة التى يجب أن تقوم عليها الأسرة ، لم يبطش بها ، إلا الاستبداد الذى ساد المجتمعات الاسلامية والشرقية ، فأصبح شعار كل قوى ، أن يبحث له عن فريسة ، يلتهم حقوقها ، ويتلذذ بالاستيلاء عليها .

وكان كل مايتصل بالروح الوطنية ، يستثيره ، وينطبع في صفحة ذهنه الحساسة ، ففى فرنسا رأى عرضا عسكريا للجيش الفرنسى ، ورأى بين صفوف الجماهير التى اجتمعت على أفاريز الطريق طفلا في العاشرة من عمره فسجل في كلماته ماذا فعل هذا الغلام ، فقال

« لما مر أمامه حامل العلم ، وقف هذا الغلام باحترام ورفع قامته وحيا العلم وصار يتابعه بنظرة حتى غاب عنه » ، ثم قال :

« إن الوطن تجسم لهذا الطفل في هذا العلم الذى مر أمامه وأثار فيه جميع الإحساسات التى بعثها فيه ما تربى عليه من حبه حتى خاله رجلا كاملا » .

وعلى كثرة ما كتب الكاتبون ، ونظم الشعراء ، في يوم وفاة مصطفى كامل ، فإن كلمة واحدة خلدت على الزمن ، هى كلمة قاسم أمين ، وهو يصف انفعال الأمة لهذه الوفاة ، وهو





يستخرج من هذا الألم الشامل ، صورة المستقبل التى أطلت من فوق جموع المحزونين والباكين فقال :

«إن هذا الاحساس الجديد ، هذا المولود الحديث الذى خرج من أحشاء الأمة ، من دمها وأعصابها هو الأمل الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة ، هو الشعاع الذى يرسل حرارته إلى قلوبنا الجامدة الباردة ، هو المستقبل » .

ولما أخرج قاسم أمين كتابه عن (تحرير المرأة) فى سنة ١٨٩٨ كانت الفصول الأولى منه دليلا على أن مستقبل مصر بأسرها هوشغله الشاغل ، وأن صيحات مصطفى كامل القومية ، قد وجدت صداها فى نفسه ، وأنه يسير فى ضوء إيمانه الذى أخذت جذواته تتحرك وتتلهب على مر الأيام . والذى لا مرية فيه أن قاسم أمين كان مؤمنا أبلغ الايمان وأعمقه بدينه وبلاده ، وكان يرى أفدح ما ينكب به المرء أن يعيش بلا إيمان ، فقال :

« أتعس البرية إنسان ضاع إيمانه يدس الموت بسمه فى حياته فيفسد عليها لذتها وينغص عليه شهوتها » .

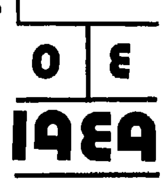
ولقد سبق مصطفى كامل الجميع إلى الدعوة إلى إنشاء جامعة أهلية ، فكتب فى ذلك فى سنة ١٩٠٤ ، وفى سنة ١٩٠٥ بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لتولى محمد على باشا عرش مصر فى مايو سنة ١٨٠٥ ، ولكن قاسم أمين كان أشد المصريين حماسة لهذا المشروع ، فكان سكرتير اللجنة التى قامت لتنفيذ المشروع ، وكان خطيبها ، وكان رأسها وقلبها .

لم يكن فى الوسع أن يغض مصطفى كامل أو الحزب الوطنى من جلال دور المرأة فى الحياة ، ولا فى خطر رسالتها العظيمة وهى التى تتلقى فلذات الأكباد ، عجائن رخصة لدنة لم تتشكل . وليس أدل على سلامة نظرة مصطفى إلى دور الأم ، ما اعتذر به يوما إلى السيدة جوليت آدم ، فقد شغلته عن الكتابة لها شواغل ، فأرسلت تقول له أنه لا ينهض عذرا له عن هذا التقصير إلا أن يكون قد مات . .

فقال لها : هناك عذر أعظم وأبلغ . هاك عذر لا تستطيعين أن ترفضيه يا أبر الأمهات . . لقد كانت أمى مريضة !

فانظر كيف أعتبر مصطفى وفاته هو ، ومرض أمه ، سيان ، يوضعان فى كفتى الميزان !





٣١ د. طه حسين بك

نجيب الريحانى

أقبل على مرتاعا لا يمسك قلبه من الوجل ، ملتاعا لا يملك نفسه من الجزع ، قد ألقى الفرق والحزن على وجهه غشاء قاتما كئيبا وحبس الروع واليأس صوته فما يكاد يخرج من فمه إلا متقطعا يتخلله سكوت مخيف . وعقد الهلع والقنوط لسانه فما يكاد ينطلق فى القول إلا قفزا كما يمشى المقيد فى الوحل على نحو ما قال مسلم بن الوليد ، لا يكاد ينظم الكلمتين أو الكلمات حتى يقطع هذا النظم صمت رهيب مهيب فيه كثير من الذعر وفيه كثير من الرهب والاشفاق .

فلما رأيته كذلك خفت عليه وخفت منه ، ورفقت به ما وسعنى الرفق به ، وبذلت ما أملك من الجهد حتى رددت إليه شيئا من الطمأنينة واستقرار النفس . ثم سألته مترفقا عن خطبه فأرسل زفرة وأمسك عبرة وقال فى صوته المتقطع الأجش : حلم روعنى منذ الليلة .

فلما أكد أسمع هذه الجملة حتى اندفعت فى ضحك متصل عريض أو اندفع إلى ضحك متصل عريض أخذنى من جميع أقطارى حتى استحييت منه .

ولكن صديقى يدفع صيحة ملؤها الغيظ ويضرب بيده على المائدة فى عنف ويقول : ليس الأمر عبث أطفال كما تظن .

فتحاملت على نفسى وملكت أمرى بعد جهد ثقيل عنيف وقلت فى أناة يغالبها الضحك : ماذا رأيت ؟





قال فى صوته المتقطع دائما ثب إلى نفسك واستمع لى مخلص القلب والنية والضمير فإنى رأيت فيما يرى النائم كأن صديقنا فلانا رحمه الله يزورنى ، وكأنى اسأله عن الموت ماهو وعما يجد الموتى حين يموتون ، وكأنه يجيبنى فى صوته ذاك العذب الذى تعرفه . إنما الموت ميلاد جديد ، وإنما يجد الموتى شعورا غريبا بأنهم يستأنفون حياة لم يحيوها من قبل . وأفيق من نومى مروعا موزع القلب مفرق النفس مضطرب الضمير فأنفق ما بقى من الليل يقظان لا أكاد أملك من أمرى شيئا . فماذا ترى ؟ ! وكيف تؤول هذه الرؤية ؟

قلت وأنا أدافع الضحك وأتكلف الهدوء : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .

هنالك أخرج رسالة حملها إليه البريد الطائر ودفعها إلى صاحبى وهو يقول : اقرأ عليك هذه الرسالة التى حملت إلى مع طعام الافطار فإن فيها تأويلا لهذا الحلم أى تأويل .

وهم صاحبى أن يقرأ ، ولكن صديقى المروع قال له فى صوت عنيف : على رسلك .

ثم اتجه إلى قائلا : أفقت مذعورا حين انقضى من الليل أكثره فى نحو الساعة الثالثة من صباح اليوم وقضيت آخر الليل وأول النهار مضطربا كما قلت لك ، ثم طلبت الافطار منتصف الساعة التاسعة فحمله الخادم إلى وحمل معه هذا الكتاب .

والتفت إلى صاحبى قائلا : تستطيع أن تقرأ .

ولم يكد صاحبى يقرأ حتى أنسيت صديقى الحى وصديقى ذاك الميت وما كان بينهما فى ذلك الحلم وشغلت وما زلت مشغولا بما جاء فى هذه الرسالة من أن نجيب الريحانى قد مات .

ليصدق القارىء هذه القصة أو ليشك فيها أو ليذهب فى فهمها وتأويلها المذاهب ، أما أنا فأصدقها تصديقا لا يعرض له الشك لأنى شهدتها ، وشاركت فيها وتأثرت بها وما زلت بها متأثرا وقد مضت أيام على وقوعها . وأغرب من هذه القصة أو أقل منها غرابة لا أدرى أنى كنت فى أمس ذلك اليوم أتحدث إلى بعض الكتاب الفرنسيين عن التمثيل فى مصر وأقول فيم كنت أقول أنى لا أحب من التمثيل العربى فى مصر إلا تمثيل نجيب الريحانى . وكنت أفصل لهؤلاء النفر من الكتاب خصائص الريحانى فى تصوره لفنه وإنشائه لقصصه مبتكرا حينا ومقتبسا حينا آخر ، وعرضه لهذه القصص على النظارة واستهوائه القلوب واستئثاره بالنفوس واختلابه للألباب وامتلاكه لقياد الجماهير ، حتى اشتاق هؤلاء الكتاب إلى أن يروا هذا الممثل العبقرى ، وإلى أن يشهدوا تمثيله ، وإلى أن يتحدثوا إليه حين يزورون مصر إن أتيحت لهم زيارة مصر .

وكنت أقول لهم فيم كنت أقول : إن الريحانى وفنه ومسرحه خير ما أحب أن أظهر للذين يزورون مصر من الأدباء الفرنسيين ، وأنى قد صحبت إلى مسرحه أندريه جيد حين زار مصر



٣١

منذ أعوام فاعجب به الاعجاب كله ، وطلب إلى أن أقدمه إلى الريحانى فسعيت به إلى مقصورة الريحانى وقدمته إليه ، وإنى قد صحبت فى الشتاء الماضى إلى مسرح الريحانى فيليب سوبيو وقدمته إليه كما قدمت إليه أندريه جيد ولكن فيليب سوبيو لم يكتف بشهود التمثيل ولا بلقاء الممثل العظيم وإنما طلب إليه صورته فأهداها إليه . وكنت أعد هؤلاء النفر من الكتاب بأنى سأصحبهم إلى مسرح الريحانى وسأقدمهم إليه ، وعسى أن أجمع بينه وبينهم حول قدح من الشاى .

كان هذا كله ذات مساء ثم أصبح من الغد فيزورنى صديقى ومعه حلمه الذى يضحكنى ورسالته التى تبكينى . وقد انصرف عنى صديقى ولم أؤول له حلمه لأن رسالته قد أولته أصدق تأويل وأبشع تأويل . انصرف عنى صديقى وغرق فى الحياة الباريسية راضيا عنها أو ساخطا عليها لا أدرى . وبقيت أنا أسمع الريحانى حين أخلو إلى نفسى أثناء النهار وألقى الريحانى حين يلقى على النوم رداءه الكثيف الصفيق . أسمع الريحانى فتضحك نفسى ويتصدع قلبى حزنا وجزعا . وألقى الريحانى فأثنى عليه وأسره حين أثنى عليه ويثنى على ويسرنى حين يثنى على ، ولكن حديثه العذب يوقظنى فينجاب السرور عن نفسى كما ينجاب النهار عن الكون ، ويتدافع الحزن إلى نفسى كما تتدافع ظلمات الليل على الكون ، وإذا أنا مؤرق الى آخر الليل وإذا قلبى يقطر حزنا وأسى كما تقطر الجراحة دما وصديدا .

لست أدرى أيحقق المصريون هذه الكارثة الفادحة المبهظة التى صبت عليهم ثقيلة بغيضة ملحة مضنية يوم اختطف من بينهم نجيب الريحانى . إن هذا الرجل ذا الخلق السمح والقلب النقى والنفس العذبة والضمير البرىء قد أضحك المصريين نحو ثلاثين عاما ، أضحكهم ضحكا نقيا سمحا بريئا من كل إثم مطهرا من كل دنس ، أضحكهم حتى أنساهم أنفسهم ساعات كثيرة من الليل أو ساعات كثيرة من النهار ، أضحكهم حين كانت حياتهم كلها حزنا وهما وألما وعناء فأنساهم هذا كله وأراحهم من هذا كله ساعات من ليل أو ساعات من نهار ، أضحكهم حين كانت الأزمات السياسية والاقتصادية تعصف بحياتهم العامة والخاصة فتنغص نهارهم وتؤرق ليلهم وتقض مضجاعهم وتنغص إليهم العيش . سلاهم الريحانى عن هذا كله وأعانهم على احتماله ، وهيأ لهم تجديد النشاط بعد أن كان الفتور يدركهم ويكاد ييؤسهم من كل شىء . أضحكهم الريحانى ثلاثين سنة أو نحو ثلاثين سنة فكان لهم صديقا وفيا يسلى الهم ويسرى الحزن ويفرج الكرب ويرد إلى الذين كرهوا الحياة حب الحياة .

فمهما يبك المصريون هذا الرجل العظيم ومهما يأسوا لفقده ويحزنوا لفراقه فلن يوفوه من حقه إلا أهونه وأيسره . إن هذا الرجل الذى مات ولم تتقدم به السن إنما أهدى صحته وراحته ودعته وعافية نفسه وجسمه إلى مواطنيه ، وأهدى إليهم هذا كله فى غير تكلف ولا تصنع ولا تكبر ولا من ، وإنما كان كالشمس يرسل فنه إرسالا فترضى النفوس وتطمئن القلوب وتسترد الضمائر

ثقتها بالحياة كما ترسل الشمس ضوءها وحرارتها فتملأ الأرض حياة ونشاطا وبهجة وجمالا .

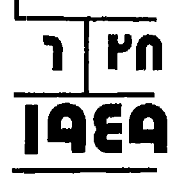
أرسل الريحانى نفسه على سجيتها فملأ مصر فرحا ومرحا وتسلية وتعزية . ولو قد فرغ الريحانى لنفسه وعكف على فنه واستأنى فى الانتاج لكان آية من آيات التمثيل ، لا أقول فى الشرق بل أقول فى العالم كله ، فقد كان الريحانى ممثلا عبقريا ما فى ذلك شك ولكنه منع الراحة وحرمت عليه الأناة وحيل بينه وبين التمهل . رأى الناس محزونين يلتمسون عنده العزاء والرضى والتخفف من أعباء الحياة حين يتقدم النهار وحين يقبل الليل فمنحهم ما كانوا يتلمسون منه فى غير بخل ولا تردد ولا تفكير فى العاقبة . وإنى لأذكر أنى ما لقيت الريحانى قط ولا شهدت تمثيله قط ولا سمعت أخبار مرضه قط إلا أشفقت عليه وذكرت قول الشاعر القديم :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

ولم يكن فى كف الريحانى غير نفسه ولم يتق الله سائلوه ، وإنما ألحوا عليه حين كان معافى فاستجاب لهم ومنحهم عافيته ، وألحوا عليه حين كان عليلا فاستجاب لهم واحتمل علته وحده حتى قضى ، فهو شهيد الفن وهو شهيد الاخلاص لمواطنيه ، له فى عنق كل مصرى محزون دين لأنه أتاح له أن ينسى حزنه وقتا ما .

ليت شعرى ماذا يفكر وزير الشئون الاجتماعية الآن ، وهو الذى كتب إلى الريحانى منذ شهور يلح عليه فى أن يترك راحته ويلقى عافيته وراء ظهره ويتحامل على مرضه ويمنح المصريين حاجتهم من فنه فاستجاب الرجل سعيدا محبورا . لن يستطيع وزير الشئون الاجتماعية أن يرد إليه الحياة ، فالله وحده هو الذى ينشر الموتى بعد أن يموتوا حين يريد أن ينشرهم . ولكن وزير الشئون الاجتماعية قد طلب إليه باسم الدولة أن يعمل ويهجر الراحة ويهمل العلة ويضحى بالعافية ، فعمل الرجل حتى قضى . ففى ذمة الدولة لهذا الرجل دين أيسره أن يظل اسمه خالدا يذكره الناس حين يصبحون وحين يمسون ، شارع من شوارع القاهرة يطلق عليه اسم الريحانى لن يكون كثيرا ، لن يغنى عن الريحانى شيئا ولكنه سيذكر الناس بالذى مرض ليصحوا وشقى ليسعدوا ومات ليعيشوا . وتمثال يقام للريحانى فى مكان ما بالقاهرة ليس كثيرا على الريحانى ، لن يغنى عنه شيئا ، ولكنه سيدل على أن المصريين يحسنون الوفاء لمن وفى لهم ، وشكر الله لجلالة الملك فضله على الريحانى وأسرته وذكره ، فهو قد تفضل فعطف على الأسرة وعلى الفن فأشعر الذين يشقون ليسعد مواطنوهم أنهم على ذكر من جلالته وبأن لهم حظا من عطفه السامى ورعايته الكريمة ، وهو قد تفضل فأمر وزارة المعارف بأن تسجل اسم الريحانى بين أسماء الذين أحسنوا إلى الفن .

فليشكر الله لجلالته هذا الفضل العظيم وليتيح لوزراء جلالته أن يفهموا هذه اللفتة الملكية على وجهها وأن يؤدوا لفقيد الفن وللفن حقهما . وليلهم الله المصريين جميعا ما هم فى حاجة إليه





من الصبر والعزاء ، وما أرى أنهم سيجدون إلى الصبر والعزاء ، سبيلا . أما أنا فحسبى أن أردد حين أذكر الريحانى مصبحا وممسيا قول الشاعر العربى .

إنا إلى الله راجعون لقد ... أصبح حزنى عليك ألوانا
حزن اشتياق وحزن مرزئة ... إذا انقضى عاد كالذى كانا



٣٢

د . راشـــــد البـــراوى

والآن فلنذكر فى صراحة :
لماذا عجزنا ..
عن مكافحة الغلاء ؟ !

فى أول سبتمبر من عام ١٩٣٩ ، نشبت الحرب العالمية الثانية ، وأخذت آثارها تنعكس على مستويات الأسعار وتكاليف المعيشة ، وبخاصة بالنسبة إلى الأغلبية الساحقة من ذوى الموارد المحدودة الهزيلة . وما من صحيفة ، منذ ذلك التاريخ ، إلا وتفيض انهارها بأنباء الغلاء الآخذ بالخناق ، وبشتى التصريحات من المسئولين عما اتخذوه من إجراءات وما يعتز ،ن تنفيذه من تدابير للتخفيف من وطأة هذا العبء الفادح . وماذا كانت النتيجة ؟

ما زالت نفقات المعيشة باهظة ، وأثمان السلع والحاجيات عالية بل وآخذة فى الارتفاع ، وذلك بالرغم من انتهاء الحرب منذ سنوات خمس . فهل مشكلة الغلاء فى مصر أصعب حلا من تحطيم الذرة وصناعة القنبلة الأيدروجينية ؟ وهل من المعقول أن ضروريات الحياة ، كالغذاء ، أرخص فى انجلترا الصناعية منها فى مصر الزراعية ؟ وهل عقمت العقول المصرية المتخصصة فى المسائل الاقتصادية والفنية عن تدبير الحلول السليمة ؟ الجواب قطعا بالنفى ، ولكن إخفاقنا راجع إلى اننا لم نحاول ـ ولا نريد أن نحاول ـ أن نواجه المشكلة من أساسها ، وأن ننظر إليها على أنها كل واحد تتداخل أجزاؤه وعناصره ، ويؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به . إن الوسائل التى عمدنا إليها أشبه بمن يسعى إلى دخول البيت من الباب الخلفى ، أو من النافذة أو من إحدى الثغرات ، أو كالذى يشيد جدارا ويريد أن يدخل فى الروع أنه بناء كامل ! .

وإنى هنا لا أتحدث عن أثمان الكماليات وسلع الترف من السيارات والملابس الحريرية وأنواع الفاكهة الممتازة ، وغير ذلك مما لا يكاد يحصل عليه قرابة عشرين مليونا يعيشون فى هذا البلد . ولكنى أتكلم عن الأوليات أو الضروريات التى لا تقوم الحياة بدونها ، وأقصد الغذاء العادى والملبس العادى والمسكن العادى ، ووسائل النقل بالمدن الكبيرة وفى داخل المملكة .

ولقد نادينا ، ونادى غيرنا ، بأن من الواجب خفض الايجارات الزراعية ، وهو أمر دعا إليه الكتاب الأجانب أنفسهم ومن عرضوا لشؤون هذا البلد ، فارتفعت الأصوات معارضة ، بصورة مباشرة وغير مباشرة ، ورمتنا تلك الأصوات بأننا نتقدم باقتراحات غير عملية . ونحن نعترف فعلا بأنها « غير عملية » من وجهة نظر الذين من صالحهم بقاء الأوضاع الحالية الشاذة ، ولكنها « عملية تماما » بالنسبة إلى النفع الذى يعود من ورائها على المجموع . وقيل فى معرض الرد : إن الملاك سيعمدون إلى حيلهم لتفويت الغاية من التشريع ، كما حدث ويحدث فى حالة المبانى ، ولكنا نسأل المعترضين عن النسبة المئوية للتحايل المشار إليه فى حالة أصحاب المساكن ، ونسألهم عما كانت تؤول إليه الحال لو لم تحدد الحكومة إيجارات المساكن . إن وقوع الجرائم لا يحول بطبيعة الحال دون إصدار القوانين التى تنظم الحياة المدنية .

وقيل كذلك إن المالك لابد وأن يخرج المستأجر ، وهنا تصبح الأرض سلعة فى السوق السوداء ، ولكنا ، إذ ندعو إلى خفض الايجارات وتحديدها بما يتفق مع مصالح الجميع ، نريد كذلك إتخاذ النصوص القانونية التى تحول دون هذه الظاهرة ، وليس هذا بعسير على رجال القانون والاقتصاد . أما أن الملاك سيلجأون إلى زراعة الأرض بأنفسهم فأمر نؤكد أنه لن يحدث ، كما اننا نطالب الحكومة بتأليف لجان تتولى شراء المحاصيل بثمن معتدل تحدده ويراعى فيه ربح معقول للمنتج ومع وضع مصلحة المستهلك موضع الاعتبار . ولقد أشارت اللجنة المالية بمجلس النواب فى العام الماضى إلى شدة الحاجة إلى إنشاء لجنة من هذا القبيل . ولقد قص على زميل أنه كلف منذ أشهر قلائل باعداد مذكرة عن الغلاء فاقترح وسائل متنوعة ، وسأله الوزير المختص عما إذا كان سعر القطن سينخفض تبعا لذلك ، فلما كانت الاجابة بالايجاب قال معاليه أن الاقتراح غير عملى ! .

فالعلة إذن أن هناك مصالح زراعية تستفيد كثيرا من ارتفاع أسعار الغلات الزراعية ، ومع ذلك فتشريع الضرائب فى مصر يحابيهم إلى أبعد حد ، فلا يقتضى شيئا عن الاستغلال الزراعى ، إذ الزراعة حرفة مثل غيرها . ولما طولبت الحكومة بفتح أبواب البلاد أمام أنواع من الفاكهة الرخيصة ، علت الصيحات معارضة بحجة حماية الانتاج القومى الذى لا يستفيد منه المواطنون العاديون البسطاء .

وننتقل بعد ذلك إلى الملابس الشعبية التى كان ينبغى أن تكون أثمانها فى حدود المقدرة الشرائية للأغلبية . وقد سمعنا تعليلا للارتفاع أن الانتاج غير كاف فصدق الناس الزعم ، وإذا

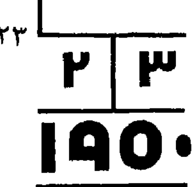


بأربابه يتهمون أنفسهم بأنفسهم حين يطالبون الحكومة بحماية إنتاجهم من المنافسة الأجنبية ، وبتيسير التصدير إلى البلاد المجاورة . هنا اعتراف بأن الانتاج يفيض على حاجة السوق المحلية ، وليس مصدر هذا الفائض إشباع الحاجيات المحلية ، ولكن سببه عجز المقدرة الشرائية لدى سواد الناس ، وإذن فليصدر الفائض ليعود على أربابه بالفائدة الكبرى . ومن الذى يدفع ثمن الحماية أو الاعانة ؟ إنه دافع الضرائب والمستهلك . افتحوا أبواب البلاد أمام القماش الرخيص ، وعلى الصناعة المصرية أن تنظم أمورها بحيث تصمد للمنافسة ، وكفاها الأرباح الاستثنائية التى تجاوزت عنها الدولة حتى الآن ، وعليها أن تقلل من نفقاتها غير الانتاجية من مكافآت عالية ورواتب بالغة القدر تدفع لفريق يوصف فى علم الاقتصاد بأنه ممن يسهل المسائل والصلات . لو خفضت هذه المصروفات واتبعت أساليب الدقة لهبطت تكاليف الانتاج ، وبالتالى أثمان السلع . وطالبنا باستيراد الأقطان الرخيصة فارتفعت أصوات الاحتجاج من جانب الزراع ، وقام بعض الفنيين الزراعيين يبدون المخاوف كأنما العلم مقصور على ابتداع أساليب الوقاية . هذه الألياف الرخيصة تقلل مثلا من تكاليف انتاج الأقمشة العادية ، كما ينزل معها سعر القطن المصرى إلى مستوى مناسب ولكنا لم نرد الأخذ بحلول تتعارض مع بعض المصالح الصناعية الكبيرة والزراعية أيضا .

وحددت الحكومة ايجارات المساكن فى مستهل فترة الحرب ثم أخذت حركة البناء تنشط منذ سنوات ، وهنا كان واجبا على الدولة أن تتدخل . كان عليها أن تعنى سياستها التجارية مع الخارج وفى استقصاء أرصدتها ، وفى إنفاق ما لديها من العملات الصعبة ، بتوفير مواد البناء بصورة واضحة ملموسة ، وأن تخفض ما على هذه المواد من رسوم جمركية أو تلغى البعض الآخر ولو بصفة غير دائمة ، وكذلك كان لزاما عليها تحديد إيجارات المساكن الجديدة . إن أصحاب هذه الأخيرة يذرون الرماد فى الأعين حين يعلنون أن تلك المبانى غير مجزية ، إذ لو كان الأمر كذلك لاتجهوا بأموالهم صوب نواح أخرى من الاستثمار أكثر جزاء . وكنا ننتظر من الحكومات المتعاقبة أن تقيم بنفسها أو بالتعاون مع الغير عددا كافيا من المساكن المعتدلة الأجر ، فلم تفعل ، وذلك فى الوقت الذى تمكنت فيه حكومة العمال البريطانية من إقامة مئات الألوف من البيوت البريطانية الجديدة إلى جانب عمليات الترميم والتجديد الواسعة النطاق .

ومن العجيب أن تنتهى ظروف الحرب والمواصلات بالمدن على هذا النحو من التعقيد ، كما لا تزال الزيادة فى الأجور قائمة . وتبرر الشركات مطالبها فى استبقاء الزيادة بأنها فى مركز مالى حرج ، وليتها تطلع الرأى العام على حقيقة رؤوس أموالها الأصلية واحتياطياتها وأرباحها ونفقاتها الادارية . وإذا كانت شركات النقل تشكو على هذا النحو ، فلتتقدم الدولة لتحل محلها على شريطة أن تهبط بالأجور إلى مستوى مناسب ما دامت ستستبعد عنصر الربح الذاتى .

هذه لمحة أردنا من ورائها أن نوضح أن عجزنا عن مكافحة الغلاء راجع إلى أننا ندلل



بعض المصالح الاقتصادية أو نسمح لها بأن تتقدم بأعذار لا نناقشها كما ينبغي . إن هذه المصالح تفيد البلاد من حيث تنمية الموارد وتحقيق التقدم ، ولكنا نطالب بسياسة تقوم على التوفيق بين هذه المصالح ومصالح الجماعة أو مطالبها العادية . أما ما عدا ذلك من تسعير ومراقبة وزيادات مفاجئة وعقوبات تافهة أوردها القانون ، وتصريحات واجتماعات وما إلى ذلك ، فجهود ضائعة وهروب من الواقع . هذه كلمة نلفت بها النظر ، والناس يحدوهم الأمل والثقة في أن حكومتهم ستواجه المسألة في شجاعة وصراحة ، وتعالج المشكلة من نواحيها الرئيسية .



٣٣

د . محمـــود عزمـــى

حقــوق المـرأة السيـاسيـة وإقـــرار .. إتفاقيـــة دوليـــة لهــا

فى أنباء اليومين الأخيرين أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد صادقت فى هيئتها الكاملة ، بكثرة لسبعة وأربعين صوتا وامتناع أحد عشر دون معارضة أى صوت ، على مشروع اتفاقية دولية لحقوق المرأة السياسية ، مع عرضها على الدول الأعضاء لتوقيعها وابرامها والالتزام بما ورد فيها من أحكام .

ولقد كانت مصر بين الأحدى عشرة دولة الممتنعة عن التصويت ، وكانت فى امتناعها مستندة إلى تدليل انفردت به ، إذ قصد وفدها لعدم العرض لموضوع الاتفاقية وموضوع حقوق المرأة السياسية بالذات مؤثرا الالتجاء إلى دفع فرعى ـ على حد تعبير المحامين ـ متصل بالاختصاص والتأجيل .

ذلك بأن « لجنة أحوال المرأة » وهى احدى اللجان المتفرعة من المجلس الاقتصادى والاجتماعى كلجنة حقوق الانسان ـ كانت قد انتهت من اعداد مشروع إتفاقية دولية خاصة بحقوق المرأة السياسية ورفعتها إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى قصد إقراره إياها فى دورته الأخيرة وابلاغها إلى الجمعية العامة لتصدر قرارها بعرض تلك الاتفاقية على الدول الأعضاء بالأمم المتحدة لتوقيعها وإتخاذ إجراءات إبرامها .

وتضمنت الاتفاقية نصوصا تقضى بمساواة المرأة بالرجل فى حق الانتخاب للهيئات النيابية





وفى تولى الوظائف العامة ، وفى الترشيح لعضوية هذه الهيئات النيابية ، كما تقضى بتطبيق تلك الأحكام على جميع البلاد سواء منها المستقلة أو غير المستقلة ، مستعمرات أو أقاليم غير متمتعة بالحكم الذاتى أو خاضعة للوصاية .

وكانت دورة المجلس الاقتصادى والاجتماعى الأخيرة التى عرض فيها تقرير لجنة أحوال المرأة متضمنا مشروع تلك الاتفاقية هى الدورة الأولى التى تساهم فيها مصر فى أعمال ذلك المجلس لأنها لم تحظ بعضويته الا ابتداء من هذا العام . وكان انعقاد تلك الدورة فى شهر مايو الماضى ، إذ كانت تتجاذب مصر بالنسبة لحقوق المرأة السياسية ، تيارات ينادى بعضها بضرورة منح المرأة حق الانتخاب وسائر الحقوق السياسية ، وينادى بعضها الثانى بمقاومة الحركة الداعية إلى هذه الحقوق ، وينادى بعضها الثالث بضرورة النزول عند رأى علماء الاسلام ما دام الدستور ـ دستور ذلك الأوان ـ ينص على أن دين الدولة هو الاسلام ، بينما كانت هيئات اسلامية فى مصر تعلن أن منح النساء الحقوق السياسية مناف لتعاليم الاسلام ، وهيئات اسلامية فى الباكستان تعلن على العكس أن تعاليم الاسلام تنطوى على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، وكانت الصحف المصرية تنشر أن قانون الانتخاب الجديد سيمنح المرأة ـ ولو المتعلمة على الأقل ـ حق المشاركة فى الانتخابات العامة .

إزاء ذلك الاضطراب فى وجهات النظر ، حار مندوب مصر لدى مجلس الأمن فى أمره فراح يتلمس مخرجا لا يصدم واحدة من تلك الوجهات، إن لم ينجح فى التوفيق بينها ، فلجأ إلى إشكال من اشكالات المحامين وتقدم بدفع فرعى مطالبا بتأجيل النظر فى مشروع الاتفاقية إلى أن تنتهى لجنة حقوق الانسان من صياغة ميثاقين لحقوق الانسان ، أحدهما للحقوق السياسية ، وثانيهما للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهما لن تتم صياغتهما قبل عام . ودلل على صحة دفعه بأن ميثاق الحقوق السياسية انما يشمل حقوق « الانسان » بنوعيه فلا محل للانفراد فى اتفاقية بحقوق المرأة ، وهى أحد هذين النوعين ، بل يجب الانتظار حتى تقرر حقوق الانسان « للرجل والمرأة » معا . وراح يبرىء مصر من تهمة معارضتها مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، فأعلن أن باب الوظائف العامة مفتوح أمام المرأة والرجل على السواء ، وأن مصريات عديدات يشغلن بالفعل مناصب الدولة كما يعملن فى المهن الحرة محاميات وطبيبات على قدم المساواة مع الرجل ، كما أن الاتجاه على حد ما كانت تذيعه صحف تلك الأيام انما هو إلى تضمين قانون الانتخاب الجديد نصوصا تسوى بين الرجل والمرأة المتعلمة عل الأقل ، وأن الآمال معقودة على الوقت الذى سيمضى بعد إقرار الاتفاقية والتوقيع عليها وإبرامها ـ وهو لا شك طويل ـ كى يوجه النزعة إلى منح المرأة حق الترشيح للهيئات النيابية .

لكن راحت جهود مندوب مصر كلها هباء ، إذ لم يصوت أى عضو من أعضاء المجلسين الاقتصادى والاجتماعى الثمانية عشر ضد مشروع الاتفاقية ، إذ أيده ستة عشر من هؤلاء





الثمانية عشر ، وامتنع الاثنان الباقيان وحدهما عن التصويت : مندوب مصر لاستمساكه بدفعه الفرعى ، ومندوب بريتانيا لعدم استطاعته تطبيق أحكام الاتفاقية على المستعمرات والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى .

وجاءت الدورة الحالية للجمعية العامة للأمم المتحدة وتضمن جدول أعمالها بندا خاصا بقرار المجلس الاقتصادى والاجتماعى عن مشروع الاتفاقية الدولية لحقوق المرأة السياسية ، فكان هذا البند من نصيب اللجنة « الاجتماعية والثقافية والانسانية » التى يمثل مصر فيها مندوبها لدى المجلس الاقتصادى والاجتماعى الذى كان من أمر موقفه أمامه ما كان . فراح يستقرىء ، وراح يتلمس ، وراح يجتهد . فلقى بعض تشجيعات على تأييد مشروع الاتفاقية خلال بعض التصريحات ، ولقى بعض المعارضات خلال بعض تصريحات أخرى ، وحسب قبول اخطارات الأحزاب النسائية نوعا من تلك التشجيعات . لكنه ألفى بعض المظاهر الأخرى نوعا من تلك المعارضات ، فآثر أن يكون الموقف من الجمعية العامة هو ذات الموقف السابق من المجلس الاقتصادى والاجتماعى . الدفع الفرعى بتأجيل النظر حتى تنتهى لجنة حقوق الانسان من صياغة « ميثاقى حقوق الانسان » .

ومنذ أيام جاء دور البند السادس من بنود جدول أعمال اللجنة الاجتماعية والثقافية والانسانية ، وهو الخاص بمشروع الاتفاقية الدولية لحقوق المرأة السياسية ، فأدلى النائب عن ممثل مصر لديها ـ وكان الممثل قد غادر نيويورك عائدا إلى مصر وكان النائب هو الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى ـ ببيان ضاف متين حبكه فى إطار الدفع الفرعى بالتأجيل ، ودعمه باجتهادات طريفة مليحة ، وأيده بمعلومات قيمة عن التقدم النسوى فى ميادين التحصيل الجامعى والنشاط الحكومى والمهنى ، وتوج بيانه برأى ثاقب للوزير الباقورى وتصريح خطير للرئيس اللواء يبددان ما قد يعلق بأذهان بعض الغربيين غير العارفين من أوهام متصلة باتجاهات الشرق وتعاليم الاسلام .

لكن مصير تدخل النائب لدى اللجنة الاجتماعية والثقافية والانسانية كان هو نفس مصير تدخل الممثل لدى المجلس الاقتصادى والاجتماعى ، وكذلك كان المصير لدى الجمعية العامة بكامل هيئتها ، إذ لم يرتفع واحد من الستين صوتا للستين عضوا من أعضاء الأمم المتحدة بمعارضة مشروع الاتفاقية ، وإذ ارتفع بتأييده تسعة وأربعون من هذه الأصوات ، وامتنعت إحدى عشرة دولة فقط عن التصويت ، وبينها مصر بطبيعة الحال .

والحق أن موقف مصر من تلك الاتفاقية المقررة لحقوق المرأة السياسية قد اكتنفه شىء غير قليل من الحرج ، فقد كان بين أعضاء اللجنة الاجتماعية والثقافية والانسانية عشر سيدات يمثلن دولهن ، وكن جميعا متحمسات لحقوق المرأة السياسية ، وكانت بينهن السيدة المحترمة « بيجوم لياقت على خان » ممثلة للباكستان ، وقد انبرت تقدم الاسلام لأعضاء اللجنة على أنه



دين الحرية والاخاء والمساواة ، وتفيض فى ذكر تعاليم الاسلام على أنها سبقت من قرون تشريعات العالم كله فى مضمار حرية المرأة فى تصرفاتها واستقلالها بإدارة أموالها ومساواتها بين الرجل والمرأة فى ميادين الشىء العام .

وكذلك كانت اللجنة قد اعتادت دائما ألا يقف ممثلو مصر لديها غير مواقف الادلاء بالآراء الصريحة ومواقف القيادة إلى حيث الاتجاهات الواضحة ، فكان الامتناع عن التصويت فى مثل هذا الموضوع الحيوى نشازا غير مألوف .

على أن نوعا من التسلية يهدىء بلا شك من روع من اكتنفهم الحرج من جراء ذلك الموقف ، وهو المنبعث عن حادث إلغاء الدستور القديم وإعداد دستور جديد نرجو أن تتهيأ فيه المناسبة لجلاء الغامض والاتجاه الواضح من موقف المصرية من شئون مصر العامة .



٣٤ الدكتور السيد صبرى

لماذا نفضل الجمهورية ؟

فى الأسبوع الماضى أذاع الرئيس على ماهر الرأى الذى انتهت إليه لجنة الخمسة بإجماع الآراء بصدد نظام الحكم فى مصر وهو رأى ذو شقين :

الأول : الأخذ بالنظام الجمهورى بدلا من النظام الملكى .

الثانى : الأخذ بالجمهورية البرلمانية واستبعاد الجمهورية الرياسية .

ومع أن الرأى العام سيعلم الأسباب التى دعت اللجنة إلى إتخاذ هذا القرار عندما تضع تقريرها آخر هذا الأسبوع ، فانى أفضل أن أوضح الأسباب التى دعتنى شخصيا إلى تأييد هذا القرار :

١ ـ نشأة الملكية تتعارض مع المبدأ الديمقراطى :

وأول ما يسترعى الباحث هو قيام الملكية تاريخيا على نظرية التفويض الالهى ، التى سبق أن شرحناها بما فيه الكفاية فى أبحاث ثلاثة نشرتها الأهرام فى شهر أكتوبر الماضى تحت عنوان « عدم مسئولية الملوك » . والتى تتلخص فى أن الملك يستمد سلطته من الله بينما الديمقراطية تقوم على أساس أن السلطة مصدرها الشعب . وطبيعى أن يكون سلطان الملك مطلقا فى هذا النظام ، ولذلك سميت الملكية فى عهودها الأولى « بالملكية المطلقة » ؛ فلا الشعب ولا ممثلوه لهم الحق فى تقييد سلطان الملك .





على أن انتشار الأفكار الديمقراطية التى تقرر أن الشعب هو مصدر السلطات ، أدى إلى التصادم بين الملك والشعب وانهى الأمر بأحد أمرين :

الأول : إما قبول الملك تحت ضغط الحوادث المتكررة والمبادىء الديمقراطية ، فتحولت تدريجيا الملكية المطلقة إلى ملكية دستورية ، الملك فيها « يملك ولا يحكم » .

الثانى : مقاومة الملك لتيار الديمقراطية ورفضه النزول عن سلطاته ، فاجترف التيار عرشه وتحولت الدولة من ملكية إلى جمهورية .

وواضح من ذلك أن المبدأ الذى قامت عليه الملكية تاريخيا يتعارض أصلا مع المبدأ الديمقراطى من حيث مصدر السلطات ، فالأول مصدره التفويض الالهى بينما الثانى مصدره إرادة الشعب .

٢ ـ استبعاد الملكيات غير الدستورية :

ونحن فى هذا البحث نقارن بين الملكية الدستورية التى تقبلت الأفكار الديمقراطية وبين الجمهورية ، مستبعدين النظام الملكى غير الدستورى سواء فى ذلك الملكية الاستبدادية أو الملكية المطلقة .

٣ ـ الفرق بين الملكية الدستورية والجمهورية :

والفرق المتفق عليه فقها بين الملكية الدستورية والجمهورية هو أن رئيس الدولة فى الملكية الدستورية يتولى منصبه عن طريق الوراثة ، بينما رئيس الدولة فى الجمهورية يتولى منصبه عن طريق الانتخاب .

٤ ـ الملكية الدستورية :

والملكية الدستورية هى التى تمخضت عن النظام البرلمانى نتيجة لتطور النظام الانجليزى ، حيث حلت هذه الملكية الدستورية محل الملكية المطلقة التى سادت انجلترا فى العصور السابقة .

وقد أسفر هذا التطور عن تحول مزدوج فى سلطات الملك المطلق :

- فمن ناحية أولى استحوذ البرلمان على سلطات الملك التشريعية .
- ومن ناحية ثانية استحوذ الوزراء على سلطات الملك التنفيذية .

وهكذا أصبح الملك فى انجلترا « يملك ولا يحكم » .

وكان طبيعيا أن يسفر تطور نظام الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية عن النظام البرلمانى ، حيث تبدو الوزارة هى صاحبة اختصاصات الملك التنفيذية مسئولة عن أعمالها أمام



البرلمان . وقد قبل ملوك انجلترا هذا التطور تحت ضغط تيار الديمقراطية الذى اقتلع عروشا كثيرة من ملوك أوروبا الذين حاولوا مقاومة هذا التيار .

٥ ـ الملكية الدستورية فى صورتها الصحيحة :

ومن المتفق عليه فقها أن الملكية الدستورية فى صورتها الصحيحة تتمثل فى النظام الانجليزى ، ومن ثم يجب استبعاد جميع صور الملكيات الدستورية الأخرى كالنظام البلجيكى مثلا حيث أن تطورها لم يتم بعد ، ولكن إذا ما تم هذا التطور فإنها تسفر عن نظام برلمانى فى صورة مماثلة لصورة النظام الانجليزى .

٦ ـ مزايا النظام الملكى الدستورى :

وبالرغم من أن النظام الملكى آخذ فى الزوال نتيجة لانتشار الديمقراطية فإن أنصاره يرون له مزايا ، أهمها .

أولا : أن رياسة الدولة تنتقل فى الملكية الدستورية بالوراثة من ملك إلى ملك . ولا شك أن ذلك يقضى على التطاحن الذى يعرض البلاد للاضطرابات نتيجة التنافس للوصول إلى هذا المنصب السامى .

ثانيا : لما كان الملك يتولى رياسة الدولة بالوراثة فهو لا يدين بمركزه إلى أى حزب من الأحزاب ، وذلك يمكنه من القيام بخدمات جليلة بما يسديه من نصح وإرشاد وآراء بعيدة عن الاتجاهات الحزبية .

ثالثا : إن شخصية الملك كثيرا ما تساعد على توطيد العلاقات الخارجية لما للملك من مركز خاص وروابط صداقة وقرابة مع غيره من ملوك الدول الأخرى . والتاريخ الانجليزى يقيم الدليل على ذلك : مثال ذلك ادوارد السابع الذى تولى عرش انجلترا فى وقت كانت علاقاتها بالدول الأخرى متوترة ، فتمكن بزياراته الشخصية لرؤساء الدول الأخرى من إعادة حسن التفاهم بين دولهم ودولته . ولعل هذه الميزة لم تعد لها أهمية اليوم لانهيار أغلب الملكيات فى الدول الأوروبية بعد الحربين العالميتين الأخيرتين .

٧ ـ عيوب النظام الملكى الدستورى :

ولكن بجانب هذه المزايا ينطوى النظام الملكى الدستورى على عدة عيوب أهمها :

أولا : يرى كثير من رجال الفقه أنه لا يمكن التوفيق بين المبدأ الديمقراطى والملكية الدستورية ، ففى الملكية الدستورية يعتبر الملك ممثلا للشعب مع أنه لم ينتخب عن طريق الشعب ، ومن المسلم به أن التمثيل أو النيابة لا يكون طبقا للمبدأ الديمقراطى إلا عن طريق الانتخاب ولمدة محدودة .



ثانيا : إن فكرة الوراثة تتعارض مع طبيعة النظام الديمقراطى ، فلو سلمنا بأن الملك الأول ارتضاه الشعب فكيف نبرر تولى خلفائه العرش دون موافقة الشعب الصريحة .

ثالثا : إن الوراثة كثيرا ما تضع على العرش ملوكا تنقصهم الصفات الأساسية للحكم . وقد قضى نظام الوراثة هذا بأن تحكم فرنسا لعدة قرون بملوك صغار السن أو تحت الوصاية .

رابعا . إن الملكية الوراثية كثيرا ما تضع على العرش ملوكا يجعلون همهم استرداد بعض امتيازات أسرهم القديمة ، تلك الامتيازات التى قضت عليها الديمقراطية .

خامسا : إن الملك غير مسئول سياسيا وجنائيا ، وهذا يتعارض مع النظام الديمقراطى الذى يقرر مسئولية جميع من يتولى شئون الحكم .

سادسا : إن الملك لا يجوز عزله إلا عن طريق الثورة إذا انتهج سياسة لا تتفق والأوضاع الدستورية ، أو كانت متعارضة مع اتجاهات الرأى العام .

ثانيا : مزايا الجمهورية وعيوبها

١ ـ مزايا الجمهورية :

أما الجمهورية فأهم مزاياها :

أولا : إنها تضع على رأس الدولة شخصا ينتخبه الشعب أو ممثلو الشعب ، وهذا يتفق والمبدأ الديمقراطى الذى يقضى بأن يختار الشعب جميع ممثليه وحكامه .

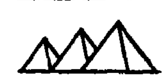
ثانيا : إن رئيس الدولة فى هذا النظام ينتخب لمدة معينة ، وهذا أيضا من مستلزمات النظام الديمقراطى ؛ إذ تحديد المدة تمكن الشعب من مراقبة تصرفات هذا الرئيس من جهة ، كما تجعله متحرزا فى جميع تصرفاته .

ثالثا : إن رئيس الدولة فى هذا النظام وإن كان ـ كالملك ـ غير مسئول ، إلا أن مبدأ عدم مسئوليته هذا محصور فى أضيق الحدود ولا يتعدى المسئولية السياسية وبشرط أن لا يتخطى حدوده الدستورية .

رابعا : إن من الميسور خلع رئيس الدولة فى هذا النظام سواء بالنص على طريقة ذلك فى الدستور أو عن طريق عدم التعاون معه ، كما حدث مع الجنرال مكماهون والمسيو مللران فى فرنسا .

٢ ـ عيوب النظام الجمهورى :

وإلى جانب هذه المزايا يعاب على النظام الجمهورى :





أولا : إن التطاحن فى سبيل الوصول إلى منصب رياسة الدولة كثيرا ما يؤدى إلى الثورات والانقلابات . والتاريخ الدستورى ملىء بالأمثلة على ذلك ولا سيما فى دول أمريكا الجنوبية .

ثانيا : إن انتخاب رئيس الدولة بواسطة الشعب مباشرة مع الأخذ بنظام فصل السلطات التام ـ كما هو الحال فى الولايات المتحدة ـ يعطى رئيس الدولة سلطة كبيرة كثيرا ما تعرقل عمل البرلمان وتؤدى إلى تصادم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية .

ثالثا : أما إذا عدلنا عن انتخاب رئيس الدولة بواسطة الشعب وأخذنا بنظام البرلمان بدلا من نظام فصل السلطات التام ، وجعلنا انتخاب الرئيس عن طريق البرلمان ، فإنه يغدو خاضعا للأحزاب التى تنتخبه ولا يستطيع أن يقوم بمهام وظيفته بالحياد المطلوب دون نظر إلى الاعتبارات الحزبية .

٣ ـ تفضيل النظام الجمهورى بصفة عامة ·

وواضح من مقارنة الملكية الدستورية بالجمهورية أن مزايا النظام الجمهورى يفوق مزايا الملكية الدستورية ، وأن عيوب الجمهورية تقل كثيرا عن عيوب الملكية الدستورية ، ولا سيما أن انتشار المبادىء الديمقراطية يؤدى كل يوم إلى انهيار العروش واقامة النظام الجمهورى بدلا من النظام الملكى .

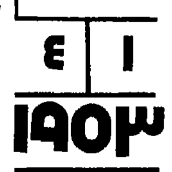
٤ ـ اعتبارات محلية خاصة ·

وبجانب مزايا النظام الجمهورى العام سالفة الشرح ، يجب الا ننسى الاعتبارات المحلية الخاصة التى تجعلنا نفضل النظام الجمهورى .

إن استعراض تاريخ الملكية فى الشرق عامة وفى مصر خاصة يثبت بأدلة لا تقبل الجدل أنها كانت سببا من أسباب تأخر البلاد من الوصول إلى التمتع باستقلالها التام من ناحية ، كما كانت سببا من أسباب تأخر تقدمها فى الداخل وانتشار الفساد فى مرافقها .

(أ) أما عن تأخر حصول البلاد على استقلالها ، فلا جدال أن الملوك كانت تضعف أمام كل تهديد من الدولة المحتلة ، وبدافع من حرص الملك على تاجه يعمل على محاربة كل متشدد فى حقوق بلاده . ومن المسلم به أن انجلترا قد استخدمت نفوذ ملوك مصر فى إضعاف الحركة الوطنية ونجحت فى عرقلتها فعلا إلى حد كبير ، هذا إلى جانب أننا لم ننس بعد أن الاحتلال البريطانى كان فى الواقع نتيجة لاستدانة الخديو اسماعيل .

(ب) أما أن الملكية كانت من أسباب تأخر تقدم البلاد ، فمن المعروف أن الملوك بصفة عامة لا تميل إلى السياسة التقدمية لانهاض الشعب ، إذ الملك هوعادة الرأسمالى الأول ، وهو بهذا الوضع يكره كل نزعة اشتراكية ، وتاريخنا حافل بالادلة على ذلك .





(جـ) أما أن الملكية كانت من أسباب انتشار الفساد فى جميع مرافق البلاد ، فقد تكشفت الأحداث عنه وبدت أدلته حتى لقد غدا رجل الشارع يتندر بها . وما قامت ثورتنا الأخيرة إلا نتيجة لانتشار هذا الفساد .

ولهذه الأسباب مجتمعة نرى الأخذ بالنظام الجمهورى بدلا عن النظام الملكى .



٣٥ الرئيس جمال عبد الناصر

روح الثورة

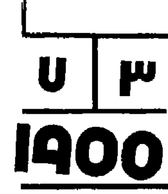
روح الثورة هو المعنى الذى قامت الثورة من أجله ، وعملت على تأكيده ليستقر فى النفوس ، ويصبح الدستور الذى لا دستور بعده .

وهذا المعنى لم يأت عفوا ، وإنما هو نابع من الظروف التى مرت بالأمة فى عصورها المختلفة ، والرواسب المختلفة المتراكمة التى عاقت نهوض الوطن وتقدمه ، معنى استلهمته من الثورات التى سبقتها ، والخطوب التى اصطلحت عليها ، والقصور الذى ألم بها ، فلم توف على الغاية ، ولم تحقق الأهداف التى قامت من أجلها .

قد يكون ذلك لعامل الزمن ، وقد يكون لعامل خارج عن إرادتها ، وقد يكون لضعف تسرب إلى دعاتها والقائمين عليها ، وقد يكون لكل أولئك جميعا .

ولكل ثورة من الثورات روح خاص يعمل له دعاتها ، ورسالة متميزة ينادى بها المعبرون عنها ، والساهرون عليها .

وروح الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) يتمثل فى خلق وعى مصرى جديد ، يؤمن بالاشتراكية الديموقراطية أسلوبا ومعنى ، لتسود العدالة الاجتماعية ، وتقوم عمد الوطن على أساس سليم فلا حرب تشب بين الطبقات ، ولا تثرى جماعة على حساب أخرى ، ولا تتحكم



أقلية فى أكثرية ، ولا يستنزف ناس دماء الآخرين . وليتجه الوطن اتجاها إيجابيا موحدا ، لرفع مستوى المعيشة بين السكان وتوفير حياة كريمة لكل مواطن ، وتجنيد كل القوى والجهود للإفادة من ثروة البلاد الطبيعية إلى أقصى حدود الإفادة ، والكشف فى مجاهل أرضها عن المعادن المطمورة المستخفية وإقامة المشروعات الإنتاجية لخير الوطن وتقدمه .

ومرد هذا إلى أن الدافع الأول الذى شبت من أجله الثورة ، هو توسيع المجال الحيوى أمام تزايد السكان فى السنوات الأخيرة ، زيادة تعد بالملايين مع إصابة عجلة الانتاج بالتوقف أو الشلل ، مما هدد البلاد بأخطار جسيمة .

وليس يكفى أن تخلق الثورة هذا الوعى الرشيد بل لابد من أن تحوط هذا الوعى بسياج متين ، وضمانات قوية ، حتى لا تعود الرجعية مرة أخرى فتحاول بلبلة هذا الوعى ، وتحطيم معنويته ، لتنفذ عن طريق التقدم الصناعى إلى الاحتكار والاستغلال مرة أخرى .

وهذا هو الشوط الثانى الذى أخذت تقطعه الثورة ، لتحافظ على هذا الوعى أو تبقى على روحها ومعناها .

وهو الذى عنيناه بقولنا مرارا عديدة إن الثورة لم تنته بعد ، ولن تنتهى ، فالثورة دعوة قبل أن تكون ثورة ، والثورة رسالة قبل أن تكون إحساسا وشعورا .

وإنى لعلى ثقة من أن الكتلة الشعبية المستنيرة التى نبعنا منها ، وكنا لسان حالها فى ثورتنا ، تساندنا فى هذه الخطوات ، تظاهرنا فى السياسة التى التزمناها ، ورسمنا خطوطها .

فإذا دعونا اليوم إلى إيجاد ديموقراطية سليمة نظيفة متمشين مع طبائعنا ، وروح العصر ، ومنطق الثورة ، فإنها تحدونا إلى ذلك الرغبة المخلصة فى دعم الوعى الجديد ، وتثبيت معانى الثورة ، وإقامة نظام اشتراكى عتيد لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث .





٣٦ أحمد حسن الباقورى

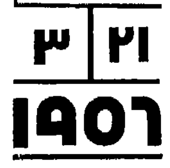
الإسلام والأم

ينظر الاسلام دائما إلى المجتمع البشرى على أنه أمة واحدة ، وأن الناس جميعا مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت صفاتهم أخوة تنتظمهم مشاعر الانسانية ، التى تنزع بهم إلى الأصل الذى نبتوا منه .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفى ظل هذه النظرة الحكيمة العالية تتجه التربية الاسلامية المنتشرة فى أحكام الدين وتعاليمه إلى تنمية الروح الاجتماعى فى الانسان ، وتقوية الصلة بينه وبين الناس جميعا ، بعد أن رفع الاسلام ما بين الناس من حواجز كانت قائمة على ما ملأ خيالهم من أوهام الأنساب ، والأجناس . وفى ظل هذه النظرة الحكيمة العالية أيضا كانت نظرة الاسلام إلى المرأة ، فهى فى نظر الاسلام شطر المجتمع الانسانى الذى لا تقوم وحدته إلا باجتماع الشطرين معا ، الرجل والمرأة .

وكما رفع الاسلام حواجز العصبيات القائمة على الأجناس والألوان ، رفع أيضا الحواجز النفسية القائمة بين الرجال ، والنساء ، فلا فضل لأحد منهما على الآخر ، وإن استقل كل منهما بخصائص ومميزات فهى أشبه بالخصائص والمميزات التى ينفرد بها جنس عن جنس ، أو رجل





عن رجل أو امرأة عن امرأة ، ولكنها مهما كان أمرها لا تعطى أحدا الحق فى أن يفرد له مكان خاص فى المجتمع البشرى !

فالاسلام يحترم المرأة كما يحترم الرجل ، ويعنى بها كما يعنى به ويحرص على خيره ، ويفرض لها حقوقا ويقيم عليها واجبات كما يفرض له حقوقا ويقيم عليه واجبات ، فالرجل من المرأة والمرأة من الرجل ، فيما يشاهد الناس ، وفيما يقرر القرآن الكريم « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

ولقد جعل الله المرأة فى صلتها بالرجل والزوجة فى قربها من الزوج آية من آيات قدرته ، ومنه أمتن بها على الرجل والمرأة معا . يقول سبحانه وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . فهذا السكن وهذه المودة والرحمة مما تغتذى به النفوس وتهنأ فى ظله القلوب . . ثم لكى تكمل المنة وتعظم النعمة اقتضت إرادة الخالق العظيم أن تصاغ المرأة صياغة خاصة ، وأن تكون تكوينا خاصا يمكن لها من أن تقوم بوظيفتها فى الحياة على الوجه الذى تقتضيه هذه الوظيفة . وقد استتبع هذا أن تتعرض المرأة لشدائد ومتاعب لا يتعرض لها الرجل ؛ فهى تحمل وترعى وتسهر الليل وتنصب النهار ، كل ذلك فى حس مرهف ووجدان صادق يجعلها تدرك ما وراء الحجب إلى ما فى كيانها من عاطفة حادة تحملها على أن تعرض حياتها للخطر ، وصحتها للمرض ، وراحتها للتعب ، وهدوءها للقلق والانزعاج . بحيث لو لم تكن كذلك وخلت من هذه الخصائص لكانت رجلا ، لا احتاجت الحياة بعد ذلك إلى المرأة بخصائصها هذه ، تهون من شدائدها ، وتلطف من وحدتها ، وتخفف من أعبائها ، حتى تتم بها الحياة ، ويسعد بأنوثتها الوجود .

ومن هنا نظر الاسلام حين نظر إلى المرأة ، فمنحها بعض ما أعطى الرجل من حقوق ، ووضع عنها بعض ما ألقى عليه من تبعات وأثقال ، ولم يكن ذلك قط إهمالا لها ، ولا إغضاء عنها ، ولا استصغارا لشأنها ، وإنما كان حرصا من الاسلام على أن تسلم لها طبيعتها فتسعد هى فى نفسها ، ويسعد الرجل بها ، وتجرى على ما فيها من خصائص كما يجرى الرجل على ما فيه من صفات ، وذلك عين المصلحة ، وعين الحكمة « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

ولئن كان القرآن الكريم قد وضع المرأة فى ظل من سلطان الرجل ، وأخضعها له ، وأمره عليها حيث يقول « الرجال قوامون على النساء » ، وحيث يقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » ـ لقد كان ذلك خيرا لها ، ورعاية لمصلحتها من حيث يتراىء فى بعض الأذهان أنه شر عليها ، وغض من قدرها . فإن الله قد أكرمها فجنبها قسوة العمل ، واصطفاها فناط بها إعداد الأمم وتربية الشعوب ، ولن ينال من قيمتها أو يغض من قدرها أنه وضعها بهذا الموضع وبوأها تلك المنزلة بين الناس . فقد وضع الاسلام الرجل نفسه فى سلطان الرجل حين تدعو إلى ذلك مصلحة أو يتحرى بذلك خير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه





وسلم قال « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم واحدا منهم » ، والتأمير ضرب من السيادة ، ونوع من السلطان ، ومن عدا الأمير من رجال الركب فهم فى سلطان الأمير ، ومعنى هذا أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد أخضع الرجل للرجل ، وجعل الرجل أميرا على الرجل ، إذا جمع بينهما سفر كراهية أن يختلفا على الرأى ، ويتقاتلا على الاستئثار به ، ولا يقول أحد إن فى هذا عدوانا على الكرامة أو إهدارا للرجولة ، وإنما ذلك تحقيق لمصلحة عامة تنال الأمير والمؤمر عليه معا

فإذا أخضع القرآن المرأة لزوجها ، وبينهما هذه الشركة الدائمة والسفرة الطويلة فى طريق الحياة تحريا لمثل هذه الغاية الكريمة وضمانا لحسن الصحة وسلامة الرفقة ، فليس ذلك عدوانا على المرأة ولا إطراحا لها ولا غضا من قدرها ، وإنما هو قطع لسبيل الخلاف بينها وبين رجلها ، حتى يكون لهما أن يعيشا معا فى هدوء وكرامة وسلام .

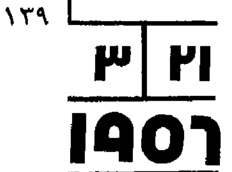
إن الاسلام فى كل وصاياه ، وفى كل اتجاهاته يؤثر الحقيقة الواقعة ويتجنب الخيال البراق ، واحتراما لهذا المبدأ من مبادئه وضع المرأة فى عنق الرجل ، وأمره ألا يظلمها ، ولا يسىء عشرتها ، وجعل البر بها والإحسان إليها طريقا من طرق رضوان الله ، وجعل الإساءة إليها والقسوة عليها سببا من أسباب غضبه عز وجل . وتلك هى وصاة الاسلام لكل من يلى إمارة على الناس ، أو يقوم على شأن من شئونهم ، وذلك ما يشير إليه الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ولئن كان نبى الاسلام يأمر المؤمنين دائما أن يترفقوا بنسائهم ويوصيهم بهن خيرا ، فقد كان هو نفسه قدوة كريمة ، وأسوة حسنة ، ولقد كان يلقى من زوجاته أحيانا ما يجرح صدره ويؤلم نفسه ، وهو مع ذلك يترفق بهن ، ويتلطف معهن ، ويخشى عليهن القسوة حتى فى مشية الجمال إذا احتدت وهن فى الهوادج على ظهورها .

روى مؤرخ السيرة أن « أنجشة » كان رجل حسن الصوت ، وكان يحسن الحداء والغناء للإبل ، والإبل أسرع ما تكون سيرا إذا سمعت حداء جميلا ، وأنصتت إلى غناء لطيف .

وذات يوم راح « انجشة » يغنى ، ومضت الإبل مسرعة واضطربت الهوادج فوق الظهور ، وأحس الرسول بوقع هذا على النساء ، فقال من شدة رفقه بهن : « يا أنجشة رفقا بالقوارير » ، وفى وصف النساء بالقوارير وهى أوانى الزجاج المصقولة الصافية ما يكشف عن إحساس الرسول بالمرأة ومكانتها من نفسه ، تلك المكانة التى يجب أن تأخذ مكانها من نفس كل مسلم .





محمـــد .. صديق الحياة

كما يولد الناس ولد ..
وكما يموتون مات ..

ولكن بين يوم قدومه ، ويوم رحيله ، كانت المعجزة التى ليس لها بين معجزات الحياة نظير .. !

هذا هو محمد بن عبد الله .
ابن عبد الله .. ؟؟
أجل ، وابن آمنة أيضا .. !
ومن هنا ، تبدأ عظمته .

فالانسان الذى قدر له أن يغير معالم الأرض ..

الذى أركب التاريخ ظهور الإبل ، وهدر به فى رحلة مجيدة ، مبتدئا من رمال البادية المحرقة ، ثم عابرا به القارات ، ومنخيا رواحله على ضفاف المحيطات .. !!

الانسان الذى أخرج من الصحراء المجدبة أروع فنون العمارة ، ومن البادية الجاهلة أسمى صنوف المعرفة ..
ومن كهوف المعوزين إحدى الحضارات السامقة ..



والذى جعل من عباد الحجر روادا وأى رواد للبشر . .

الانسان الذى صنع هذا كله كان واحدا من الناس . . كان بشرا مثلنا . . له أب كآبائنا . . وأم كأمهاتنا .

ومرة أخرى . . من هنا تبدأ عظمته .

قالوا له يوما : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فإذا هو يشجب غلوهم ويقول : « بل أنا عبد الله ورسوله » . . !!

وتعبد الله ورسوله هذا نبأ عظيم . ومن قلبه الريان ، الزكى ، المتبتل خرجت إلى الدنيا مودات دافئة ، أزالت عن أوصالها المقرورة رعدة الخوف والقلق وأنشأت بينه وبين الحياة صداقة ونسبا . . !

إلا من شاء أن يعرف « محمدا » على حقيقته فيصغ إليه وهو يتحدث إلى الكون . . وليبصره وهو يعانق الحياة . . !!

لقد كان « محمد » عليه الصلاة والسلام صديقا حميما للحياة كلها ، وللكون جميعه . .

فإذا هطل المطر ، سارع إليه كاشفا عن صدره ليتلقى رذاذه الندى وليس بينهما حجاب . . !!

وإذا بزغ الهلال ، استقبله فى أخبات وحفاوة ، وناجاه قائلا : ربى وربك الله . .

ويسير بين الحقول ـ وما كان أندرها فى بلده ـ فإذا وقعت عينه على بقلة مثمرة ، أخذها بيد حانية . . وقبلها بفم شكور . . وغمرها بفيض من مودته وصداقته ، ثم همس فى أكمامها قائلا : عام خير وبركة إن شاء الله . . !!

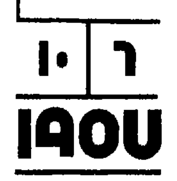
وإذا طلعت الشمس ، استقبلها داعيا مبتهلا ، وحين تغرب ، فلها منه دعاء يؤدى به تحية الوداع . . !

ولكأنما سارع الله إلى هواه ، وأراد أن يزكى صداقته الحميمة ، للكون وللحياة ، فذهب فى قرآنه الكريم يقسم له « بالليل إذا يغشى ، وبالنهار إذا تجلى . . . بالشمس وضحاها . . والقمر إذا تلاها . . والنهار إذا جلاها » . .

وبحديثه عن الزرع والثمر ، عن العشب والشجر ، عن البحار والأنهار ، عن السماوات وما تحفل به من عجب ، والأرض وما تنطوى عليه من سر . . !

وأحب « محمد » الحياة فى كل شىء ، واحترم « محمد » الحياة فى كل حى . . !

فى الانسان . . وفى الحيوان . . وفى الطير . . فى الأبيض . . والأسود . . والأصفر . .



فى ثرائها . . وفى شقائها . . وبعبارة واحدة : أحب الحياة فى كل أشيائها . .

مرت به جنازة ذات يوم . فنهض لها فى خشوع : ولما جاوزته قال له أصحابه : يا رسول الله إنها جثة يهودى ، فأجابهم الرسول « سبحان الله . . أليست نفسا . . » ؟؟!

ولم يطق أن يرى الحياة تتعذب فى هرة ، فقال محذرا الناس من هذا : « دخلت إمرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها . »

بل أراد أن يملأ قلوب أصحابه بتقديس الحياة ، حتى لا يبقى فيها مكان لامتهانها ، فساق لهم قصة قصيرة ، لكنها مثيرة .

قال . « بينما بغى تسير ذات يوم ، إذ رأت كلبا يلهث من العطش ، فخلعت نعلها ، وأدلته بحبل فى بئر ، فملأته ماء ، وسقت الكلب . . فشكر الله لها ، وأدخلها الجنة » . . !!

أتعرفون تحريضا على احترام الحياة أروع من هذا . . ؟؟
أتعرفون برا بالحياة ، أوفى من هذا البر . . ؟؟

وارتبط « محمد » بالحياة عن طريق علاقات صادقة غير زائفة وغير مزورة . .

فإذا أخطأ يوما ، وقف فى محراب الصلاة ، والناس من ورائه ، يتلو عليهم وثيقة إدانته : « عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . . أما من استغنى ، فأنت له تصدى . . إلخ . . !!

وإذا التمس الناس تفسيرا للكون عن طريق أصنامهم ولهوهم ، التمسه هو عن طريق التأمل العميق ، والعزلة المفكرة . . !!

وهو يرفض أن يحياها مترفا ، لأن الترف يذهب ببهجة معاناتها . « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » . . !

ويرفض أن يحياها متجبرا ، لأن التجبر افتيات على كرامتها ، . « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » . . !

ويرفض أن يعزله الجهل عن حقائقها . فيجأر إلى ربه مبتهلا (رب زدنى علما) . . ويوصى الناس قائلا : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

ويذهب فى احترامها وتوقيرها إلى الحد الذى يزدرى فيه كل تمايز باطل بين نماذجها .

يمر به رجل فقير صالح ، فيسأل أصحابه ما تقولون فى هذا لو خطب إلى أحدكم ابنته ؟





فيجيب أكثرهم : نرد يده . . نرد يده . فيصمت حتى يمر بهم آخر غنى متكبر ، فيسألهم نفس السؤال فيجيبون : هو جدير بأن يقبل .

فيقول لهم : والذى نفسى بيده ، إن الذى رفضتموه لخير من ملء الأرض ، من مثل هذا الذى قبلتموه . !

ويعترك « أبو الدرداء » يوما مع رجل أسود البشرة ، فيقول له (يابن السوداء) . . !

فينتفض الرسول غضبا ويقول :

« أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ ألا فاعلم يا أبا الدرداء ، أنه ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل ، إلا بالتقوى » . . !!

ولقد تتساءلون : كيف إذن حمل « صديق الحياة » سيفه ، وحارب . . ؟؟

واجيبكم : لكى تتم اللوحة التى رسمها لتقديس الحياة ، روعة وكمالا . . !!

فالحرب فى عصر محمد كانت أشبه الأشياء بالضرورة ، بل كادت تكون عملا يوميا من أعمال الناس المألوفة التى لا يتهيأون لها بأكثر مما يتهيأون به لنزهة جميلة . !!

وحين أعلن رسالته ، تصدى لها أعداء ناشطون ، تقمصتهم غرائب الرجعية ، والبلى ، والانحطاط ، وهكذا اضطروه لخوض الحرب .

وكانت فرصة سعيدة ، لكى يضع للحروب التى كانت سائدة آدابا تجعلها أقرب إلى « المباراة » منها إلى الحرب ، آدابا لو استمسك بها أنسان القرن العشرين ، لذهبت عنه شقوته ونجا من سوء المصير .

انظروا . . هذا هو « الأمر اليومى » الذى كان يصدره للمقاتلين :

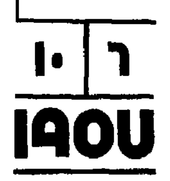
« لا تقتلوا امرأة . . ولا وليدا . . ولا شيخا . . ولا تقطعوا شجرا . . ولا تحرقوا نخلا . . ولا تمثلوا بأحد . . ولا تكونوا ناهبين . . واجتنبوا الوجوه ، لا تضربوها » . . !!

هذا ، هو محمد ، عاش صديقا للحياة ، مباركا كل انتفاضة لها ، وكل ازدهار .

وحين دعاه داعى الرفيق الأعلى ، ودنا الموت من فراشه ، كانت صداقته للحياة ، وحبه للطبيعة ، لا يزالان يملأن قلبه الودود .

ومن أجل هذا ، كانت آخر وصاياه !

ـ « ضعوا على قبرى جريدة خضراء » . !!





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د . محمـــد حلمـــى مـــراد

المقاييـــس الجـــديدة لبنـــاء الاشـــتراكية

مشاكل مرحلة بناء الاشتراكية

إن مرحلة البدء فى بناء الاشتراكية من خلال المجتمع الرأسمالى المنهار هى أصعب المراحل . ذلك أنها تتم بأجهزة وعناصر بشرية وقيم اجتماعية واقتصادية نمت وتكونت فى ظل الرأسمالية ، ومن هنا كانت الضرورة تستلزم إعادة صياغتها صياغة جديدة تتفق والنظام الاشتراكى . ومن هنا تنبع معظم مشاكلنا الاشتراكية . وهذه الدراسة مساهمة فى القاء الضوء على هذه المشاكل .

لا يكفى لإقامة النظام الاشتراكى أن نقضى على الملكية المستغلة ، وأن ننظم اقتصادنا القومى وفقا لخطط موضوعة تستهدف غايات اجتماعية واقتصادية معينة ، وأن نصدر بعض القوانين المحققة للعدالة الاجتماعية فى بعض جوانب حياتنا . وإنما يجب أن يعاد تنظيم الدولة بما يتلاءم مع المبادىء الاشتراكية والمقومات التى تعتمد عليها ، وبما يضمن تحقيق الخطط الاقتصادية الدورية التى ترمى ـ فى أغراضها البعيدة ـ إلى تحقيق الرفاهية والرخاء للمواطنين .

فالاشتراكية نظرية متكاملة يجب أن تنفذ فى مجموعها ، وأن تهيأ جميع الظروف والشرائط اللازم توافرها لنجاحها ، وإلا بدت أنها عاجزة عن تحقيق الآمال المعقودة عليها بينما العيب ليس فى الاشتراكية وإنما فى عدم نجاحنا فى تطبيقها .



وقد عبر رئيس الجمهورية عن هذا المعنى الأخير فى اجتماعه بالوزراء بعد صدور القوانين الاشتراكية وعلى وجه التحديد فى يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦١ عندما قال : (إذا لم تستطع أجهزة التنفيذ أن تتحمل مسئولياتها الكاملة ، وإذا تأثرت مصلحة الجماهير نتيجة لذلك التقصير ، فإن ذلك يؤدى إلى التشكيك حتى فى الاشتراكية ذاتها ، هذا فى حين أن الاشتراكية لا ذنب لها وإنما الذنب كله على الذين لم يحسنوا التنفيذ) .

وسنتناول فيما يلى بعض العناصر التى يجب توفيرها لخلق البيئة الصالحة لنجاح الاشتراكية فى تحقيق أهدافها القومية .

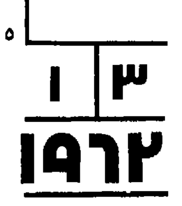
ولعل انتقال المسئولية عن الانتاج إلى الدولة فى ظل النظام الاشتراكى وقيامها بإدارة شؤونه وفقا لخطة مرسومة بغية تحقيق أهداف معينة ، يلقى على عاتق الجهاز الحكومى المشرف على المشروعات الاقتصادية عبئا خطيرا يستلزم العمل الجاد ، والدقة البالغة والاخلاص الشديد .

فالخطط الاقتصادية تنظم الانتاج القومى من حيث : التحديد النوعى ، والتحديد الكمى ، والتوقيت الزمنى . فلابد من انتاج أنواع معينة من السلع والخدمات ، وبكميات محددة من كل نوع منها ، وذلك فى فترة من الزمن ، بحيث لو عجزنا عن تحقيق هذا الانتاج الوارد بالخطة من حيث النوع ، والقدر ، والتوقيت ، فإن مؤدى ذلك هو الفشل المحقق فى الوصول إلى الأهداف المنشودة من وراء الخطة .

التنظيم ومحاربة البذخ والإسراف

ويتناول هذا النهوض نواحى متعددة يأتى فى مقدمتها إعادة تنظيم الأجهزة الحكومية . ويشترط لضمان حسن التنظيم أن يراعى فيه :

- تحديد اختصاصات هذه الأجهزة بحيث تقسم اداراتها الداخلية تنظيما منطقيا يكفل سرعة البت ، وتنسق أعمالها المترابطة فيما بينها تناسقا يمنع تداخل الاختصاصات وتكرار الأعمال مما يعرقل النشاط ويضيع أموال الدولة بلا مقتض .
- تبسيط الاجراءات بحيث يتحمل كل موظف المسؤولية كاملة عن عمله ، فلا تتعدد التوقيعات على الورقة الواحدة . مما يؤدى إلى تعثرها بين المكاتب ، وضياع المسؤولية بين الموقعين .
- حسن اختيار الموظفين بوضع الشخص المناسب فى المكان المناسب وفقا لمؤهلاته وامكانياته .
- وضع نظام يكفل محاسبة الموظفين على إنتاجهم ، وخلق حوافز العمل لديهم بتقرير المكافآت التشجيعية ومنح الترقيات على أساس الكفاية الواضحة .



٣٨

وتأتى بعد ذلك ضرورة محاربة البذخ والإسراف والإهمال . والواقع أن مظاهر الفخامة والترف التى كانت تحرص عليها الشركات الرأسمالية لكى توحى الثقة إلى نفوس الناس بازدهار أعمالها وثبات مركزها المالى حتى يقبلون على التعامل معها باطمئنان كامل ، لم يعد لها مبرر بعد التأميم وانتقال هذه المشروعات إلى أيدى الدولة . فالثقة متوافرة فى هذه المشروعات لأن الدولة تدعمها ، ولا محل للتزاحم فيما بينها على أساس المظاهر البراقة التى تضيع أموال الشعب فيما لا يعود عليه بالنفع . فلا محل للمبانى الفخمة ، والأثاث والرياض الفاخر ، والطنافس الغالية والسيارات الفارهة . فكل ذلك ليس من الاشتراكية فى شىء .

على أن الإسراف ليس هو العدو الوحيد للانتاج فى ظل الاشتراكية ، إذ أن تقاعس العاملين فى القطاع العام وإهمالهم فى أداء أعمالهم لا يقل ضررا عنه . فيجب أن يكون مفهوما أن العناية بالعمل فى العهد الاشتراكى يجب أن تفوق العناية به فى العهد الرأسمالى ، لأن العامل أو الموظف إنما يخدم المصلحة الخاصة للرأسماليين فى ظل الرأسمالية ، بينما يرعى المصلحة العامة لاخوانه ومواطنيه من أبناء الشعب فى ظل الاشتراكية . ولذا يجب على الدولة أن تحارب التكاسل والتوانى والإهمال فى القطاع العام بكل شدة حرصا على نجاح الاشتراكية .

مقاييس جديدة

وهذا كله يستلزم الأخذ بمقاييس جديدة للحكم على نجاح المشروعات العامة . فإن نجاح المشروعات الاقتصادية يقاس فى ظل الرأسمالية بما تحققه من أرباح . فإذا حقق مشروع من المشروعات ربحا ، كان هذا دليلا كافيا على نجاحه ، وكلما زادت أرباحه عبر ذلك عن إطراد هذا النجاح . وعلى النقيض من ذلك ، فإن المشروع الذى لا تسفر عملياته عن تحقيق أرباح يعد مشروعا فاشلا . وليس من شك فى أن هذا المقياس يتفق مع الهدف من الانتاج فى ظل النظام الرأسمالى ، إذ أن المنتجين من أصحاب رؤوس الأموال لا يقيمون المشروعاتُ خدمة للمواطنين أو بقصد إشباع رغباتهم ، وانما ينشئون مشروعاتهم لتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية لأنفسهم . ولذا كان تحقيق الأرباح الطائلة هو التعبير الصادق عن النجاح فى بلوغ الهدف المراد .

أما فى النظام الاشتراكى ، فالدولة هى المسئولة عن الانتاج ، وهى لا تهدف من إدارتها دفة الاقتصاد القومى إلى تحقيق الأرباح ، ولكنها تعمل على سد حاجات الشعب وتوفير أسباب الرخاء للمواطنين . ولذا فقد تدير الدولة مشروعا لتقديم خدمة للجمهور لا يتحقق من ورائه ربح ، ومع ذلك يعد هذا المشروع من المشروعات الناجحة طالما انه يؤدى الخدمة التى يقدمها فى احسن صورة وبأقل الأثمان بحيث يمكن الكافة من الانتفاع به

على أن ذلك لا يعنى أن المشروعات العامة فى الدولة الاشتراكية غير مطالبة بتوجيه





اهتمامها نحو خفض تكلفة الانتاج ، إذ العكس هو الصحيح . فيجب على تلك المشروعات أن تعمل جاهدة على تخفيض النفقات الانتاجية بشرط أن يكون هذا التخفيض نتيجة تحسين أسلوب الانتاج ، وإدخال المخترعات الجديدة ، والافادة من الطرائق الفنية المستحدثة ، وليس نتيجة رفع الأسعار أو الهبوط بجودة المنتجات ويتفرع على ذلك :

أن مشروعات الخدمات والسلع الأساسية يجب ألا تتعامل مع جمهور المستهلكين على أسس تجارية بحتة ، بل يجب أن تدخل الاعتبارات الاجتماعية فى حسابها . ولنضرب مثلا على ذلك بمشروعات توزيع الكهرباء . فالعقلية التجارية توحى بأن المشترك الذى يستهلك عددا أكبر من كيلووات الكهرباء بسبب استخدامه أدوات منزلية كهربائية كثلاجة أو جهاز تكييف أو مراوح أو مغاسل أو ما شابه ذلك ، يخفض له ثمن الكيلووات عن طريق استعمال العدادات التجارية أو بأى أسلوب آخر ، بينما الضعفاء اقتصاديا الذين لا يستطيعون تملك هذه الأدوات الغالية ولا يستهلكون من التيار الكهربائى إلا القدر اللازم للاضاءة فى أضيق الحدود ، يدفعون سعرا أعلى ، وهو وضع لا يتفق مع منطق الاشتراكية . والمشاهد فى البلاد التى تستوحى الروح الاشتراكية أن المستهلكين الذين لا يستهلكون تيارا كهربائيا يزيد على حد أدنى معين ، يدفعون سعرا مخفضا ، وأن هذا السعر يزداد تدريجيا كلما زاد الاستهلاك . بل تصل بعض الدول إلى اعطاء عدد من الكيلووات مجانا فى الاحياء الشعبية بقصد تمكين كل فرد من التمتع فى الحدود الضرورية بنعمة الكهرباء . فكم يحز فى النفس أن نرى طالبا يرهق عينيه فى الاستذكار ليلا على مصباح غاز ، بينما يلعب الآخرون القمار تحت الثريات التى تتلألأ بالكهرباء ! !

يجب على الدولة ألا تحاسب القائمين على المشروعات الاقتصادية عن نتيجة ادارتهم على أساس الأرباح التى تحققها هذه المشروعات فى نهاية سنتها المالية مع غض النظر عن كافة الاعتبارات الأخرى . بل يجب أن يدخل فى التقدير ما طرأ من تطور على جودة المنتجات ، وعدم استغلال جمهور المستهلكين برفع السعر أو الهبوط بنوع الانتاج ، وتجنب التحايل على القوانين بعدم تنفيذ ما تقضى به من التزامات تحملها بأعباء مالية .

فمما يؤسف له حقا أن بعض المديرين فى المشروعات المؤممة ما زال يفكر بالعقلية الرأسمالية التى تسعى لتحقيق الأرباح بكافة السبل بما فى ذلك محاولة التخلص من أحكام التشريعات التى تفرض الالتزامات الاجتماعية والعمالية على المشروعات . فيتحايلون على القوانين ويستغلون ما تنطوى عليه صياغتها من ثغرات بقصد التهرب من إعمال حكمها . وهى تصرفات لا يليق صدورها من المشروعات العامة التى تتولى أمرها الدولة التى أصدرت تلك القوانين والتشريعات .





٣٩ المهــدى بـن بركــة

الاســتعمار الجــديد ..
والاســـتقلال المزيـــف

لا يمكن أن تكون مهمة المناضلين من أبناء الشعوب المتجمعة فى منظمة التضامن الأفريقى الأسيوى مقصورة على توكيد المبادىء العامة المذكورة فى دستور هذه المنظمة ، والتى تعبر دائما عن الارادة المشتركة لشعوبنا فى أن تنهض بالكفاح ضد الاستعمار إلى أن تختفى جميع الصور والأساليب التى تتخذها السيطرة الأجنبية وإلى أن يتحقق لبلادنا بناء مجتمع ديمقراطى عادل يسوده الرخاء ويتسم بروح انسانية عالية .

النكوص فى الحركة الوطنية

فقد رأينا بوضوح ـ منذ أن نادينا بهذه المبادىء ـ أن روح الاصرار العنيد المتأصلة فى جماهير شعوبنا قد سجلت هذه المبادىء فى واقع الحياة بفضل الانتصارات الباهرة التى أحرزتها ضد النظام الاستعمارى ، وبفضل حرص كثير من البلاد الشقيقة على كيانها القوى بل وإسهامها إيجابيا فى الميدان الدولى .

غير أن تفاؤلنا الثورى وثقتنا المطلقة فى النتيجة النهائية للكفاح ضد الاستعمار ، لا ينبغى أن يمنعنا من أن نتبين حركة نكوص أو جزر خطيرة فى بعض الجهات ، ويتعين علينا أن نحلل عناصرها ببصيرة وفهم سليم ، إذ نخشى أن تكون عدم المبادرة بعلاج هذا الخطر مؤخرة للعمل على تصفية النظام الاستعمارى ، بل ربما الحركة كانت مقوية لحركة الاستعمار الجديد





بأشكالها وصورها المختلفة ، وبالتالى تعوق سير الكفاح لأجل التحرير الحقيقى ، ولأجل التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى لشعوبنا .

والواقع أن منظمة التضامن بين شعوب آسيا وأفريقيا تشكل فعلا عاملا هاما لحشد القوى وللتوعية والتعجيل بزحف حركة التحرير الوطنى ، ونحن نرى أن دور منظمة كهذه هو مواجهة الموقف بصورة تسمح باستخلاص الطرق الفعالة المجدية للحد من خطورة حركة النكوص إلى الوراء أو الفشل الطارىء فى الحركة الثورية .

خطة لمواجهة هذه الظاهرة

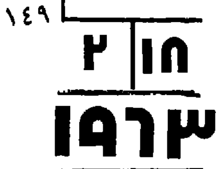
إن علينا أن نتخطى مرحلة الارتجال والتلقائية ، تلك المرحلة التى اتسمت بها حتى الآن معظم حركات التحرير الوطنى ، لنذهب إلى مدى أبعد من ذلك .

فالمشاكل التى تعترضنا الآن والتى سوف تعترض سبيلنا فى المستقبل تزداد تعقيدا يوما بعد يوم ولا يمكن مواجهتها إلا بدراسة جدية عميقة . وتتجلى هذه المشاكل فى مختلف المظاهر طبقا للون الكفاح ذاته ، فهو إما أن يكون :

- متابعة الكفاح للتحرير القومى ضد النظام الاستعماوى التقليدى .
- أو تحويل سبل المقاومة لمناهضة الاستعمار الجديد .
- أو تنظيم العمل لأجل التنمية الاقتصادية والثورة الاجتماعية فى البلاد الحديثة الاستقلال .

فلكل مجال من هذه المجالات علينا أن نحدد خطة استراتيجية وتكتيكية ذات طابع ثورى صميم فنتحاشى فيها أخطاء الماضى ، ونتمكن بها من أن نفسد مناورات الاستعمار وحلفائه فى داخل البلاد ، كما نستطيع بفضلها أن نهزم الصعاب ونتغلب على المتناقضات التى تنجم عن الاستقلال .

وهكذا يتسلح مكافحونا وأجهزة كفاحنا تسليحا فكريا ومذهبيا لمواجهة العدو وحلفائه مهما بلغت سبله من الدقة والاحكام ، ومن ثم يتسنى لمكافحينا أن يحددوا موقفهم تحديدا دقيقا من أنصار الاستقلال والسيادة القومية والتقدم الشعبى من ناحية ، ومن أنصار السيطرة والاستغلال والرجعية من ناحية أخرى ، وهكذا يمكنهم أن يضعوا حدا للتضليل والتزييف ويستخلصوا خطة العمل المجدى الفعال لأجل التحرير والبنيان الجديد ، وبذلك تنهار الأيديولوجية المزيفة التى تنادى بها حركة الليبرالية الجديدة ، والاشتراكية المزيفة والمذاهب الأخرى المفتعلة التى تتفشى فى حالة اللبس والاضطراب الراهنة .



٣٩

الاستعمار الجديد والاستقلال المزيف

ويجدر بنا فى هذا المجال أن نلاحظ هذه الحقيقة : « إن الاستقلال الذى نالته بعض البلاد ليس سوى استقلال « اسمى » ، وهذه هى الظاهرة الرئيسية التى يتسم بها الاستعمار الجديد الذى يجب أن نستخلص روحه وطريقة سيره لكى نضيع عليه مناوراته ونفسد عليه حيله .

وإن فهم حقيقة الاستعمار الجديد ودراسة السبل التى يلجأ إليها وعزل العناصر التى يعتمد على تأييدها فى بلادنا ، هذا كله يتطلب عملا دائما من البحث والاستقصاء والايضاح .

ولقد كان للمؤتمر الثالث للشعوب الافريقية الذى عقد بالقاهرة فى مارس سنة ١٩٦١ فضل العمل على تحقيق مثل هذه الدراسة والخروج منها بنتائج تركزت فى قرار نال شهرة عالمية . ولكن نظرا للظروف الراهنة التى خلقتها السوق الأوربية المشتركة ، ونظرا للدور الذى تقوم به بعض الدول الأفريقية المستقلة حديثا ، يهمنا أن نستخلص الأسس الاقتصادية لظاهرة الاستعمار الجديد الذى تولد عنه الاستقلال المزيف .

ويقينا إن الاستقلال الذى « يجود به ! » المستعمرون ليس أمرا جديدا فى تاريخ الاستعمار (ما حدث فى مصر سنة ١٩٢٢ وفى العراق سنة ١٩٣٢ مثلا) ، ولكن هذا الذى كان يعتبر حدثا عرضيا بين الحربين العالميتين أصبح الآن سياسة مرسومة بوضوح ، وتطبق بمثابرة وإصرار .

ذلك أن هذا الاتجاه الذى يتخذه النظام الاستعمارى التقليدى ليس سوى التعبير عن التغيير فى بنيان الرأسمالية الغربية . وليس الأمر محض صدفة أن نرى سياسة البلاد الأوروبية تجاه مستعمراتها تظهر فى الوقت نفسه إلى جانب حركة التجديد وتبنى الأساليب الأمريكية من طرف الرأسمالية الأوروبية .

ولكن هل هذه ظاهرة جديدة ؟ أليس هذا هو جوهر الاستعمار بمفهومه الأصيل ؟ إنما الجديد فى هذا كله هو أنه فى العلاقات بين أفريقيا والدول الاستعمارية فى أوروبا ظهر اتجاه جديد بالنسبة إلى روح السيطرة والاستقلال المباشر وبالنسبة إلى الاستيطان فى الاستعمار .

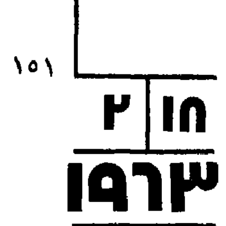
ولهذا السبب يجب أن نفكر بعقلية جديدة حين نحكم على الاقتراحات التى تتقدم بها الدول الأوروبية ، وعلى موقف بعض الرؤساء السياسيين فى الدول الجديدة .

فلقد انقضى العهد الذى كنا نرى فيه أن الحصول على الاستقلال يعتبر أمرا تقدميا . فقياس التقدمية أصبح ينحصر اليوم فى مدى الحرية السياسية والاقتصادية التى يتضمنها هذا الاستقلال .



فالمشكلة إذن هى مشكلة طبيعة السلطة فى هذه الدول الناشئة . لذا يجب أن نتبين فى هذه الظروف أن كان القائمون على السلطة يعبرون عن إرادة الشعب ، أو هم عملاء المصالح الاستعمارية لصور وأشكال شتى .





٤٠ أنيس صايغ

التاريخ .. في خدمة التطور الاشتراكي

هناك مشكلة تواجه الذين يتولون مهمة إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث وهى قلة الذين كتبوا مذكراتهم من سياسى العهود الماضية وحزبييها . قلتهم ليست بالنسبة إلى كاتبى المذكرات بين سياسيى وحزبيى ومسئولى أوروبا وأمريكا فقط ، بل أيضا بالنسبة إلى سياسيى آسيا العربية . إن عشرين سياسيا ومسئولا عربيا آسيويا ، على الأقل ، ممن لعبوا دورا فى أحداث وطنهم فى السنوات الخمس بين ١٩١٦ و ١٩٢١ نشروا مذكراتهم المفصلة عن تلك الفترة العصيبة فى تاريخ عرب آسيا . ولكن عدد المصريين الذين اشتركوا فى ثورة ١٩١٩ وكتبوا مذكرات وافية عنها لا يبلغ ربع ذلك الرقم .

ويعود تخلف مسئولى مصر السابقين عن واجبهم فى تسجيل مذكراتهم إلى عدد من العوامل : منها أنهم قلما كانوا يحسون بمسئولياتهم أمام الأمة والتاريخ ، ولا بواجب تقديم تقرير إلى الشعب عما فعلوه باسم هذا الشعب . ومنها أنهم قلما عنوا بكتابة مذكرات يومية تسجل ما يحصل لهم يوميا (ومثل هذا العمل الشخصى جدا ضرورى للمذكرات السياسية التى يكتبها المرء فيما بعد) . ومنها أنهم قلما كانوا رجال علم وفكر . ويمكن أن نستثنى أحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من مجموعة سياسيى مصر وحزبييها فى العقود الخمسة الأول من القرن الحالى .



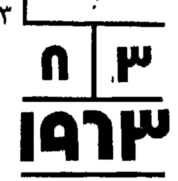
تاريخ مصر كجزء من التاريخ العربى

ثم هناك مشكلة أخرى : إن تاريخ مصر فى النصف الأول من القرن (مثله مثل طيلة القرن الماضى) إنما هو تاريخ صراع من أجل الاستقلال ، ويعنى ذلك أن التاريخ المحلى لمصر تاريخ دولى يرتبط بدولة واحدة على أقل تقدير ، وهى الدولة التى احتلت مصر من ١٨٨٢ إلى وقت قريب . ويعنى ذلك ، أيضا ، أنه لابد للمؤرخ المصرى من الاطلاع على خفايا السياسة البريطانية (والفرنسية إلى حد أقل) فى تلك الفترة ، ليفهم ظروف ما حصل فى بلاده . . عليه أن يعود - مثلا - إلى العلاقات الداخلية بين حزبى المحافظين والأحرار (قبل الحرب العالمية الأولى) ، وبين حزبى المحافظين والعمال (بعد تلك الحرب) ، وأن يعود إلى علاقات بريطانيا وفرنسا وتضارب مصالحهما ، وهى مصالح متعددة ومتشابكة ومعقدة جدا . يجب أن نعى تاريخ العالم الحديث - السياسى والاقتصادى بدرجة أولى والاجتماعى والنفسى بدرجة أقل - حتى نعى تاريخ أى بلد فى العالم . ويجب - بشكل خاص - أن نحيط بتاريخ بريطانيا الحديث (حزبيا وعسكريا وسياسيا واقتصاديا) وأن نفهم الحركة الفكتورية فيها لنفهم تاريخ مصر .

ويرتبط تاريخ مصر - من الجهة الأخرى - بتاريخ الأقطار العربية الأخرى سواء قبل استقلال هذه الأقطار عن الأتراك أم بعده . وحتى لما لم تكن مصر تعى حقيقتها العربية ، ولما لم يكن عاهلوها ولا حزبيوها ولا سياسيوها (من محمد على إلى فاروق ومن نوبار إلى سعد زغلول إلى اسماعيل صدقى) يعون ارتباطاتهم العربية ، كانت هذه الارتباطات حقيقة واقعة فى ذهن مستعمرى أرض مصر وعموم أرض العرب ، وكانت مصلحة بريطانيا فى قطر عربى ما تتحكم فى احتلال قطر عربى آخر وتقرر مصيره . فمثلا حطمت بريطانيا دولة محمد على (التى أنشأت نوعا من الوحدة شملت مصر والسودان والحجاز وسوريا) خوفا من انبثاق وحدة صحيحة تسد طريق بريطانيا البرى - البحرى إلى الهند (قبل شق قناة السويس) .

دور الأفــراد فى التاريخ

مشكلة أخرى تتطرق إلى ذهن المرء وهو يفكر فى إعادة تقويم تاريخ بلاده ، إلى أى حد نستطيع أن نفهم تاريخا حديثا (وأن نكتبه ونشرحه ونعلله بالتالى) دون أن نعنى بأخلاق الذين صنعوا هذا التاريخ (من سياسيين وحزبيين محليين) وبصفاتهم الشخصية وبأمزجتهم وبأهوائهم وبعواطفهم وبنواحى القوة والضعف فى تكوينهم الفكرى (وربما الجسدى أيضا !) . صحيح أن التاريخ تاريخ شعوب وحركات وليس تاريخ أفراد ، لكن ذلك لا ينفى دور الأفراد الذين يصنعون فيه أكثر مما تصنعه الجماعات ، سواء رضيت الشعوب عن ذلك أم لم ترض . هل ينفصل التاريخ العربى الحديث ، مثلا ، عن جمال عبد الناصر ؟ وهل بإمكان مؤرخ



٤٥

أن يفصل بين عبد الناصر المسؤول (المسؤول عن دولة وعن أمة وعن حركة) وبين نواحى الجرأة والاخلاص والمثابرة والصراحة والأمانة فى شخصيته ؟ ولكن أين هى المعلومات عن صفات وشخصيات مسؤولى الأمس ، لما كان الواحد منهم يتستر وراء الاقتناع العام لدى الشعب بأن مجرد الكلام فى الصفات الخاصة عيب .

والتاريخ العربى فى حاجة إلى دراسة

لا تقلل هذه الصعوبات من أهمية ولا من ضرورة الخطوة التى اتخذتها الجهات المسئولة فى الجمهورية العربية المتحدة بإعادة كتابة تاريخ مصر الحديث وتقويمه ، ولكن وجود عدد لا بأس به من المؤرخين المصريين ، من أصحاب الكفاءة العلمية والضمير الواعى ، يبشر بنجاح هذه الخطوة نجاحا نرجو أن يكون مثالا تسير وراءه الأقطار العربية الأخرى التى لا تقل حاجتها إلى إجراء كهذا عن حاجة الجمهورية العربية المتحدة نفسها . بل إن هناك أقطارا عربية لم يسجل تاريخها بعد تسجيلا وافيا ، أو لم يسجل تاريخ أحداث بارزة فيها على عكس مصر التى لا تشكو من ندرة الكتابات التاريخية الحديثة وإنما تشكو من عدم كمال هذه الكتابات . ولو استثنينا بعض المؤلفات التاريخية التى وضعها بعض الكتاب العرب باللغة الانجليزية (أمثال جورج أنطونيوس وفيليب متى ومجيد خضورى والبرت حورانى ونقولا زيادة وزين زين . وكلهم لبنانيون بالأصل أو الإقامة أو الدراسة) لأمكننا القول إن الدراسات العربية فى التاريخ المصرى الحديث تتفوق على الدراسات فى تاريخ عرب آسيا العربى ، من حيث الكمية والنوعية ، تفوقا بالغا . هناك أكثر من حدث عربى بارز لم يسجل بعد تسجيلا كاملا صحيحا ، ولا مجرد تسجيل واحد صحيح فقط · كثورتى العراق الوطنيتين ١٩٢١ و ١٩٤١ . ولا تزال معلوماتنا عن هاتين الثورتين تستمد إما من الكتابات الانجليزية (وهى ، بالطبع ، متحاملة على الثورتين لأنهما كانتا ضد بريطانيا) أو من الكتابات العربية العابرة ، العاطفية إلى أبعد الحدود . نشر بعض أقطاب الثورتين مذكراته (أمثال سليمان فيضى وصلاح الدين الصباغ) ، ولكن لم يستغل أحد من الجامعيين هذه المذكرات فى إعادة صياغة تاريخ العراق ما بين بدء الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب العالمية الثانية . ويقال الكلام نفسه على أحداث سورية وفلسطين فى الفترة ذاتها مع أن فى أولاهما مذكرات ووثائق حكومية وافرة .

إن إعادة تسجيل التاريخ الحديث لكل قطر عربى بمفرده خدمة مزدوجة للتاريخ العربى : فهى إلى جانب توضيح أحداث ذلك القطر ، خطوة لابد منها نحو كتابة التاريخ العربى الحديث الواحد للوطن العربى بأكمله ، فكتابة هذا التاريخ العام الشامل لا سبيل إليها إلا بعد كتابة تاريخ كل جزء من أجزاء الوطن .



د . محمد سعيد العطار

٤١

اليمن بين التخلف والانعزال والقوى الاستعمارية

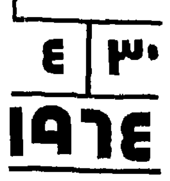
لا توجد قواعد عامة للتخلف يمكن تطبيقها على كافة البلاد ، وفى كل الحالات .

كما أن النظرة العلمية يجب أن تتجنب تحديد معايير جامدة للتخلف أو مقاييس تلتزمها فى التطبيق على جميع حالات « التخلف » .

حقا إن للدراسات النظرية العامة أهمية لا يمكن إنكارها ، فى الكشف عن السمات العامة والمشتركة للتخلف ، إلا أنه فى الوقت نفسه توجد لكل بلد وكل منطقة خصائص ومميزات ترجع إلى وضعها الجغرافى وتطورها التاريخى والاقتصادى . وقد تكون بعض عوامل التخلف ثانوية فى بلد ما بينما تلعب دورا رئيسيا فى بلد آخر .

واقع البلد :

إن الدراسات الخاصة عن الظروف الموضوعية لواقع البلد تعتبر بمثابة همزة الوصل بين الدراسات النظرية العامة وبين المشاكل العملية التى تواجه الشعوب . ومراعاة هذا الأسلوب له أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة التخلف فى اليمن ، إذ يجب أن نبدأ من الواقع إلى النظرية ومن الخاص إلى العام وحينئذ يمكن الاستفادة من الدراسات النظرية العامة ومن البحوث العلمية حول هذا الموضوع .



إن المقاييس المتعارف عليها للتخلف ، مثل سيطرة الاستعمار ، الاعتماد اقتصاديا فى تصريف السلع الرئيسية على السوق الخارجية ، متوسط دخل الفرد ، إلى جانب المعايير الاجتماعية والسياسية المتباينة لا يفسر مشكلة التخلف فى اليمن ، رغم وجودها بدرجات متفاوتة ، ولكنها مجرد أفعال للتخلف وليست أسباب التخلف .

فى المجتمعات السابقة على المجتمع الصناعى ، كان الاقتصاد معتمدا على الزراعة ، والتفاوت بين البلاد المختلفة فى كافة بقاع العالم تفاوت محدود ، يتوقف على العلاقات الانتاجية القائمة التى تحددها علاقات الملكية واستغلال طاقة الأرض الانتاجية .

الثورة الصناعية :

وجاءت الثورة الصناعية لتفجر طاقات جبارة وتوسع الهوة بين البلاد الصناعية والبلاد الزراعية التى وقعت فريسة الاستعمار ، ليدفع بها إلى الوراء إلى مزيد من التخلف ، ويعرقل أى اتجاه للتصنيع ، بل ويحطم الصناعات المحلية القائمة فعلا ؛ لاستنزاف أكبر قدر من الأرباح عن طريق نهب المواد الخام الأولية وإعادة تصديرها بعد تصنيعها إلى أسواق البلاد المستعمرة والتابعة لتجنى مزيدا من الأرباح .

لكن التناقضات تعتمل فى داخل البلاد الرأسمالية لتقف عقبة فى طريق التقدم داخل هذه المجتمعات ذاتها ، وتعرقل نمو قوى الانتاج ، حتى أن عجلة الانتاج نفسها تدور بأقل من طاقاتها الانتاجية . فمن الثابت أن إنتاج البلدان الرأسمالية يخفض إلى نحو ٧٠ فى المائة من الطاقة الانتاجية الحقيقية كما أن البطالة تسود هذه المجتمعات ، فيبلغ عدد العاطلين عن العمل فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ٥ ملايين عامل بصفة دائمة ، هذا إلى جانب البطالة الجزئية . وهكذا فإن أكثر البلاد الرأسمالية تقدما ورخاء تعانى من نوع من التخلف فيما يتعلق بمشاكلها الاجتماعية ، وبالنسبة إلى خاماتها الانتاجية وإمكانات التقدم فيها .

إن النمو الاقتصادى الرأسمالى فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية هو السبب الرئيسى فى تأخر اقتصاد البلاد المتخلفة ، لكنه ليس السبب الوحيد للتخلف ، خاصة فى بلاد لم تستعمر استعمارا مباشرا كاليمن وأفغانستان والتبت .

وهكذا تبدو أهمية التعمق فى دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اليمن عن الطبيعة الخاصة المميزة للتخلف فيها حتى نتمكن من استخلاص صورة صادقة دون أن نلجأ إلى المقارنة بالبلاد الصناعية المتقدمة فى وضعها الحالى ، بل فى مرحلة ما قبل التطور الصناعى إذ أن اليمن كان على مستوى مرتفع من الثراء الاقتصادى والمعرفة الفنية والخبرة بمشاكل الانتاج على مدى قرون طويلة .





إن تاريخ اليمن الاقتصادى والاجتماعى يكشف عن التقدم الحضارى ممثلا فى مشاريع الرى الجبارة التى أقيمت فى شتى أنحاء البلاد خاصة مشاريع مأرب ولحج وعدن ، إلى جانب مستوى مرتفع من الإلمام بمشاكل الزراعة ، وتنظيم التجارة الخارجية سواء بالملاحة عبر المحيط الهندى إلى الصين والهند ، أو عن طريق البر فى المعاملات التجارية مع العالم العربى والقارة الأوروبية .

الصراع المذهبى :

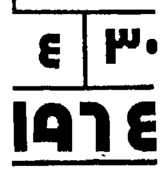
إن هناك تصميما متعمدا من جانب القوى الاستعمارية العالمية والرجعية للخلافات بين المذاهب فى اليمن ، فالواقع أنه ليست هنالك خلافات جوهرية بين مذهبى الشيعة والسنة ، إنما يقتصر الخلاف على مسائل تفصيلية ، لكن هذه الخلافات استغلت أبشع استغلال لتعميقها بصورة مفتعلة فى الصراع من أجل السيطرة على الحكم . وهكذا تفرقت اليمن بين المذهبين وانقسمت صفوف اليمن حتى توصل النظام الإمامى الزيدى إلى السيطرة على مقاليد الحكم فى المناطق الجبلية العليا عاملا على تطبيق نظام سياسى واقتصادى يخدم مصالح الطبقة التى ينتمى إليها ، بينما استمرت العلاقات الوطيدة بين المناطق الأخرى التى لم تخضع لحكم الإمام وبين العالم الخارجى إلا أن الإمامة بنظامها الرجعى سرعان ما سيطرت على هذه المناطق وعزلتها تماما عن العالم .

إن اختيار الإمام يتم على أساس البيعة من مجلس محدد مؤلف من السادة الزيدية ، وبذلك تتركز السلطة المطلقة الكاملة بيد الامام طوال حياته . ويتخذ من الدين ذريعة للقضاء على أية معارضة سياسية أو اجتماعية لسلطته . وقد استخدم نظام الرهائن من كافة القبائل للتحكم فى ولائها وحتى الزيود منهم .

والطبقة الحاكمة تملك مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية ، وتحتكر كافة الامتيازات الاقتصادية ، مما يكشف عن طبيعة النظام وحقيقته . إن الاسلام كدين والزيدية كمذهب يستخدمان بغير وجه حق لاخفاء الاستغلال والاستبداد الطائفى ولتدعيم الامتيازات وحقوق ملكية الأرض واحتكارها لفئة من المستغلين .

وهنالك دراسات أوروبية ساذجة متأثرة بالنظرة العنصرية ، تعزو التخلف فى اليمن إلى واقع أن بعض المبادىء الاسلامية تقف عقبة فى طريق التقدم الاقتصادى ، وهو تحليل خاطىء إذ أنه لا يقدم لنا تفسيرا للتقدم الاقتصادى والاجتماعى لليمن حتى القرن السادس عشر . أو يوضح لنا العوامل التى تؤدى بالاسلام دون الديانات الأخرى إلى الانفراد بهذا التأثير المعرقل للتقدم .

إن التخلف فى العالم الاسلامى لا علاقة له بالدين ، بل يعود إلى السيطرة الاستعمارية



والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية الداخلية ، وإلى تقسيم العالم العربى وتفتيت وحدته .

كما أن التخلف فى اليمن يرجع إلى نفس الأسباب ، الا وهى انعزال اليمن عن العالم الخارجى إلى جانب سيطرة الاستعمار ورأس المال الأجنبى على البلاد المحيطة بها ، والحكم الإمامى الرجعى ـ حكم طبقة كبار ملاك الأرض واستخدام الدين ذريعة للبطش بالشعب والدين من كل هذا براء .

الانعزال فى سبيل البناء .

لقد أدركت الطبقة المستغلة المسيطرة على الحكم فى اليمن أن العلاقات بالعالم الخارجى تهدد كيانها وتضعف من قبضتها على مقاليد السلطة ، ولذلك عملت على قطع كافة العلاقات بدول العالم ، وخاصة العالم العربى ودول المحيط الهندى ، بعد العلاقات التاريخية الوثيقة التى كانت تجمعهم وتتيح فرص التبادل التجارى والثقافى والعلمى .

وقد سمحت الأوضاع الاقتصادية باليمن بنجاح هذه السياسة ، فبالرغم من وسائل الانتاج البدائية إلا أن ثراء وخصوبة الأراضى ومقدرة الفلاح اليمنى وخبرته بأعمال الزراعة والرى وتنوع المنتجات الزراعية بسبب وجود الأرض الصالحة للزراعة ووفرتها على ارتفاعات مختلفة من سطح البحر ، أتاح إمكانية خلق نوع من الاكتفاء الذاتى لسد الاحتياجات الغذائية الرئيسية والمتنوعة للشعب . كما أن هجرة عدد كبير من السكان هربا من الاستبداد وسوء الأحوال الاقتصادية ، وكثرة الوفيات بسبب تدهور الحالة الصحية ، خففت من حدة المشكلة الغذائية .

الامبريالية والاستعمار :

ورغم أن الاستعمار لعب دورا رئيسيا فى تجميد الأوضاع فى اليمن ودفعها إلى التخلف ، إلا أن دوره غير مباشر ، نتج عن التسلط الاستعمارى على البلاد المجاورة لها فى أفريقيا وآسيا . فقد عمل الاستعمار على تحطيم أى اتجاه إلى التصنيع فى هذه البلاد ، محتفظا بالمنطقة كلها فى حالة من التخلف ، انعكس أثرها على اليمن ، بل وتدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية فى اليمن أكثر منها فى البلاد المجاورة بسبب سياسة العزلة التى فرضتها عليها السلطة الإمامية .

حقا إن اليمن لم يحتل عسكريا ـ فيما عدا المحميات أو اليمن المحتل ـ كما يرتبط الاقتصاد اليمنى بالاستعمار فى صورة الاعتماد على تصدير محاصيل نقدية أساسية ، إلا أن وجود اليمن فى منطقة مستعمرة خاضعة للنفوذ الأجنبى كان عاملا من عوامل التخلف . لكن التنمية الاقتصادية بكل طاقاتها وإمكاناتها الجبارة كفيلة بالتغلب على التأخر والتخلف ، قادرة

على اجتياز المسافة التى تفصلنا عن أكثر البلاد تقدما فى عالمنا المعاصر واللحاق بقافلة الشعوب المتحررة لرفع مستوى معيشة الشعب وتدعيم استقلاله السياسى .

إن التخلف السياسى مجسدا فى النظام الإمامى كان العقبة الرئيسية فى طريق أى تنمية اقتصادية أو تقدم اجتماعى ، وانهيار هذا النظام السائد بفضل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فتح آفاقا جديدة للتطور والتقدم والرخاء ، ومهد الطريق للقضاء على كافة آثار التخلف والعبودية .



٤٢ وحيد النقاش

الأبعاد السياسية والاجتماعية لميلاد المسرح فى بلادنا

لماذا نناقش هذه المشكلة اليوم ؟ . . إن الحركة المسرحية فى بلادنا تنمو طولا وعرضا وفى اتجاه العمق ، وتقف منها الدولة موقفا ايجابيا ماديا ومعنويا دون ما حجر ارادى . ووسط هذا النشاط المتوهج نرى محاولات نظرية كثيرة للبحث عن الجذور ، وليس ما نقوله اليوم ـ فى نهاية موسم مسرحى حافل ـ إلا مجرد وجهة نظر قابلة للمناقشة .

ثمة حقيقة تاريخية تؤكد أن « يعقوب صنوع » الذى ولد فى القاهرة ومات فى باريس ، هو أبو المسرح العربى فى مصر . وربما تعذر على أى دارس أن ينكر هذه الحقيقة . غير أن وقائع التاريخ قابلة للتفسير دائما كلما تجددت العصور ، ونحن نحاول أن نلقى عليها من ضوئنا الخاص ما يجعلها قابلة للاندماج فى تجربتنا المعاصرة كعنصر حى من عناصرها .

وقد كان الدارسون حتى وقت قريب يأخذون بعض الأمور وكأنها مسلمات تستعصى على المناقشة والبحث ، ومن ذلك رواج أسطورة النضال الوطنى ليعقوب صنوع الذى قاده بحماس ضد الطبقة الحاكمة وضد من كانوا يقبضون بأيديهم على مصير الشعب المصرى ، والذى انتهى به ـ فيما يقال ـ إلى النفى خارج حدود البلاد . ومن حسن الحظ اليوم أن حياة يعقوب صنوع قد أصبحت واضحة التفاصيل حتى انه لم يعد من المتعذر رؤية الأمور على وجهها الصحيح ، ومن حسن الحظ أيضا أن فن يعقوب صنوع المسرحى كله على التقريب قد أصبح فى متناول





الدارسين حتى أنه لم يعد من المتعذر ـ أيضا ـ الوصول إلى نتيجة واضحة فيما استطاع أن يعطيه بالضبط للمسرح العربى فى مصر . فهناك مجلد كبير يحتوى على سبع مسرحيات وقطعة حوارية من انتاج يعقوب صنوع ، ونشرها فى بيروت فى نهاية العام الماضى الدكتور محمد يوسف نجم أستاذ الأدب العربى بالجامعة الأمريكية ، وهناك دراسة قيمة نشرها الدكتور أنور لوقا فى مجلة « المجلة » بالقاهرة فى مارس عام ١٩٦١ .

وقبل أن نبدأ فى عرض ومناقشة الوثيقة التاريخية الهامة التى تركها يعقوب صنوع فى صورة مسرحية قصيرة من خمسة مناظر أسماها « موليير مصر وما يقاسيه » لابد أن نذكر عدة حقائق أساسية تدخل فى تكوين الخلفية الاجتماعية والسياسية للمجتمع المصرى فى نهاية القرن التاسع عشر ، أى فى تلك الفترة الأليمة من حياة الشعب المصرى التى صعد فيها على منصة الحكم عدد من « وارثى » العرش من أسرة محمد على على حسب تغير ظروف الاستعمار . لقد كانت حياة الشعب المصرى تخضع لصورتين متعاونتين من صور الضغط الرهيب تتمثلان فى : الاقطاع والملكية ، وكلاهما كان متحالفا مع الاستعمار تحالفا كاملا بل انهما كانا يخضعان فى نهاية الأمر لمخططاته ويلتزمان بتنفيذها ، ولو كان ذلك على حساب تنازلهما عن جزء من مصالحهما الخاصة . غير أنه لم تكن هناك قوى سياسية تمثل « مجموع » الشعب تتبلور فيها مصالحه لتقف فى وجه ظالميه ، لم تكن هناك ـ بمعنى آخر ـ صورة محددة للصراع بين الشعب وبين القوى التى تضغط عليه وتستهلك قواه لتعصرها أرباحا ومكاسب تستمتع بها . كان الفلاح كما هو لا يزال صابرا منذ آلاف السنين يئن لنفسه شكواه الخاصة ولا يخرج أبدا من حدود عالمه الضيق المخنوق الذى تضيئه بنور باعث خرافات ذات أوجه متعددة ،تفسر له الحياة بالقدر الذى يسمح له بالتحرك الرتيب فى نطاقها : خرافات دينية وخرافات شعبية متوارثة من رواسب حضارات مرت عليه وانحسرت عنه دون أن تغيره . وكان أرباب الحرف فى المدن يعيشون الحياة الهزيلة الهامشية ، وكانت البرجوازية الصغيرة فى بداية عهدها تتسلل إلى أجهزة الدولة فى خضوع لتحركها كما تفرض إرادة الاقطاع المتحرك بدوره حسب إرادة الاستعمار ، وكانت لعبة « الملوك » التى يلعبها الاستعمار الأوروبى لتحقيق مصالحه فى مصر على أشدها ، فالملك الذى لا يؤدى دوره كاملا فى خدمة الاستعمار يعزل ليحل محله ولى عهده من نفس الأسرة لكى « يتوسع » فى خدمة الاستعمار .

وفى هذا الجو كان ضغط الاستعمار وضغط الاقطاع السائر فى ركاب الملوك والسلاطين يخلق حياة ظالمة للشعب المصرى . وكانت المعالم الخارجية للثقافة الرسمية ترسم فى حدود هذا الاطار غير العادل . فالثقافة الدينية كانت تعيش ـ وما زالت ـ فى داخل الجامعة الأزهرية العريقة ، والثقافة الأوروبية بدأت تشع ببصيص ضئيل على الحياة المصرية منذ الحملة الفرنسية ، ثم بعد أن عاد الشيخ رفاعة الطهطاوى من أوروبا لينشىء مدرسة الألسن فى عهد



محمد على . وبعض مظاهر الحياة المتحضرة كان يدخل إلى حياة المجتمع المصرى فى صورة مؤسسات مدنية تعمل على تحسين الواجهة الخارجية التى تطل على أوروبا وعلى الاستعمار الأوروبى ، وتساعد على تشغيل الجهاز الذى يدر أرباحا ونتائج يجنيها المنتفعون أولا بأول أما الأعماق ، أما الحياة الحقيقية لأبناء الشعب ، مادية ومعنوية ، فقد كانت مأساة متصلة ومكتومة .

فماذا كانت الأشكال الأدبية والفنية التى كانت تعيش فى هذا الجو ، والتى كانت لها جذور فى حياتنا الثقافية ؟ .

أهم هذه الأشكال ـ فى الاطار الرسمى ـ كان الشعر . وفنون الأدب النثرى لم تعرف أى تنوع . فهناك المقامات والخطب والمقالات ولا أكثر ، ولن أتحدث عن الألوان التعبيرية الشعبية الآن ، فإن لها مجالا آخر وتحتاج إلى دراسات أخرى ، ولكن الذى يهمنا أن الشكل المسرحى لم يكن موجودا على أى نحو ؛ وذلك على عكس الفكرة الشائعة لدى البعض اليوم ، والتى تؤكد وجود هذا الشكل فى صور بدائية (فهذه الصور البدائية موجودة لدى جميع شعوب العالم) . فالفكر العربى والثقافة العربية قد أنكرا المسرح لأسباب كثيرة . وعندما دخل الشكل المسرحى فى صورته المتعارف عليها فى أوروبا دخل مصاحبا لجريمة ارتكبها الخديو اسماعيل فى حق الشعب المصرى بقتل عدد رهيب من الفلاحين الذين سخروا فى حفر قناة السويس ؛ عندما بنى دار الأوبرا على الطراز الفرنسى لاستقبال الامبراطورة أوجينى وتمهيدا لجعل مصر « قطعة من أوروبا » . وقد دخل المسرح إلى مصر فى صورة أوبرا أجنبية ، وكان جمهوره هو الحكام ومن يحيط بهم من الاقطاعيين . ومبانى المسارح التى أقيمت فى مصر هى « مسرح الكوميدى » الذى بنى خلال أسابيع فى ميدان الأزبكية وافتتح فى ٤ يناير سنة ١٨٨٩ لتقدم عليه فرق فرنسية بعض الروايات التى كانت شائعة فى باريس ، ودار الأوبرا التى افتتحت فى ١ نوفمبر من نفس العام وقدمت عليها أوبرا « ريجوليتو » للموسيقار الايطالى فردى . هذا بالاضافة إلى المسارح التى كان يمتلكها الخديو فى قصوره .

اذن فالمسرح العربى فى مصر لم يكن معروفا قبل عهد صنوع ، وأول فضل يمكن أن يحسب له هو أنه قدم أول عمل تمثيلى باللغة العربية (أو بالأحرى باللهجة المصرية) ، بممثلين مصريين ، وجمهور مصرى ! ويمكن أن نؤرخ لهذه البداية بكلمات يعقوب صنوع نفسه التى احتواها خطابه الذى ألقاه فى احدى الجمعيات فى باريس عام ١٩٠٢ : « ولد مسرحى على منصة مقهى موسيقى كبير فى الهواء الطلق قائم وسط حديقتنا الجميلة : حديقة الأزبكية بالقاهرة . وفى تلك الحقبة ، أى فى سنة ١٨٧٠ ، كانت فرقة فرنسية مجيدة من الممثلين والمغنين والموسيقيين ، وفرقة مسرحية ايطالية ممتازة تقدمان للأوروبيين من أهل القاهرة أطيب متعة وشهدت جميع





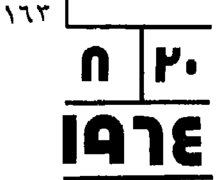
ما قدمه هذا المقهى الموسيقى ، فإن الفرنسية والايطالية لغتان أحبهما حبا جما ، وقد درست كبار كتابهما المسرحيين . وهل ينبغى أن اعترف ؟

نعم ، إن الفصول الهزلية القصيرة (الفارس) ، والتمثيليات الغنائية (الأوبريت) ، والمسرحيات الكوميدية ، والمآسى التى أداها الممثلون على هذا المسرح هى التى أوحت لى بفكرة تأسيس مسرحى العربى ، وأعاننى الله على انشائه . ولكنى قبل أن أشرع فى إنشاء مسرحى المتواضع ، درست دراسة جدية أدباء المسرحية الأوروبيين لا سيما جولدونى وموليير وشريدان فى لغاتهم الأصلية : أى الايطالية والفرنسية والانجليزية . وحين آنست أننى أجيد بعض الاجادة فن المسرح ، كتبت تمثيلية غنائية من فصل واحد ، باللغة الدارجة ، لأن العربية كاليونانية ، فيها الفصحى والعامية .

واقتبست للمقطوعات الغنائية ألحانا شعبية ، وعلمت الرواية لنحو من عشرة فتيان أذكياء انتخبتهم من تلاميذى ، وارتدى أحدهم ملابس النساء ليقوم بدور العاشقة . ولما تم ذلك ، قصدت قصر عابدين وسلمت مخطوطة الرواية لخيرى باشا ، رئيس تشريفات الخديو اسماعيل ، راجيا سعادته أن يقدمها ، مع تحيات الاحترام لجنابه . ويبدو أن خيرى باشا الذى كان يودنى ودا كبيرا قد استخدم بلاغته كلها لأداء المهمة » .

ظل يعقوب صنوع يمارس العمل فى المسرح طوال عامين متواصلين ، من ١٨٧٠ حتى ١٨٧٢ . وخلال هذين العامين انتج معظم المسرحيات التى قدمها مسرحه ، والتى وصل عدد منها إلينا اليوم . وبقدر ما تهمنا نقطة البداية ، علينا أن نركز تأملنا قليلا فى الانتاج المسرحى الذى خلفه صنوع لكى نحاول الخروج بنتائج محددة ، ذلك لأن نقطة البداية دائما هى التى تحدد خط السير إلى درجة كبيرة . فكما كانت تدور حياة البلاد والحاشية فى فلك الأمراء والملوك ، فإن المسرح العربى فى مصر كان يدور ، عند مولده ، فى فلك الاقطاع والملكية أيضا . ولا ضير أن يكون الأمر كذلك من الناحية الفنية ، لو أن ذلك كان تعبيرا عن حركة المجتمع ككل فى ذلك الوقت ولو أن المسرح كان مستندا إلى تراث طويل من التقاليد المسرحية ، فالمسرح الكلاسيكى الفرنسى فى القرن السابع عشر بأعلامه الثلاثة : « كورنى » و « موليير » و « راسين » قد كان يعكس ذلك التوازن المؤقت الذى أحدثه « الملك الشمس » لويس الرابع عشر فى المجتمع الفرنسى خلال ذلك القرن بين القوى الرئيسية التى تسيطر على المجتمع ، فكانت تلك القيم الفنية التى تبلورت فى الحركة الكلاسيكية وكانت دليلا عليها . ولكن مسرح صنوع كان يرمى أساسا إلى تسلية الطبقة الحاكمة .





٤٣

لطفى الخولى

نحـــو ... جامعـــة للشـــعوب العربيـــة

لم يعد هناك شك فى أن « وحدة القوى الثورية العربية » قد أصبحت محور النشاط الفكرى والعملى لشعوب الوطن العربى بقياداتها القومية التقدمية . ولم يعد سرا خافيا تلك الاتصالات الجارية بلا انقطاع اليوم بين كل من القاهرة والجزائر ودمشق وصنعاء وبغداد فى هذا المجال . هذه الاتصالات التى شكلت صدمة عنيفة لكل القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية بحساباتها وتوقعاتها التقليدية ذات المعايير الذاتية ، فلقد رسمت هذه القوى المعادية للثورة العربية خططها على أساس أن ثمة خلافات وصعابا لا يمكن تخطيها مثلا بين القاهرة ودمشق ، أو أن حركة ١٩ يونيو فى الجزائر قد أوهنت الروابط الأخوية بين القاهرة والجزائر ، أو أن وفاة عبد السلام عارف قد أثرت على العلاقات بين القاهرة وبغداد . ولكن إذ بهذه القوى تصحو فجأة على حقيقة أن « المشترك » بين القاهرة وكل من الجزائر ودمشق وبغداد وصنعاء أقوى وأعظم وأرسخ موضوعيا مما قد يكون هناك من خلافات . ذلك أن طبيعة الصراع فى الوطن العربى اليوم بين مصالح القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية من جانب ومصالح الجماهير العربية فى تحرير إرادتها وأرضها ولقمة عيشها ، يستقطب بالضرورة فى كيان واحد ومصير واحد القاهرة مع الجزائر وصنعاء ودمشق وبغداد ، بغض النظر عن كل ما يكون هناك من اعتبارات ذاتية أو خلافات ثانوية ، فهذه كلها اعتبارات وخلافات تذوب خلال حرارة المعركة التى بلغت اليوم أقصى درجاتها . فالذى يهم الآن وقبل كل شىء آخر ، هو حماية وصيانة (بيت





الشعب العربى) من اللصوص وقطاع الطرق والمخربين ، لا « ماذا يكون لون طلائه الخارجى » ؟ !

ولعل هذه الصدمة التى أصابت معسكر الاستعمار والرجعية فى الوطن العربى ، نتيجة سرعة تحرك القوى العربية الثورية نحو بناء وحدتها ، هو الذى جعل القوى المعادية تبدو كما لو كانت تشرع فى الانسحاب مرغمة إلى مواقع الدفاع بعد أن كانت تتقدم مواقع الهجوم بفظاظة ودون حياء . فالحلف الاسلامى مثلا راح يتجمد اليوم عند حدود الرياض وتونس وطهران فحسب دون أن يتقدم بخطوة ظاهرة واحدة نحو توسيع هذه الحدود ! ، والقوى الاستعمارية البريطانية فى الجنوب العربى تعلن تأهبها للانسحاب من الجنوب العربى وسط ضباب كثيف من المناورات آخرها الظهور بمظهر الاذعان الشكلى لقرارات الأمم المتحدة ، الأمر الذى يفزع « عملاءها الحكام من السلاطين » فيهرعون إلى طلب ضمان بريطانى للدفاع المسلح عنهم وعن مصالحهم الخ . . .

ولكن هذا « التقهقر المنظم نحو الخلف » من جانب القوى الاستعمارية والرجعية لا يجب أن يخدعنا لحظة ، لأنه فى حقيقته ليس إلا مجرد حركة تكتيكية مؤقتة ، لها مدى قدرة وضخامة القوى العربية الثورية بمراكزها الخمسة على العمل المضاد السريع والموحد . وليس أدل هنا على ذلك من صفقات الأسلحة الأمريكية والبريطانية التى تتدفق على اسرائيل والسعودية معا ، بالاضافة إلى حملات الارهاب الواسعة النطاق ضد العناصر الثورية فى أقاليم معينة من الوطن العربى .

كذلك فإن « وحدة القوى العربية الثورية » ليست مجرد « رد فعل » للتحرك الاستعمارى والرجعى الجديد المتسم بالارهاب واستخدام القوة المسلحة ، ولكنها فى جوهرها « فعل ضرورى » لا بديل له ، و « حتمية تاريخية » تاكتيكيا واستراتيجيا فى نفس الوقت ، وذلك نتيجة لوحدة المعركة التحريرية والاجتماعية فى الوطن العربى ككل دون ما تجزئة .

فعندما استطاعت الثورة العربية القومية التقدمية أن تنفجر فى مصر عام ١٩٥٢ ، وتبنى فوق أرضها وبين أحضان شعبها قاعدة ثورية ، مادية ومعنوية ، حتى راحت تلتحم إلتحاما عضويا بثورات الشعب العربى فى كل مكان من وطنه ، مهددة فى الصميم مصالح الاستعمار القديم والجديد بقواعده واحتكاراته جنبا إلى جنب مع مصالح الرجعية من اقطاع ورأسمالية كبيرة .

ومن هنا لم تعد القضية قضية مصر وحدها ، أو الجزائر وحدها ، أو سوريا وحدها ، أو اليمن وحده ، أو العراق وحده ، أو أى بلد آخر على حدة ، وانما أصبحت القضية ـ بالنسبة للقوى الثورية والقوى المعادية معا ـ هى قضية التحرير الكامل للوطن العربى أو استمرار هذا



الاستغلال بصوره المتنوعة . . قضية الوحدة الشاملة بمضمونها الديمقراطى الاشتراكى أو تكريس الانفصال والتجزئة .

ولقد تأكد هذا عمليا من جانب كل القوى الثورية والقوى المعادية طوال تاريخ الأحداث منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم . فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ مثلا وحدت القوى الاستعمارية والقوى الرجعية العربية صفوفها وخططها لا لضرب مصر وحدها وفى حد ذاتها ، ولكن لضربها كقاعدة ثورية وتصفية ثورية الشعب العربى ككل ، وفى مقابل هذا وحدت القوى الثورية العربية صفوفها وخططها أيضا من حول الشعب العربى وقيادته الثورية فى مصر فى المقاومة حتى النصر . كذلك كان الوضع بالنسبة للثورة فى الجزائر ، وفى العراق وفى اليمن ، وفى الجنوب العربى ، وفى الوحدة المصرية السورية ، ثم فى مقاومة الانفصال الخ . . واليوم نرى نفس الاستقطاب للقوى الثورية والقوى المعادية على مستوى الوطن العربى ، إبتداء من الحلف الاسلامى وتسليح السعودية واسرائيل حتى العدوان على ثورة اليمن وممارسة الضغوط الاقتصادية على الدول العربية الخمس المتحررة .

بيد انه إذا كان هذا هو الخط العام للمعركة المتصلة الحلقات بين قوى الثورة العربية والقوى المعادية ، فإن ذلك لا يجب أن يطمس ما بين ظروف الأمس وظروف اليوم من اختلافات يجب أن تكون موضع اعتبارنا عند بناء وحدة قوانا الثورية اليوم ، لتأتى عملية وفعالة وقادرة

فالقوى المعادية اليوم تعمد إلى استغلال الدين لتكوين تجمع استعمارى رجعى فى صورة كيان مجسد قادر على الحركة تحت اسم حلف اسلامى .

ومن هنا يصبح واجبا أن تعمد قوانا الثورية إلى تكوين تجمع شعبى فى صورة كيان مجسد قادر على الحركة يضم كل القوى الشعبية فى كل أرجاء الوطن العربى ، وليكن ذلك مثلا تحت اسم « جامعة الشعوب العربية » ، تتكون من كل التنظيمات السياسية الثورية والمنظمات القومية الجماهيرية كإتحاد الصحفيين العرب ، والكتاب العرب ، والمحامين العرب ، والأطباء العرب ، والعمال العرب ، والمهندسين العرب ، والنساء العرب الخ . . ، بحيث تصبح هذه الجامعة هى « الاطار السياسى الموحد » لحركة جميع هذه التنظيمات والمنظمات القومية سياسيا . ويمكن أن تنبثق هذه الجامعة من مؤتمر قومى عام يحضره مندوبون مفوضون عن جميع هذه التنظيمات لاقرار ميثاق منهجى للعمل وأهدافه ، ولائحة تنظيمية بقواعد العمل وأجهزته النضالية الدائمة ومن الطبيعى أن يسبق هذا النوع من الاعداد تقوم به لجنة تحضيرية مؤقتة . إن قيام مثل هذه الجامعة بأجهزتها التنظيمية سوف لا يقف بالحركة الثورية العربية عند حدود المقاومة ، بل سيتيح لها نقل المعركة بفاعلية منظمة ومدروسة إلى قلب مواقع القوى الاستعمارية والرجعية نفسها .





والقوى المعادية اليوم أيضا تعمد بشكل متزايد إلى أسلوب الارهاب الدموى ضد المناضلين كأفراد ، وضد الثورية كتجمعات شعبية ونظم اجتماعية ، بل إننا نلحظ أن القوى الاستعمارية والرجعية قد أخذت تطور من تكتيكاتها فتستعير الأساليب الثورية التاريخية ذاتها فى أعمالها التخريبية الراهنة ، كأسلوب حرب العصابات ، فنرى القوى الاستعمارية والرجعية العربية مثلا تستخدم هذا الأسلوب فى هجومها على الشعب اليمنى ونظامه الجمهورى الثورى وكذلك تفعل اسرائيل فى هجومها على الشعب العربى على طول خطوط الهدنة .

ومن هنا يصبح واجبا أن تتسلح القوى الثورية العربية تنظيميا ، وفى إطار القيادة الرياسية لجامعة الشعوب العربية ، بكادر ثورى من جميع أبناء الشعب العربى . وبذلك تتكون للثورة العربية التقدمية قوى نضالية قادرة على الحركة الفعالة والسريعة لمقاومة وردع الارهاب الاستعمارى الرجعى بمختلف مراكزه وصوره .

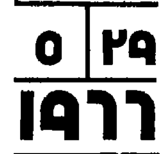
إن عمل الوحدة الثورية لقوانا العربية يجب أن يتجسد سياسيا وعسكريا فى وقت واحد فى دائرة حماية الثورة اليمنية ومشاركة الثورة فى الجنوب العربى ، وفى ردع العصابات الصهيونية ، وتحرير فلسطين وجميع أجزاء الوطن العربى الأخرى ، التى ما زالت مقيدة بقيود الاستعمار والاستغلال ، وفى الرد بجرعات مضاعفة وحاسمة على كل عمل إرهابى ـ صغيرا أو كبيرا ، فرديا أو جماعيا ـ تقدم عليه القوى الاستعمارية والرجعية فى أى مكان من وطننا العربى .

والسؤال الآن : هل نحن قادرون على ترجمة هذا الكلام النظرى إلى واقع حى ؟ . وبتعبير آخر : هل يمكن استنبات مثل هذا التنظيم السياسى المسلح بقوانا العربية الثورية الموحدة من أراضيه فى ظروفنا الراهنة .

إن الاجابة النظرية على هذا السؤال تؤكد قدرتنا على هذا كله إذا توافرت لدينا درجة عالية من الوعى الجماعى بضرورة هذا النوع من التنظيم وأهدافه أولا ، ثم وجود إمكانات مادية وبشرية كافية تحت أيدينا لصياغة هذا التنظيم بجميع أجهزته ثانيا .

وإذا ما اختبرنا هذه الاجابة النظرية على أرضية ظروفنا الراهنة لخرجنا ـ موضوعيا ـ بتوافر عنصرى الوعى والامكانات عمليا .

فبالنسبة للدرجة العالية المطلوبة من الوعى ، فاننا نلمسها بعمق فى عدد من المظاهر الحاسمة ، مثلا : التبنى الاجماعى الواسع النطاق فى الوطن العربى لشعار وحدة القوى الثورية العربية ، السرعة المذهلة التى تم خلالها بناء وعبور الجسور بين عواصم الدول العربية المتحررة الخمس ، عدم جدوى استغلال الاستعمار والرجعية للدين كآخر سلاح فى جعبتها ، الانتفاضات



الشعبية المتوالية والمستمرة داخل البلاد العربية ذات النظم الرجعية مما يعصف دوما باستقرارها النسبى .

أما بالنسبة للامكانات اللازمة ، فنستطيع أن نضع اليد عليها بسهولة فى القوة المادية والبشرية التى تمثلها كل من القاهرة والجزائر ودمشق وبغداد وصنعاء مجتمعة ، وهى ترجح بالميزان الدقيق ما تمثله قوى الرجعية العربية وحلفاؤها من المستعمرين والصهيونيين ماديا وبشريا . ولو أخذنا قوة مصر وحدها كمثال لاتضح أنها استطاعت فى وقت واحد أن تمد يد العون الأخرى الفعالة عسكريا واقتصاديا لكل من الجزائر واليمن ، وما زالت حتى اليوم تقوم بواجبها القومى ازاء شعب اليمن على الرغم من كل الحشود الاستعمارية والرجعية .

وكذلك فانه لا يجب أن نغفل من الحساب تلك القوى الشعبية الجماهيرية المتحركة داخل البلاد ذات النظم الرجعية أو المحتلة استعماريا .

وعلاوة على ذلك فإن القوى الثورية العربية يدعمها رصيد ضخم ومتعاظم من كل القوى الثورية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بل وفى الدول الاستعمارية نفسها .

وأخيرا فإن الاتحاد السوفيتى والصين ـ رغم اختلافهما حول كثير من القضايا ـ إلا أنهما يتفقان تماما سواء من ناحية النظرة الرياسية أو العمل الفعلى فى ضرورة مساندة القاهرة خاصة ، والثورة العربية المعاصرة عامة ، فى نضالهما السياسى والعسكرى ضد القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية فى منطقة الشرقين الأوسط والأدنى . وهذا ما كشفت عنه اللقاءات السياسية والعملية المحددة الأهداف بدقة ، بين المناضل جمال عبد الناصر من ناحية وكل من شوان لاى وكوسيجين من ناحية أخرى . ومن هنا فإن حسابات علاقات القوى فى المعركة على الأرض العربية بالذات تضع كل ثقل دول العالم الاشتراكى بلا استثناء بجانب القوى العربية الثورية .

وبعد . . لقد دعونا من قبل إلى تكوين « لجنة اتصال » بين القوى الثورية العربية فى البلاد العربية الخمس المتحررة ، واليوم ندعو إلى أن تكون النقطة الأولى والأساسية فى جدول أعمال هذه اللجنة هو التحضير العملى لعقد المؤتمر التأسيسى « لجامعةالشعوب العربية » بأجهزتها المختلفة ، وخاصة جيشها التحريرى العربى القومى ، وذلك لمواجهة الارهاب الاستعمارى الرجعى وتصفيته تصفية جذرية وشاملة ، وضمان حل الصراع الدائر على الأرض العربية اليوم لصالح الجماهير الشعبية العاملة بأسرع وقت وبأقل تضحيات ممكنة .



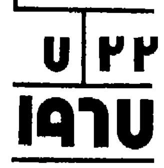
٤٤

د . جمـــال العطيفـى

نحـو اتفاقيـة عربيـة للمقاطعـة الاقتصـادية

يطالب الرأى العام فى الدول العربية باتخاذ اجراءات فعالة للمقاطعة الاقتصادية ضد الدول التى أشتركت فى العدوان على الشعب العربى . وقد بدأت الجماهير ـ حتى فى الدول التى لم تتخذ حكوماتها موقفا صريحا فى هذا الصدد ـ حملة المقاطعة . وهذه المقاطعة الاقتصادية وإن كانت تتناول فى الدرجة الأولى البترول العربى إلا أنه لكى تتحقق لها فاعليتها الكاملة ، يجب أن تكون شاملة لجميع المواد والسلع ويجب أن تخضع للتنظيم على مستوى الدول العربية ، فلا يفيد كثيرا أن يظل أمر المقاطعة متروكا لعواطف متفرقة لدى الجماهير . فالمعركة الحالية تحتاج منا إلى أكثر من المواقف الجياشة بالعواطف ، إنها تحتاج إلى اجراءات تنظيمية ومواقف عملية ، تحتاج إلى مواجهة صريحة ، توضع بها النقط فوق الحروف . وبذلك نستطيع ـ ونحن مازلنا فى قلب المعركة ـ أن نقيم أسلحتنا وأن نمتحن صلابة الأرض التى نقف عليها .

لذلك فان الدعوة التى وجهتها حكومة العراق لعقد دورة استثنائية لمجلس الوحدة الاقتصادية المنبثق عن جامعة الدول العربية ، تتم على مستوى وزراء الاقتصاد ، ذات أهمية بالغة فدراسة الوسائل والتدابير اللازمة لتحقيق مقاطعة اقتصادية عربية جماعية للبضائع المستوردة والمصدرة إلى دول العدوان ، ودراسة إمكانية احلال سلع بديلة من الدول التى وقفت إلى جانب العرب بدلا من السلع والبضائع التى تسرى عليها قوانين المقاطعة ، ودراسة إمكانات إتخاذ موقف عربى موحد بشأن سحب أموالها من دول العدوان وايداعها فى بنوك دول أخرى



غير منحازة ـ كلها موضوعات هامة تقتضى أن تقول فيها الدول العربية رأيها . وفى النهاية ، فإن إتخاذ إجراءات محددة حاسمة من أربع أو خمس دول أفضل من أن يظل الحديث عن المقاطعة مجرد شعار تائه خال من المضمون الواقعى .

الخطط الضرورية

لقد اتخذت الجامعة العربية منذ سنوات أول خطوة حاسمة سعيا إلى تحقيق الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية ، حينما أعدت اتفاقية الوحدة الاقتصادية « رغبة فى تنظيم العلاقات الاقتصادية بين دول الجامعة العربية وتوطيدها على أسس تلائم الصلات الطبيعية والتاريخية القائمة بينها وتحقق أفضل الشروط لازدهار اقتصادها ولتنمية قدرتها ولتأمين رفاهية بلادها » ، ومع ذلك وبعد عشر سنوات منذ أعدت هذه الاتفاقية لم تصدق عليها إلا ست دول هى الأردن والعراق وسوريا والجمهورية العربية والكويت واليمن . أما دول شمال افريقيا فانها لم تنضم إلى هذه الاتفاقية ، لا ولا السعودية ولا السودان ولا لبنان . بل إن السوق العربية المشتركة التى قرر مجلس الوحدة الاقتصادية انشاءها لا تضم جميع الدول التى صدقت على اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، ففى الكويت رفض مجلس الأمة هذا الانضمام بعد أن كانت الحكومة قد وافقت عليه رغم أن قرار السوق العربية يردد نفس الأغراض التى تهدف إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية والتى سبق للكويت أن صدقت عليها .

والآن ما هو الحل لتنفيذ المقاطعة الاقتصادية ؟

إن تنفيذها عن طريق مجلس الوحدة الاقتصادية يعنى أن تكون مقصورة على الدول التى صدقت على اتفاقية الوحدة الاقتصادية . وقد يكون للدول التى لم تصدق على الاتفاقية أو التى لم تنضم إلى السوق المشتركة ، تحفظاتها الخاصة التى لا تسمح الظروف الحالية بمناقشتها وهو أمر يحتاج علاجه إلى وقت ، وهو على أى حال ، لا علاقة له بما يجب اتخاذه من إجراءات اقتصادية موحدة فى المرحلة الراهنة ، التى لا يعنيها كثير من اغراض اتفاقية الوحدة الاقتصادية بما يتعلق بحرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال أو حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية فيما بين البلاد العربية أو حرية الاقامة والعمل وممارسة النشاط الاقتصادى أو حرية النقل والترانزيت ـ بل ولا يعنيها فى المرحلة الراهنة الوصول إلى جعل البلاد العربية منطقة جمركية واحدة . أما الأمر الهام العاجل فى المرحلة الراهنة فهو توحيد سياسة الاستيراد والتصدير فى الحدود التى تضمن تنفيذ المقاطعة ، والاشتراك فى الاتفاقات التجارية وإتفاقات المدفوعات مع الدول الأخرى بصورة جماعية تضمن للدول العربية الحصول على أفضل النتائج ، والمهم ، قبل أى شىء آخر ـ وهو ما لم تتضمنه إتفاقية الوحدة الاقتصادية بطبيعة الحال ـ أن تنضم المقاطعة العربية إلى الدول المشتركة فى العدوان .



سلاح أكبر من المقاطعة

ولذلك فانى أرى أنه وإن كان فى إمكان مجلس الوحدة الاقتصادية أن يقوم بدور هام فى تنفيذ المقاطعة ـ الا أن أحكام هذه المقاطعة يتطلب توسيع قاعدة الدول العربية التى تقوم بتنفيذها بحيث تشمل أيضا تلك الدول التى لم تنضم إلى اتفاقية الوحدة الاقتصادية . فاذا كان السعى إلى ضم جميع الدول العربية إلى هذه الاتفاقية هو الهدف فى المدى البعيد ، فان ما نحتاجه اليوم على وجه السرعة هو إتفاقية عربية لتنظيم المقاطعة الاقتصادية ضد دول العدوان ، وهذه الاتفاقية يجب أن تتضمن تنظيما شاملا لهذه المقاطعة . فلا يكفى أن تقرر كل دولة وفق رأيها الخاص فى تحديد ما يعتبر من البضائع الأمريكية أو الانجليزية ، والا انفتح الباب لاستيراد بضائع تدخل فى صناعتها الأساسية أو فى تجهيزها منتجات دول الأعداء لمجرد أنها تحمل جنسية دولة أخرى أو لاستيراد بضائع وإن كانت صنعت خارج بلاد الأعداء إلا أنها تصدر لحسابها .

ثم إن الأمر ليس مجرد مقاطعة للبضائع الأمريكية أو الانجليزية . بل إن السلاح الاقتصادى يعنى أكثر من ذلك ، إنه يعنى أن يحظر على رعايا الدول العربية ـ خصوصا فى الدول التى لا تعرف الاقتصاد الموجه ـ الاتجار مباشرة أو بالوساطة مع رعايا الأعداء أو مع من يعملون لحسابهم . ونحن نعرف أن لبعض الشركات الأمريكية والانجليزية شركات شقيقة أو تابعة ولكنها تكتسب جنسية دول أخرى . ولا قيمة للمقاطعة الا إذا شملت التعامل مع مثل هذه الشركات . كما أن المقاطعة تقتضى من الدول العربية أن تصفى ما تملكه من أسهم وسندات فى هذه الدول ، كما تقتضى من باب أولى أن تسحب أرصدتها من بنوك هذه الدول .

ولقد دلت الأنباء التى أذيعت فى المملكة السعودية أخيرا على إتجاه نحو رفع حظر تصدير البترول إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ، فى الوقت الذى انتهى فيه البحث العلمى الاقتصادى إلى أن نطاق الحظر يجب أن يتسع وفى الوقت الذى ترتفع فيه الأصوات المخلصة بالمطالبة بتأميم المصالح البترولية لدول العدوان . وفى ليبيا ترددت أنباء مماثلة تثير القلق ، ويعنى هذا أنه يخشى الا يمضى وقت طويل حتى تعود بعض الدول إلى إتباع سياسات ضارة بالاجماع العربى وبالمصالح القومية العربية . حقيقة لقد أثبت الشعب العربى وعمال البترول والنقل بصفة خاصة يقظة فى تنفيذ المقاطعة ، وفى الضغط على أى حكومة مترددة لكى تقف فى الصف العربى ملتزمة مبادىء النضال العربى ، غير أن المقاطعة الفعالة تحتاج إلى تنظيم على مستوى الدول العربية .

تعريب المصالح الأجنبية

وإذا كانت الظروف الاجتماعية والسياسية فى بعض الدول العربية قد لا تسمح بتأميم المصالح الأمريكية والبريطانية ، فإن أقل ما يمكن تقديمه كسلاح لتأمين المصالح الاقتصادية



العربية هو أن تقدم هذه الدول على « تعريب » هذه المصالح الأمريكية والبريطانية على النحو الذى سلكته مصر فى أعقاب عدوان السويس .

ففيما يتعلق بالبترول ، وهو أهم المواد التى يجب أن تمنع عن الدول المشتركة فى العدوان ، فاننا يجب أن نلاحظ أن الشركات المنتجة للبترول فى البلاد العربية تحقق أرباحا تصل إلى ٢٥٠٠ مليون دولار سنويا يؤول منها ٨٠٪ إلى الشركات الأمريكية والبريطانية ، علاوة على ما تستفيده الدولتان من ضرائب ورسوم على البترول المستورد ومشتقاته وما يؤول اليها من ارباح لتشغيل ناقلات البترول فى المنطقة العربية ورسوم التأمين على النقل . وهو وضع يتبين منه أن تأميم هذه المصالح يمثل ضغطا هاما . وبالأقل فإن « تعريب » هذه المصالح يمثل جزاء عادلا ضد الدول المشتركة فى العدوان ويعود فى نفس الوقت بالنفع على الدول العربية ، إذ تصبح الاستثمارات البترولية عربية تعود غلتها بالكامل إلى العرب . ويمكن بطبيعة الحال الابقاء على الاستثمارات الأجنبية للدول الصديقة والدول التى وقفت من قضيتنا موقفا عادلا .

ومنع البترول عن أمريكا وبريطانيا يقتضى التحقق من الا تقوم الأسواق البديلة باعادة تصدير البترول إلى هاتين الدولتين . ولكن إحكام الرقابة على هذا المنع لا يمكن أن يتم إلا من خلال تنظيم موحد بين الدول العربية . كما أن هذه الدول وهى تعمل مجتمعة فى تسويق بترولها تستطيع أن تواجه ضغط الشركات البترولية التى تملك معامل التكرير فى أوروبا الغربية وتستطيع أن تضمن أفضل الشروط فى تعاملها مع الأسواق البديلة .

وبالنسبة للمواد والسلع الأخرى ، لا يتحقق أيضا الغرض الأساسى من المقاطعة ـ وهو ممارسة الضغط على الدول المشتركة فى العدوان مع ضمان عدم إلحاق ضرر بالاقتصاد العربى ـ إلا من خلال تنسيق للسياسة العربية فى الاستيراد والتصدير . فالبحث عن أسواق بديلة لكى تستورد منها الدول العربية ما تحتاجه منها من واردات كانت تستوردها من دول العدوان والبحث عن أسواق بديلة لتصريف منتجاتها أمر يقتضى أن يتم من خلال موقف موحد . والتنفيذ الجاد لذلك يقتضى تصفية الوكالات التجارية الانجليزية والأمريكية التى تؤثر على سير التجارة الخارجية سدا لذرائع التحايل على المقاطعة . ويمكن للدول العربية التى لا ترى تأميم هذه الوكالات ، أن تقوم بتعريبها فتحرم القيام بأعمال الوكالة التجارية على غير رعايا الدول العربية .

ولا يتصور فى الظروف الراهنة ـ إذا كنا نعنى جدية المقاطعة ـ أن تتنافس المنتجات العربية المماثلة فى الأسواق الخارجية . فتكتل الدول العربية فى تسويق البترول وفى تسويق القطن وسائر منتجاتها الزراعية والصناعية يجعلها فى وضع أفضل للحصول على أنسب الأسعار . وتقدمها للاستيراد كتلة موحدة يكفل لها الحصول على أفضل الشروط .

إن أحدث احصاءات لصندوق النقد الدولى يدل على أن صادرات الدول العربية إلى





الولايات المتحدة وبريطانيا تمثل ١٤٪ من مجموع صادرات الدول العربية ، وأن وارداتها من هذه البلاد تمثل ٢٤٪ مما تستورده ، وهذه الأرقام بذاتها تدل على أهمية سلاح المقاطعة الاقتصادية لو أحسن استخدامه .

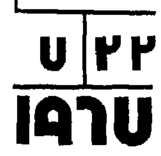
سلاح الأرصدة العربية

والأرصدة العربية المودعة فى بنوك بريطانيا وأمريكا تقدر بحوالى ألف مليون جنيه استرلينى . وهذا الرقم يدل بذاته على قيمة قرار جماعى بسحب هذه الأرصدة وايداعها فى بنوك الدول العربية أو بالأقل تحويلها إلى بنوك دول صديقة .

ولا يمكن أن نتصور مقاطعة جادة وفعالة ، وبعض البلاد العربية لا يزال يسمح للبنوك وشركات التأمين الأمريكية والانجليزية بأن تستنفد مدخراتها القومية . وبنفس الأسلوب الذى اتبعته مصر بعد عدوان ١٩٥٦ ، يمكن للدول العربية وفق ظروف كل منها ، أن تقوم بتأميم البنوك وشركات التأمين أو تعريبها . ومع ذلك فاننا لا نطلب من هذه الدول أكثر من أن تقوم بتعريب البنوك وشركات التأمين التى تسيطر عليها المصالح الأمريكية والبريطانية ، تدعيما للسلاح الاقتصادى فى المعركة .

هذه الاجراءات العاجلة يجب أن تتم فى اطار اتفاقية بين جميع الدول العربية تلتزم بمقتضاها كل دولة أن تصدر التشريعات الداخلية المنفذة لها . ومع ذلك فلن يضير مجموع الدول العربية أن تقف حكومة منها موقف التردد والتخاذل ، فوضوح الرؤية وإنعقاد العزم الجاد بين غالبية الدول العربية خير من إجماع ليست له إلا الصورة والشكل دون الجوهر والمضمون .

أما فى المدى البعيد ، فقد ينجح مجلس الوحدة الاقتصادية فى أن يجذب اليه جميع الدول العربية فى صورة سوق عربية مشتركة تقف فى وجه الاحتكارات الأجنبية وتحقق للدول العربية امكانية الاستفادة من مواردها وتكامل نواحى نشاطها الاقتصادى ، وتجعلها فى وضع قوى فى نطاق الاقتصاد الدولى . ولكن الموضوع المطروح اليوم هو المقاطعة الاقتصادية لدول العدوان ، وهو موضوع لا يحتمل التأخير فيه أو التمييع ! .





٤٥ ناصر الدين النشاشيبى

المعركة خارج الحدود

- على العرب أن يبتكروا شيئا جديدا يطلق القضية العربية من عقالها .
- السر فى العدوان ليس وليد أيام مضت ، وانما عمره ٢٥ سنة من حياة القاهرة !
  فى أوروبا الآن حالة صحو بعد الغفلة !

إذا كانت الانتصارات هى التى تصنع أعياد الأمة ، إلا أن الفواجع وحدها هى القادرة على أن تصنع الأمة التى تستحق شرف الحياة .

ونحن أمة لا تنقصها الفواجع فى حياتها ، بقدر ما تعوزها القدرة على تفهم أعماق تلك الفواجع .

إن العواطف تصلح أن تكون مظهرا عابرا للاحساس بالفاجعة ولكنها ـ أى العواطف ـ نكتة كانت أم دموعا ، لا تقدر أن تكون دواء للفاجعة أو تفهما لها ! .

وقد شاءت لى ظروف عملى أن أعيش فصول الفاجعة الأخيرة فى البلاد التى لا تمارس العمل السياسى بالعاطفة ، بقدر ما تعيش أحداث الحياة كلها ، بالمنطق والعقل ! .

إن أوروبا الغربية لم تكن بعيدة عن كل ما يتعلق بأحداث الأسابيع الأخيرة فى الشرق الأوسط . كانت بلادنا هى الشغل الشاغل لصحافة أوروبا ، وإذاعاتها ، وتليفزيوناتها





ومصانعها ، وبرلماناتها ، طيلة أيام المعركة ومع حدة العداء الذى شنته أوروبا الغربية علينا ، إلا أن العقل ـ عقلها ـ والمنطق منطقها ، هما وحدهما المسيطران على كل خطوة من خطواتها خلال هذه المعركة الضارية .

وأبادر فأقول إن من شروط تفهم أعماق الفواجع ، ألا نغرق فى محاولات تفلسف تلك الفواجع ، وأسبابها ! إن أقوى صورة لأية فاجعة ، محصورة فى مجرد بساطتها ! ومعالجة قضايا الأمم مرهونة النجاح بمدى استعدادنا لكى نفتح أذهاننا ونتقبل النقاش الصحيح لكل ما نحن فيه ، بوضوح وتبسيط . إن الابتعاد عن العاطفة فى معالجة الأمور ، لا يعنى تعقيد تلك الأمور لكى تبدو علمية أو فلسفية . هكذا شاعت عشرات الأقلام فى أكثر من بلد عربى وهى تحاول أن تعالج أسباب الافلاس الدعائى أو السياسى أو الدبلوماسى ، خارج الوطن العربى ، على يد المسئول العربى فى عواصم العالم ! إن هذه المعالجة ـ فى حد ذاتها ـ إفلاس فى الحقيقة فى محاولة تفهم أسباب النكسة ! وما أسهل على المرء ـ وخاصة بعد النكسة ـ أن يرمى تبعة النتائج عل سواه بسهولة واصرار لا لكى يبرىء نفسه فحسب ، بل لكى يبدو بصورة المنقذ لما بدده غيره ! .

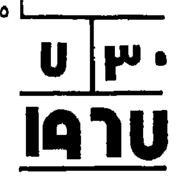
أقول هذا ، ولا أعنى أن الصوت العربى ، أو مكاتب جامعة الدول العربية فى غربى أوروبا ، كانت خلال المعركة فى مستوى المعركة . إن حديث ذلك كله يحتاج إلى مجلدات مبوبة ، تضم مئات القصص والصور عن مصيبة العرب لبعض العرب فى خارج الوطن العربى . ولكنى هنا لست بصدد معالجة أشخاص أو قضايا معينة ، بقدر ما أنا بصدد التطرق إلى دراسة وضع عام لم يستطع أن يسهم فى تخفيف سواد الفاجعة بقدر ما ساهم فى إكمال حلقاتها .

ويهمنى قبل أن أدخل فى تفاصيل الأمور ، أن أكتب ـ ولو مؤقتا ـ بلغة الايجاز والشمول ! . إن الخلافات العربية فى الوطن العربى ، قد شجعت الغريب فى لندن وبون وباريس ، أن يسهم فى الانتصار لعدونا ، ضدنا ! الخلافات العربية ، صورت أيضا على يد العدو ، على أنها خلافات عربية تجاه ذلك العدو . من هنا ، وقد وقعت الواقعة ، أصبحت الدعوة إلى وضع قضية إزالة آثار العدوان الأخيرة فوق مستوى الخلافات العربية ، وكأنها دعوة من عند الله !

تلك واحدة فى حديث الشمول .

والثانية تتعلق بصيغة العقد الذى سيجمع أطراف « الدول » العربية بعد اليوم .

أقولها باختصار : بعد تعيين الهدف والوسيلة ، على الأمة العربية ـ خلال مؤتمراتها القادمة العربية وبعدها ـ أن تفكر بصيغة جديدة لعملها العربى المشترك تحل محل جامعة الدول العربية !



٤٥

لقد قامت الجامعة العربية فى ظروف عام ١٩٤٤ ، وعام ١٩٤٥ ! وكانت أبدع مما كان . وكانت الجواب الشافى لأحوال العرب فى أعقاب حرب عالمية . وكانت الصدى المعقول لارادة عربية محدودة ضمن دول عربية محدودة .

أما الآن فعلى العرب « إبتكار » شىء آخر ، جديد . إن الجامعة ليست أمما متحدة ، وأمينها العام ليس همرشلد ولا يوثانت ! . ومكاتبها فى الخارج ليست كالمقر الأوربى للأمم المتحدة فى جنيف ! . وقضايا العرب المصيرية ، ليست كالقضايا المطروحة فى حمى وجنون على جدول أعمال الأمم المتحدة ! . إننى لا أدرى ما هو ، وكيف يكون هذا الشىء الجديد الذى اقترحه بديلا للجامعة العربية فى المستقبل ؟ وإنما أتركه للمسئول العربى لكى يجده فلا نرى فيه دليلا للعجز ، أو الارهاب الفكرى ، أو الفشل أو الخمول ، بل نراه إنطلاقا للفكر من عقاله ، وبؤرة للمستقبل على فاجعة الأمس ! .

تلك ثانية فى هذا الحديث . .

أما الثالثة فى هذا الحديث البعيد على الأمثلة ، والشواهد والأحاديث ، فإنها تتعلق بالبحث عن جواب ، لأكثر من سؤال :

أولا : كيف يمكن للعرب الاعتماد على أنفسهم بعد معركة النكسة أو النكبة أو الفاجعة ؟

وثانيا : كيف يمكن للعرب معالجة العزلة الدولية التى يجدون أنفسهم فيها ـ فى أوروبا الغربية على الأقل ـ بالنسبة لأهدافهم ؟

أفسر قليلا وأقول :

ـ لقد وجدنا حولنا ـ خلال الأحداث الأخيرة ـ أصدقاء وأنصار . ولكنهم ـ كما أثبتت التجارب ـ كانوا فى نطاق معين ومحدود ، وكانت صداقتهم مشروطة بوضوح ! كان بعضهم يمدنى بالسلاح مادام عدوه يمد عدوى بالسلاح ، وكان بعضهم الآخر يعطينى صوته أو بعض صوته فى اجواء الأمم المتحدة . ولكنى كعربى ، كنت أتحرق لكى أجد صديقا دوليا أو نصيرا غير عربى ، وغير مسلم ، يقول معى ـ مثلا ـ بإزالة اسرائيل من مكانها ، فلا أجده ! .

هذا يدعونى للتفكير فى الاعتماد على النفس . وهذا يدعونى للتفكير فى معالجة أسباب هذه العزلة .

والرابعة فى حديث ما بعد الفاجعة أن نعرف أن العدوان الذى وقع ، لم ينبع من حوض خليج العقبة الذى يشكل مصالح قد باتت ـ ذات يوم مضى ـ مهددة بالنسبة لغيرنا ، بل أن هذا العدوان قد وجد فى حديث العقبة سببا يدعو للتصرف والتنفيذ . السر ليس فى الثلث الأخير من



شهر مايو الأخير ! . والسر فى سنوات طويلة ، عمرها أكثر من ١٥ سنة من حياة القاهرة ، وغير القاهرة ! . من هنا ، وعلى ضوء ذلك ، يجب أن نستعرض صفحات الماضى القريب لكى نفهم ، لا سر العدوان فحسب ، بل نفهم أيضا سر المواقف التى اتخذتها لندن ، وروما ، وبروكسل ، ولاهاى وبون منا ، خلال هذا العدوان ! . قال لى عربى صديق يشغل منصبا مرموقا فى مقر الأمم المتحدة بجنيف فى الأسبوع الماضى : « لقد مضى على أكثر من شهر وأنا أحاول أن أجد أوربيا واحدا يقبل الانضمام معى فى جمعية انسانية لجمع التبرعات للاجئين العرب ، فلا أجد أحدا » ! .

وقال لى المسئول عن مكتب الجامعة العربية فى بون :

ـ « أننى افتش عن صحيفة المانية واحدة ترضى بنشر بيان وكالة الاغاثة الدولية عن حال اللاجئين العرب فى قطاع غزة والضفة الغربية . . فلا أجدها ! »

لماذا كل هذا العداء ؟ .

وفى كل مؤتمر صحفى، عقده أى مسئول عربى فى الخارج خلال الأزمة الأخيرة ، كان السؤال الأول الذى تطرحه الصحافة الأجنبية على ذلك المسئول العربى يقول :

ـ باسم من تتكلم ؟

حتى الملك حسين . . قال لى وقلبه ينزف أسى ، وألما فى قصره بعمان أول أمس :

ـ « كنت كلما التقيت برجال الصحافة الأجنبية فى لندن وروما وباريس ونيويورك ، وحاولت الدفاع عن بلدى وأمتى وقضيتى ، كان سؤالهم المتكرر الواحد يطرق سمعى :

ـ باسم من . . تتكلم ؟ » .

ذلك أن العالم ، يصفق للخلافات العربية ، ويتمنى خلودها . . ترى ألا تستحق هذه الظاهرة المؤلمة بعض التفكير ؟ .

والخامسة فى هذه السطور أن يفهم « بعض العرب » بان العالم بأسره لم يحصر معالم الفاجعة الأخيرة فى الدول أو الجيوش العربية التى خاضت المعركة وحدها ! .

كل دولة عربية ، عند هذا العالم ، أصابتها رصاصات الحساب . . الثورية منها وغير الثورية . . الآسيوية منها والأفريقية ! .

كل عربى ، عند هذا العالم ، مهزوم ، النصرانى قبل المسلم . . والمعتدل قبل المتطرف .

وهذا أيضا ، يدعو إلى التأمل والدرس . . وتحمل المسئولية ! .



٤٥

ترى هل أستطيع أن أستمر فى استخراج الصور الصغيرةمن خلال حديث عابر ، وسريع . .

أجل صورة أخيرة صغيرة :

- فى أوروبا الآن ، كما تركتها هذا الأسبوع شيء يشبه الصحو الذى يتبع الغفلة . لقد أفاقت أوروبا أخيرا على صورة « النصر » الاسرائيلى ، وكل ما رافقه من تفاصيل وصور وتصريحات ومكاسب وشروط ، فوجدت نفسها أمام « دولة » ، لم تعد صغيرة كما تقول . . ولم تعد مسكينة كما تزعم . . ولم تعد مهددة كما تنادى . . ولم تعد مستعطفة كما تعلن ، « بل لعل العكس فى حالها هو الصحيح » .

وكان لكل ذلك ، أثره ونتائجه فى نفسية المواطن الأوربى وتفكيره . والفرصة مواتية لو استطاع « غير الاسرائيلى » استغلال مثل هذا الأثر ، وتلك النتائج بعمل منظم واع سريع

د . رشدى سعيد

أبعاد التحدى الحضارى ... الذى نجابهه

تعيش الأمة العربية فى نكستها فى لحظة من لحظات البحث فى أعماق النفس تواجه تحدى الغزو العسكرى والمؤامرات الامبريالية والصهيونية وتدافع عن حقها المشروع فى الحياة . ولا يسع المتتبع لتاريخ مصر الطويل من أن يرى أن الموقف الذى نقفه الآن لا يختلف كثيرا عما تعرضت له البلاد على طول هذا التاريخ . فمنذ أكثر من ٣٥٠٠ عام انقضت إلى غير رجعة حياة العزلة التى عاشتها الدولة القديمة فى مصر الفرعونية بغزو الهكسوس أرض مصر ، وما فتئت مصر منذ ذلك التاريخ أن تكون مسرحا للغزو بواسطة تلك القوى التى عاشت من حولها والتى اتبعت فى كل مرة فنونا جديدة للحرب أو أعمالا أكثر تقدما وكفاءة من أعمال الحضارة . وقد حطم الهكسوس ١٧٠٠ قبل الميلاد بعجلتهم الحربية والحصان عدة الحرب الفرعونية المتخلفة ، واستطاع الأغريق فالرومان أن يغزوا مصر عن طريق فرض طرقهم المتقدمة فى أعمال التجارة والصناعة ، وهدد المغول الأمة العربية بحصانهم السريع والبارود واستولوا على العالم عن طريق اتقان فن فريد ووظيفى من الحكم البربرى والهمجى ، كما غزا نابليون والاستعمار الأوروبى الحديث البلاد العربية بتكتيكهم الحديث وفنونهم الحربية الجديدة .

وقد استطاعت مصر والدول العربية الأخرى فى كل مرة أن تنفض فى النهاية وبعد وقت طال أو قصر هذه الغزوات المتتالية التى قصدت استغلال البلاد وفرض الخراب عليها . فبعد بضع مئات من الأعوام من الاستغلال البشع ، استطاع المصريون بقيادة أحمس أن يصدوا



٤٦

الهكسوس بعد أن بزوهم فى استعمال العجلة الحربية والحصان ، كما استطاعوا أن يحرروا بلادهم من الأغريق والرومان ببناء كنيسة وطنية ثم بتبنى طرق العرب الفنية والمتقدمة فى الحرب والتجارة والعلاقات الاجتماعية الجديدة ، وأن ينفضوا عنهم نير الاستعمار العثمانى والأوروبى الحديث باستغلال التناقضات الدولية السائدة .

ولم تكن اسرائيل استثناء من هذه القاعدة ، فمنذ أوائل هذا القرن نزح إلى الوطن العربى عدة عشرات الآلاف من اليهود الأوروبيين الذين انتهزوا فرصة التخلف المخيف الذى تركته عدة مئات الأعوام من الاستغلال العثمانى ، ليجدوا أرضا سهلة لاقتطاع قطعة غالية من أرض الوطن لكى ينشئوا عليها دولة اسرائيل . لقد جاءوا بعجلتهم الحربية الحديثة وفنون التجارة المتقدمة لعالم لا يزال يرزح تحت وطأة الاستعمار وما تركه من تخلف حضارى عنيف فى طرق الحكم والادارة والعلاقات الاجتماعية والاقتصاد والادارة ، حتى إذا ما حل عام ١٩٤٨ لم يكن صعبا على هؤلاء الغزاة أن يكونوا دولتهم شوكة توئد التقدم الذى كانت تباشيره قد بدأت خافتة فى أوائل هذا القرن . ولا تزال اسرائيل بعد تسعة عشر عاما من وجودها تقوم بدورها المرسوم فى تعويق البعث المادى والروحى الذى أوجدته ثورة ٢٣ يوليو فى مصر وثورات التحرر العظيمة فى الجزائر والعراق وسوريا ومختلف البلاد العربية التى أوشكها المد الثورى أو كاد . وعندما حل الخامس من يونية ١٩٦٧ كانت اسرائيل قد أعدت ترسانتها الحربية ومهدت عملية الغزو بقطع الطريق أمام الرأى العام العالمى ومؤسساته الدولية حتى لا يكون عنصرا فعالا فى المعركة .

نعم استفادت اسرائيل من دروس التاريخ فضربت ضربتها الغادرة والعرب يستعدون للحاق بالعالم الحديث ، ورويدا رويدا سحبت الأرض من تحت أقدامهم حتى لا يقدروا على استعمال سلاحهم التاريخى فى استغلال التناقضات الدولية ، متعاونة مع الامبريالية الحديثة والصهيونية العالمية والحركات الفاشية واليمينية فى خلق رأى عام عالمى مضاد يستطيع أن يشل حركة تيار التحضر والاشتراكية .

❖ ❖ ❖

إن النكسة التى نعيشها اليوم هى بسبب عوامل عديدة وكثيرة هى فى النهاية محصلة حالنا الحضارى . فبالرغم عما قمناه من نفض الركود الذى عشنا فيه قرونا خلال نهضتنا الحديثة ، فاننا ما زلنا نرى الكثير مما ينبغى أن نغيره فى علاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية وطرق ادارتنا للأعمال حتى نكون الأسس اللازمة للنصر . إن معركتنا مع اسرائيل طويلة وممتدة ، وإننا لنكون واهمين إذا تصورنا أننا سنتغلب على العدو التغلب الأخير والفاصل دون أن نبنى أمة حديثة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان . فالتحدى الذى يجابهنا اليوم هو تحد حضارى فى المقام الأول ليست المعركة العسكرية إلا وجها واحدا منه ، والأمة الحديثة هى تلك





التى تتبنى طرق الحضارة الحديثة والجامعة تلك الحضارة التى تسير فيها جميع الدول المتقدمة .

وليس هناك فى تاريخنا القومى أو تراثنا ما يمنعنا أبدا من قبول أسس هذه الحضارة الحديثة ، فلقد اكتتب أسلافنا أكثر الكثير فى هذه الحضارة الحديثة ، فالفراعنة هم أول من نقل الانسان من حالة الهمجية إلى الاستقرار وأول من بنى مجتمعا متكاملا ، ومن أرضنا ظهرت الديانات السماوية التى ارتفعت بالعلاقات الانسانية إلى آفاق سامية فاكتتبت أعظم اكتتاب فى تقدم الانسان ، كما استطاع العرب أن يحملوا مشاعل الحضارة الاغريقية ، وأن يحفظوها من الضياع ثم أضافوا إليها الكثير فى العلوم والفلك والرياضيات . فنحن على هذا شركاء فى صنع هذه الحضارة الحديثة والجامعة ، لكن من الأسف أن المصريين تعرضوا أول ما تعرضوا لهذه الحضارة الحديثة عن طريق مظاهرها الخارجية ووجهها القبيح ، فقد عرفوها أول ما عرفوها عن عربدة عسكر بونابارت فى القاهرة وسفاهة الخديوى اسماعيل ولؤم حثالة المرابين وصعاليك المغامرين الأوروبيين فى مصر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، فربطوها بالاستغلال والغش والفسق والعهر ، حتى أن تيارا كبيرا من الفكر الوطنى مشى وراء عواطفه فاشتط فى كرهه لهذه الحضارة حتى وئد كل تيارات التنوير التى جاء بها رفاعة رافع والشيخ محمد عبده وغيرهم ممن رأوا الوجه الموجب لهذه الحضارة الحديثة .

إن الحضارة الحديثة ليست فقط مجرد مظاهر خارجية أو عددا وآلات معقدة الشكل تكدس تكديسا ، بل هى فوق كل شىء حياة مدنية عصرية تتناسب والعلاقات الجديدة التى تتطلبها إدارة هذه العدد الحديثة التى أصبحنا نخطىء كثيرا إذا تصورنا اننا نستطيع أن ندير معملا حديثا بطرق قديمة أو مثل تقليدية ، فالصناعة الحديثة هى بناء معقد يختلف اختلافا كليا عن الزراعة أو التجارة أو الحرب القديمة التى ما كانت تعتمد فى نجاحها إلا على الفردية أو على تشابك اجتماعى بسيط كان من الممكن فرضه من سلطة عليا .

إن هناك فرقا بين بناء الأهرام وادارة معمل علمى حديث ـ صحيح أن كليهما عمل اجتماعى فى المقام الأول ، ولكنهما يختلفان فى الأساس ، فبناء الأهرام عملية رتيبة وميكانيكية فيها كثير من الفردية وتنظيمها خاضع للملاحظين المباشرين ، أما العملية الثانية فهى عملية بها كثير من المبادأة تحتاج إلى السرعة والعمل الجماعى ، كما أنها غير خاضعة على الأقل فى كثير من تفاصيلها للملاحظة المباشرة ، ومن هنا أهمية الوازع الخلقى للعامل على هذه العدد وأهمية بناء الديمقراطية ، فإذا كانت تقاليدنا السابقة توجب الفردية والاستكانة والتهرب من العمل وعدم الايمان بالحكومة أو الديمقراطية للفرار من الظلم وللنجاة من الاستغلال التى تعرضنا له أجيالا ، فإن عالم اليوم يحتاج إلى الخلاص من كل هذه التقاليد والعمل الطاهر والثورى للبدء فى الدخول فى علاقات اجتماعية جديدة توجب الايمان بالعمل الجماعى والايجابية والعزم .



٤٦

ونحن لا نحتاج إلى برامج كلامية من التوعية أو الوعظ لكى نبنى هذه العلاقات الاجتماعية الجديدة ، انما نحتاج إلى بناء دولة حديثة يكون فيها القانون سيدا لا استثناء فيه وتكون فيها الادارة محترمة الفرد وفى خدمته ترد على مطالبه واستفساراته مباشرة وبعودة البريد حتى تنتهى إلى الأبد هذه الوساطات والرجوات والالتماسات التى تبدأ قطرا وتنتهى غيثا فى رد فعل متسلسل لكى تنهى القانون وتفسد الادارة . علينا أن نأخذ بكل شدة أولئك الذين يفسدون امتحانات أبنائنا فى المدارس حتى يتعلم أبناؤنا عمليا أن النجاح يعتمد على أذرعتهم فقط وأن الصدق والاستقامة منجيان . علينا أن ننظم قانونا متقدما للأسرة حتى نرسى علاقات اجتماعية جديدة يكون الأبناء فيها مركز إهتمام الأسرة لا مجرد عدة من عدد الدفاع عن النفس للمرأة المغلوبة على أمرها . إن هذا لا يعطى لنا فقط جيلا من الأبناء الأصحاء البدن والنفس بل يساعد على حل واحدة من أكبر مشاكل مصر وهى مشكلة تزايد السكان تزايدا لا يتناسب أبدا وآمال الشعوب المتحضرة فى الحياة الكريمة .

وفى إحدى لحظات البحث فى أعماق النفس كنت أقرأ البيان المؤثر الذى أصدره وزير الزراعة لزملائه الفلاحين يطالبهم فيه بهز شجرات القطن ونقاوة الدودة باليد ، ثم أقول لنفسى ها نحن جميعا الذين أتيحت لهم فرصة التعليم جالسون فى عجز فى انتظار نتاج عمل ثلاثة أو أربعة ملايين فلاح لم يذهبوا إلى المدارس قط لكى يطعموا بلادنا كلها ، وكأن كل هذا التعليم الذى انفقنا عليه حياتنا لم يؤد إلا إلى انشاء طبقة من الأفندية الذين لا يستطيعون عمل شىء غير تبادل الأوراق فى أعمال مكتبية تحتاج إلى الكثير من الاصلاح . أما آن لنا اليوم أن نجلس فى تأمل لنعيد النظر فى برامج تعليمنا حتى تتطابق والحياة الحديثة ، وأما آن الآوان لكى نراجع سياستنا الزراعية والمائية حتى نحصل على أقصى الفائدة من هذه الموارد المحدودة بدلا من أن نلهث كل يوم لكى نلحق بهذه المشكلة أو تلك . هذه ليست مسائل أستطيع أن أرد عليها ، بل وقد لا يكون لها رد ، ولكنى أطالب وألح فى الطلب بأن علينا أن نحاول مراجعة أنفسنا فلا ننفق الوقت فى توقيع النظام الذى ورثناه حتى بلى ، بلْ فى محاولة خلق نظام قادر على الحركة .

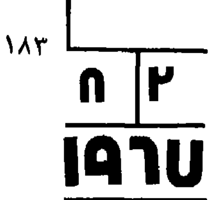
وإن كان إكمال بناء أمتنا الحديثة هو أحد أعمدة النصر ، فإن قضية كسب الرأى العام العالمى لا تقل أهمية ، فمهما قيل من أن الرأى العام الغربى معاكس لنا لوقوعه تحت تأثير العسكرية الأمريكية والصهيونية العالمية والفكر اليمينى العنيف فإن هذا لا ينبغى أن يثنينا عن أن نبحث من بين عشرات التيارات الفكرية المتصارعة فى هذا العالم البالغ التعقيد عن تلك الاتجاهات التى ينبغى أن تكون حليفا طبيعيا لنا كالتيارات الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية وعن تلك التى ترى فى قضية تنمية العالم الثالث المفتاح الأخير والنهائى لحل قضية السلام . إن أكبر مشاكل العصر الحديث التى تقلق بال كل المفكرين الانسانيين هى قضية تقليل الفروق التى



تتسع يوما بعد يوم بين الدول النامية والدول الساعية إلى التنمية ، وعلينا أن نبرز منجزاتنا الشريفة التى قمنا بها فى هذا الاتجاه ، وأن نظهر وجهنا الجميل وتقدمنا العلمى والفنى فنرسل إلى العالم ممثلينا الذين يستطيعون الكلام بلغة هذا العالم الجديد .

ونعود فنقول رب ضارة نافعة ونكرر مع المناضل جمال عبد الناصر قوله : إن هذه ليست ساعة للحزن بل ساعة للعمل .





47

د . فؤاد مرسى

كيف نوفر الحماية .. للقطاع الخاص

انتعشت الجبهة الداخلية بالقرارات الأخيرة التى أتخذها مجلس الوزراء بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، وذلك بتأميم تجارة الجملة وحماية التسويق التعاونى وتشجيع القطاع الخاص . فهذه القرارات استجابة سليمة لمصالح أوسع الفئات المنتجة من الرأسمالية الوطنية والرأسمالية الصغيرة .

ولا شك فى أن القطاع العام قد استأثر لزمن طويل بأغلب الاهتمام من جانب الدولة ، لكن الاهتمام الأول يجب أن يوجه للتنمية الاقتصادية ، وباسم هذا الاهتمام وحده نفتح اليوم موضوعا لا يقل أهمية ، ليس فقط من زاوية التنمية الاقتصادية ، بل ومن حيث جدوى ما توصلنا اليه من حلول للقطاع العام نفسه . فلقد آن الأوان فعلا للاهتمام بمشاكل القطاع الخاص والسعى الجدى للتوصل إلى حلول موفقة لها تحقيقا لما نص عليه الميثاق من (وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى إطار الخطة الشاملة لها) .

ولست أزعم أنى أعالج موضوعا معبدا أو سهلا ، بل ولا أدعى أنى قد بلغت فيه حد الوضوح الذاتى . وانما أطرح المحاولة بأكملها للمناقشة العامة عسى أن تتضح جميعا حولها .

فلا نزاع فى أن القطاع الخاص يمثل أهمية عظمى فى اقتصادنا . ونقطة البدء لبيان هذه





الأهمية أن نتبين أولا مدى ما كان يساهم به فى الدخل القومى عند البدء فى الخطة الخمسية الأولى للتنمية .

لقد بدأت الخطة والقطاع العام لا يسيطر الا على ١٨٪ من الانتاج القومى . أما بعد إنجاز الخطة ، فالجدول رقم ٢ يبين مقارنة لمدى مساهمة كل من القطاعين فى الناتج القومى .

وإذا كانت الاحصائية المنشورة فى الجدول رقم ٢ تكشف من جانب عن الأهمية البالغة التى أحتلها القطاع العام فى مدى عشر سنوات من تأسيسه ، فانها تكشف من جانب آخر عن الأهمية الحيوية التى مازال يمثلها القطاع الخاص فى اقتصادنا القومى ، ويتضح هذا من الجدول رقم (١) .

جدول رقم (١)

	بملايين الجنيهات	
	فى ١٩٥٢	فى ١٩٦٠
القطاع بأكمله	٦٧٨,٧	٩٨٨,٠
قطاع الزراعة	٣٣٤,٤	٣٩٨,٨
قطاع الصناعة	٦٥,١	١٥٩,٦
التجارة الداخلية	٥٤,٠	٩٨,٠

جدول رقم (٢)

القطاع	النسبة المئوية	
	العام	الخاص
الزراعة	٢٠	٨٠
الصناعة الاستخراجية	٨٨	١٢
الصناعة التحويلية	٦٠	٤٠
الغاز والكهرباء والماء	١٠٠	—
التجارة الداخلية	١٤	٨٦
الخدمات المصرفية والتأمين	١٠٠	—
النقل والمواصلات	٥٢	٤٨
السياحة والترفيه	٥	٩٥
الخدمات الشخصية	٢٢	٧٨



ولا خلاف حول أن أساس الاشتراكية هو الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الرئيسية ، فهذه الملكية هى بحكم الاعتبارات الاقتصادية أكثر تقدما من كل أشكال الملكية الأخرى ، بمعنى أنها تحقق للمجتمع انتاجا أوفر وأرخص وأجود . ولهذا فهى تقدم نموذجا يحتذى ، أولا وقبل كل شيء لهذه الاعتبارات الاقتصادية . فإن لم تكن الملكية الاجتماعية لتحقق هذا الانتاج الأوفر والأرخص والأجود فلسنا نريدها . والسر فى أفضلية الملكية الاجتماعية على الملكية الفردية هو استنادها إلى انتاجية أكبر للعمل البشرى بفضل التخطيط الواعى وباعتبار أن الانسان العامل ليس فقط أثمن بل وأنفع رأس مال .

لهذا نقف مع الاشتراكية ، لأن الاشتراكية تعدنا علميا بانتاج أوفر وأرخص وأجود ، ومن ثم فهى أقدر من الرأسمالية على تلبية احتياجات الشعب المادية والمعنوية المتنامية باطراد . وهذا هو السبب فى أننا نعتبر القطاع العام قاعدة التحول إلى الاشتراكية ، لأن مهمته هى انشاء القاعدة المادية للاشتراكية ، وهى فى النهاية مهمة صعبة حقا ، وخاصة فى الظروف الحالية لبلادنا نظرا لضعف تطورنا الاقتصادى قبل الثورة والتحول نحو الاشتراكية .

لكن الملكية الاجتماعية لا تتعارض أبدا مع وجود قطاع خاص يخضع لخطة التنمية ويعمل فعلا على تنمية الثروة المادية للمجتمع . بعبارة أخرى ، فليست الملكية الاجتماعية وصفة سحرية تحول كل شيء إلى الاشتراكية ، انها فقط تحول الانتاج الكبير إلى إنتاج اشتراكى .

فليس كل إنتاج صالحا لأن يصبح موضوعا للملكية الاجتماعية . ان الاشتراكية هى نظام الانتاج الكبير لمصلحة الشعب العامل . ومن ثم فانها لا تؤمم الا الانتاج الكبير القائم ، أما الانتاج الصغير الناشيء عن الملكية الصغيرة فهى تعمل على تحويله إلى إنتاج كبير ، لكن بغير المساس بالملكيات الصغيرة ، أى باحترام الملكية الفردية الصغيرة .

يضاف إلى ذلك أنه فى ظروفنا الحالية ، ونتيجة لضعف تطورنا الاقتصادى فيما قبل الثورة ، لا يمكن أن تفكر بلادنا فى الغاء القطاع الخاص ، بل إنها تفسح مجالا واسعا للمبادرة الخاصة والملكية الخاصة ، فى حدود الخطة الشاملة للتنمية .

إن ضرورة القطاع الخاص ناشئة فى بلادنا من اعتبارين جوهرين :

أولهما : اعتبار مبدئى هو أن الاشتراكية ترفض المساس إطلاقا بالملكيات الصغيرة .

وثانيهما : اعتبار واقعى لا يمكن تجاهله وهو ضعف تطورنا الاقتصادى الذى خلفته لنا الرأسمالية والاستعمار ، وأهمية الدور الذى يمكن أن تلعبه الرأسمالية الوطنية فى تنمية الثروة القومية ، ووجود عدد لا حصر له من الملكيات الزراعية الصغيرة ومشروعات الصناعة الحرفية ومحال التجارة الداخلية . ومن ثم فإن أى تنمية اقتصادية لا يمكن أن تستبعد دور رأس المال الخاص ولا دور الملكية الخاصة الوطنية والصغيرة . إن هذه الملكية الخاصة وعاء ضخم





للمدخرات ، ومجال حيوى للتنمية . بل إن أهمية القطاع الخاص لا تقاس فقط بحجمه الاقتصادى ، فهو يحتفظ فعلا برأس مال له وزنه ، لكن له أيضا خبرة متراكمة فى تنظيم وإدارة الاقتصاد ، كما تكمن قوته أخيرا فى قوة العادات المألوفة وارتباطاته الواسعة بجماهير العمال والفلاحين .

ولنضرب الآن بعض الأمثلة من الواقع :

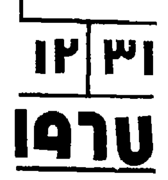
فمن المعروف أن الزراعة تساهم بنحو ٤٨,٨٪ من قيمة الدخل السلعى . هذه الزراعة يقول عنها السيد على صبرى فى كتابه (سنوات التحول الاشتراكى) ما يلى بالحرف « بالقياس الاقتصادى فإن الانتاج الزراعى يعد قطاعا خاصا » .

لكن القطاع الخاص فى الزراعة قطاع غير متجانس . فقد حطمت الثورة بقوانين الاصلاح الزراعى نظام الملكية الاقطاعية الكبيرة ووزعت الأرض على الفلاحين المعدمين . ولقد بلغت جملة الأرض المصادرة والمستولى عليها حوالى مليون فدان . أما فقراء الفلاحين ممن يملكون فدانا أو أقل عن فدان فعددهم مليون فلاح . وأما صغار الفلاحين ممن يملكون فدانين إلى خمسة أفدنة فقد نموا كفئة اجتماعية ، وزاد نصيبهم من مجموع الأراضى الزراعية من ٣٥,٤٪ إلى ٥٢,١٪ . وارتفع بذلك متوسط الملكية للفرد من ٠,٨ إلى ١,٣ فدان . ولقد افادوا من محاولات الثورة لتنظيم الزراعة بتحديد الايجار والتمويل المجانى والتسويق التعاونى . وكذلك الشأن مع الفلاحين المتوسطين ، أولئك الذين تتراوح ملكيتهم بين خمسة وعشرة أفدنة . ويمثل من يملكون أكثر من خمسة أفدنة نحو ٤٠٪ من مساحة الأرض ، غير أن أكثر من نصفها مؤجر للغير . وبسبب وجود نحو مليون فلاح من المعدمين ، فإن التنافس شديد على استئجار الأرض ، مما يساعد على رفع الايجارات .

أما أغنياء الفلاحين وهم عماد الرأسمالية الوطنية فى الريف ، والذين يمكن أن يتملكوا الأرض أو يستأجروها ، والذين تتراوح ملكيتهم بين عشرة إلى خمسين فدانا ، فهم يعتمدون أساسا على رأس المال والعمل الأجير واستخدام الآلات من أجل انتاج حاصلات للسوق . وإنما تربطهم أحيانا بكبار الملاك الاقطاعيين وشائج قوية . فكما دفعت الاصلاحات الزراعية كبار الملاك لاحلال أسلوب الانتاج الرأسمالى فى مزارعهم ، فإن إباحة التصرف فى الأرض الزائدة لكبار الملاك قد دفعتهم إلى بيع ١٤٥ الف فدان للفلاحين الأغنياء . أما بقية أراضيهم فمازالت تخضع فى الغالب لأسلوب متخلف للانتاج كالايجار أو المزارعة أو المشاركة .

لكل هذا انكمشت الأرض الاقطاعية ، واتسعت الأرض التى تزرع على أسس رأسمالية ، بينما انكمش الاستغلال الصغير الذى كان يعيش على الأرض الاقطاعية .

إن أغنياء الفلاحين يستأجرون إلى جانب ملكياتهم ١,٢ مليون فدان



ومعنى كل هذا أن الاصلاحات الزراعية بتحديد الحد الأقصى للملكية ، وتحديد الحد الأقصى للايجار ، وتحديد الحد الأدنى لأجر العامل الزراعى ، وتنظيم التعاون ، وتحديد الحد الأقصى للحيازة ، وتقرير مجانية الائتمان الزراعى ، والبدء فى تنظيم الدورة الزراعية ، قد أسفرت فى النهاية عن نتيجتين كبيرتين :

الأولى : ازدياد الأهمية النسبية للملكيات الصغيرة التى تقل عن خمسة أفدنة ، إذ أصبحت تمثل أكثر من ٦٠٪ من مساحة الأرض ونحو ٩٥٪ من عدد الملاك . وتمثل أراضى الاصلاح الزراعى الموزعة على الفلاحين نسبة هامة من هذه الملكية ، إذ تضم نحو ١٦٪ من مجموع الأراضى الزراعية .

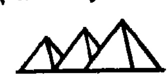
والثانية : نمو الرأسمالية الوطنية الريفية ، التى تملك من ١٠ إلى ٥٠ فدانا ، بحيث صارت تمثل نحو ٣٥٪ من مساحة الأرض وتتلقى حوالى نصف الدخل القومى الناتج من الزراعة . لقد زادت ملكيتها بنسبة ٣٤٪ عما كانت عليه قبل الثورة .

فاذا انتقلنا إلى ميدان الصناعة ، وجدنا القطاع الخاص محدود النطاق إلى حد بعيد . فلقد نشأ القطاع العام وترعرع فى الصناعة بالذات ، ومع ذلك يوجد قطاع خاص فى الصناعات التالية :

مثلا : صناعة النسيج ، صناعة مشتقات النسيج وبخاصة الصوف والنايلون والتريكو ، الصناعات الهندسية ، الصناعات الكهربائية والقطع التكميلية ، الصناعات الغذائية ، صناعة النجارة والأثاث ، صناعة الجلود والأحذية ، صناعة الطوب ، صناعة السياحة والترفيه .

ونصادف فى الصناعة ما لاحظناه فى الزراعة من عدم تجانس وحدات القطاع الخاص وغلبة الانتاج الصغير . لكن الظاهرة الخطيرة هنا هى انعدام التنظيم فى الصناعة تقريبا ، إذ يبدو أن الدولة مستندة إلى قطاع ضخم فى الصناعة ، فقد اكتفت بمواجهة القطاع الخاص بطريق غير مباشر ، وذلك من خلال السيطرة على مصادر التمويل المصرفى وموارد المواد الأولية والسلع الوسيطة والانتاجية فى الداخل ومن الخارج وتحديد الحد الأدنى للأجور وفرض التأمينات الاجتماعية. والسيطرة على نظام التصدير ونظام التسعير للسلع النهائية أو حتى الاكتفاء بتأثير السعر الذى يبيع به القطاع العام .

وفى هذه الظروف ، يبدو على الأقل فى الظاهر أن القطاع الخاص فى الصناعة يتمتع بحرية أكبر مما يتوفر لزميله فى الزراعة ، وهنا تعمل قوانين السوق عملها ، لتبدو فى النهاية فى صورة سوق سوداء أو بيضاء لا تخضع كثيرا لخطة التنمية الاقتصادية . وعندئذ يمكن أن نلاحظ مالاحظته الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى تقريرها السنوى عن العام الماضى ، فإزاء ما تتخذه الدولة من تشريعات للاصلاح يعمد بعض أفراد القطاع الصناعى إلى (سحب ودائعهم من البنوك ثم من الاستثمار واكتنازها انتظارا لما سوف يجىء به الغد من تشريعات





مضادة) ، وفى الوقت نفسه (يعمدون إلى زيادة الاقتراض من البنوك التجارية لتسيير اعمالهم ، حتى إذا ما استولت الدولة عليها لم تستول إلا على أموال البنوك) .

لكن ليس هذا هو مسلك اغلب وحدات القطاع الخاص الصناعى لسبب بسيط هو أن الانتاج الصغير هو الذى يسيطر على هذا القطاع ، ولقد أشار البنك الأهلى فى سنة ١٩٥٧ إلى أن المؤسسة الصغيرة تمثل ٧٩٪ من عدد المؤسسات الصناعية ، غير أنها تنال ١٢٪ من مجموع القيمة المضافة . وفى تقدير الأمانة الرأسمالية الوطنية بالاتحاد الاشتراكى ، إن الرأسمالية الوطنية تضم حوالى نصف مليون مواطن ، بينما يبلغ الحرفيون من صغار المنتجين حوالى مليونين .

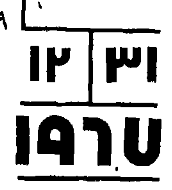
وهنا تكمن المشكلة ، فالانتاج الصغير له مشاكله الواقعية التى يجب أن تعالج بصبر وحكمة . وعلى سبيل المثال ، فان أزمة المنسوجات المصرية قد كشفت عن ضرورة إعادة تنظيم الصناعة القطنية . فالمصانع المتوسطة والصغيرة بامكانياتها المحدودة لا تخصص إنتاجها للتصدير بل تتوفر على إنتاج الأصناف اللازمة للاستهلاك المحلى .

مثال آخر هو صناعة دبغ الجلود ، ففى دراسة للبنك الصناعى تبين أن « المنتج الصغير ينتج أنواعا رديئة من الجلود رخيصة الثمن لا تحمل اسما تجارية معروفا ، إلا أنها تجد طريقا واضحا نحو المستهلك الوسيط الذى يأخذ السعر عاملا هاما فى عقد صفقاته ، ونقصد به صانع الأحذية والحقائب الذى يعتمد على أن المستهلك النهائى لا يستطيع التفرقة بين أنواع الجلود فضلا عن ضعف قوته الشرائية » .

مثال أخير من صناعة الأحذية : إن صغر حجم رأس المال هو أول مشكلة تواجه هذه الصناعة ، فعدد المنشآت التى يقل رأسمالها عن ألف جنيه يمثل ٧٢,٧٪ من جملة المنشآت ، بينما يبلغ رأسمالها ٤١,١٪ من جملة رأس المال . فى هذه الصناعة يستغل صاحب المدبغة صانع الأحذية ، ويستغل صانع الأحذية عماله الحرفيين ، ويستغل الوسيط أو السمسار صانع الأحذية إذ لا يعنيه الا الربح ولذا لا يتكرر الشراء . ومن ثم فقدت الصناعة سمعتها الطيبة فى الأسواق الخارجية ، لكن الخطير فعلا هو وجود الصناعة بأيدى نظام الطوائف المتخلف من عصور الاقطاع . ولقد نشرت إحدى الصحف تحقيقا عن مصنع أحذية يضم ٣٩ آلة باستطاعته أن يعمل ورديتين فى كل وردية ٢٠٠ عامل ، لكنه لا يضم الا عشرين عاملا فقط ، ويستخدم عمالا من الباطن تهربا من التأمينات الاجتماعية .

وفى هذه الظروف ، يتيح تخلف علاقات الانتاج فى الوحدات الصغيرة لأصحابها أن يتحولوا من الانتاج إلى التجارة فى السوق السوداء ، حيث يتم التصرف فى المواد الخام التى تشقى الدولة من أجل توفيرها لهم .

لكنه إذا جاز لنا أن نسجل هذا الانحراف من جانب القطاع الخاص ، أو نقرر عدم عنايته



بجودة الانتاج ، أو نتحدث عن هبوط مستوى الفن الانتاجى ودعم الخبرة بالتسويق فى القطاع الخاص ، فمن الواجب أن نسجل أيضا تلك المشاكل التى تشكو منها الرأسمالية الوطنية والرأسمالية الصغيرة بحق وهى : عدم توفير المواد اللازمة للانتاج ، وعدم العدالة فى توزيع السلع أو فى التعامل مع القطاع العام ، وعدم قيام التسعيرة الجبرية على أساس التكلفة الحقيقية ، وعدم استناد سياسة الاستيلاء لأساس واقعى ، وصعوبات الائتمان ، وكثرة الأعباء المترتبة على التأمينات الاجتماعية والضرائب .

وفيما وراء هذه المشاكل ، نستطيع أن نتبين أن المشكلة الحقيقية التى يشكو منها القطاع الخاص إنما تتمثل فى عدم وضوح الرؤية أمامه ، أعنى عدم شعوره بالأمان ، أى عدم تحديد إطار نشاطه الحالى بوضوح وعدم تحديد مستقبله بوضوح .

وتلك هى المشكلة التى كان ومازال على الثورة أن تواجهها بصراحة .





٤٨

خالد محيى الدين

٥ يونيو
والتحدى الذى يفرضه

أرادت إسرائيل ، وأراد الاستعماريون أن يكون ٥ يونيو نهاية لارادة الصمود التى جابهت بها الثورة العربية خطط الاستعمار ومؤامراته . فاذا بهذا اليوم يصبح ـ بفضل ثورية الجماهير ـ طاقة هائلة تفجر إرادة التحدى فى شعبنا .

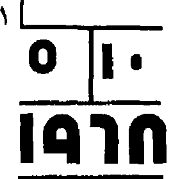
كانوا يؤملون أن يكون ٥ يونيو بداية للاستسلام والخضوع فاذا به يصبح منطلقا لارادة لاتهدأ فى الانطلاق والتغيير .

أرادوا لهذا اليوم أن يكون درسا يلقن لكل من يحلم بالتمرد على الاستعمار فاذا به درس يلقن لكل من يحاول انتهاك إرادة الشعوب . .

ذلك أن جماهير شعبنا قد ادركت أنها لكى تعيش يجب أن تنتصر ، وأنها لكى تنتصر يجب أن تهزم كثيرا من عوامل التخلف والتردد .

وإن جماهير شعبنا قد أدركت أن أنصاف الحلول لاتؤدى إلى مجرد أنصاف النتائج ـ ومن واقع التجربة ـ بل تؤدى إلى الارتداد للوراء .

واذا كان التصميم قرارا من السهل اتخاذه . . خاصة اذا ما كان تعبيرا عن إرادة ملايين من البشر وجدت فيه سبيلها إلى الحياة وإلى المستقبل .



فان هذا التصميم الذى تولد عن أحداث يونيو الماضى يفرض علينا تحديات ضخمة

وبعض هذه التحديات يمتد إلى واجبات دولية . . تتمثل فى أهمية بذل مزيد من الجهد لتوضيح الحق العربى ، وفى ملاحقة الدعايات الصهيونية وافسادها ، وفى إعلان موقف واضح محدد تتجمع حوله إرادة شرفاء العالم دفاعا عنه .

والحقيقة أننا قد قطعنا خلال العام الماضى بعضا من هذا الشوط . .

والحقيقة أيضا أن اجزاء كبيرة من الرأى العام العالمى قد بدأت تدرك حقيقة الخدعة التى نسجتها الدعايات الصهيونية حول البلد الصغير الوديع المحاط بملايين الذئاب . . وبدأت تدرك حقيقة الدور الذى تلعبه اسرائيل فى خدمة الاستعمار .

كما أن الخطر الصهيونى ـ الذى أسكرته نشوة النصر السريع ـ قد بدأ يرفع رأسه ليهدد عددا من الأنظمة الاوربية كما حدث فى بولندا وغيرها ، الأمر الذى يفتح أمامنا افاقا واسعة للمشاركة فى الصراع العالمى ضد الصهيونية ، لكن هذه المشاركة يتعين عليها أن تكون واعية غاية الوعى قادرة على التفريق بين الصهيونية وبين اليهودية ، وقادرة أيضا على أن تقدم للعالم كله دراسة علمية أصيلة عن حقيقة وتاريخ وأهداف الحركة الصهيونية العالمية .

وبعض هذه التحديات يمتد على النطاق العربى ، وأهم ما يواجهنا فى المجال العربى هو الوحدة .

والحقيقة أن توحيد النضال العربى يمتد ـ بطبيعة ظروف المنطقة ـ عبر ثلاث دوائر :

● وحدة القوى الثورية العربية التى تؤمن بأن المعركة ضد الصهيونية والاستعمار هى خطوة لابد منها فى طريق النضال من أجل الاشتراكية .

● ووحدة القوى الوطنية العربية التى تؤمن بأن المعركة ضد الصهيونية خطوة لابد منها فى طريق التحرر والخلاص من الاستعمار .

● ووحدة القوى العربية التى تؤمن بأن المعركة ضد الصهيونية هى خطوة لابد منها للحفاظ على عروبة المنطقة .

وتتجلى الحكمة السياسية والابداع السياسى الثورى فى القدرة على تحقيق العمل التوحيدى على نطاق الجبهات الثلاث ، بحيث لايؤدى نجاح إحداها إلى الاستغناء عن الأخرى ، فكلها ضرورية حتمية ، لكننا يتعين علينا ان ندرك أن توحيد القوى الثورية على النطاق العربى ، وتوحيدها على النطاق المحلى هو خطوة البدء والنواة الأصيلة لأى عمل توحيدى آخر .

ثم هناك التحديات التى تجابهنا على النطاق المحلى ، وهى كثيرة ومتشابكة ومتفرعة الى حد



تبدو الصورة معه معقدة غاية التعقيد .

لكن ثمة خيط أساسى يمتد عبرها جميعا هو : ان التحدى الأساسى الذى يجابهنا هو فى الدرجة الأولى تحد حضارى .

فكل الدول النامية يجابهها تحد يتلخص فى محاولة عبور الهوة التى تفصلها عن الحضارة الغربية والتكنيك الغربى فى أقل فترة ممكنة .

وسباق الزمن الذى يفرضه هذا التحدى يخضع لعوامل مهدئة فى كثير من الأحيان ، فعامل السرعة حيوى لكنه ليس حاسما الى درجة كبيرة .
أما بالنسبة لنا فإن التحدى أخطر وأكثر ضراوة .

فالعدو الصهيونى قد تمكن بفضل عوامل موضوعية من نقل كثير من المظاهر والعوامل الحضارية للغرب ، وتمكن من أن يبنى وبسرعة نموذجا مصغرا لدولة عصرية تعتمد على التكنيك والعلم الحديث .

التحدى يواجهنا بصورة مباشرة ، تشحذ من خطورته أن هذا النموذج يتخذ طابعا عنصريا خطيرا يمكنه من حشد طاقات مواطنيه تحت أستار من التحريض العنصرى ، ويزيد من ضراوة التحدى أن هذا النموذج يقيم جهازا للعدوان يعتدى ، ويحتل أجزاء عزيزة من أرض الوطن ، ويرفع شعارات توسعية .

التحدى إذن يفرض نفسه بصورة عنيفة وقاسية .

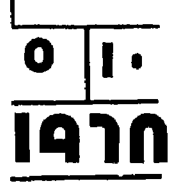
والسرعة الواجبة لانجازه يجب أن تتضاعف عشرات المرات بالنسبة لنا .

فاذا كانت الدول النامية الأخرى تواجه هذا التحدى من أجل مستقبل أفضل ومن أجل حياة أكثر سعادة للأجيال القادمة ، فاننا نواجهه من أجل مصير أمتنا كله . . من أجل الحاضر . . من أجل الساعات العصيبة التى نحياها . .

ومن هنا فإن شعار إقامة دولة عصرية تستخدم أحدث وسائل العلم والتنظيم والتكنيك الحديث ليس شعارا نسعى اليه قدر استطاعتنا ، لكنه واجب يتعين أن نلهث بأقصى سرعة وصولا اليه .

ذلك إنه واجب تمتزج فيه المهام القومية والوطنية بالمهام الاجتماعية والاشتراكية ، واجب هو بمثابة عنق زجاجة البقاء فى إطاره اختناق وإرتداد بينما عبوره يمثل إنطلاقا لآفاق تتخطى حدود الأحلام .

وإذا كانت اسرائيل قد اختارت النموذج الغربى الرأسمالى لاعداد دولتها العصرية ، فإن



هذا النموذج قد فرض عليها بالضرورة سياسة التبعية للامبريالية ، وفرض عليها أيضا أن تلجأ الى أساليب عنصرية لتعبئة قوى مواطنيها .

وكلا الأسلوبين أسلوب التبعية للاستعمار وأسلوب التعبئة العنصرية مرفوض بالنسبة لنا ، ليس لمجرد انهما ينافيان قيمنا وأمانينا ولكن لأن التجربة ذاتها قد أثبتت أن نموذجا يقام على الأسس قد ينتعش انتعاشا مؤقتا لكنه مع ذلك يظل أسير تسلط النظام الرأسمالى وأسير أزماته ، كما أن نموذجا كهذا يتعين وبالحتم أن ينعزل عن قوى الرأى العام العالمى الذى يرفض الاستعمار والعنصرية معا .

وهذا هو أخطر ما تعانى منه اسرائيل الآن .

نحن نريد دولة عصرية لكننا نريدها دولة حرة ، ونريدها دولة من أجل هذا الشعب ومن أجل رفاهيته وحريته ، ونريدها دولة انسانية ترفض العنصرية وتدينها وتعيش فى ظل الاخاء الانسانى متمتعة بتأييد ومناصرة كل شرفاء العالم .

إن نموذجا كهذا هو أكبر ضربة توجه لاسرائيل ، وهو أكبر سبيل لعزلة اسرائيل عزلة خانقة .

النموذج الذى نريد بناءه إذن نموذج متحرر من كل تبعية ، ومن ثم فهو نموذج اشتراكى تقدمى انسانى . نموذج يعتمد على حشد كل قوى الجماهير وتعبئتها على أساس انسانى وتقدمى .

لكن كيف نعبىء الجماهير . . ؟ كيف نحشد كل طاقاتنا بلا استثناء لتسهم بوعى وإصرار فى معركة التغيير التى نخوضها فى كل ميادين حياتنا وصولا الى النموذج الذى نريد بناءه .

لاسبيل الى ذلك بغير إشراك الجماهير اشراكا فعليا ـ وعن طريق الديمقراطية ـ فى مسئولية البناء وفى مسئولية الحكم وفى مسئولية العمل السياسى .

دفع الجماهير الى أن تسهم لابمجرد التأييد والمساندة ولكن بالمشاركة الأصيلة فى عملية إتخاذ القرار ، وبالمراقبة الشعبية على تنفيذه .

فالنموذج العصرى التقدمى الانسانى الذى نريد بناءه لابد له من أن يكون نموذجا ديمقراطيا يقوم ويعتمد على أساس من مشاركة الجماهير فى المسئولية ، وقيامها بالرقابة اليومية على التنفيذ ، وإشعارها فى كل خطوة أنها ليست فقط صاحبة المصلحة لكنها أيضا صاحبة المصير .

وأود أن اؤكد أن اللجوء الى النموذج ليس مجرد إنتقاء إختيارى لوسيلة الديمقراطية ،





لكنه سلوك حتمى تفرضه علينا طبيعة التحدى الذى نجابهه . وطبيعة النموذج الذى نسعى لبنائه .

إن التحدى الذى يجابهنا يفرض علينا أن نقيم على أرض بلادنا دولة قوية ، فإن الضعف هو الذى يشجع اعداءنا على المضى فى سياستهم العدوانية .

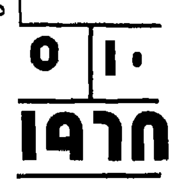
والدولة القوية لاتقوم بمجرد إعادة بناء جيش قوى ومدرب ، فالجيش ليس سوى إمتداد للتصميم الشعبى ولايمكن عزل المحتوى الفكرى والثقافى والعقائدى للجيش عن المستوى العام للجماهير .

والجماهير التى يملؤها التصميم على خوض المعركة هى السند الأول والأساسى لأية قوى عسكرية ، والقوى العسكرية مهما علت كفاءتها القتالية لابد لها من سند يحرس مؤخرتها من الجماهير المسلحة بالوعى والتدريب العسكرى .

إننا بحاجة الى أن نشرك كل شخص فى المعركة وأن نعد كل شخص للمعركة . فالمعركة القادمة هى معركة مصير - أن نكون أو لانكون - ولانها معركة مصير فإنها معركة كل فرد منا ، يجب أن يساهم فيها كل فرد ، وأن يستعد لها كل انسان . ومن هنا فان إعداد برنامج للتدريب العسكرى فى كافة المجالات فى المدارس والجامعات والمصانع يمثل واجبا بالغ الأهمية . .

وعندما اقول برنامجا للتدريب العسكرى فاننى لا أقصد مجرد التدريب على إطلاق بضعة رصاصات ، لكننى اقصد تدريبا راقيا ومستمرا طالما استمر الاعداد للمعركة ، تدريبا يرتقى بالمستوى القتالى لكل أفراد الشعب ويجعل كل فرد منا فى تمام لياقته للمعركة اذا اقتضى الأمر ذلك . والأمر الذى لاشك فيه أن مثل هذا التدريب سوف يمكننا من مجابهة عدونا الذى سلح ودرب كل مواطنيه وأعدهم للمعركة . كما أن هذا التدريب العسكرى بالمدارس والمصانع سوف يحول الشعب كله ظهيرا للجيش يحمى ظهره واحتياطى يمده بالرجال المدربين الذين يسهل الارتقاء بمستواهم القتالى عندما يستدعون للجندية .

وبجانب برنامج التدريب العسكرى العام هذا يجب أن نهتم بالنوادى الرياضية الخاصة على مستوى الجمهورية . وحيث أن الطيران هو عامل حاسم فى المعركة ، فلابد أن تفتح نوادى طيران أهلية تعينها الدولة لتشجيع الشباب على تعلم الطيران الشراعى والعادى واعطاء المكافآت التشجيعية للشباب لذلك ، وكذلك نواد للقفز بالمظلات . والمقصود بذلك توسيع القاعدة الكبيرة للقوات المسلحة المصرية . كما أن الدولة القوية التى نريدها تفرض علينا أن نعيد النظر فى برامجنا التعليمية فى كافة مستويات التعليم ، بحيث تزداد إن لم تتضاعف الساعات المخصصة لدراسة العلوم التطبيقية والرياضيات والطبيعة والكيمياء وكل ما يمهد السبيل لخلق المواطن ذى المستوى اللائق بدولة عصرية تعتمد على العلم وتطبيقاته . كما أن علينا ان نهتم



باعداد المواطنين معنويا للمعركة وذلك بالتربية الدينية والروحية والقومية فى كل سنى الدراسة ، ولذلك علينا ان نقوم فى هذا الصدد بمراجعة كافة الكتب التى يدرس فيها طلابنا مناهج الدين والمجتمع العربى والفكر الاشتراكى ـ بحيث نرتقى بها الى المستوى المطلوب وبحيث نخلصها مما يشوب بعضها من اخطاء تجرفها من هدف خلق مواطن مؤمن بمثل عليا اجتماعية وقومية وروحية . ان خلق مواطن مؤمن بقيم الدين الروحية ومحب لوطنه ومؤمن بثورته الاجتماعية الاشتراكية ضرورة ملحة للمعركة ، هذا بجانب الاهتمام باعداد الشباب جسمانيا ورياضيا .

وهكذا تبرز اهمية برنامج ٣٠ مارس كبرنامج للتغيير الثورى باسلوب الديمقراطية وبالاستناد الى اوسع الجماهير سعيا لمجابهة التحدى الذى يفرض نفسه علينا . ولعل خبرة العام الذى مضى فى اعقاب النكسة هى أكبر دليل على قدرات شعبنا وطاقات تصميمه على اجتياز هذا التحدى ، وهى أيضا دليل على أن نطبق برنامج ٣٠ مارس بروح ٣٠ مارس الذى هو سبيلنا الوحيد نحو النصر .



٤٩

معين بسيسو

مأساة .. الشاعر العربى المعاصر

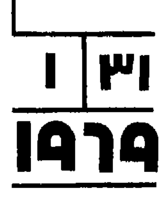
فى احدى قصائد « يفتوشنكو » يقول الشاعر :

« . . لو كان هنالك مئة رجل يضربون رجلا ، فلن أكون الرجل الواحد بعد المئة . . »

وفى حياتنا كان هناك دائما « ألف رجل يضربون رجلا ، وما أكثر الذين تسلخت أكتافهم وهم يشقون طريقهم لكى يصلوا الى الرجل المضروب ، وكل واحد منهم يريد أن يكون الرجل الواحد بعد الألف . . وأن تسبق يده أو هراوته بقية الأيدى والهراوات . . ونموذج واحد من نماذج « الرجل المضروب » . . الرجل الذى ضربه ومايزال يضربه مئة رجل وألف رجل هو نموذج الشاعر . . والشاعر المعاصر بشكل خاص .

من أكثر القصائد شعبية فى الاتحاد السوفيتى قصيدة « التفاحة المسلوقة » للشاعر « دافيد كوجيلتينوف » . والقصيدة تصور مأساة « الانسان » ، الانسان الذى راح رأسه يضمر ويضمر حتى أصبح الرأس فى حجم التفاحة ، التى تؤكل مسلوقة فى بعض الأحيان ، تؤكل بالكف العريانة مرة وتؤكل بالشوكة والسكين أكثر المرات .

وأهمية وشعبية قصيدة « التفاحة المسلوقة » « لكوجيلتينوف » لاتنبع أبدا من إطار الحرب الفيتنامية ، وان الشاعر يتحدث عن رأس والد الجندى الأمريكى الذى يحارب فى الفيتنام لاتنبع من أن الأب الأمريكى يتصور انه يأكل رأس ولده كل صباح ، وان ذلك الرأس ظل يضمر فى الجبهة حتى اصبح تلك التفاحة المسلوقة فى الطبق . ولو اقتصرت القصيدة على



٤٩

هذه الصورة ، لظلت مجرد قصيدة فى دائرة موسوعة القصائد الانسانية عن الفيتنام أو غير الفيتنام . ولكن أهمية تلك القصيدة ـ ولقد اتيحت لى فرصة الاستماع اليها من الشاعر ـ تتخطى دائرة موسوعة القصائد الانسانية ، وتقودك بيد سرية . . الى « الفيتنام السرية الأخرى » بعيدا عن الفيتنام العلنية ، « الفيتنام السرية » التى توجد بشكل أو بآخر ، بصورة أقل وحشية أو أكثر وحشية كأفراد وفى حياة هذا المجتمع أو ذاك .

❖ ❖ ❖

قبل الخامس من حزيران ، كانت الحياة الفكرية والفنية تأخذ مكانها تحت شجرة « ألبو » ووصلت الى مرحلة « النيرفانا » التى وصل اليها « بوذا » ذات يوم ، مرحلة الغيبوبة الروحية . والحياة الفكرية لاتصاب بالعقم وبالتعفن إلا حينما تنكب بمرض الاستلقاء والغيبوبة الروحية ، عندها تتحول الحياة الأدبية والفنية الى ما يشبه « الحمامات التركية » ويتحول الكتاب والشعراء والنقاد . . الخ الى « مدلكين » ويأخذ العمل الفنى شكل قطعة الصابون أو البخار والماء الساخن وكفى المدلك الماهرتين . والحياة الفكرية والأدبية لم تتوقف عند عتبات الحمامات التركية بل تخطتها لتقوم بعملية « قيادة المحمل » و« خلع الكسوة » على كل مجال من مجالات الحياة فى بلادنا . وبهذا فقد الفن وظيفته الأساسية ، فوظيفة الفن ليست أبدا تدليك جسد المجتمع ، أو تدليك جسد هذا النظام أو ذاك وألا تمدده فوق بلاطة من الرخام ، بل فوق فراش من المسامير ، ووظيفة الفن ليس أبدا خلع الكسوة الحريرية على جسد المجتمع ، بل القيام بعملية التعرية . ولايعنى هذا على الاطلاق أن تمديد جسد المجتمع فوق فراش من المسامير ، والقيام بعملية التعرية ، هو العمى عن المنجزات ، والكساح وعدم القدرة على السير لمواجهة الجديد والايجابى الذى تم إنجازه ، وإنما يعنى فى خطه الرئيسى أن عملية الاسترخاء والغيبوبة الروحية ، ليست إلا « عملية الخصى » بالنسبة للشاعر أو الكاتب ، ليست إلا بمثابة تحويل عنقه إلى سارية ، تغرس فيها هذه الراية أو تلك ، وتحويل كتفيه الى مشجب تعلق فيه المعاطف .

❖ ❖ ❖

والشعراء والكتاب المفكرون الذين عملوا طويلا فى الحمامات التركية وقاموا على الدوام بمهمة التدليك انتفضوا فجأة . . كأنما تحول البخار الى غاز سام ، وتحول الماء الى غسلين . . كانوا كمن سلطت عليهم الأضواء فجأة وهم عرايا ، فحاولوا الهرب الى الأماكن المظلمة ، بعضهم تشبث بعنق البعض الآخر وبعضهم داس على بعض ، ومن قدر له النجاة من مصيدة الأضواء حاول أن يختطف أية ثياب معلقة فوق أى حبل من حبال الغسيل ، وعند الفرصة الأولى راح يعلن براءته من الحمام التركى ، من البخار والماء وقطعة الصابون ، وفوق جسده كانت كل قطع ثياب الخامس من حزيران المشكلة والمختلفة الألوان .

❖ ❖ ❖





في حوار مع محمود درويش في موسكو أبدى تخوفه من أن يكون تكريس النقاد لشعر المقاومة يتخطى الدراسة الفنية الموضوعية الشاملة ، الى الموقف السياسى العام . وأنا لاأزال أذكر ما قلته له في ذلك الحوار ، بأن هناك مايبرر تخوفه . فمادام الشاعر يكتب عن الوجه البشع للاحتلال فلابد أن يقف تحت راية الكنائس الفكرية الرسمية موضوعيا وعضويا ، ولكن السؤال الذى لايزال قائما . . هو هل هناك وجه واحد بشع بعد الخامس من حزيران وهو وجه الاحتلال . إن شعر المقاومة في الأرض المحتلة والذى يعيش ويعايش مرحلة الاحتلال ، قاصر تماما عن ان يعيش ويعايش الوجوه الأخرى لكارثة الخامس من حزيران ، وذلك أمر طبيعي ومنطقي نتيجة للحصار المضروب ، وعلى سبيل المثال لا الحصر محمود درويش يخرج من اسرائيل للمرة الاولى ، ويلتقى للمرة الأولى وفي مؤتمر صوفيا بالذين مد لهم يديه عبر الاسلاك الشائكة ، فتناولوا القصائد من اليدين المجرحتين . وكعملية تدليك من نوع جديد لجسد النكسة

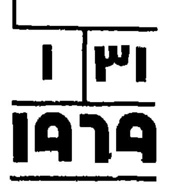
* * *

فجأة تم الانتقال من مفردات قاموس الاثارة الجنسية ، الى مفردات قاموس الاثارة السياسية ، بدأت حرب الفيتنام السرية الأخرى ، أصبح هجاء كل شيء لعنة كل شيء ، الوقفة فوق الأطلال الجديدة للكارثة ، وإدانة كل شيء هو شعار القصيدة ، هو جواز سفرها وتأشيرة مرورها للجماهير . والجماهير في مرحلة غضب على الكارثة ، وفي مرحلة تحد وتمرد أيضا على كل معطيات الكارثة وأسباب الكارثة وهى من هذه الزاوية احتضنت وتبنت قاموس الاثارة السياسية ، كل مفرداته حتى ولو كانت القصيدة تنهال بالضرب على وجهها هى ، وهكذا تحول المدلك القديم الى ضارب والقصيدة الى هراوة . فهل هذا حقا هو دور القصيدة ، دور العمل الأدبى والفنى بعد الكارثة . .

لقد سقطت باريس ذات يوم ، وانتفض صوت ايلوار وصوت اراجون ضد الاحتلال ، وتحولت قصيدة المقاومة الى أغنية . . الى « اللحن المميز » لحركة الناس اليومية ، ولقد كانت قصائد المقاومة تحمل اكبر شحنات الاثارة الفنية والسياسية معا . . لقد تحول الشعر الى كهرباء ، وكما كان رجال المقاومة يقصون شعور النساء اللواتى كن يتعاون مع جنود الاحتلال ، كان شعر المقاومة يقص شعر كل ماهو متآكل ومتعفن ، كل ماهو سوقى وغوغائى ، كان بمثابة تدشين روحى جديد للشعب ، كان يريد أن يخلص روح الشعب من وحل الهزيمة ، وأن يعيد البريق الى العيون التى انطفأ فيها البريق .

لقد سقط الطائر . .

ضربته العاصفة وعرته من الريش
اصبح عريان تحت جذع شجرة . .
وافتقدت طيور السرب ذلك الطائر



ومضت تبحث عنه ،
حتى عثرت عليه عريانا
تحت جذع شجرة . .
وانتزع كل طائر ريشه من جناحه
وراح يغرسها فى جناحى الطائر العريان
حتى اكتسى بالريش وفرد جناحيه
ونهض إلى أعلى . .
وهكذا ستنهضين يافرنسا . .

❖ ❖ ❖

لقد كانت هذه إحدى قصائد المقاومة فى ظل الاحتلال النازى لفرنسا . . لقد ضربت العاصفة ذلك الطائر ، كما ضربتنا رياح الخامس من حزيران ، وتعرى الطائر من الريش ، والريش الذى لم يصمد لهبة العاصفة كان عليه أن يسقط . . وجاءت الطيور ، لالتغرس منقارها فى لحم ذلك الطائر المرتعش ، واعتقد أن هذا هو موقف الشاعر - أى شاعر - فى مواجهة أية كارثة ، فالتعرية التى تحدثت عنها فى بدء هذا المقال ، وتمديد جسد المجتمع على فراش من المسامير ، وان يرفض الشاعر مهنة المدلك ، ووظيفة الغيبوبة الروحية ، إن التعرية هنا لاتعنى بالنسبة الى الشاعر لاتعنى الا رفض الريش المصطنع ، ورفض المزق والخيوط المتآكلة ، ومن أجل ريش حقيقى يكتسى به الطائر المضروب .

فهل حدث هذا بالنسبة الى شعر مابعد الكارثة ، هل كنا نمد الريش حقا الى ذلك الطائر العريان ، أم كنا نمد اليه المناقير .

إن ماحدث إن أكثر الذين كانوا يقومون بعملية التدليك وفى كل المستويات كانوا أطول المناقير التى امتدت للجسد العريان . . لم تمد منقارها بريشة ، وانما مدت المنقار لتنهش وتقضم ، وهى بهذا تستند الى مايسمى بمفهوم تأهب الجماهير الكامل وفى مرحلة الكارثة ، إلى أن تستمع الى من يلعنها ، وتقدم لحم صدرها العريان لمن يريد أن ينهشها ، كان العذاب الذى تقدمه هو التكفير عن أى موقف سلبى قد وقفته أو عن الايمان المطلق أو عن الخداع . هنا يتحول تأنيب الجماهير لنفسها الى صك غفران عن الذنب ، ذنب الموقف السلبى أو الايمان المطلق ، ووضع العصابة على العينين ، والسير وراء مكبرات الصوت .

السؤال الآن ، أليس من حق الشاعر المدلك القديم - أى شاعر - أن يتحول الى شاعر جديد .

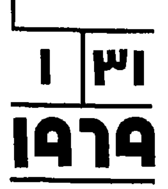
وبلا تردد أقول ، إن هذا من حقه الكامل ، وليس من حق أحد أن يمنع الصحوة عن



شاعر ، لو كان هذا الشاعر على استعداد لأن يقدم ريشة لذلك الطائر العريان ، وأن لايطير وفى منقاره مضغة من لحمه . وهذا مافعله بعض الشعراء ، حاولوا أن يقودوا السرب الى الطائر العريان المرتجف تحت جذع شجرة ، لامن أجل أن يكسوه بالريش بل من أجل أن يقضموا لحمه .

إن على الشاعر أن يقف على الدوام ضد الهراوة ، ضد الهراوة السرية والعلنية فى يده وفى أيدى الآخرين ، وأعتقد أن الأسلوب الذى اتخذه بعض الشعراء والكتاب فى مواجهة هذه القصيدة أو تلك من قصائد مابعد الخامس من حزيران ـ كان أسلوب الهراوة ـ وأسلوب الدركى ـ وليس أسلوب المكاشفة والمطارحة . . ليس أسلوب الشعر ، فالحديث من مركز القوة والسلطة ، ومن فوق ملفات القوائم السوداء ، ليس هو حديث الشعر وهو الذى يجعل الناس ـ وانا واحد منهم ـ تعطف حتى على الذين يقضمون بمناقيرهم لحم صدرها ، وتعطف حتى على الذين تحولوا الى ادلاء لأى سائح يريد أن يتفرج على تلك المرأة المخمورة فى الوحل





٥٠

د . حسين فوزى

نابليون رجل القدر

(ايكرمان : مما يثير اعجابى ان نابليون ، فى سن باكرة ، كان يلعب بشئون العالم فى يسر واطمئنان ، وكانه رمى وراء ظهره عمرا طويلا من التجربة والمران .

جوته : هذه يابنى ميزة فطرية فى ذوى المواهب العظيمة . كان نابليون يزاول أمور العالم ، كما كان « هومل » يزاول العزف على البيانو . وكانت لعظمة نابليون هذه الخاصة ، وهو انه كان ذاته فى كل وقت وآن ، قبل المعركة ، وفى إبان المعركة ، وبعد الظفر ، أو الهزيمة ، كان دائما رائق الفكر ، ثابت الجنان والعزيمة ، على مستوى كل موقف ، وكل لحظة . تماما مثل « هومل » سواء لعب حركة وئيدة أو سريعة ، بيده اليمنى كما باليسرى . هذه هى الصفة التى نلقاها دائما عند ذوى المواهب الحقة ، فى فنون الحرب ، كما فى فنون السلام ، أمام المعزف ، وخلف المدفع .)

من أحاديث جوته
مع ايكرمان

أعود اليوم إلى نابليون فى ذكرى مرور مائتى عام على مولده (١٧٦٩) . وعودتى إلى نابليون فيها دائما معنى الحنين الى الشباب . فقد عرفت الكورسيكى مع مطالع السينما فى احيائنا الوطنية (١٩٠٩ ـ ١٩١١) ، ثم وقع لى بعد ذلك بقليل كتاب للمرحوم ابراهيم رمزى عنوانه فيما اذكر « حكم نابليون » وكان محلى ببعض الصور التاريخية لبطل كل شاب





رومانتيكى . ونشرت مقالا طويلا عن نابليون فى ذكرى مرور مائة عام على وفاته (١٨٢١) ، كان فى الأصل موضوعا لمسابقة اقامتها جريدة « السياسة » فى الكتابة عن « صقر قريش » أو عن « نابليون » ، طالعت للاعداد لها أكثر ما طالعت فى حياتى عن نابليون : من أمثال كتب المؤرخ هولاندروز ، واللورد روزبيرى ولوكهارت وماسون . وقد حاز صديقنا العلامة على أدهم قصب السبق فى فصل قيم عن « صقر قريش » .

ثم جارت عوادى الزمان ، ونمو الانسان ، على ذكرى نابليون فى نفوسنا . وبخاصة بعد ما عانى العالم من شر الدكتاتوريات ما عانى أيام المغضوب عليهم من الله والناس . هتلر وموسولينى وغيرهما فى شرقى أوربا وغربيها !

وانتهيت الى الاعجاب بنابليون صاحب القانون المدنى الفرنسى ، والاصلاحات الادارية والعمرانية التى أجراها لبلاده فى أقل من عشرين سنة من حكمه . أما رجل الحرب ، فلا يمكن أن يقف اعجابى بعبقريته العسكرية حائلا دون شجب ما جره على فرنسا من خراب ، وإحتلال أوربا المتحالفة لباريس ، وفرضها الغرامة الحربية على الشعب ، وقيام « الحلف المقدس » لمحاربة الحريات والقوميات فى طول أوربا وعرضها .

ولقد كتبت هنا فى الخريف الماضى ـ بمناسبة عرض الفيلم السوفيتى « الحرب والسلام » ـ مقالا عن هزيمة نابليون فى الروسيا عام ١٨١٢ . واستأنف الآن الحديث عن ذلك العبقرى العاتى عقب تلك الهزيمة : التى البت أوربا عليه حتى هزمته فى سلسلة من المواقع ، انتهت بنزوله عن العرش ، ونفيه إلى جزية البا ، المجاورة لكورسيكا ، وإعادة أسرة البوربون الى عرش فرنسا .

ولم يمض العام على تولى لويس الثامن عشر العرش ، حتى هرب نابليون من « البا » ، ونزل بأرض فرنسا ، وعبر طريقه الى باريس عن طريق جبال الألب والسافوا ، فاستقبله الشعب بالحماس ، أو الترحاب ، إلا فى بعض مناطق السافوا . وعاد الكورسيكى الى عرشه بكل بساطة ، وكأنه غادره بالأمس الى نزهة بحرية !

لم يستمر حكم « الامبراطور نابليون » بعد هروبه من البا غير ثلاثة أشهر وبضعة أيام ، فيما يعرف فى التاريخ باسم « المائة يوم » ، انتهت بهزيمة نكراء شنعاء ، فى « واترلو » بضواحى بروكسيل على يد ولنجتون البريطانى وبلوخر البروسى . دمر فيهما الجيش الفرنسى تدميرا وولت فلوله الأدبار تحت صيحة « سوف كى بو » (= فلينج بنفسه كل من استطاع !) .

رجع نابليون من ميدان المعركة الى باريس فاذا أعضاء المجلسين النيابيين ، واذا تاليران وفوشيه ، يعارضون عودته الى العرش ، ويخيرونه بين التنازل أو العزل ،



٥٠

فيرضخ . ثم يلتمس أن يسمح له بقيادة فلول الجيش لمقاومة الزاحفين على باريس ، فيرفض التماسه ، ويطالب بمغادرة باريس وأرباضها ، ويسافر الى الشاطىء الغربى ، حيث كانت تنتظره سفينة حربية فرنسية لتنقله مهاجرا الى اميريكا . ولكن الأسطول البريطانى كان واقفا له بالمرصاد ، مما اضطره الى تسليم نفسه الى الأميرال البريطانى ، وقد كتب رسالة الى الوصى على عرش بريطانيا يقول فيها

« صاحب السمو الملكى : لقد ختمت حياتى السياسية وانا هدف للعصائب التى تتقاسم بلادى ، ولعداء الدول الأوربية الكبرى . وانى لقادم ، مثل تمستوكليس ، لأعيش وسط الشعب البريطانى ، واضعا نفسى تحت حماية قوانينه . اطلب هذا من سموك الملكى ، كما أطلبه من أقوى وأثبت وأكرم اعدائى » .

فلا ترد حكومة الوصى على طلبه ، بل تنقله اسيرا ، وبرتبة « جنرال » ، على ظهر سفينة حربية بريطانية الى جزيرة سانت هيلانه فى عرض الأطلانطى ، حيث بقى حبيسا بها ، تحت حكم سجانه الفظ السير هدسون لو . ويموت فى المنفى سنة ١٨٢١ .

كل هذه وقائع معروفة بتفاصيلها فى الكتب . والتاريخ لايمكن أن يكود مجرد سرد وقائع وتحديد أيام بتواريخها . وإنما الأجدر بنا أن نحلل هذه المأساة الهائلة فى صدر القرن التاسع عشر لرجل تولى قياد الشعب الفرنسى ولما يتم الثلاثين من عمره ، بعد ثورة جامحة . فأسلست له الثورة قيادها ، لان الشعور العام أتجه الى الهدوء والاستقرار ، والى تنظيم الحياة الجديدة ، وتأييد مكاسب الشعب ماديا وروحيا .

قضى نابليون على الحريات ، ولكنه أقام نظامه على إختيار الكفاءات ، أينما وجدت ، من أفراد الشعب ، ومن البورجوازية أو الارستقراطية التائبة . وفى هذا يقول جوته . « . . . **إنما الأمير الذى يملك قدرات عظيمة هو الذى يعرف ويتبين قدرات شعبه ومواطنيه وكانت حكمة نابليون المعروفة هى : فلنفسح الطريق لكل المواهب . وكانت لنابليون حاسة وإدراك لاختيار معاونيه ، ووضعهم فى المكان القمين بقدراتهم ومواهبهم . ولهذا لم يخدم رئيس بقدر ماقدم هؤلاء لنابليون من خدمات فى تنفيذ مشروعاته الجلى » .**

قضى نابليون على الحريات ، ولكنه أعاض الشعب الفرنسى عنها مجدا مؤثلا فيما حققه من انتصارات عسكرية ، مازالت مضرب الأمثال فى التاريخ الحربى . وكانت هذه الانتصارات شرا على الشعوب المغلوبة يحمل فى طياته بعض الخير ، وهو تأليب الشعوب على حكامها المستبدين من ملوك وامراء يتوارثون الأرض وما عليها منذ أعالى القرون الوسطى . ونظم نابليون حياة الفرنسيين بالقانون الذى يحمل اسمه ، كما نظم الادارة فى مركزية ظلت ، وما فتئت قوام الادارة الفرنسية . ومهد الطرق ومد الجسور وأقام الكبارى ، وقصارى القول : صنع من فرنسا ،





امبراطورية على غرار امبراطورية روما ، قياسا مع فارق الزمن والعقائد والأفكار وطبائع الشعوب ، ودرجة وعيها ونموها .

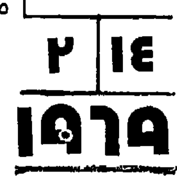
واذا كنا نعرف كيف خرج الخير من شرور الثورة الفرنسية ، فإننا نود أن نعرف كيف تحول الخير شرا فى امبراطورية نابليون ، وكيف انتهت كل تلك الانتصارات العسكرية والانجازات العمرانية بإفقار فرنسا وهزيمتها وإحتلال عاصمتها ، وخضوعها لما أراد لها « الحلف المقدس » الذى اقترحه الاسكندر قيصر الروسيا ، واستغله البرنس مترنخ فى إذلال الامم والشعوب الأوربية التى تنشقت نسيم الحرية ، وتغذت بلبان الثورة الفرنسية الكبرى .

يوصف نابليون بأنه « رجل القدر » . ولقد قلت فيما كتبته عن ختام حياة موزار بان « **قدر الانسان لايعمل وحده ، وإنما يلقى المعونة من سلوك الخاضعين لأحكامه** » . والقدر الذى رفع نابليون بن شارل بونابرت المحامى باجاكسيو ، والسيدة ليتسيا رامولينو ، الى عرش فرنسا باسم « الامبراطورية » ، والسيطرة على أوربا ، فرض إرادته على دولها وأممها ، ويولى اخوته الامارات ، وينشىء لهم العروش ، هو القدر الذى نزل به الى الحضيض مطرودا من أمته ، محكوما عليه من مؤتمر فينا بأنه « طريد قانون البشر » ، وهو القدر الذى حمله أسيرا الى جزيرة قاحلة نائية ، تحت حكم موظف عسكرى فظ .

هذا القدر فى البحبوحة والمجد ، والذلة والهوان ، عمل بمعونة نابليون نفسه ، بل تكاد عبقرية نابليون وحدها تحمل تبعة نجاحه منقطع النظير ، وإخفاقه وذلته ، فيما يشبه المآسى الأغريقية . لأن علة واحدة اصيبت بها تلك العبقرية ، وما اكثر ما تصيب الرجال العاملين فى شئون الدنيا ، بل والدين ، عندما يتألق نجمهم فى فلك الاقدار ، الا وهى الطمع ، وما يعرف فى معناه الروحى باسم : الطموح .

وبقدر عبقرية نابليون الايجابية فى الحرب والسلام ، كان طمعه وطموحه . ولعلها اللعنة التى تدفع بالعبقرى الى مسايرة أطماعه فى صورة الطموح الى العلا ، والغلبة والظفر ، مادامت النتيجة هى المزيد من اسار ملايين البشر ، والشعور بأنهم طوع اليدين والتدبير ، راضين بالهوان فى سبيل المجد ، وبالموت فى سبيل الخلود ، كما قال صاحبنا الكونت دى سيجور وهو يرثى ضحايا « الجحفل العظيم » فى سهوب روسيا ، ماتوا دنقا وجوعا وغرقا وتقتيلا .

حقا ان قدر الانسان لايعمل وحده ، وانما يتلقى المعونة من سلوك الانسان نفسه ، وسلوك الناس بعامة . طموح نابليون كان أكبر عون على القدر فى تحطيم نابليون وامبراطوريته . كان طموحا لايعرف له حدودا أو كما قال ليغفر المؤرخ اليسارى المعاصر فى كتابه عن امبراطور الفرنسيس : **كان نابليون فنانا وشاعرا فى دنيا العمل . ولم تكن فرنسا ، ولا الجنس البشرى بين يديه غير آلات يحركها وفق مشيئته ، ثم انه لم يعرف لذاته هدفا ، لهذا**



لايجدى أن نبحث عن حدود لسياسة نابليون ، لأن هذه الحدود لاوجود لها . ألم يقل نابليون عن نفسه : « أن أكون مكان الرب ؟ لا أحسبنى أرضى بهذا ، اذ سوف أجدنى حينذاك فى طريق مسدود ! ! » .

فالطموح اللانهائى هو قلب نابليون النابض ، أو كما قال عن نفسه . « **الطموح مرتبط بكيانى الى درجة أنهما شىء واحد** » .

هذا عن سلوك الانسان تبعا لجبلته . أما عن الناس بعامة ، فان التحليل التاريخى لمأساة بونابرت يبدأ بالشعب الفرنسى . وهو كجميع الشعوب ، يحب قائده المنتصر ، ويؤازره الى مدى انتصاراته ، وقد يقبل فى زهو الفخار الحد من حريته ، ولكنه سرعان مايثوب الى رشده ، ويتمالك جنانه عندما يحس بفداحة ما اقتضاه الانتصار والغلبة من تضحيات جسيمة . فاذا تحولت الانتصارات الى هزائم ، بدأ ينصرف عن معبود الأمس ، ويلقى على كاهله كل احماله من الآلام . وهزائم نابليون بعد التقهقر من موسكو ، وبخاصة بعد موقعة لايبزيج الدامية ، وأمام باريس ، صرفت عنه الشعب قطعا ، فطالبه بالتنازل عن العرش مرة أولى عام ١٨١٤ .

واذا كان الشعب نفسه قد رضى بعودته الى عرشه ، عقب هروبه من جزيرة البا ، فقد كان الرضا موقوتا ومشروطا بأن يظفر باعداء وطنه الواقفين بجحافلهم على الحدود . وعندما انكسر جيشه فى معركة « واترلو » ، تحطم مجده نهائيا ، وعاد الشعب الى مطالبته بالتخلى عن العرش ، فتنازل للمرة الثانية ـ والأخيرة عام ١٨١٥ .

كان من جراء عودة نابليون و« حكم المائة يوم » أن عدلت دول مؤتمر فينا شروط الصلح مع فرنسا . وكانت فى المرة الأولى خفيفة الوطء ، مساعدة للملك لويس الثامن عشر على الاحتفاظ بعرش آبائه وأجداده . أما فى المرة الثانية فقد أصر الحلفاء على احتلال باريس ، وعلى شروط أخرى صارمة اقتطعت فيها بلجيكا والأراضى الواطئة من فرنسا ، وفرضت غرامة حربية كبيرة على الشعب الذى سمح « للخارج على قانون البشر » باسترداد عرشه .

قال الناس حينذاك : أما كان أولى بنابليون أن يبقى بجزيرة البا ، أو أن يذهب الى مكان آخر ، مضحيا بنفسه فى سبيل فرنسا ، مفضلا السلام على الحرب ؟

كان ذلك موقف الشعب الفرنسى بعامة فيما عدا القلة التى ربطت اقدارها بنابليون .

أما من الناحية الخارجية ، فان انكسارات نابليون اطلقت شرارة الثورة فى شعب عظيم آخر ، هو الشعب الألمانى . وربما كان انتفاض بروسيا والامارات الألمانية ، وامبراطورية الهابسبورج على نابليون هو اهم حدث تاريخى فى مطالع القرن التاسع عشر



إلا إذا أردنا أن نضيف الى خلفية الصورة بريطانيا ، العدو الأكبر لنابليون ، والعدو الذى حاربه فى أسبانيا بقيادة ولنجتون ، حتى أجلاه عنها بمعونة الشعب الاسبانى الحر الأبى ، العدو الذى عزله نابليون عن القارة الاوربية عندما فرض « الحصار الاقتصادى القارى » عليها . وكان رفض الروسيا للمشاركة فى هذا الحصار هو السبب الأساسى فى حملة التأديب التى جهزها نابلون لغزو الروسيا ، وحشد لها إلى جانب جيوشه فرقا ألمانية وبولندية وغيرها .

واذا كان المال عصب الحرب فى كل زمان ومكان ، فلا ينبغى أن ننسى بأن بريطانيا هى التى مولت حرب « الحلف المقدس » ضد نابليون ، الى أن شاركته بجيشها ، وعقدت لواءه لدوق ولنجتون .

نقول بإن انتفاض بروسيا والامارات الألمانية وامبراطورية الهابسبورج على نابليون هو أهم حدث تاريخى فى مطلع القرن التاسع عشر . فعليه قامت سياسة مترنخ فى محاولة إرجاع عقرب التاريخ ، وكأن الثورة الفرنسية لم تكن . ثم أن سياسة الدويلات الألمانية اتجهت الى توحيد اماراتها مع مملكة بروسيا فى « رايخ » فيدرالى ، استطاع بسمارك ، بعد تقويضه عرش نابليون الثالث (أبن أخ نابليون الأول) فى حرب السبعين أن يقيم منها امبراطورية نادى بغليوم امبراطورا عليها فى قاعة المرايا بفرساى .

كان من اثر سياسة مترنخ الرجعية إثارة شعوب اوربا ، وقيام ثوراتها الشعبية فى ثلاثينات وأربعينات القرن ، وبزوغ فجر الفكر الاشتراكى كرد فعل للصورة التى اتخذتها راسمالية العصر وقد وقفت على دعامات ثلاث : الثورة الصناعية ، والتقدم التكنولوجى وتحقيق المطامع الاستعمارية .

وكان من أثرها ، بالاضافة الى ماتم فى ألمانيا ، حركة التحرير الايطالية المعروفة « بالريزور جمنتو » بفضل فكر مازينى ، وقيادة جاريبالدى ، وسياسة كافور ، مما أنتهى الى توحيد ايطاليا ، وانتزاع السلطة الزمنية من الفاتيكان ، تحت راية أسرة سافويا .

وكما نلقى الفكر والشعر والموسيقى خلف الحركة الايطالية ، فاننا واجدون فى نهضة ألمانيا بعد طرح النير الفرنسى اثر رجال الفكر والفن والأدب .

إن الولايات والامارات الالمانية وبروسيا لم تثر على نابليون وجيوش الاحتلال فحسب ، بل ثارت اولا على الحضارة الفرنسية ذاتها ، المهيمنة على اوربا منذ عصر لويس الرابع عشر ، بل وعلى فلسفة القرن الثامن عشر ، فيما يعرف بعصر « التنوير » .

وسنوات الثورة الفرنسية وسيطرة نابليون ـ ذلك الشر المستطير ـ كانت مصدر الخير الثقافى والحضارى وازدهار الفن والأدب والفكر الفلسفى والتاريخى فى ألمانيا .



عصر جوته وبيتهوفن وشللر وهردر وكانت وفخته وهيجل ورانكة والأخوين جريم والعلامة فون همبولت وغيرهم .

فالرومانتيكية التى سادت الفكر والفن فى أوربا القرن التاسع عشر نبعت وظهرت أول ماظهرت فى الأراضى الألمانية ثم انتشرت منها الى أوربا قاطبة ، وبذلك يمكن القول بسيطرة « الكلتور » الألمانى عندما كان الألمان فى إبان القرن التاسع عشر يعتبرون قادة الفكر فى أوربا ، مثلما كان الفرنسيون فى القرن الثامن عشر . كان هردر رائد النهضة الالمانية من اثر كتاب له صدر عام ١٧٤٨ بعنوان « آراء فى فلسفة تاريخ الانسان ، اكد فيه ضرورة انبثاق الحضارة من صميم التربة الوطنية ومن روح الشعب « فولكس جايست » لامن الطبقات العليا التى ترفل فى حلل حضارات أجنبية .

والرومانتيكية عنصر مضاد تماما لفكرة « التنوير » فى القرن السابق عليها ، هذه تمجد العقل ، وتلك تمجد العبقرية ، وتؤمن بالحدس والبداهة والقريحة ، لا بالقواعد والأشكال والقوالب الموروثة ، ولابالفكر والتمييز .

فلسفة هردر اثارت ، بل ابتعثت فكرة « القومية الثقافية » دون أن يكون وراءها رسالة سياسية . ولكن الشعب الألمانى تيقظ لشيء جديد ، وهو معنى الفرد فى الأمة ، ومعنى اجتماع أفراد الشعب على مبدأ تولى الحكم ، مثلما فعل الشعب الفرنسى فى ثورته . ومهما كان ما عاناه الشعب الألمانى من حكم الفرنسيين ، فانه قدر فى هؤلاء معنى حرية الفرد ، ومسئوليته فى حكم نفسه ، وتيقظ الشعب الألمانى الى ضآلة امرائه وملوكه ، لاسيما وقد رآهم يزحفون على بطونهم أمام نابليون لخدمة مصالح أسرهم فحسب .

ومن الطبيعى أن يتنبه الشعب الى تراثه الشعبى منذ القرون الوسطى ، وقد جمع الشقيقان جريم « حواديت » الألمان ونشراها عام ١٨١٢ .

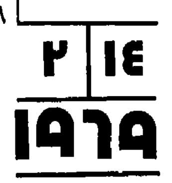
ثم جاء هيجل ، وربما كان أعظم مفكرى القرن التاسع عشر ، فاكد أن الشعب لايحظى بالحرية والنظام والكرامة الا ان تقوم منه حكومة مستقلة وقادرة . والدولة عند هيجل تجسيد للحكمة والحرية ، أو فى تعبيره العجيب : « إنها مسيرة الرب فى الدنيا » . ولم تكن الحقيقة والواقع عند هيجل شيئا جامدا مستقرا ، بل كيانا حيا متحركا ينمو فى الزمان المطلق ، وفى مجريات التاريخ ، بمنطقه الذاتى ، وبتتابع جبرى مميز . وأس هذا التحرك هو « الديالكتية » ، وهى صفة فى العقل البشرى تحكم سيره بإقامة أضداد يناقشها توصلا الى الحقيقة .

وعلى أساس الفكر الهيجلى تحول التاريخ ودراسته الى مسارب وطرائق جديدة . وكان ليوبولد رانكة فى صدارة من جعلوا من التاريخ « علما » . واهم فكرة قامت عليها مذكراته لتاريخ



أوربا هى أن منشأ عظمتها كان التفاعل والتعايش بين قوميات متعددة ، تقاوم دائما محاولة أى منها التغلب على الآخرين .

لقد طال بى الحديث عن اثر المانيا فى القضاء على سؤدد نابليون ، تحليلا لفكرتى فى أن قدر الانسان لايعمل وحده وإنما يتلقى المعونة من سلوك الانسان نفسه ، والناس بعامة . ولذلك تكلمت على « طموح نابليون » الذى لم يعرف الحدود ، ثم ذكرت الشعب الفرنسى الذى آزر واحب نابليون ، ثم تخلى عنه وإن لم يكرهه ، واخيرا اكدت اثر الفكر الألمانى فى تحرير أوربا من النير الفرنسى .



٥١ د . لويس عوض

فلنذكر الأزهر قليلا

لكل مدينة عظيمة رواية عن منشئها نسجت من جميل الأساطير : فاثينا العظيمة اسسها الملك ثيسيوس بمعونة الربة اثينا بعد عودته من العالم السفلى مملكة الموتى . وطيبة الغراء أسسها امفيون الذى كان يجذب بانغام مزماره الأحجار ويجعلها بسحر اللحن تتراص فى أسوارها المنيعة . وروما الخالدة اسسها البطل رومولوس الذى القى مع أخيه وليدا فى العراء فارضعته ذئبة حتى شب عن الطوق . والقاهرة أسسها جوهر الصقلى حين سطع كوكب المريخ فى كبد الليل فى سمت السماء .

فلنقل إن هذه كلها أساطير جميلة نسجها خيال القدماء . فالذى نعرفه عن تاريخ القاهرة أنها كانت حقيقة قائمة فى عصر ماقبل التاريخ وفى مصر الفرعونية منذ الأسرات الأولى . ويظن البعض أن اسمها كان فى مصر الفرعونية « كاح ان رع » وفى مصر القبطية « كاهى ان رع » أى « أرض رع » إله الشمس وكبير الآلهة فى عديد من أسرات مصر القديمة . « وكاح » المفخمة وخفيفها « كاه » فى القبطى الصعيدى و « كاهى » فى القبطى البحيرى تقابل اليونانية « جى » أو « جايا » ، وهى ربة الأرض ، أما « ان » فهى أداة الاضافة ، كقولنا « الأرض بتاعت رع » . ولذلك كانت تسبق كلمة « كاهى » ، أرض ، أداة التعريف « بى » لتعنى (الأرض) . فالاسم اذن كان « ابكاهى ان رع » Ebkahi enra ومعناه الحرفى هو الأرض بتاعت رع . وفى النصوص القديمة كان يقال ، « ابكاهى انكيمى » Ebkahi enkimi أى « أرض مصر »

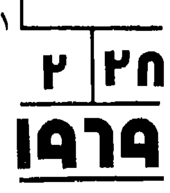




أو حرفيا . « الارض بتاعت مصر » ؟ . قارن « جاه » العربية و « ووجيه » بمعناها المصرى وهو ذو الأرض الكثيرة .

وقد كان مركز « كاهى ان رع » هذه هو ضاحية عين شمس التى كانت تسمى « ايونو » iounou بالمصرية القديمة الفصحى منذ أقدم الأسرات ، وتسمى « اون » oun فى دارجتها القبطية ، وقد عرفها اليونان لألف خلت قبل الميلاد ، كما كان هذا المركز يحتوى أو يجاور اذا صح رأى العلامة اميليتو ضاحية المطرية أيضا ، وهى التى نزلت بها مريم وطفلها بين سنة ١ وسنة ٧ ميلادية فرارا من غضب هيرودس ملك اليهود . ولست أحسب أن مريم قطعت كل هذه الفيافى والحقول لتفىء بشجرة أو نخلة قائمة فى بيداء وإنما لتعتصم بمعبد الشمس وكهانه محتمية أو متطهرة . وقد كان اليونان يسمون اون هذه « عين شمس ـ المطرية » باسم « هليوبوليس » أى « مدينة الشمس » باليونانية . وقالوا انها كانت المركز الرئيسى فى مصر كلها لعبادة رع إله الشمس ، وان المعبد الاكبر للاله رع كان فيها وانها كانت بها جامعة يعلم فيها كهنتها علوم الدين والدنيا ويؤمها طلاب الحكمة من مختلف بلاد الله . وقد زارها المشرع صولون (حول ٦٤٠ ـ حول ٥٦٠ق . م) ، والعالم فيثاغورس نحو ٥٥٠ ق . م ، والمؤرخ هيرودوت نحو ٤٦٠ ق . م ، كما زارها من بعدهم أفلاطون وبلوتارك وديودور الصقلى واسترابو الخ . . وقد ذكر هيرودوت أن هليوبوليس كان يقام فيها أحد الموالد الستة الرئيسية فى مصر القديمة (الكتاب ٢ ، الفقرة ٥٩) ، كما وصف جامعة اون وكهنتها بقوله : « وقد زرت طيبة (الأقصر) أيضا وهليوبوليس لهذا الغرض نفسه ، لأنى كنت أحب أن أعرف إن كان أهل هذين البلدين سيروون على نفس الرواية التى سمعتها من الكهنة فى منفيس (وهى أن الفريجيين أقدم لغة من المصريين) . فأهل هليوبوليس يقال عنهم أنهم أعلم أهل مصر . » (الكتاب ٢ الفقرة ٢) .

كانت هليوبوليس (عين شمس والمطرية) اذن المركز الرئيسى لعبادة رع إله الشمس منذ بداية التاريخ المصرى بمثل ماكانت منفيس (ميت رهينة بين سقارة والبدرشين) المركز الرئيسى لعبادة بتاح أو فتاح إله الخلق وصانع الكون ، وبمثل ما كانت طيبة (الأقصر) المركز الرئيسى لعبادة آمون ، وبمثل ما كانت اختياتون (تل العمارنة) قرب ملوى المركز الرئيسى لعبادة آتون فى عصر اخناتون ، وبمثل ما كانت العرابة المدفونة قرب قنا (ابيدوس) وطنطا أهم مركزين لعبادة اوزيريس فى الوجهين القبلى والبحرى ، ولعل أهم ماورد فى نص هيرودوت فى هذا السياق هو اشارته الى هليوبوليس على انها « بلد » polis على قدم المساواة مع طيبة ومنفيس . فعين شمس اذن لم تكن مجرد معبد للشمس فيه جامعة معزولة تتألق كلؤلؤة الصحراء كأنها دير عظيم ، بل



٥١

كانت مدينة بكل معنى الكلمة ، تضارع فى رواية هيرودوت منفيس وطيبة ، عاصمتى مصر فى العصور المتخلفة

▦ ▦ ▦

واذا كانت هليوبوليس (عين شمس المطرية ، الزيتون) مدينة على النحو الذى ذكره هيرودوت تضارع منفيس وطيبة ، فليس من العسير أن نتصور أن تخومها كانت أصلا تترامى شمالا فتشمل بعض مصر الجديدة وتترامى جنوبا فتشمل العباسية وربما الحسينية والجمالية بحزاء الصحراء وجبل المقطم غالبا حتى باب الوزير وباب زويلة ، وهى الحدود المعروفة لقاهرة الفاطميين أو القاهرة المعزية - ورغم أنه وقت انشاء القاهرة المعزية كان فيما يقول الاستاذ كريزويل استنادا الى المقريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين وقياسا على المدينة العسكرية التى بناها الفاطميون من قبل قرب القيروان ، وهى المنصورية ، كان يحد هذه القاهرة المعزية الخلاء شمالا من ناحية الحسينية والخلاء جنوبا من ناحية الفسطاط ومصر القديمة والمقطم شرقا وخليج النيل غربا الى عين شمس وما بعدها . كما تسمى فى وثائق الفاطميين . وبذلك يكون أون حيث معبد الشمس أو عين شمس والمطرية هى الحرم المقدس فى مدينة الشمس الكبرى أرض رع أو « ابكاهى ان رع » (ابكاهى انرع) الشاملة ، على نحو مانقول الآن « الأزهر » ولانقصد فقط ذلك الحرم المقدس ولكن الحى الكبير من العتبة الى نهاية العمران شرقا . والأرجح ان الفاطميين حين عسكروا فى مصر وأسسوا تحصيناتهم وقصورهم وجامعهم العظيم الذى غدا أقدم جامعة فى العالم الوسيط والحديث ، انما فعلوا كل ذلك فى الحدود القبلية لهذه المدينة الدينية العظيمة ، مدينة الشمس أو ابكاهى انرع ، أى أرض رع ، ليكونوا فى مواجهة الفسطاط والقطائع مركز حكم أسلافهم الطولونيين ، كما عسكر الطولونيون من قبلهم فى القطائع ليكونوا فى مواجهة الفسطاط مركز الحكم منذ الفتح العربى أى منذ سنة ٦٤٢ .

وكل من كتبوا عن تاريخ القاهرة متفقون على أنها بنيت وكأنها تحصينات عسكرية معزولة . وفى المقريزى أنه لم يكن يؤذن لاحد فى دخول أبوابها وتجاوز أسوارها إلا جند الجيش الفاطمى ورجال الدولة الفاطمية ، وأن الشعب ظل يسكن الفسطاط بينما كان حكامه يقيمون داخل هذه الأسوار المقامة على هيئة مستطيل ضلعاه الممتدان من الشمال الى الجنوب كل منهما ١١٥٠ مترا وضلعاه الممتدان من الشرق الى الغرب كل منهما ١١٠٠ مترا . وقد اتسع هذا المستطيل قليلا أيام امير الجيوش بدر الجمالى ، ولكن هذه الأسوار مالبثت ان اندثرت قبل مرور ثمانين سنة على حكم الفاطميين واستقرارهم ، فوصف ناصر خسرو فى « سفر نامة » للقاهرة التى زارها نحو ١٠٥٠ ينفى وجود أية أسوار بها ويضيف أنه رأى بها ٢٠ الف دكان ، مما يدل على انها سرعان ما انتهت كقلعة عسكرية وتحولت الى مركز تجارى عظيم بمثل ماكانت الفسطاط أيام زيارة ناصر خسرو فى « سفر نامة » للقاهرة . ولكن هذا لاينبغى أن ينسينا أن القاهرة





المعزية المحدودة شمالا ببرج الظفر وباب الفتوح وباب القنطرة والمحدودة جنوبا بباب القراطين وباب زويلة وباب الفرج وباب سعادة ، كانت أصلا معسكرا ضخما للخليفة الفاطمى ورجال دولته وجنوده ، وضخامة عدد الدكاكين التى يذكرها ناصر خسرو (٢٠ الفا) يوحى بأن جوهر الصقلى انما ضرب أسواره حول الاف مؤلفة من الدكاكين التى كانت قائمة فعلا قبل مجيىء الفاطميين لتقوم بتموين جيشه . فمن المستبعد أن يكون كل هذا العدد العظيم من الدكاكين قد نشأ كله فى نحو خمسين عاما ، ومن المستبعد أيضا أن جنود جوهر المعز كانوا يقطعون عدة أميال ليشتروا حاجاتهم من الفسطاط أو عين شمس .

* * *

وفى مخطوط اللورد كروفورد فى املينو (جغرافية مصر فى العصر القبطى « ص ٥٧٩ ـ ٥٨١ ») أن القاهرة كانت بها فى العصر القبطى كنائس حيث الآن حارة زويلة وحارة الروم ودرب البحر والظاهر ورأس الخليج والخندق الخ) ، وبعض هذه الأماكن يدخل فى نطاق القاهرة المعزية . وحيث توجد أماكن للصلاة من حقنا أن نفترض قرب مساكن المصلين ـ وهو ماينبغى ان يجعلنا ننظر فى تحفظ الى نظرية (الخلاء) التى يقول بها الأستاذ كريزويل .

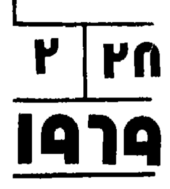
. . وبهذا تسقط شهادة الاستاذ كريزويل بأن القاهرة المعزية انشئت فى خلاء تام ليس فيه إلا دير العظام ببستان كافور وحصن قصر الشوق .

* * *

والأرجح أن الفاطميين حين دخلوا مصر وجدوا أهلها لايزالون يسمون هذه المدينة القديمة ، الممتدة من عين شمس شمالا الى العباسية على الأقل جنوبا ، باسمها القديم فى صورته القبطية « ابكاهى انرع » غالبا دون أن يدركوا تماما مضمونه الوثنى واشتماله على اسم « رع » إله الشمس أو دون أن يتحرجوا كثيرا من ذلك حتى لو ادركوه ، باعتباره أن اسم « رع » يمكن أن ينطبق على الشمس كما ينطبق على إله الشمس ، فقرب الغزاة الفاطميون اسم « ابكاهى انرع » الى أقرب لفظ عربى يعرفونه وهو « القاهرة » . وربما وجدوه على السنة العامة « لكاهى الرع » بحكم الامتصاص اللغوى الكافى بعد ثلاثة قرون من الحكم العربى أن يحل اداة التعريف العربية محل أداة التعريف القبطية .

* * *

وهكذا نشأت أسطورة التنجيم والغراب والأجراس والفال والنحس وكل هذه الأشياء التى رواها مؤرخو العصور الوسطى عن ظروف تأسيس الفاطميين للقاهرة ، ولاسيما لما اشتهر عن أهل المغرب من أقدم العصور حتى منذ أيام قرطاجنة من اشتغالهم بالتنجيم . فقد جرت الأسطورة حسب ما روى المقريزى بان جوهر الصقلى حين بدأ فى تأسيس القاهرة حفر الخنادق



لبناء أساس الأسوار وأقام فيها قوائم ربطت فيها حبال تحمل أجراسا كان من المتفق أن يدقها المنجمون اشارة لبدء البناء عندما يرصدون فى الأفلاك لحظة الطالع السعيد وقبل أن يتم ذلك ، وقع غراب على الحبال فدقت الأجراس وظن البناءون أن هذه إشارة المنجمين فبدأوا البناء . وكان ساعتها كوكب المريخ فى السمت ، وكان المريخ يعرف عند الفلكيين باسم « قاهر الفلك » ، فسميت « القاهرة » باسمه فيما بعد ذلك تيمنا به حين نزل المعز مصر بعد أربع سنوات من تأسيسها . أما وقت تأسيس القاهرة فقد كان يظن أن ظهور المريخ فى السمت وقت وضع أساسها كان طالع نحس ، ولذلك سماها جوهر الصقلى وقتئذ « المنصورية » على اسم مدينة المنصورية الفاطمية بجوار القيروان . فالذى أطلق على القاهرة اسمها تيمنا بالمريخ قاهر الفلك هو المعز لأنه تفاءل بما فيه من معانى القهر والظفر ، وقد اوضح الأستاذ كريزويل مافى هذه الرواية من نسج أسطورى ، فهى مجرد تكرار لما ذكره المسعودى المتوفى عام ٩٤٣ عن تأسيس الاسكندر الأكبر لمدينة الاسكندرية .

▩ ▩ ▩

فاذا نحن صرفنا خرافة الغراب والأجراس والمريخ قاهر الفلك ، وجدنا أن ظروف إنشاء القاهرة تشير كلها الى أن اسم القاهرة الجديد قد بنى على اسمها القديم « ابكاهى انرع » أو أرض رع ، فاسم القاهرة فى أيام الفاطميين لم يكن مجرد القاهرة وإنما كان « القاهرة المعزية » مما يوحى بأنها كانت اسما لجزء من كل أكبر منه ، أو مجرد حى كبير فى مدينة أكبر تحمل اسم القاهرة ، فما هو داخل اسوار هذا الحى الفاطمى هو القاهرة المعزية وما هو داخله وخارجه الى عين شمس هو القاهرة عموما أو ابكاهى انرع أو أرض رع . ولو أن الاسم القديم لم يكن موجودا أو شائعا الى حد انه فرض نفسه فرضا على الفاطميين ، لاكتفى المعز بأن يطلق على حاضرة ملكه التى بناها بنفسه ، أو بناها جوهر له كما يقول الرواة ، اسم « المعزية » تمشيا مع عادات الملوك والعظماء حين يقولون ويقول الناس معهم : الاسكندرية أو الاسماعيلية أو التوفيقية الخ ، ولما كانت به حاجة الى أن يجعل من اسمه صفة لعلم من الأعلام أو صفة لصفة ذهبت مذهب العلم . والدليل على ذلك أن جوهر الصقلى حين دخل القاهرة وبنى فيها معسكر الفاطميين وقصورهم سماها المنصورية تخليدا للمنصورية التى أقامها الفاطميون قرب القيروان تمجيدا لخليفتهم المنصور الثالث ، ولكن يبدو أن القاهريين أعرضوا عن قبول هذا الاسم الجديد لحاضرتهم واستمسكوا باسم القاهرة القديم ، فلما جاء المعز أهتدى الى هذا الحل الوسط فسماها القاهرة المعزية فأرضى الناس وخلد اسمه جميعا .

▩ ▩ ▩

وليس بغريب أن يجد الفاطميون عند فتحهم لمصر عام ٩٦٩ ، وبعد دخول جوهر الصقلى عاصمة البلاد فى ٧ يوليو من ذلك العام ، أهل مصر متمسكين باسم كاهى انرع اسما لهـذ

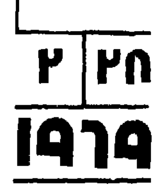




المدينة القديمة ، بل الغريب حقا ألا يجدوهم قد عدوا عنه ، فنحن الآن ، بعد أن اصبح كافة المصريين يتكلمون العربية ، ننسى أن سواد المصريين كانوا ، حتى سنة ٨٠٠ على أقل تقدير ، لايزالون يتكلمون اللغة القبطية ، وهى لهجة منحطة من لهجات اللغة المصرية القديمة على غرار مافعله الفرس بالفارسية والنوبيون والبربر بالنوبية والبربرية . فنحن نعلم من المقريزى أن القاهرة ثارت فى عصر المأمون (٧٨٦ ـ ٨٣٣) ، وبعد أن أخمدت الثورة جاء المأمون بشخصه الى القاهرة ليتفقد احوال الرعية ويستفسر بنفسه من أهلها عن أسباب ثورتهم ، فكان يمشى فى الاسواق يتقدمه التراجمة ، وهو مايدل على أن سواد المصريين ، مع أن كثرتهم كانت قد دخلت دين الأسلام ، لم يكونوا يعرفون العربية رغم مرور نحو مائة وثمانين عاما على الفتح العربى ، ورغم ان المثقفين المصريين وكل من شارك فى جهاز الدولة من المصريين قد اتخذوا اللغة العربية ، وهى لغة الدولة الرسمية ، لغة أولى لهم

ولاشك أن مرور نحو مائة وخمسين سنة أخرى ، من خلافة المأمون الى خلافة المعز (منتصف يونيو ٩٧٣) قد حسن الموقف بالنسبة للغة العربية ، ولكن من المعروف ان من بين جميع مظاهر الحضارة والعمران ليس هناك ماهو اقدر على الاستمرار والتشبث بالبقاء فى العرف العام عبر آلاف السنين أكثر من اسماء البلاد ، ولقد تتغير لغة البلاد ودياناتها ومعتقداتها وتقاليدها مرات وتبقى أسماء الأعلام (البلاد والأماكن والأشخاص) تتوارث من جيل الى جيل ، سواء فى جرسها القديم أو محرفة قليلا أو كثيرا ، ولقد يبلغ التحريف مدى يطمس ظاهر الأسماء القديمة ، بقوة قوانين اللهجات أو بقوة الامتصاص فى اللغة الجديدة ، ولكن هذه مهمة فقهاء اللغات أن يحاولوا النبش فى أصول الكلمات ليفرزوا الطارىء فيها من الأصلى .

فوجود مركز قديم مزدهر لصناعة الفخار والخزف فى الفسطاط (مصر القديمة) عند سيدى أبو السعود الجارحى (قرب جامع عمرو وعلى مقربة من حصن بابليون) ورد ذكره فى سائر من أرخ للقاهرة الاسلامية منذ الفتح العربى ، يوحى بأن حى الفسطاط كان حى الفخارين منذ مصر الوثنية ، وبأنه كان مركزا لعبادة هفايستوس رب النار والصناعة عند اليونان والرومان فى مصر اليونانية الرومانية ، على غرار حى الفخارين فى أثينا القديمة ، وان اليونان والرومان على عادتهم رادفوا ـ خطأ أو صوابا ـ معبودهم باسم معبود المنطقة المصرى القديم وبهذا يشتبه فيلولوجيا فى أن الفسطاط كانت التقريب العربى لاسم Ba Sothis أى « المنسوب الى سوطيس » (بتاع سوتيس) رب الشعر وإله الفخارين والحدادين فى مصر القديمة وفى بابل ، وهى صيغة منحطة من باجحوتى (بالجيم المعطشة) Ba Dghouti فى المصرية القديمة الفصحى . وبهذا يكون حيس عمرو بن العاص ، بعد أن هزم جيش الروم فى بابليون عسكر فى ذلك الشطر المأهول



من المدينة وامتص الاسم القديم الشائع له فى اقرب كلمة عربية يعرفها العرب وهى « الفسطاط » بمعنى الخيمة أو الخيام ، فهو لم يؤسس الفسطاط وانما أقام معسكره فيها ، وهو لم يعط لمصر « العتيقة » هذا الاسم وإنما أخذه منها ، والدليل العقلى على أن خيام عمرو ليست اصل الفسطاط أن القواد العرب كانوا يضربون فاساطيطهم فى كل مكان وفى كل الأمصار التى فتحوها إبان تلك الوثبة العظمى ومع ذلك لم نسمع بفسطاط آخر غير فسطاط مصر ، وحيث كانت حامية الروم قائمة وثابتة يجب أن نفترض وجود حى مدنى متاخم لها لتموين جيش الروم على أقل تقدير .

فاذا كان المعز لم يؤسس القاهرة منذ ألف عام وإنما ضرب فيها معسكرا وانشأ حيا أو نمى حيا كان قائما بالفعل ، فما معنى كل هذه الاحتفالات الجميلة التى تقوم بها وزارة الثقافة وتعينها عليها الصحافة وأجهزة الأعلام الأخرى ؟ لقد كنت أعجب لهذه الضجة التى تثار حول مايسمونه ألفية القاهرة وأجادل نفسى وأجادل غيرى فى أسبابها . فقد جرى العرف بين المدن ـ على عكس النساء ـ أن تزيد فى أعمارها ما أمكنها ذلك لا أن تنقصها ، لأن العمر فى المدن آية عراقة وأصالة وحضارة . وحين احتفلت باريس بعد الحرب العالمية الثانية بمرور ألفى سنة على انشائها ، عادت بتاريخ تأسيسها الى فتح يوليوس قيصر للغال (فرنسا) ، وقد كانت يومئذ قرية صغيرة عسكر فيها الرومان . ووزارة الثقافة ، قبل أية جهة أخرى ، تعرف تمام المعرفة أن عمر القاهرة خمسة آلاف سنة وليس ألف سنة على الأقل لان مصلحة الآثار تابعة لها . فاحتفالاتها اذن احتفالات بالفاطميين وليست بالقاهرة . وكنت أسأل نفس هذه الأسئلة الحائرة : وماذا فعل الفاطميون لمصر اكثر مما فعل الطولونيون والاخشيديون والأيوبيون وعامة المماليك البرجية والبحرية ؟ لئن كان الفاطميون قد ردوا بيزنطة عن العالم الاسلامى وقاتلوا الصليبيين فى موجاتهم الأولى ، فالأيوبيون هم الذين ردوا الصليبيين وطهروا المنطقة من شرهم ، وكنت أسأل نفسى : أو لم لم يكن أولى أن نحتفل بدخول عمرو بن العاص القاهرة ، لا لأنه أسس أحد احيائها وهو الفسطاط كما تجرى اساطير المؤرخين ، ولكن لانه كان أول من أعاد عاصمة البلاد من الاسكندرية الى القاهرة بعد أن ظلت الف سنة ، بين ٣٣٣ ق . م . و ٦٤٢م . تحت اليونان ثم الرومان ثم بيزنطة متمركزة فى الاسكندرية ، وبذلك يكون عمرو بن العاص قد رد الى القاهرة من هليوبوليس الى سقارة مكانتها السياسية الأولى ايام الفراعنة ، وفى هذا مناسبة كافية للاحتفال بالقاهرة الجديدة ، ولا أقول بعمرو بن العاص . فلو أن الاسكندرية احتفلت منذ عامين ، أى من ١٩٦٧ ، بمرور ٢٣٠٠ سنة على تأسيسها لكانت تحتفل بنفسها وليس بالأسكندر الاكبر ، وهى أقدم منه وكان اسمها راكدا أيام الفراعنة . فان لم يكن بد من الاحتفال فلقد كان خيرا الف مرة أن نحتفل بفاتح كعمرو بن العاص أدخل الاسلام فى مصر ، وقد كان أرقى قوة حضارية فى العالم

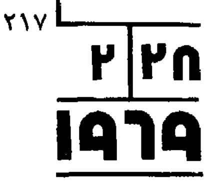




الوسيط ، من أن نحتفل بفاتح كالمعز أدخل هو وأخلافه فى مصر بدعا دينية ودعوات باطنية ونظما فى الحكم نيرونية الشكل والمضمون .

ودرجة درجة اهتديت الى الاجابة على هذه الأسئلة الكثيرة الحائرة ، أو خيل الى أنى اهتديت اليها . لم أجد تفسيرا لهذه الجلبة الكبرى حول قاهرة الفاطميين إلا أن التهاب الروح القومية وانصهارها مع الوجدان الدينى هما اللذان اوحيا الى طائفة من علمائنا ومثقفينا ورجالاتنا أن ينظروا الى مصر الفاطمية هذه النظرة الخاصة ويعدوها القمة الحقيقية لمصر الاسلامية ، فمصر الفاطمية رغم أنها لم تتميز بأمجاد عسكرية فى ضخامة أمجاد صلاح الدين الأيوبى أو أمجاد محمد على ، بل ولم تتميز فى شىء واضح عن دولة أحمد بن طولون أو الأخشيديين أو الظاهر بيبرس أو السلطان الغورى ، إلا أنها تميزت عن مصر الطولونية ومصر الأخشيدية ومصر الأيوبية ومصر المملوكية ومصر العثمانية بشىء واحد ، وهو أن عصرها كان العصر الوحيد فى تاريخ مصر الاسلامية الذى انتقلت فيه الخلافة الى القاهرة ولم تعد تابعة لاحد من خلفاء بنى العباس فى بغداد أو لأحد من خلفاء بنى أمية فى دمشق ، أو لاحد من خلفاء آل عثمان . وانتقال دار الخلافة الى مصر أو قيام الخلافة فيها على أقل تقدير لم يكن معناه استقلال مصر السياسى فحسب ولكن كان معناه ان مصر غدت عاصمة روحية لشطر من العالم الاسلامى لايستهان به . ولولا المعتقدات والتخريجات العجيبة التى اصطبغ بها الفكر الفاطمى الدينى فأعيت المصريين وغير المصريين فى فهمها أو فى قبولها ، لظلت القاهرة منذ القرن العاشر العاصمة الروحية الكبرى للمسلمين .

هذا هو المعنى القومى الدينى الذى اهتديت اليه فى تأملى لاحتفالات الفية القاهرة ، فأرجو الا أكون قد أسرفت فى الاجتهاد ، فإن كان هذا المعنى القومى الدينى هو الذى ألهم المحتفلين بقاهرة المعز أن يحتفلوا بها من دون قاهرة عمرو بن العاص أو قاهرة ابن طولون أو قاهرة صلاح الدين أو قاهرة المماليك أو قاهرة العثمانيين ، فهو إذن معنى رائع وكبير . ولايبقى الا أن نعد العدة منذ الآن للاحتفال بألفية ذلك الصرح العظيم الذى أسسه الفاطميون ليكون لهم بمثابة وزارة للارشاد ولكنه لم يلبث أن ضاق بألغازهم الروحية والسياسية وبنى للاسلام أعظم معقل للفكر الدينى الواضح الاصيل المعتدل المتوازن بقوة العقل والعلم الذى لامكان فيه لاسرار الباطنية ولا لشعوذة المجذوبين ، كمابنى لمصر وللشرق العربى أقوى مدرسة فى الوطنية اثبتت أهليتها لقيادة الناس فى كل الفترات الحرجة فى تاريخ البلاد ، وماهذا إلا الأزهر العظيم الذى كان اهم قوة حافظة للقومية المصرية خاصة وللقومية العربية بوجه عام عبر ألف عام من تاريخ شعبنا الحزين الذى لاتقلب فيه صفحة الا وتقرأ فيه اسم حاكم شركسى أو تترى أو تركى أو كردى أو صقلبى أو صقلى أو مجرى على رأس ارستقراطية عسكرية أجنبية وجيوش من



المرتزقة الأعاجم ، ولقد أدت الكنيسة القبطية المرقسية نفس هذه الوظيفة القومية بين أقباط مصر ، فالأزهر والكنيسة القبطية كانا فى نظرى القوتين الحافظتين الحقيقيتين اللتين صانتا شخصية هذا الشعب العظيم من الاندثار . وإذا كانت قد بدت عليهما فى بعض الآونة فترات من الاسراف فى المحافظة تبلغ مبلغ الجمود فما ذلك إلا من ميكانيكية الدفاع عن النفس التى تلازم فترات الضعف والاحساس بالمحاصرة ، لان الأقوياء لايخشون تطور الحياة .

من أجل هذا فانى أدعو الى الاستعداد منذ الآن للاحتفال بألفية الأزهر ، إما فى ابريل ١٩٧٠ وهو التاريخ الذى وضع فيه جوهر الصقلى حجره الأساسى وإما فى عام ١٩٨٨ سنة أن تحول الأزهر الى أقدم جامعة فى العالم الوسيط والحديث ، فبدأ العلماء والفقهاء يلقون فيه دروسهم على تلاميذهم ومريديهم . وليكن احتفالنا بألفية جامعة الازهر احتفالا جامعيا يليق بأعرق جامعات العالم المعاصر ، فنستقبل وفود العلماء من كل جامعات الدنيا ونضع فيه البحوث المدروسة عن الأزهر وما نبع عنه من أفكار ومواقف وننشر فيه أمهات النصوص التى ألفها صفوة الفقهاء والمؤرخين من كافة أطراف العالم الاسلامى الذين جاوروا فى الأزهر أو علموا فيه عبر الف عام .



٥٢

د . عبد العزيز كامل

الدين والمعركة المصيرية

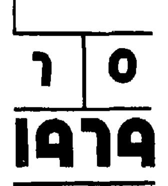
بعد عودتي من زيارة الشرق الأقصى في منتصف الشهر الماضي ، قابلني بعض الأخوة المسئولين عن رجال الدين في جبهة القتال . وذكروا لي جانبا من النماذج الطيبة التي تؤكد عقد التفاعل بين الدين والمعركة . .

جيل جديد من رجال الدين

رجل الدين الآن يشارك مشاركة ايجابية في الميدان ، لا يكتفي بالكلمة يقولها والعظة يلقيها ، وانما يعمل في الخطوط الأمامية جنبا إلى جنب مع اخوانه الجنود ، يحمل معهم الذخيرة ويحضر معهم التدريبات التي يؤهله لها مستواه الصحي وقدرته القتالية ، ويؤمهم في صف الصلاة .

وعدت بذهني إلى ما بعد النكسة ، وكيف كانت تأتي إلى وزارة الأوقاف والأزهر خطابات التطوع من شباب الائمة والوعاظ للعمل في القوات المسلحة والاسهام في بنائها الجديد ، وكيف مر هذا الجيل الجديد من الائمة في مراحل متتابعة من التدريب ، حتى تكون منهم صف مؤمن يعمل مع اخوانه الجنود جنبا إلى جنب في ميدان القتال في ايمان عميق وكفاءة عالية .

اصبح تدريبهم يشمل معايشة يتدارسون فيها مشكلات المجتمع ومتطلبات المعركة المصيرية ، والربط القوى بين الجبهة المحاربة والقاعدة المنتجة .



أصبحوا يزورون بانفسهم المصانع ومناطق الانتاج ويلتقون بالعمال . . فى الحديد والصلب . . فى النسيج . . فى الذخيرة . .

أصبحوا يلتقون مع كبار المسئولين يفتحون لهم صدورهم ويتدارسون معهم ما خفى عليهم من جوانب التطور الضخم فى حياتنا .

أخذوا يدرسون قطاعات الشعب العامل وقواه المنتجة من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية غير المستغلة .

ثم يتدربون بعد هذا تدريبا رياضيا وعسكريا لينالوا شرف الاسهام فى الذهاب إلى جبهة القتال .

طبيعة المعركة .

علينا بعد مرور عامين على النكسة ان نراجع صحيفة حسابنا مراجعة تلقى الضوء على المستقبل ، وتنظر إلى الماضى بقدر ما تستخلص منه العبرة .

ولعل من أبرز جوانب المراجعة فى شعبنا المؤمن ، ما يربط بين المعركة والدين ، واقصد الدين هذا فى شموله وحيويته .

١ ـ فهذا المسجد الأقصى ، سجل الله طبيعته فى كتابه فقال : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

(الاسراء . ١)

هو مسجد فى القرآن الكريم وعلينا ـ كمسلمين ـ ان نحافظ عليه مسجدا . والله وصفه بقوله « الذى باركنا حوله » . وقد اشاعت حوله اسرائيل جوا من الرعب والفزع تدمر فيه الدور وتهدم فيه المساجد والكنائس وتقتل الأبرياء وتعتدى على الحرمات والمقدسات ، وبعد أصوات التسابيح ونداء المؤذنين وأجراس الكنائس اصبح يتجاوب فيه هدير المدافع بأنين الجرحى . وواجبنا ان نعيد السلام إلى أرض السلام .

٢ ـ وهى قضية انسانية :

فان الانسان العربى قد حرمته اسرائيل أرضه ودياره ، وهى ترفض اعادة اللاجئين إلى دورهم أو تعويضهم عنها ، ضاربة بكل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن عرض الحائط . وان ديننا يدعونا إلى الدفاع عن أرضنا ومقدساتنا ، وصوت القرآن ينادينا : **« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . . . »**

(الحج : ٣٩)





ويدعونا إلى قتال اعدائنا استخلاصا لحقنا فيقول : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** »

(البقرة : ١٩٣)

ويعتبر هذا هو الطريق الوحيد للنجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة فيقول :

« **يا أيها الذين آمنوا : هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** »

(الصف : ١٠ ـ ١٣)

٣ ـ وهى قضية شاملة

وكل فرد منا عليه فيها واجب حيث يكون فى أى موقع من مواقع الانتاج . والارتباط فيها شامل بين القوات المسلحة فى الجبهة والجيش الشعبى المنتشر لحماية جميع المرافق ، وقوى الشعب العاملة فى الحقل والمصنع والمعمل والمدرسة .

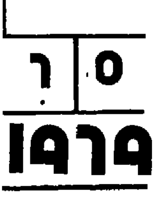
بعبارة أخرى : علينا مع الايمان بشمول القضية أن نؤمن بتخصيص المسئولية ، تخصيصا تتحدد فيه واجبات الافراد فى كل مستويات العمل ، وتتجمع هذه الايجابيات من انتاج الأفراد كما تتجمع قطرات الماء فى الروافد لتصبح نهرا قوى الجريان قادرا على إزالة العقبات من طريقه . والنبى عليه الصلاة والسلام يعلمنا اجادة العمل فيقول : « **ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** » ، ويقول : « **ان الله قد كتب الاحسان على كل شىء** » ، ويربط فى الجزاء بين العين الخاشعة والعين الحارسة فيقول : « **عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله** » .

فأى عمل يؤديه مواطن يرجو به النصر فى المعركة ، انما هو عبادة وجهاد . وكل مواطن يستطيع أن يعبد ربه بالعمل فى أى موقع من مواقع الانتاج ، هذا مع محافظته على قواعد دينه التى أمره بها ربه .

قضية مقدسة

وإذا ماكان بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلقد شاهدت الارض المباركة من قبل مولد عيسى عليه السلام .

وكما ضاقت مكة بالرسول ، ضاقت فلسطين بالمسيح عليهما السلام . وكما هاجر الرسول إلى المدينة ممتثلا أمر الله خرج المسيح من فلسطين الى مصر ممتثلا أمر الله ليوسف النجار « قم



٥٢

وخذ الصبى وأمه ، وأهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك » (متى ٢ . ١٣) ، فقام وأخذ الصبى وامه ليلا وانصرف الى مصر .

لماذا مصر ؟

لقد اختارها الله لتكون موطنا يلجأ اليه السيد المسيح مع أمه الطاهرة ، ولقد جاءت العائلة المقدسة إلى مصر وسلكت طريقها فى البر والنهر ، فى شرق الدلتا ووسطها وغربها وعند رأسها ، وفى الصعيد .

وكان المسيح فى هذا رمزا للاجىء المستضعف ، الذى يترك موطنه وليس معه من متاع إلا القليل . وكانت رحلته ـ فى نفس الوقت ـ ثورة على الظلم ، يابى الخضوع له ولو كان رضيعا .

لقد هاجر النبى (ص) وهو رضيع محمول . . وهاجرت مريم العذراء .

فالهجرة بذلك حق على كل مجاهد يشترك فيها الرجال والنساء والأطفال . تشترك فيها الأجيال المتتابعة ثورة على الظلم واستعدادا لازالته .

وعندما جاء الأمر الالهى بعودة المسيح إلى فلسطين . . عاد اليها ليكون فى صف الفقراء والضعفاء والمرضى وأصحاب الحقوق الشرعيين . وعندما دخل الهيكل اخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ، وقال لهم « مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »
(متى ٢١ . ٢٤)

وقد عاد الصيارفة وباعه الحمام إلى الهيكل واعادوه مغارة لصوص ؛ سرقوا أرض العرب وديارهم .

ترى . . هى يعى المسيحيون فى دول الغرب التى تساند اسرائيل سيرة المسيح عليه السلام كما يعيها المسيحيون العرب ؟

أننى حين أقرأ هذه السيرة فى القرآن والانجيل ، واربط بين ماضى أمتنا وحاضرها ، يصور لى الفكر المؤمن خطوات المسيح فوق أرض الواقع الحى الذى نعيشه . . أين تكون ؟ وأى الاماكن يزور ؟ .

إنه سيكون فى معسكرات اللاجئين وفى خيام المرضى ومع الذين طردوا من ديارهم بغير حق . . إنه سيخرج من جديد باعة الحمام والصيارفة الذين جعلوا من أرض السلام مغارة لصوص . . ليهيىء تسبيحا جديدا من أفواه طاهرة تؤمن بالسلام .

هذا الخيط النورانى الذى نراه فى سيرة عيسى هو الذى دعا اليه من قبله كل نبى



ورسول . . وهو الذى اكتمل بخاتم النبيين محمد عليهم جميعا صلاة وسلام . . انه خيط يدعو إلى حب الخير وكراهية الظلم ولا يقنع بالكلمة يقولها وانما يبذل كل الجهد من أجل استعادة الحق . .

امل كبير

وإن الخطوات التى خطتها أمتنا على طريق النصر واسعة والحمد لله :

١ ـ لقد التفت القاعدة فى ايمان وصلابة حول القائد فى أحلك ساعات النكسة ، واستطاعت امتنا بنور ايمانها وأصالة معدنها أن ترى طريقها رغم الجراح والتمزق والنكسة .

٢ ـ ومع عنف الضربة التى اصابتنا إلا أننا ـ وهذا من فضل الله ـ لم تفقد على الطريق توازننا ، ونحن نسمع قول الله « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** »

(آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٠) .

٣ ـ واستطعنا أن ندعم جيشنا واقتصادنا وقاعدتنا الشعبية ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، بما قام به من تدعيم شامل لقاعدة الاسلام فى المدينة بعد ما أصاب المسلمين فى أحد . واستطعنا بذلك ـ أن نأخذ من دروس النكسة ما يعيننا على صناعة النصر .

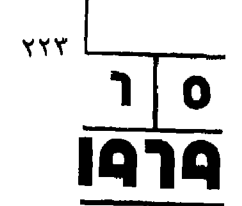
٤ ـ واستطعنا على الصعيد العالمى أن نكسب قطاعا غير صغير من الرأى العام العالمى ، أصبح أكثر تفهما لقضيتنا وتعاطفا معنا وتعاونا من أجل حقنا . . نقوم فى هذا بجهود جبارة دائبة تتمثل قول الله : « **وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون** »

(السجدة : ٢٤)

٥ ـ وبرز الكيان الفلسطينى تمثله طلائع الفدائيين ، واستطاعت جهودهم أن تؤكد وجودهم على الصعيدين المحلى والعالمى .

٦ ـ ومع اشراقة الأمل التى صنعتها دماء الشهداء وجهود الأحياء والتخطيط المنهجى للمعركة . . فاننا نتطلع إلى مراحل مقبلة من الطريق الشاق الدامى والمسئولية الكبيرة التى علينا أن نقوم بها متذرعين بالايمان والعمل ذاكرين دائما قول الله ، « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

(غافر : ٥١)





٥٣

د . كلوفيس مقصود

سياسة عدم الانحياز

ملامحها الجديدة التى أصبحت تحتمها الظروف الدولية المتغيرة

ينعقد اليوم فى بلجراد الاجتماع التمهيدى لمؤتمر الدول غير المنحازة . وقد سبق هذا الاجتماع تردد ظاهر نتيجة التساؤلات الكثيرة عن واقع ومستقبل سياسة عدم الانحياز . وحيث أن الاحداث والتطورات العالمية تتالت بسرعة ، بقى عدد من الاسئلة المطروحة بدون إجابة ، ومن هنا اكتنف سياسة عدم الانحياز جو من الغموض ولازم مسيرتها الكثير من التعثر .

ولذا فإن هناك حاجة ملحة لمراجعة الأسس النظرية والعملية لعدم الانحياز واستكشاف أبعادها الجديدة حتى تتمكن هذه السياسة أن تبقى قدرتها على المبادرة والحركة البناءة ، لانها تلبية لحاجات معينة لا تزال بالنسبة لنا قائمة وضرورية رغم اختلاف الظروف والمعطيات . فكلمة « عدم » فى هذا المضمار تنفى عن الدول ضرورة الالتزام بالمواقف المسبقة للدول النووية الكبرى ولذلك عندما استعملت مفردات الاستقلال ، و« السياسة التحررية » ، فإن ما عنته هذه المفردات لم يكن يتعلق بالمعنى القانونى أو الفقهى للاستقلال ، بل يتعلق بمدلول المبادرة إلى إتخاذ مواقف مستقلة عن مواقف المعسكرات الدولية . وهذا عنى ولا يزال يعنى اليوم أن الموقف ـ بشتى أوجهه الدبلوماسية والسياسية والعقائدية والاقتصادية ـ لا يكون امتدادا أو أداة تنفيذية لموقف أو مستلزمات أية دولة نووية كبرى ، بل انبثاقا ذاتيا ومحصلة للاجتهاد الخاص والاصرار على استبقاء حق المبادرة فى تحديد الموقف . ورغم أن وجود العدد الأكبر من





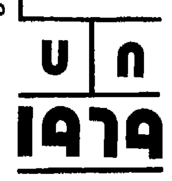
الدول غير المنحازة فى العالم الثالث النامى ، فان سياسة عدم الانحياز ارتبطت أخلاقيا ومصلحيا مع مصلحة السلام ولايجاد الجو الملائم للتنمية الجذرية . ومن هنا كان لابد ان لا تكون مواقف الدول غير المنحازة مواقف معزولة أو محيدة ، بل كانت مواقف متفاعلة مع القوى التصحيحية القائمة والمحتملة ضمن التكتلات الدولية القائمة . وما كادت هذه القوى التصحيحية تطفو إلى سطح الجسم السياسى الدولى حتى أخذت المعسكرات الجامدة تتفكك ، وأخذت الدول المنضوية ضمن المعسكرات تؤكد نزعاتها الاستقلالية ، وأخذت الدول الكبرى تتجاوب إلى حد ما مع النزعات الاستقلالية ضمن مناطق نفوذها .

جهاز تنسيق

ونتساءل اليوم أنه اذا كانت السياسة التى نحن بصددها قد فجرت طاقات جديدة فى المجال الدولى تخدم القيم السلمية والتحررية المرغوبة ، لماذا نجد التقاعس فى تعميق الالتزام لها والسعى لتجديد معالمها وتطويرها . فى اعتقادى ان السبب الرئيسى أن دول عدم الانحياز لم يكن عندها اى جهاز تنسيق يعمل بمثابة اداة التقاط وتحليل للتغيرات الدائمة فى السياسة الدولية .

ولعل الرئيس الراحل جواهر لال نهرو الذى كان له فضل المباشرة فى إتباع هذه السياسة كان هو الذى أحبط كل المحاولات التى قامت لتنسيق وتجهيز العلاقات بين الدول غير المنحازة . وعندما بحثت معه مرة هذه الفكرة عام ١٩٦٢ كان ينفعل من مثل هذه الاقتراحات على إعتبار أنها تؤدى إلى قيام كتلة ثالثة لسياسة قائمة على مقاومة سياسة التكتل . كانت الرغبة فى أن تكون لسياسة عدم الانحياز مؤسسة فيها من مرونة التعامل ما يمنع تحولها إلى كتلة ، وفيها من المداومة المنظمة ما يحول دون التعثر والجمود الذى كثيرا ما يميز علاقات الدول غير المنحازة بعضها مع بعض . ثم أن اى تقييم موضوعى لهذه التغييرات التى حصلت لابد لعدم الانحياز أن يكون قد أسهم فى حدوثها ومكن التيارات التى استتبعتها من النمو والتأثير .

واليوم وسياسة عدم الانحياز تمر فى مرحلة امتحان دقيقة عليها أن تبدأ فى تحديد أبعادها الجديدة ، وتترجم إصرارها على المبادرة إلى سياسيات ملموسة ازاء تطورات وقعت بالفعل . ولعل أهم التطورات الدولية هى التى نراها فى مستوى العلاقات بين الدولتين النوويتين الكبيرتين . فالرغبة فى التعايش بينهما ناتجة من أن كليهما تكونت عنده قناعة بالتعادل القائم بينهما فى مجال التسلح النووى والصواريخ العابرة للقارات . ومادام فى استطاعة الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أن يحصرا خلافهما فى المناطق البعيدة عن جرهما إلى التصادم المباشر ـ كما هى الحال دائما فى ألمانيا ـ فإن العالم الثالث يبقى المجال لتعبير هاتين الدولتين الكبيرتين عن خلافاتهما ومنافساتهما .



على ضوء هذا الواقع تبقى سياسة عدم الانحياز ضرورة استراتيجية هامة لاحتواء الخلاف واستثمار التنافس .

التجاوب السوفيتى

ولقد حدث هذا بالفعل فى السنوات الأخيرة ، وكان من جرائه ان اخذت الفئات المتزمتة فى الأوساط الأمريكية الحاكمة فى تصوير سياسة عدم الانحياز وكانها انحياز للسياسة السوفيتية فى العالم الثالث . الواقع غير هذا تماما ، لأن الذى حصل هو انه منذ منتصف الخمسينات والاتحاد السوفيتي يبدى ويبرهن عن إستعداد كامل للتجاوب مع التطلعات الأساسية لشعوب العالم الثالث . وهذا ما قربه للقطاع غير المنحاز فى العالم . ونظرا لاستمرار الولايات المتحدة فى انتهاج سياسة مناهضة لتطلعات هذه الشعوب ، كما تفعل فى فيتنام وفى تاييدها للسياسة العدوانية لاسرائيل ، فإن الولايات المتحدة تبتعد عن آمال العالم الثالث ، ومن ثم تبرز سياسة عدم الانحياز وكانها اقرب إلى السياسة السوفيتية وأبعد من السياسة الأمريكية . ورغم أن هذه الحقائق تشكل ملامح سياسة عدم الانحياز إلا أن هذا لا ينفى أيضا أن مواقف بعض دول عدم الانحياز ابتعدت عن مواقف للاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بتشيكوسلوفاكيا وبالتالى فليس هناك تطابق كامل . كما أن تباين الظروف والأولويات الاستراتيجية لدول العالم الثالث ودول المعسكر الاشتراكى لن تمكن هذا التطابق ان يكون مرحليا كاملا .

الواقع الأمريكى

كما أن الولايات المتحدة تعيش اليوم من جراء النزيف المادى والمعنوى الذى فجرته حرب التحرير الفيتنامية ، فى حالة مراجعة جذرية عميقة هامة ، لابد لدول عدم الانحياز من درسها وفهمها والتعاطف معها نظرا لما تحمله هذه المراجعة من إحتمالات التصحيح والتغيير الايجابى فى موقف الولايات المتحدة . بدأت عملية المراجعة عندما أدركت قطاعات أمريكية هامة ـ خاصة فى أوساط الجيل الجديد ـ أن استمرار أمريكا فى المغامرات الامبرالية يفجر تناقضات مخيفة ضمن المجتمع الأمريكى ذاته . ثم أن هناك وعى هذه الفئات على أن النزيف الدموى والمعنوى حال دون التركيز الامريكى على معالجة المشاكل الأساسية للزنوج وملايين من الفئات المغبونة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا فى المجتمع الأمريكى .

وأكثر من هذا فاننا نشهد اليوم فى المجتمع الأمريكى قطاعات تعتبر نفسها قطاعا من قطاعات معاناة العالم الثالث ، وبالتالى تشكل عنصرا ضاغطا لابد من الاستفادة منه لأهداف سياسة عدم الانحياز . واستطرادا ، فان المجتمع السوفيتي هو نفسه يدرك أن استمرار التوتر العالمى بهذه الحدة يؤدى إلى تعطيل الكثير من النزعات التحريرية والتطويرية التى استهدفتها الشيوعية منذ المؤتمر العشرين .





امريكا اللاتينية والعالم الثالث

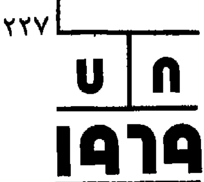
إن الأحداث الجارية فى امريكا اللاتينية تشير بشكل واضح إلى أنه لم يعد بالامكان للمصالح الاستثمارية الأمريكية المرتبطة مع مجموعة حاكمة رجعية أن تكبت التململ الذى يصل لدرجة الانفجار ، كما حدث إبان زيارة روكفلر مندوب الرئيس نيكسون لهذه الدول . ثم أن النزعة التحررية لم تعد مقتصرة على كوبا ، بل نجد بيرو والى حد أقل شيلى والاكوادور أخذت تؤكد استقلاليتها الاقتصادية والسياسية . هذا بالاضافة إلى الطاقات الثورية الأخذة فى التصاعد والاستعداد لاقتحام الأسوار الحائلة دون قدرتها على التعبير الذاتى . إن التطورات الجارية فى أمريكا اللاتينية تؤكد أكثر وأكثر أن الانقسام التقليدى الذى تعودناه بين الشرق والغرب اخذ يتحول إلى تناقض بين الشمال المتقدم فى العالم والجنوب المتخلف الساعى نحو التقدم .

تداعى الرجعية الآسيوية

وإن التطورات فى آسيا تشير إلى تغييرات هامة سوف تحدث فيها فى الأشهر القليلة المقبلة من جراء الانسحاب العسكرى البريطانى من منطقة شرقى السويس ، والاحتمال القائم فعلا للانسحاب العسكرى الأمريكى من جنوب فيتنام قريبا . فالقوى السياسية الرجعية التى سادت فى كثير من المجتمعات الاسيوية نتيجة لهذا الوجود الاستعمارى الغربى تسعى الآن لايجاد الصيغ والتطمينات التى تبقيها على سيطرتها التامة . وهنا تدخل اسرائيل كأحد العناصر البديلة للوجود العسكرى ، وهذا ما يفسر استعدادها لتقديم المساعدة العسكرية والتدريبية لأجهزة أمن هذه القوى السياسية الرجعية المتداعية فى جنوبى شرقى آسيا . يستتبع هذا إن على دول عدم الانحياز خاصة الهند ان تبادر إلى العمل على توسيع رقعة اللاانحياز فى جنوبى شرقى آسيا ، وهذا يعنى التفاعل مع القوى السياسية والعقائدية النامية والتى كان اقصاؤها عن مجالات السلطة والتوجيه ناشئا عن وجود المؤسسة العسكرية الغربية . ومن هنا فإن سياسة عدم الانحياز مقبلة على تحد رئيسى فى هذه المنطقة ، إذ انه لا يجوز أن تمكن الرجعية السياسية أن تستمر فى أوجه أو غطاءات مختلفة ، كما تحاول السلطات الحاكمة فى تايوان وتايلند وجنوبى كوريا وفيتنام وإلى حد اقل فى سنغافورة وماليزيا والفليبين ان يفعلوا . إن إتباع سياسة عدم الانحياز يتطلب نمطا من التفكير والالتزام التقدمى ولا يكفى ان تقول دولة أنها غير منحازة حتى تدعى او تنضم إلى مجموعة الدول غير المنحازة .

الصين وعدم الانحياز

يترتب على هذا أن تستهدف سياسة عدم الانحياز أن تواجه ما تطرحه الصين الشعبية من إمكانيات للعالم الثالث . فالصين تستحوذ على اهتمام أجزاء كبيرة من الشعوب . ورغم أن



التصلب يميز المواقف الثورية أو الدبلوماسية لها ، فان هذا يرجع إلى سياسة التطويق التى طبقتها الولايات المتحدة وأنصارها من قبل . ومن هنا لابد أن ندرك أن أحد مكامن الضعف فى بنية العالم الثالث هو الصراع القائم بين الاتحاد السوفيتى والصين ؛ لابد لدول عدم الانحياز مع تقديرها للملابسات العقائدية والاستراتيجية المنبثقة عن هذا الصراع أن تنحى ، وبالتالى أن تأخذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون استفحال هذا الصراع ، والتعبير عن اهتمام جماعى من قبل دول عدم الانحياز فى ايجاد سبل وجسور التفاهم والتعامل ، لان القطيعة بين هاتين الدولتين تؤدى إلى عرقلة مساعى التحرر الكامل فى عدد من أقطار العالم . ولذا فلابد من تدارك الدخول فى متاهات عقائدية فى هذا المضمار لأن مصلحة التحرر تقتضى إيجاد الجسور السياسية ولا تحتم بالضرورة إصدار فتاوى عقائدية .

فلسطين تجسيد لقيم عدم الانحياز

يبقى أن اهتمامنا نحن العرب المباشر فى مؤتمر عدم الانحياز ناتج من أن قضية فلسطين أصبحت مفتوحة على مصراعيها بعد أن حاولت ولاتزال تحاول اسرائيل إغلاقها . وإذا ادركت دول عدم الانحياز أن اسرائيل هى ركيزة اغتصاب واستعمار فى آسيا أدركت أن فلسطين هى تجسيد للقيم التى اوجدت سياسة عدم الانحياز واخصبتها .

لذلك فان فلسطين كقضية ـ لا كمشكلة عالقة بين دول المنطقة ـ يجب أن تكون لسياسة عدم الانحياز التعبير النضالى ضد قيم الاستعمار والعنصرية التى تجسدها اسرائيل . . ودول عدم الانحياز لا يمكن لها أن تكتفى بالدعم الرسمى للموقف العربى بل عليها أن تتبنى المقاومة العربية محكا لالتزام عدم الانحياز الاستقلال الحقيقى .





د . محمــود أمــين

البتــرول وأثــره في الأحــداث العالميــة

لاشك ان البترول عامل هام ومؤثر في الاحداث العالمية وفيما يقوم بين الدول المختلفة من خلافات وصداقات . فقد كان البترول من أسباب الصراع بين بريطانيا وامريكا في الثلاثينات ، كل يسعى للسيطرة على مناطق انتاجه . ولاشك أن البترول أيضا من العوامل التى تؤثر في علاقة الدول الشرقية بالدول الغربية في الوقت الحاضر .

ولذلك أصبحت احداث البترول ذات مغزى كبير ودلالة لانها تلفت النظر بما سوف تواجهه الدول من خلافات وصداقات .

ونستطيع الآن أن نتبين ملامح عدة احداث عالمية هامة في صناعة البترول سوف يكون لها اثر عميق بين مختلف الدول ، وهذا الأثر لن يظهر فورا وإنما يحتاج إلى سنوات عديدة .

نقص البترول المخزون في امريكا

لاتزال امريكا هى أكبر دولة واحدة تنتج البترول ، وأكبر دولة تستهلك البترول ، فانتاجها في عام ١٩٦٨ بلغ ١١ مليون برميل يوميا ، واستهلاكها بلغ ١٤ مليون برميل يوميا بخلاف الغاز الطبيعى .

وظلت امريكا حتى عام ١٩٤٨ دولة مصدرة للبترول بمعنى أنها كانت تنتج ما يزيد عن حاجتها فتصدر هذه الزيادة ، ثم تغيرت الصورة ونقص معدل الانتاج بالنسبة للاستهلاك فتوقفت أمريكا عن تصدير البترول باستثناء ما يحدث اثناء أزمات البترول العالمية ، فاحتفظت لذلك برصيد من البترول مخزون فى باطن الأرض تنتجه وتصدره فقط فى فترة الأزمات البترولية التى تتعرض لها أوربا ، كما حدث عند اغلاق قناة السويس عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ .

والتطور الجديد الذى يحدث الان فى أمريكا هو أن معدل استهلاك البترول لا يزيد فقط عن معدل الانتاج ولكنه أصبح يزيد عن معدل زيادة ما يكتشف من البترول فى أمريكا ، فالمعروف أن انتاج حقول البترول فى أى بلد يتناقص باستمرار ولذلك فلابد من استمرار اكتشاف حقول جديدة لزيادة الرصيد المخزون من البترول ، وما يحدث الآن فى أمريكا ان اكتشافات البترول أصبحت قليلة فلا تستطيع أن تعوض ما ينتج ويستهلك من البترول . ففى عام ١٩٦٨ زاد معدل الاستهلاك بنسبة ٤٪ فى حين انخفض احتياطى البترول الخام بنسبة ٢,١٪ ، وانخفض احتياطى الغاز الطبيعى بنسبة ١,٩٪ . ومعنى هذا أن أمريكا تدخل دائرة الخطر بالنسبة لمواردها من البترول ولابد لها من تأمين موارد اضافية ، ولعل ذلك من أسباب قلق بعض أوساط البترول الأمريكية التى تعتقد أن موارد البترول فى القارة الأمريكية لاتكفى لتوفير احتياجاتها ، وان المورد الاساسى للبترول المخزون فى العالم هو فى الشرق الأوسط وافريقيا حيث يتركز معظم احتياطى العالم من البترول - وتنادى بذلك مجموعة من شركات البترول الأمريكية التى تطالب الحكومة بتعديل سياستها لاستقرار الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط حماية لمصالحها فى هذه المناطق وتأمينا لموارد البترول بها التى سوف تحتاج اليها أمريكا مستقبلا . والسؤال الذى يتردد الان هل يتحقق هذا الاستقرار بمزيد من السيطرة والتحكم فى مناطق انتاج البترول فى الشرق الأوسط وافريقيا لاخضاع هذه المناطق للنفوذ الأمريكى كما كانت تفعل بريطانيا فى الثلاثينات ، أو يكون ذلك الاستقرار بمزيد من التعاون الاقتصادى مع دول هذه المناطق كما تفعل فرنسا مع الجزائر مثلا .

ظهور البترول فى آلاسكا

ومنذ بضع سنوات ظهر البترول فى الشاطىء الجنوبى لآلاسكا ولكنه لم يثر اهتماما كبيرا ، اذ لا يتجاوز انتاجه حتى الان ١٨٠,٠٠٠ برميل يوميا والمخزون منه حوالى ثلث بليون برميل . ولكن منذ عام ظهر البترول فى السفح الشمالى لآلاسكا ، فاهتزت لذلك أوساط البترول فى امريكا نظرا لغزارة انتاج الآبار المكتشفة ، وقدر المخزون منه فى ذلك الوقت بحوالى ١٠ بلايين برميل . واندفعت الشركات تتهافت للحصول على مزيد من الأراضى المجاورة ودفعت لذلك أموالا هائلة بلغت حوالى بليون دولار - وتجىء الأنباء الآن بأن التقدير السابق للبترول المخزون فى هذه المناطق وهو ١٠ بلايين كان متحفظا جدا وأنه أقرب ما يكون إلى ٥٠ بليونا ، ولكنه لا يزال فى



مجال التقدير . فإن صح ذلك فانه يزيد على المخزون حاليا لدى **الولايات المتحدة وكندا والمكسيك** الذى يبلغ المخزون بها **٤٤ بليون برميل** . ولكنه لا يمثل إلا حوالى ٢٠٪ من البترول المخزون فى الشرق الأوسط الذى يبلغ ٢٦٠ بليون برميل . ثم هناك التكاليف الباهظة لنقل هذا البترول إلى الأسواق وأقربها السوق الأمريكية التى تحتاج إلى مد خط انابيب من الاسكا إلى الولايات المتحدة ويتكلف حوالى ألف مليون دولار .

وبرغم هذا فقد اثار ظهور البترول فى الاسكا شعورا لدى بعض الأوساط البترولية فى امريكا ان بترول الاسكا يفتح المجال ايضا لوجود البترول فى المناطق القطبية لكندا ، وان الولايات المتحدة الامريكية تستطيع الاعتماد على هذه الموارد الجديدة فى تعويض نقص البترول المخزون بها فى المستقبل ، وانها ليست فى حاجة إلى بترول الشرق الأوسط ، وينادى بهذا الاتجاه مجموعة من شركات البترول الأمريكية . الصغيرة والعديدة التى يقتصر نشاطها على داخل امريكا وليست لها مصالح بترولية خارج الولايات المتحدة الأمريكية وهو اتجاه معارض لما تنادى به مجموعة الشركات الامريكية ذات المصالح فى الشرق الأوسط وافريقيا ، ولا يزال الحوار دائرا بين المجموعتين .

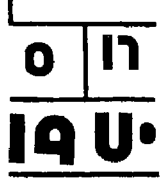
تصدير الغاز الروسى لأوربا الغربية

لقد اكتشفت روسيا رصيدا كبيرا من الغاز الطبيعى فى **سيبيريا** يقدره البعض بحوالى ٩٠٠٠ بليون متر مكعب وهو ما يزيد قليلا عن الرصيد الموجود من الغاز فى **الجزائر وليبيا** . وفى خلال السنوات الماضية بدأ الغاز الجزائرى والليبى يدخل أسواق **أوربا الغربية** ، فتجرى اسالته أولا فى موانى ليبيا والجزائر ثم تنقله ناقلات خاصة إلى أوربا . وتصدر الجزائر الان حوالى ١,٥ **بليون متر مكعب** ترتفع فى عام ١٩٧١ إلى ٣,٥ **بليون** ، وتصدر ليبيا ما بين ٣,٥ , ٤ **بلايين** متر مكعب لأوربا .

والتطور الجديد الآن هو إبرام العديد من الاتفاقيات بين **روسيا ودول غرب أوربا** لتصدير الغاز الطبيعى اليها عبر الأنابيب التى تنقله رأسا من حقول **سيبيريا** .

- **المانيا الغربية ـ وذلك ابتداء من ١٩٧٣ لحوالى ٥٢ بليون متر مكعب قيمتها حوالى ٢٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ مليون مارك ، وفى مقابل ذلك تشترى روسيا كمية كبيرة من انابيب البترول .**
- **ايطاليا ـ وذلك ابتداء من ١٩٧٣ ايضا لحوالى ١٠٠ بليون متر مكعب قيمتها حوالى ٣٠٠٠ مليون دولار ، لقاء شراء روسيا لكميات كبيرة من انابيب البترول والمعدات الأخرى من ايطاليا .**
- **النمسا ـ وقد بدأ ذلك فعلا منذ ١٩٦٨ بمعدل ½ بليون متر مكعب ترتفع إلى ١,٥ بليون متر مكعب .**
- **فرنسا ـ ويجرى التفاوض الآن معها لتصدير ما بين ٢,٥ إلى ٣ بلايين متر مكعب من الغاز الروسى .**

ومعنى هذا مزيد من التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى بين الاتحاد السوفيتى ودول غرب أوربا . وهو لقاء مباشر بين الدولة المنتجة للبترول وبين الدول المستهلكة له دون وسيط من



الشركات الامريكية والبريطانية الكبرى التى لا تزال تسيطر على هذا المجال فى غرب أوربا .

ازدهار البترول الأفريقى

ومنذ عشر سنوات لم تكن افريقيا تمثل مركزا فى مناطق انتاج البترول العالمى ، ولكن فى خلال العشر سنوات الماضية ارتفع انتاجها من ١٥ الف برميل يوميا فى عام ١٩٥٩ (معظمها من مصر) إلى حوالى ٥ ملايين برميل يوميا فى عام ١٩٦٩ (معظمها من ليبيا) . وهذه قفزة هائلة فى عالم البترول ، ولم يكن ذلك لأن افريقيا غنية غناء فاحشا فى البترول ، فمتوسط انتاجية البئر فى افريقيا أقل بكثير من انتاجية البئر فى الشرق الأوسط ، ولكن هناك اعتبارات اقتصادية وسياسية وراء هذا التطور الخاطف للبترول الأفريقى مبعثها الأساسى اغلاق قناة السويس فى عام ١٩٥٦ ثم فى عام ١٩٦٧ .

ونتيجة لذلك ارتفع انتاج جنوب وغرب افريقيا الى حوالى ٦٦٠ الف برميل يوميا ، معظمها من نيجيريا برغم توقف معظم انتاجها خلال السنوات الماضية نتيجة للحرب الاهلية بها ، ولكنها تستأنف الآن نشاطها بسرعة ويتصاعد هذا الانتاج ليبلغ المليون برميل خلال شهور قليلة ومليونى برميل خلال العام المقبل .

ومعنى هذا أن مرحلة الستينات قد شهدت ازدهار بترول شمال افريقيا ، وأن مرحلة السبعينات قد تشهد ازدهار بترول جنوب وغرب افريقيا وما يترتب على ذلك من آثار اقتصادية وسياسية ، منها ظهور منافس جديد لبترول الشرق الأوسط . فقد استطاع بترول شمال افريقيا ان ينتزع من بترول الشرق الأوسط حوالى ٣٪ من السوق الأوربية ، وسوف يستطيع بترول غرب وجنوب افريقيا أن ينتزع جزءا آخر ، وبالتالى استخدم البترول الأفريقى للضغط على الدول المنتجة فى الشرق الأوسط مالم تستطع هذه الدول أن تنسق جهودها .



د . محمـد صبـرى السوربـونى

الحـدود الآمنـة .. والوجـود الاســرائيلى

قال روجرز فى تصريحات له يوم ٢٤ ديسمبر الماضى « على اسرائيل ان لا تقلق من ناحية التاييد الأمريكى لاستمرار وجودها » . وهذا يذكرنا فى شكل ما بالنظرية القانونية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر . نظرية الأرض التى لا صاحب لها ، اى الأرض التى لا تحتلها او تملكها دولة من الدول ، وضمنا الأرض التى ليس لسكانها إلا وجود عدم فى نظر المستعمر .

وبتطبيق هذه النظرية احتلت انجلترا استراليا ، ومحت سكانها الأصليين فحل محلهم المهاجرون الانجليز ، وتحقق الوجود الانجليزى . وهذا عين ما فعلته اسرائيل ، طردت العرب وشردتهم ومزقتهم كل ممزق ، وأنشأت المستعمرات اليهودية للتوطن فى البلاد . وبذلك خيل لها أنها ضمنت استمرار وجودها باعتبار الأمر الواقع .

ولكن لما كان هذا الوجود قائما على الاغتصاب واحتلال أرض الغير بالقوة فقد أصبح مزعزعا من أساسه ، ولا حيلة لاسرائيل فى ذلك ، ومهددا فى كيانه كله لسببين رئيسيين :

■ أولهما : تطور المجتمع الدولى فى القرن العشرين ويقظة الشعوب والجماهير التى أصبح يحسب لها ألف حساب ومن هنا نشأت الثورات العارمة أو ثورات المبادىء ، وفى مقدمتها الثورة الفرنسية التى انتظمت أوروبا فى القرن التاسع عشر . ولا شك أن التطور الهائل الذى حدث فى

نظام المواصلات البرية والجوية واللاسلكية والاذاعة قد ساعد على انتشار الخبر والرأى فى سرعة البرق من أقصى مشارق الأرض إلى أقصى مغاربها فى وقت واحد . ومع الخبر تنصب الاراء والحقائق التى كانت الدول الاستعمارية تحاول اخفاءها فى الماضى إلى كل البلاد ، ويستطيع المظلوم أن يتنفس ، فردا كان أو أمة ، وأن يرسل صيحة الحق بعيدا .

وانني اضرب مثلا واحدا لذلك . فى سنة ١٨٨٢ كانت اقوى شركات البرق العالمية اثنتين فقط هما روتر وهافاس . وكانت هافاس الفرنسية تابعة لروتر الانجليزية . وكانت روتر تتقاضى الف جنيه كإعانة سنوية من الحكومة المصرية . ولكنها رغما من ذلك كانت لا تخدم إلا الاغراض الانجليزية . فلما قامت ثورة ٨٢ ، ودبر الانجليز ماساة الاسكندرية الشهيرة ، وطارت الانباء إلى اوربا حول مذبحة الاسكندرية المزعومة وتعصب المصريين ، ولم يكن للمصريين وسيلة لدحض هذا الافتراء فى حينه ، كان لذلك اثره فى تحويل الراى العام الأوربى عن نصرة القضية المصرية وفى التمهيد للاحتلال .

ويحسن بنا أن نذكر بهذه المناسبة أن عرابى حين أحس بأن الانجليز يفكرون فى احتلال البلاد ، أخذ يدعم سواحل الاسكندرية وحصونها القديمة ، فجاء الأسطول الانجليزى من أقصى الشمال إلى عروس البحر ، وطلب إلى عرابى أن يكف عن تحصيناته . وأمام رفض عرابى ، قرر قائد الاسطول ضرب الاسكندرية « **للدفاع عن النفس** » والاحتماء وراء مواقع آمنة ! !

ومن العجيب أن اسرائيل وهى الدولة المعتدية تطالب بحدود آمنة ، مع اننا أحق منها بالأمن بعد ما انتهكت أرضنا وحدودنا وحمى العرب جميعا .

■ **والسبب الثانى لتزعزع الوجود الاسرائيلى هو أن الفلسطينيين انفسهم بعد أن كانوا مجرد لاجئين اثبتوا وجودهم كمناضلين وكشعب فى اتعس الظروف واقساها . .** ومع ذلك تريد أمريكا أن تضمن وجود اسرائيل على حساب الوجود العربى . وكان خليقا باليهود الذين لا وطن لهم ، والذين عاشوا مشردين قرونا بين الشعوب التى آوتهم وجعلتهم يتمتعون بالثراء والجاه والنعمة والسلطان أن يعيشوا حيث هم ، وأن لا يثيروا الأحقاد عليهم بين المواطنين ، وأن يخلصوا لجنسية واحدة لا لجنسيتين أو ثلاث فى وقت واحد .

الم يكن روتشلد الشهير الذى ساعد على خراب مصر المالى فى عهد اسماعيل ، يحمل ثلاث جنسيات : الجنسية الفرنسية والجنسية الالمانية والجنسية الانجليزية ، ليتاجر بها ذلك المرابى الذى كان يعبد المال من دون الله .

لقد تساءل **وزير خارجية انجلترا** عما تعنيه اسرائيل بالحدود الآمنة ، وأعلن انه من الممكن وضع قوات دولية على الحدود القديمة ، ويتبين من تصريحات روجرز والمسئولين الامريكيين « ان واشنجتون اخطرت الدول العربية والدول المعنية الأخرى أن الولايات المتحدة مستعدة للمشاركة فى ضمانات للسلام فى المنطقة ، بما فى ذلك المشاركة فى قوات حفظ السلام . هذا كلام لا ينطلى على أحد . وكله مخاتلة ومواربة والغرض منه ضمان الوجود الاسرائيلى



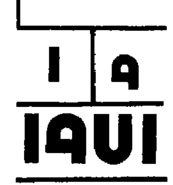


بمساعدة قوات دولية تشترك فيها أمريكا .

وفى تساؤل وزير خارجية انجلترا عن معنى الحدود الآمنة معنى لا يخفى على أمريكا : وبيان ذلك ان أسرائيل تريد التوسع الذى هو هدفها الاساسى والبقاء كالسرطان فى جسم العرب حتى تكسر شوكتهم . ولقد أعطى الانجليز فى سياستهم الاستعمارية القديمة الأمثلة العديدة على الحدود الآمنة .

- احتل الانجليز جبل طارق ، وهو من اقوى حصون العالم . واخذوا يبسطون من مركز القوة حدود حمايتهم على اسبانيا كلها ، باعتبارها خلفية للقاعدة التى استولوا عليها فى سنة ١٧٠٤ ـ وما فتئت انجلترا منذ ذلك التاريخ تعمل بكل الوسائل على إضعاف اسبانيا والحد من سطوتها ونفوذها ، لتحتفظ بالمضيق الذى يهيمن على مدخل البحر الابيض .
- ومن ذلك الوقت بدات انجلترا تمارس حمايتها الفعلية على فرنسا ، وتستغل إلى اقصى حد العداوة القائمة بين الألمان والفرنسيين ، وتغذى نارها بحطب من الدس والوقيعة .
- روى ليون دوديه فى مقالة قراتها له فى باريس فى العشرينات انه ثبت له من الاطلاع على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ان فرنسا فى أواخر القرن الماضى كانت على وشك الاتفاق مع المانيا على مشكلة الالزاس ـ لورين ـ وهما الاقليمان اللذان اقتطعتهما المانيا من فرنسا بعد هزيمتها ـ ولكن انجلترا حالت دون إتمام ذلك الاتفاق الذى كان فى مصلحة فرنسا .
- احتلت انجلترا عدن فى سنة ١٨٣٩ ، ثم اخذت تبسط حدودها إلى الداخل حتى شملت منطقة اليمن الجنوبى كلها . وجعلت انجلترا من السويس قاعدة لها .

والحدود الطبيعية ايضا نوع من الحدود الآمنة ، فكانت فرنسا مثلا تقول إن نهر الرين يكون الحد الطبيعى لفرنسا ، وكان استاذنا أميل بورجواى يقول ما معناه لا يوجد شىء اسمه الحدود الطبيعية ، لان الطبيعة لا ترسم حدودا . كما ان حدود مناطق النفوذ هى أيضا امتداد للحدود الآمنة التى يحتوى مدلولها على مطامع سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ، أو الثلاثة معا . كان تشرشل يقول « إن حدود انجلترا على نهر الرين » . وانجلترا هى صاحبة نظرية التوازن الاوربى كما أن أمريكا هى صاحبة نظرية التوازن فى الشرق الأوسط . أقول دابت انجلترا كما بيناه من قبل ، على توجيه السياسة الفرنسية ، ودفعها إلى محاربة المانيا باعتبار هذه الدولة هى عدوها الوراثى . وقد ترتب على هذه المواجهة إضعاف أكبر قوتين فى القارة ، وتحقيق التوازن المنشود الذى يضمن للجزيرة النائية فى الشمال ، السيطرة على أوربا ، وكان بعض الساسة يقول « أن حدود أمريكا على نهر الراين » والمعنى واحد ، وهذا سبب ثورة ديجول على الوضع المهين الذى وضعت هاتان الدولتان فرنسا فيه ، وسرعان ما أمر ديجول أمريكا بازالة قواعدها النووية فى فرنسا ، كما رفض أن تدخل انجلترا فى السوق الأوربية المشتركة حتى تتخلص أولا من تبعيتها لأمريكا . وقد خلقت تصرفات ديجول الحكيمة نقطة تحول فى السياسة الأوربية .



٥٥

وكانت أمريكا فى القرن التاسع عشر قد ابتدعت مبدأ منرو الشهير الذى يحرم على أوربا التدخل فى شئون أمريكا الجنوبية ، التى أصبحت جميعا امتدادا لحدود أمريكا الشمالية نفسها .

وقد حدثنى كاتب اسبانى عن فظاعة الاستعمار الامريكى وضرب مثلا لذلك قال : « لقد عانت كوبا الأمرين (بتشديد الراء) من التبعية لامريكا . حدث مرة ان اختفى بعض زعماء الجزيرة من المناضلين دون ان يعرف لهم مكان او اثر . ثم فوجئوا يوما باحد الصيادين يصيد القرش (وهو سمك وحشى) ويشق بطنه فيجد فيه ازرار اكمام احد اولئك الزعماء الذين التهمهم البحر . وكان رد الفعل الوحيد عند حاكم الجزيرة وعميل الامريكان ، ان اصدر بكل بساطة مرسوما يحرم صيد القرش .

وقد امتدت حدود أمريكا السياسية والاستراتيجية إلى أوربا نفسها والبحر الأبيض ومنطقة الشرق الأوسط ، مع أن أمريكا ليست من دول ذلك البحر .

الحدود الآمنة إذن هى حدود للتوسع والهيمنة (من الفرات إلى النيل) ، فهل هذا هو الوجود الذى تريد اسرائيل من امريكا أن تكون ضامنة له ؟ وعلى اى اساس تكون امريكا دون العالم هى الدولة الوحيدة المعنية بالضمانات ؟

ومن الطريف أن اسرائيل تزعم أنها لا تقبل مبدأ إدخال تعديلات طفيفة فى الحدود بواسطة الدول ، مع اننا نحن لسنا بلهاء ، ولم نقبله ولن نقبله ، لانه خروج خطير على قرار مجلس الأمن الذى نص على وجوب انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة . ومثل هذا التعديل ، ولو لم يزد عن شبر فى شبر من أرضنا ، يفتح ثغرة لاسرائيل تتسلل منها إلى ما وراء الحدود ، وقد يضفى ظلا طفيفا من الشرعية على حدود مغتصبة فعلا . وعلى أية حال إذا كانت بعض الدول الصديقة قد سلمت بذلك المبدأ فى وقت مضى ، فان التسليم بحقوق الفلسطينيين الذى جاء بعد ذلك بلسان الرأى العالمى والجمعية العمومية ومجلس الأمن قد غير الوضع .



٥٦

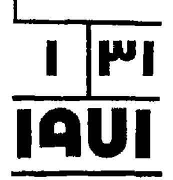
د . عبد الحميد يونس

وجهة نظر حول : قضية الثقافة من خلال اختبارات معهد الإعلام

لقد اثار « الأهرام » موضوعا ، لا أبالغ إذا قلت أنه موضوع حيوى خطير ، يتصل بصميم انسانية الانسان فى بلادنا ، ولم يكن اختبار القبول لمعهد الإعلام هو المجلس الأول لهذه الظاهرة ، التى تجاوزت التشخيص إلى ما يشبه الاستغاثة ، طلبا للعلاج الحاسم . ولم تعد الثقافة بنجوة عن إرادة الهيئة الاجتماعية ، التى تعتصم فى عصرنا الحديث بالتخطيط العلمى للحاضر والمستقبل على السواء . وانا اوثر أن أدير هذا المقال على محور واحد هو وجوب الاتفاق ، أولا وقبل كل شىء ، على مفهوم الثقافة ووظائفها ، بالنسبة للفرد والمجتمع . وقد يتصور الكثيرون اننا لم نعد فى حاجة إلى تعريف الثقافة وتمييز المثقفين .

ولقد جرت العادة ، بين الحربين العالميتين فى مصر ، أن نتصور الثقافة مرادفة للمعرفة ، وكاتب هذه السطور يذكر أن مصطلح الثقافة كان جديدا على الحياة الفكرية ، ولا أقول العلمية ، فى ثلاثينات هذا القرن ، وأن الكتاب ، من أمثال سلامة موسى ، استعاروا الكلمة من الرواد ، الذين حاولوا تبسيط نظرية التطور ، والذين رأوا أن يعرفوا المتعلمين بمناهج البحث عن حياة البدائيين ، فى عصور ما قبل التاريخ .

وقبيل ان تقوم الحرب العالمية الثانية ، احست الهيئة الاجتماعية فى بلادنا بالحاجة الملحة إلى العناية بمعارف المواطنين ، التى يحصلونها خارج أسوار المدرسة والمعهد والجامعة . وكان من حظى ان اعمل فى جهاز ، اصطلح على تسميته بمراقبة الثقافة فى وزارة المعارف ، اى التربية والتعليم الآن . واجتمعت فى هذا



الجهاز الوحدات ، التى كانت تعنى بالفنون ، وايداع الكتب وعرضها ، وتشجيع التاليف والترجمة ، وضرب من تنظيم التعاون الفكرى بين مصر وغيرها من الامم . وكان بين المهتمين بمرفق الثقافة من تصور انه مقصور على ما عرف فى المدارس بالهوايات ، وهى ضروب النشاط ، التى تشغل اوقات الفراغ . وقد تستهدف المنفعة ، ولكنها كانت فى الغالب الأعم ترادف التسلية واللعب . واذكر ان كل نشاط ، لا يمارس فى الفصل المدرسى ، عد من الثقافة .

وهذا التفصيل المرتبط بتصور الهيئة الاجتماعية للثقافة ضرورى لكى نتحقق من التشخيص ، ونضع اصابعنا على العلاج الصحيح الحاسم . ولقد رئى ان المدارس والمعاهد وكليات الجامعة لا تفى بالتعليم والتثقيف ، كما رئى أن ميادين العمل تستوعب عددا كبيرا من المواطنين ، فاتتهم فرصة التعليم ، إلى جانب السيدات القابعات فى البيوت . وانشئت الجامعة الشعبية ، وكانت تقدم المعارف النظرية والعملية ، وتعقد الندوات ، وتذيع المحاضرات ، وتحتفل بالهوايات .

وظهر مفهوم « الإرشاد » ، فاستوعب الثقافة والإعلام والإرشاد ، بلا تمييز واضح بين هذه الوظائف ، التى مهما كان تداخلها ، فانها تختلف فى المنهج والهدف . ولابد أن نعترف صراحة ، ونحن مطالبون الان بمواجهة أزمة الثقافة مواجهة موضوعية ، أن الهيئة الاجتماعية تذبذبت بين عدد من الوظائف ، وكلما ارادت التصحيح ، وأحست بالحاجة إلى مرفق ينهض بتبعات الترشيد أو الاعلام او التثقيف ، استجابت إلى تلك الحاجة ، دون ان تعيد النظر فى الأجهزة القائمة . استقلت الثقافة عن الإعلام حينا ، امتزجت به حينا ، عادت فاستقلت عنه بعد ذلك ، مع اختلاط وجوه النشاط تبعا لقلة العناية بوضع خط ، يبين الفرق بين المفاهيم ، ويرسم مناهج العمل والتعاون فى هذه المرافق ، التى ترتبط بعقول المواطنين وشخصياتهم .

ولا يزال الكثيرون يتصورون ان « التثقيف » إنما ينحصر نشاطه فى « التعليم » ، وان كان تعليما حرا غير مرتبط بالحدود النظامية المقسمة على مراحل وتخصصات وشهادات . . . الخ . والواقع ان المكابدة فى هذا المجال جعلتنى الح على إدراك مفهوم الثقافة . ولا باس من ان ندرك أن لها مجالا متسعا او مفهوما عاما ، يجعلها تعنى كل معرفة او خبرة او مهارة ، يحصلها الفرد من اطاره الاجتماعى ، بمختلف وسائل التحصيل ، كالمحاكاة والتجربة والخطا والتلقين المباشر ، إلى جانب التعليم والتدريب .

وبهذا المفهوم ، يكون كل مواطن على قدر من الثقافة ، منذ يعى وجوده إلى ختام حياته . وأنا اتجاسر وأقول أن الاميين مثقفون ، وكل الخلاف بينهم وبين القادرين على القراءة والكتابة ، أو الحاصلين على الشهادت ، إنما يقع على درجة الثقافة ونوعيتها . أما المفهوم الخاص للثقافة ، فهو الذى استقر فى العقول ، منذ فترة غير قصيرة ، وهو تحصيل المعارف ، بمنهج نظامى مقرر ، وعلى مراحل متعددة وتخصصات مختلفة ، مع شرط الإشهار العلنى بالحصول على « شهادة » تثبت النجاح المطلوب فى التحصيل .



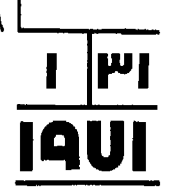


ولا يزال هذا المفهوم الخاص هو الشائع بين المتعلمين ، وكان ينبغى أن نفطن إلى المفهوم الأول ، الذى يؤثره المتخصصون فى دراسة الانسان . ولابد ونحن نعرض لهذه الظاهرة الخطيرة ألا يأخذنا اليأس أو يدفعنا الانزعاج الى علاج عصبى ، ذلك لأن العالم بأسره يشكو من مرض العرج الثقافى ، لسببين رئيسيين : أولهما أن وسائل الثقافة الحرة توسلت بالآلة الكبيرة ، وخضعت لمنهج الانتاج الكبير ، فأصبح الكم يطارد الكيف فى معظم الجهود الثقافية ، كما أن وسائل الاتصال بالجماهير ، التى استطاعت استغلال الصورة والصوت ، قضت أو كادت تقضى على ديناميات السلوك عند الأفراد ، فقد كانوا ، قبل هذه الوسائل ، يبذلون جهدا فى سبيل الحصول على الثقافة .

ولم يكن غلاء الكتاب غلاء نسبيا ليحول بين الصبيان والشباب دون بذل الجهد فى الحصول عليه ، اما الآن فيكتفى المرء بالقبوع حيث هو ، ليتلقى الثقافة او التذوق الفنى ، واصبح سلبيا بالقياس إلى هذه المطالب الفكرية . وثانيهما شدة الاقبال على المعاهد والكليات ، وهو إقبال فاق جميع الحدود ، واصبح الامتحان غاية كبيرة ، كما اصبحت الشهادة معيارا انسانيا فى نظر الاكثرين . اما الامتياز فى عمل او النبوغ فى فن من غير مؤهل معهدى أو جماعى ، فلا يكاد يحظى بالرعاية او الاهتمام . ولقد سجل المعنيون بالتربية والتعليم ان الرسم البيانى ، فى عائدة المعاهد والجامعات ، على شخصية المتعلم ، وطاقته على المعرفة ، وتخصيصه لمهنة دقيقة ، فى هبوط مستمر ، وان العلاقة المباشرة ، التى كانت بين الاستاذ والتلميذ ، والتى كانت ايضا امتدادا لعلاقة الشيخ بالمريد ، قد انقطعت ، كما ان الاختيار الحر لنوعية الدراسة والتخصص قد ضعف ، وادى هذا الانتاج الكبير فى الجامعات والمعاهد إلى سلبية اخرى ، تحول بين الشباب وبين التعمق فى تحصيل المعارف ، والجد فى التدرب العملى ، مع أن الاصل هو التوجيه من ناحية الاساتذة ، والاعتماد على الذات من ناحية الدارسين .

وهذه الأزمة الثقافية تتاثر ، من غير شك ، بالتحول فى أساليب الحياة والعيش ، من مجتمع زراعى إلى مجتمع ياخذ بأسباب الصناعة الثقيلة ، وهى ثورة ضرورية تتطلب من الجميع أن يتضافروا على تأصيلها وحمايتها ، ولكنها فى الوقت نفسه تضع مسئوليات أكبر على عاتق الذين يقومون بالتثقيف والتعليم والتأهيل جميعا . ونحن نعلم أن المجتمع الزراعى من خلائقه عدم الاحساس بالزمن ، والترخص فى الجهد ، والتسليم الكامل بالحظ ، وهذه الاخلاقيات لا تتغير بين ليلة وأخرى ولا يتخلص منها المواطنون بمجرد الدعوة والإرشاد والإعلام .

ولست أبالغ إذا أنا أضفت إلى الأمثلة الفردية الكثيرة ، التى استخلصها الدكتور جمال العطيفى من اختبار المتقدمين لمعهد الإعلام ، أن معظم ما نعانيه من ضعف القدرة على صيانة الأجهزة والآلات ، إنما يعود إلى ازمة الثقافة الناجمة عن فقدان التوازن بين السلوك الطبيعى للأفراد وبين الثورة الصناعية الكبيرة . ذلك لان العصر الصناعى يتطلب قوة الاحساس بالزمن ، والوعى بمسئولية العمل ، لا باعتباره وسيلة لكسب العيش ، ولكن باعتباره



قيمة انسانية عليا ، إلى جانب زوال الحاجز ، الذى ران على الحياة عصورا طويلة ، بين الفرد وبين الهيئة الاجتماعية . فالشاب الذى يقتطع صفحات من الموسوعة البريطانية فى مكتبة الجامعة ـ مثلا ـ بدلا من أن ينقلها يقترف جريمة كبيرة فى حق المجتمع بأسره ، وهذا جانب صغير مما نلاحظه فى سلوك بعض المتعلمين .

بقيت نقطة جوهرية ، يقتضينى الواجب أن اعرض لها بصراحة ، وهى المبادرة إلى تخطيط ثقافى شامل وصحيح ، ومن الضرورى ان نفرق بين التخطيط لحاجات المواطنين من سلع التموين ، وبين التخطيط الذى يحقق نمو الشخصية وصحة المواطنة والقدرة على بناء الحياة . والتخطيط الثقافى ليس مجرد جمع للرغبات أو الآمال القريبة ، ولذلك يرى الكثيرون من المتخصصين فى التثقيف أن هذا التخطيط لا يمكن أن يكون لمرحلة قصيرة ، ولابد من ارتكازه على بيانات ومعلومات دقيقة ، تتجاوز السطح إلى الفكر والنفس . ولابد فوق هذا كله من أن ندرك أن التخطيط شىء ، وان وضع البرامج التنفيذية شىء آخر





د . جمـــال حمـــدان

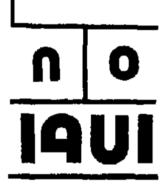
قضيــة إعــادة بنــاء القريــة

الحديث عن المدن الاقليمية يقودنا إلى القرية ، خلية مصر ونواة الريف ، والتى خصها برنامج العمل الوطنى الجديد بمشروع ثورى طموح لإعادة البناء .

ولقد قيل ، أو قال السوفيت : هل يمكن أن يصاب الفيل بالفتق ! فجاء الجواب : نعم ، إذا حاول أن يرفع الزراعة السوفيتية ! ومن الناحية الأخرى نجح السوفيت تماما فى خلق بيئة سكنية ممتازة من القرية أقرب من تكون إلى المدينة ـ المدينة الزراعية كما تسمى agroville .

ولعلنا فى مصر نستطيع أن نقلب هاتين المقولتين . فبينما تخضع الزراعة المصرية لتخطيط انتاجى ومحصولى كامل وناجح ، تعد القرية المصرية بلا شك التحدى الأكبر لكل اصلاح حضارى أو ثورة عمرانية . إنها جديرة بأن تقصم ظهر الفيل ، فضلا عن اصابته بالفتق !

لاشىء ، يقينا ، يمكن أن يهز القرية المصرية ـ أكثر من ٤٠٠٠ وحدة ، واقل قليلا من ٢٠ مليون نسمة ـ سوى خطة حاشدة مزدوجة من التخطيط القومى والاقليمى ، طويلة المدى ،



طويلة النفس أو طويلة القامة . ومن حسن الحظ أن كهربة الريف آتية فى الوقت المناسب تماما ، لأنها ستكون من معجلات إعادة بناء القرية مثلما هى من مسهلاتها . وأيا كانت أو ستكون المستويات التخطيطية التى ستتبنى فى العملية أو استراتيجية المعركة نفسها ، فانها كما لابد أن تنبع من حاجاتنا القومية وامكانياتنا البيئية واقتصاد المكان ، يجب أيضا أن تستلهم روح العصر وتستبق المستقبل . وفى هذا ، فلا مجال هنا لأكثر من مؤشرات عريضة .

■ فاولا ، ان الاتجاهات العالمية الحديثة تنظر الآن إلى القرية على انها مجرد وحدة عمل لا طريقة حياة ، وان الفارق بينها وبين المدينة إنما هو فارق وظيفى فقط ، وليس بالضرورة فى نمط الحياة او البيئة الحضارية . وبتعبير آخر ، فإن القرية مصنع الزراعة ، او ـ افضل ايضا ـ مدينة الزراعة . تتمتع بكل خصائص ومزايا حياة المدن وبيئة المدن تركيبيا وحضاريا ، إلا انها تمارس صناعة الزراعة وظيفيا . إن حضارة العصر هى حضارة المدن ، والعالم كله يتجه إلى ان يصبح مدينة عظمى واحدة (بعد ان بدأ قديما وهو قرية عظمى واحدة) ، وستصبح القرية مدينة ولكنها فقط مدينة الريف والزراعة . وهذا صميم معنى « الميثاق » حين دعا الى ضرورة رفع القرية الى مستوى المدينة .

■ ثانيا ، إنها لتكون فكرة خاطئة ان نتصور عملية إعادة تعمير القرى على انها استبدال قرية جديدة بكل قرية من قرانا البالية الراهنة ، هذه مقابل تلك حذوك الراس بالراس ، نجعا بنجع وكفرا بكفر . . الخ . المطلوب ـ وهذا شرط ابتدائى ـ عملية « خف » (كخف الذرة) ثم ضم ، تختزل العدد الراهن (٤٠٠٠) وتختصر منه بضع مئات على الاقل ، بحيث تنتهى إلى شبكة وكثافة جديدتين او توزيع وانتشار جديدين . والمبدأ الأساسى هو تجميع القرى والكفور القزمية غير الكفء ماديا فى وحدات اكبر واكفأ . كذلك ينبغى ان تشترك كل مجموعة محلية من القرى المتجاورة فى نظام هرمى من الخدمات المركزية الحديثة ، تتخذ قاعدتها فى كبراها ، التى تتحول الى القرى الأم أو القرى الملكات كما توصف تخطيطيا ، والتى ستدخل مع مثيلاتها فى نظام هرمى اعلى حول المدن العواصم الاقليمية . . الخ . .

■ ثالثا : إن عملية إعادة بناء القرى لن تتم فى إطار ريف استاتيكى ثابت الحجم ، بل فى ظل عملية تمدين مطردة باستمرار ، وعلى عكس ما قد يظن البعض ، فان حركة تمدين مصر المتسارعة ـ الهجرة إلى المدن ـ هى جزء اساسى لا يتجزأ ، مثلما هو صحى ، من حل مشكلة القرية المصرية ، بل لعلها الحل الحقيقى فى التحليل الاخير ونهاية المطاف . ان نسبة سكان المدن فى مصر الآن تقدر بنحو ٤١٪ ، ولكنها ستصل إلى ٤٩٪ اى الى نحو النصف فى حوالى عقد ، وستظل بعد ذلك فى توسع مطرد ، بينما ستنكمش نسبة سكان الريف بالمقابل إلى ان ياتى الوقت الذى يتقلص ويتناقص فيه حجم جسم سكان الريف الفعلى نفسه . وهذا اتجاه عالمى لا مفر منه . (على سبيل المثال ، يسكن الريف البريطانى اليوم اقل من ١٠٪ من مجموع سكان الدولة ، بينما يعمل فى الزراعة به ٢٪ من مجموع القوة العاملة القومية !) وفى مصر ، فاذا كان حجم ذلك الجسم اليوم نحو ١٩ مليونا ، فان على تخطيط الريف والقرى بعيد المدى أن يرتب لعدد إما ثابت أو منكمش ، بحسب ما يظهر التحليل والاسقاط الاحصائى الدقيق .

الأجهزة التخطيطية والتنفيذية

يبقى الآن السؤال العملى والحرج : من الذى سيقوم بوضع هذه الخطة ـ الخريطة الطموح بكل أثقالها وجوانبها ومشاريعها وبرامجها ؟





أجرت إحدى الهيئات الجامعية الأمريكية استبيانا ادارته بين العلماء والاساتذة حول التخصصات العلمية التى يرون أن « المخطط » على العموم يحتاج اليها ، فان حاصل المجموع نحو ١٦٠ فرعا من فروع العلم والمعرفة ! والمغزى واضح . **ليس ثمة شيء اسمه مخطط فرد ، ثمة فقط جماعة فريق ، بل مجتمع كامل** . ونحن لدينا عدد من الاجهزة التخطيطية والتنفيذية المنوعة التى تعد القوة الضاربة فى معركة اعادة البناء والتعمير ، ابتداء من وزارة التخطيط إلى معهد التخطيط القومى إلى سائر الاجهزة والاجسام المشابهة فى الوزارات والهيئات المعنية .

المشكلة ، مع ذلك ، هى **التنسيق والتكامل التنفيذى والاجرائى** . بل هى اعادة النظر فى الاستراتيجية العظمى للعملية وفلسفتها القائدة . بل وفى توفر المعلومات البحثية الأولية ذاتها كذلك .

فاولا ، لا خلاف على ان المعلومات الاحصائية التفصيلية والحقائق العلمية الاساسية عن مصر : الأرض ، التربة ، السكان ، المدن ، القرى ، الزراعة ، الصناعات . . الخ مازالت تترك مجالا كبيرا للتمنى . لا تخطيط بلا بحث اساسى يسبقه ، ولا بحث اساسى بغير مسح علمى شامل يسبقه .

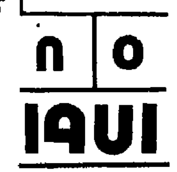
من هنا فإن المسح الجغرافى يسبق الخطة بالضرورة . وفى هذا الصدد نخشى أن نزعم أن مصر مازالت علميا أرضا بكرا ، ولا نقول مجهولة . **اننا بحاجة ملحة وعاجلة إلى دراسة مكثفة معمقة لكل شبر من الأراضى المصرية بما عليه من ناس وانتاج ونشاطات ومشكلات ، كل قرية فى مصر ، ودعك من كل مدينة ، تحتاج إلى دراسة كاملة إلى « موجنوراف » تفصيلى مستقل** . وكل معلم من معالم الحياة على أرض الوطن ، كل أبرة تنتج فى مصنع ، يحتاج إلى أن يوقع على خرائط مفصلة جدا تسعف كل غرض وباحث .

إن الخريطة جدول احصائى مرسوم ، بينما ان الجدول الاحصائى خريطة رقمية ، الاثنان صنوان وساقا البحث الأساسى ، وفيما عدا الاسرار العسكرية والأمنية المقدسة ، فلابد ان يضعا نفسهما فى خدمة البحث العلمى لا ان يكون البحث العلمى رهنا بحدودهما .

أين هو ـ دعنا نسأل ـ « اطلس مصر الكبير » ، شاملا ، ميكروسكوبيا ، محللا لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ؟ لقد كان أول ما فعلته الجوسبلان Ctospiln ، هيئة التخطيط بالاتحاد السوفيتى ، بعد الثورة هو البدء فى وضع « الأطلس السوفيتى الكبير » الذى يعد اليوم ـ باعتراف الغرب ـ اعظم وثيقة خرائطية فى العالم ، كل راس دبوس ينتج فى مصنع او حبة قمح فى حقل تجدها فيه .

وأين هى احصاءات مصر المفصلة بجداولها الكاملة عن كل فدان وقيراط وذراع ، بعيدا عن النشرات الاحصائية العامة المبسطة شبه الدعائية الشائعة الآن ؟

وفى هذا كله ، فلابد ـ **من هز مراكز البحث العلمى فى الجامعات والمعاهد المتخصصة حتى النخاع** ، كما لابد من اعادة بعث جهازى المساحة والاحصاء بحيث يقدمان صورة فوتوجرافية كاملة .



OU

فاذا انتقلنا ، ثانيا ، إلى أجهزة التخطيط المنفذة ، فاننا نخشى أن **التخطيط فى مصر يكاد يعنى التخطيط القومى ، بينما ينزوى التخطيط الاقليمى كذيل تكميلى ملحق لا اكثر** والتخطيط القومى بدوره يكاد يعنى التخطيط الاقتصادى أساسا ، ويرتبط بالاقتصاد والتجارة والخزانة والمالية أكثر ما يرتبط . هذا بينما يتراجع التخطيط الطبيعى أو العمرانى بالمعنى الهندسى physical planning إلى المكانة الثانية على الأكثر . وعلى أهمية الجانبين الأولين الحيوية ، **فإن التوازن أساس التخطيط المتكامل الناجح** . ولقد طال حقا إهمال التخطيط الاقليمى والطبيعى فى مصر .

وإذا كانت وزارة التخطيط القومى تضم وكالة للتخطيط الإقليمى ، فلعله قد آن الأوان للتفكير فى وزارة للتخطيط الإقليمى او للتعمير وإعادة البناء ، او للبيئة البشرية او الاقليمية . وفى كثير من الدول منذ الحرب الثانية مثل هذه الوزارات فرنسا واليونان ، حتى ايران اخيرا جدا ، بينما فى بريطانيا يرتبط التخطيط الاقليمى تقليديا بوزارة الحكم المحلى او الاسكان . وقد كان لدينا نحن من قبل وزارة للشئون البلدية والقروية والواقع عندنا ان وزارة الحكم المحلى يمكن من هذه الزاوية ان تكون النواة النووية للجهاز التنفيذى لخطة إعادة بناء الوطن والريف .

ولكن الجهاز التنفيذى وحده ، أيا كان تصوره على المستوى الوزارى ، لن يكفى . إذ لابد من **هيئة تخطيطية عليا** قائدة ، « **مجمع عقول** brains'trust » من صفوة المفكرين و « المستقبليين » والاخصائيين والعلماء والمتنبئين ، تمثل المخ والرأس المفكر خلف ـ وفوق ـ اليد التنفيذية الضاربة . وأيا كانت طبيعة أو حجم هذه الهيئة ، استشارية بحثية ، موسعة أو مضيقة . . الخ ، فليس من شك فى أن **المجالس القومية المتخصصة** ، التى أثارها تاريخيا بيان مارس وأشار اليها مجددا **برنامج العمل الوطنى الجديد** ، هى الاطار الصحى والصحيح . فهذه وحدها هى القادرة على الرؤية العريضة وعلى اختراق حاجز الرؤية الضيقة ، تصل معركة البناء بمعركة التحرير ، وتنظر إلى المستقبل البعيد كما تعتبر المستقبل القريب .

إن المهمة ضخمة ولكنها غير مستحيلة ، والحلم كبير ولكنه ليس وهما . ولكن معركة التحرير هى ايضا معركة اعادة البناء والتعمير ، ولتكن إعادة البناء هى إعادة التخطيط ، ولتكن إعادة التخطيط هى جزئيا إعادة التوزيع .





د . يونـــــــان رزق

موقــع الثــورة العرابيــة فى التــاريخ المصــرى

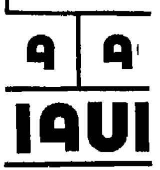
على مدارج تاريخ مصر الحديث تقف الثورة كحدث شهد اشد الخلافات حول تقييمه بين الد الأعداء الذين دعوها « بالفتنة » ، وبين أوثق الاصدقاء الذين رأوا فيها « النهضة الوطنية المصرية »

والآن وبعد مرور تسعين عاما على مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ، فلعل محاولة تحديد (موقع) تلك الثورة يمكن أن تتسم بالانصاف والموضوعية ونقاء الرؤية .

وتستلزم هذه المحاولة رصد عدة حقائق :

● إن ما أسميناه « بتحديد الموقع » لا يمكن أن يتم داخل الإطار الزمنى الضيق الذى شهد أحداث الثورة ، بل يجب أن يتسع هذا الإطار ليشمل كل تلك السنوات الممتدة منذ مطلع القرن التاسع عشر .

● إن ما ترتب على هذه الثورة من أحداث أدت فى النهاية إلى « احتلال بريطانى » لمصر نالت بسببه زعاماتها أشد الانتقادات لا يمكن أن ينظر إليه منفصلا عن سنوات المد الامبريالى التى شهدتها بلاد العالم المتخلف خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضى ، بمعنى أن الاحتلال لم يكن « حدثا عرابيا » قدر ما كان « حدثا عالميا » .



● وكنتيجة للحقيقتين السابقتين ، فان « **موقع الثورة العرابية** » قد تعددت أبعاده . . فكرية وسياسية واجتماعية .

وهذا التعدد مع اثرائه للحياة السياسية المصرية على طول السنوات التالية ، فانه يقدم بداية معقولة لتوصيف موقع الثورة .

أولا البعد الفكرى :

فمن الواضح ان عرابى بالرغم من طبيعة نشأته العسكرية المحافظة قد تأثر أشد التأثر بأفكار العدالة والمساواة التى سادت أوربا خلال ذلك القرن ، فهو عندما يحاول تقديم وصف دقيق للثورة التى قادها يقول ان الهدف منها كان « **رفع المظالم ومنع التعصبات الجنسية ونشر أعلام العدل والمساواة بين جميع المستظلين بظل قوانين الحكومة** »

ثم أنه من جانب آخر يمثل ذلك التيار الذى ساد مصر منذ أن حدث ذلك الصدام الحضارى الهائل ، الذى سببه مجىء الحملة الفرنسية اليها ، والذى ظلت قرقعته تدوى فى آذان كل تلك الأجيال التى عاشت بعده ، مما خلق ما يمكن أن نسميه بتيار الانبهار بحضارة الغرب وتفوقه ، وكان عرابى أحد المنتمين لهذا التيار .

يؤكد ذلك تلك القصة التى يرويها الرجل فى مذكراته . . يقول « كان اول كتاب ادركت منه بعض الأراء عن المسائل السياسية كتابا مترجما إلى العربية عن حياة بونابرت تاليف الملازم لويس ، وكان سعيد باشا قد اخذ هذا الكتاب معه فى زيارته للمدينة ، وكان ما ذكر فيه من ان ثلاثين الف جندى فرنسى قد فتحوا بلادنا قد اهاج غضب سعيد باشا فرمى الكتاب على الأرض وقال « انظر كيف قهر مواطنوك » ، فاخذت الكتاب وقراته طول الليل فلم انم حتى الصباح . ثم ذهبت إلى سعيد باشا فاخبرته بانى قد قرات الكتاب ، وان السبب الذى جعل الفرنسيين ينتصرون هو أن جيشهم كان منظما ، واننا نستطيع ان نفعل ذلك بمصر لو اردنا » .

ثانيا : البعد السياسى :

فمع ماهو من أن الثورة العرابية قد تفجرت أساسا مستهدفة تدمير التدخل الأجنبى الذى كان يمتد خلال تلك السنوات ليشمل كافة المراكز العصبية فى جسد الأمة المصرية ، فانها أيضا قد عبرت عن طبيعة المرحلة ـ سياسيا ـ فى جوانب اخرى .

١ ـ **محاولة ضرب الاوتوقراطية الخديوية** وحصرها فى حدود مفهوم الحكم الدستورى ، وقد أمتدت هذه المحاولة إلى سائر مناحى الحكم ، فمن ناحية بعملية « شد ظهر » المحاولات لتأسيس « مجلس نواب » حقيقى يمثل ـ فى حدود الممكن ـ جموع المصريين من جانب ويكون صاحب « القرار الأخير » من جانب أخر ، ولعل ما حدث من استقالة وزارة شريف فى فبراير ١٨٨٢ لخلافها مع ذلك المجلس يوضح ما نعنيه « بالقرار الأخير » .





من ناحية أخرى ، فان دستور الثورة الصادر فى أكتوبر ١٨٨١ قد أقر مبدأ « مسئولية الوزارة » أمام مجلس النواب بعد أن كانت هذه المسئولية أمام الخديوى .

وبذلك يمكن القول أن الثورة العرابية قد قصت جناحى السلطة الخديوية .

الأول بمجلس نيابى حقيقى يراقب أعمال الخديوى ، والثانى بحرمان توفيق من ممارسة أى اشراف فعال على السلطة التنفيذية ممثلة فى الوزارة .

بل ان القيادة الثورية قد تطرفت فى بعض الأوقات إلى طرح فكرة « الجمهورية » بديلا عن الخديوية ، فيتحدث عرابى فى مذكراته عن أنه لو كان الوطنيون هم الذين خلعوا اسماعيل « لكنا تخلصنا من عائلة محمد على بأجمعها وكنا عندئذ أعلنا الجمهورية » .

٢ - التعبير عن الارهاصات الجديدة « للقومية المصرية » ، فشعار « مصر للمصريين » الذى رفعته الثورة العرابية لم يكن أبدا فارغا من المحتوى .

وتبدو قيمة هذا المحتوى فى محاولة تمييز « الانتماء المصرى » عن الانتماء العثمانى وهى المحاولة التى قام بها العرابيون ، وإن كانوا قد قاموا بها على استحياء .

ويؤكد المستر « بلنت » السياسى الانجليزى صديق عرابى ومؤرخ الفترة المشهورة حقيقة تلك المحاولة .

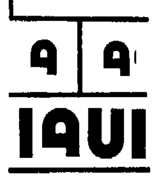
فيقول فى موضع من كتاباته « إن حركة عرابى كانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها أوضح ، وإقبال الناس عليها قويا وكبيرا » ، ويقول فى موضع آخر ان العرابيين كانوا يعتمدون على النديم فى تحضير الأذهان للاستقلال عن الخلافة ، ويؤكد أن هذا قد ذكر له انه يتمنى قبل ان يموت ان يهدم عرش السلطان فوق راسه .

ثالثا : البعد الاجتماعى :

فالثورة العرابية قد عبرت عن نمو تلك الطبقة من ملاك الأراضى والمثقفين المصريين وعن موقف الرفض الذى اتخذته من استئثار الارستقراطية القديمة بالسلطة .

حقيقة بدأ التعبير عن هذا الموقف بمحاولة ضرب ذلك الاستئثار فى الجيش ، الا أنه امتد على عهد وزارة **البارودى** ليشمل نواحى أخرى مثل « إلغاء نظام السخرة الذى يفرضه (الباشوات الأتراك) على الريف المصرى » ، و « القضاء على اقطاع الماء واحتكار (الباشوات الأتراك) لمياه الفيضان » ، على حد تعبير البرنامج الذى وضعه عرابى للوزارة البارودية .

أكثر من ذلك أن الثوار - تطرفا أو استجلابا لولاء الفلاحين - قد فكروا فى توزيع بعض



الأراضى عليهم ، وتذكر المصادر أن بعض الضباط قد خطبوا فى الفلاحين فى الزقازيق مبشرين بأن « الأرض لمن يزرعها » .

ولعل هذا الاتجاه يفسر ذلك التشقق الذى أصاب التحالف الطبقى الذى قاد الثورة ، ممثلا فى ملاك الأراضى المصريين والضباط ، مما أدى إلى انحياز الملاك وعلى رأسهم سلطان باشا إلى الجبهة الخديوية فى نهاية الأمر .

جاء المسيح بثورة فكرية وصحح مفاهيم الناس

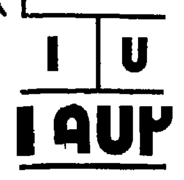
جاء المسيح إلى أرضنا ، لكي يقدم نفسه للناس ذبيحة حب ، لكي يخلص العالم ، ويفدى الخطاة الذين أولهم أنا . .

اذن فالخلاص او الفداء كان هو السبب الأول لميلاد المسيح . فهل كانت هناك أسباب اخرى ثانوية لميلاد المسيح .

نعم لقد جاء السيد المسيح لكي يصحح مفاهيم الناس الروحية ، لقد أعطى الناس فكرة جديدة عن الله ، الله المحب العطوف الحنون الذى ينظرون اليه كاب اكثر مما ينظرون اليه كسيد . .

كان الناس ينظرون الى الله كقوة جبارة لايستطيعون الدنو منها . حتى أنهم فى إعلان الوصايا العشر على الجبل ، كانوا مرتعدين وقالوا لموسى « تكلم انت فنسمع ، ولايتكلم معنا الله لئلا نموت » . أما فى مجىء المسيح ، فأراهم الله فى صورة اخرى . أخذوا فكرة عن الله صانع الخيرات ، محب البشر ، الله الوديع المتواضع الهادىء ، الذى يجول بينهم كراع صالح يسعى فى طلب الضال ، وكطبيب يضمد الجروح « قصبة مرضوضة لايقصف ، وفتيلة مدخنة لايطفىء » .

السيد المسيح اعطى الناس فكرة أن الله محبة ، والمحبة تطرح الخوف الى خارج . ولأول مرة أصبح الناس ينادون الله كأب ، ويصلون له قائلين « أبانا الذى فى السموات » .



وأصبح الناس يتكئون فى حضن الله ، ويسكنون فى قلبه ، ويحبونه ، ويتمتعون بحبه . . لم يعد الله مخيفا بالنسبة اليهم ، ولا مرهبا ، ولم يعد بعيدا عنهم يسكن السماء ، وهم يسكنون الأرض ، بل عرفوا ان الله يسكن معهم ، بينهم ، حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون فى وسطهم ، هو معهم كل الأيام والى انقضاء الدهر . لذلك دعوه « عمانوئيل » الذى تفسيره « الله معنا » . .

وكما أعطاهم السيد المسيح فكرة عن الله المحب ، اعطاهم كذلك مفاهيم جديدة عن الحياة فى سمو عجيب .

اعطاهم مفهوما جديدا للقوة ، كانوا يرون قبلا أن القوة هى العنف ، هى الجبروت ، هى إذلال الغير والانتصار عليهم ، فأراهم أن القوة هى قوة الروح فى الداخل ، قوة الروح التى تستطيع أن تنتصر على الجسد وشهواته وعلى العالم ورغباته . قوة الانسان الذى ينتصر على ذاته ، قبل أن يفكر فى الانتصار على الآخرين ، قوة المحبة الباذلة ، التى تبذل ذاتها عن غيرها . أعطاهم فكرة عن القوة التى تستطيع أن تصعد على الصليب لكى تسفك دمها لأجل حياة الناس . .

اعطاهم أيضا مفهوما جديدا سليما عن الحرية . كان الناس يفهمون الحرية بمعنى أن يفعل الانسان مايشاء ، فوضح لهم أن الحرية الحقيقية هى تحرر الانسان من الخطية ، وتحرره من عبودية الشهوة ومن سلطان الجسد ومن سلطان العادات ، بل بالأكثر تحرره من الذات . . وهكذا تنطلق روحه حرة فى علاقتها مع الله لايعرقل طريقها الروحى شىء من العالم . .

كذلك جاء السيد المسيح بمفهوم جديد عن المحبة ، نادى فيه حتى بمحبة الأعداء ، وقال عبارته الخالدة « احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » . وقال للناس « إن أحببتم الذين يحبونكم ، فأى أجر لكم ؟ ! . . وان سلمتم على الذين يسلمون عليكم ، فأى أجر لكم ؟ ! . . الخطاة أيضا يفعلون هكذا » . . إن محبة الأعداء مبدأ عجيب نادى به المسيح فقدم مفهوما عجيبا للحب . .

وهكذا علم الناس الهدوء والمسالمة والصلح ، وشراء محبة الناس بأى ثمن ، واحتمال الكل فى طول اناة عجيبة . .

فقال عباراته الخالدة « من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا » ، « من سخرك ميلا ، فامش معه ميلين » ، « من اراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا » .

وهكذا نادت المسيحية بالمسالمة « على قدر طاقتكم ، سالموا جميع الناس » ، وقالت ايضا « اسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم اليها ، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة محتملين





بعضكم بعضا بالمحبة ، مسرعين الى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل ، لكى تكونوا جسدا واحدا وروحا واحدا ، كما دعيتم الى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد ، اله واحد . . » .

وكما أدخل المسيح مبدأ المسالمة الى العالم ، أدخل أيضا مبدأ الاتضاع ، وانسحاق القلب ، قبل المسيح كانت العظمة هي هدف كل قلب ، أما المسيح فنادى بعكس هذا كله . .

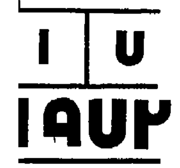
قال « إن دعيت الى وليمة ، فاجلس فى المتكأ الأخير » . . وقال لتلاميذه « من أراد فيكم أن يكون أولا ، فليكن آخر الكل . . ومن اراد فيكم ان يكون سيدا ، فليكن عبدا للكل . . » . وفى المسيحية بدا الناس يسمعون عبارة جديدة هى « نكران الذات » . وهكذا علم المسيح قائلا « من أراد ان يتبعنى » ، فلينكر ذاته ، ويحمل صليبه ويتبعنى » . . « من يتضع يرتفع ، ومن يرتفع يتضع » . . والمسيح نفسه أخلى ذاته ، وأخذ صورة العبد . وفى إحدى المرات تمنطق بمئزر وغسل أرجل تلاميذه . .

فى إخلائه لذاته ، أعطانا فكرة أن العظمة لاتنبع من مظاهر خارجية ، ولا من رفعة تحيط بالانسان . وإنما العظمة الحقيقية تنبع من الداخل ، من كنه الذات النقية . كلما يصير القلب نقيا ، يأخذ صورة الله . . ويصير عظيما حقا . .

وقد علمنا المسيح أن العظمة فى الاتضاع ، وأن الانسان كلما ينزل ، هكذا يرتفع . فالمتواضعون بقدر ما يهبطون الى أسفل ، يرتفعون الى فوق ، **أو أن صح التعبير يهبطون الى فوق** . ! هم باستمرار يهبطون الى الأعالى الكائنة فى الأعماق ؛ لأن السيد المسيح أعطانا فكرة جديدة عن العلو والعمق ، فعلمنا أن العلو هو العمق ، وأن العلو يوجد تحت فى الاتضاع ، وليس فوق فى الكبرياء . . حقا أن المتضعين يرتفعون فى هبوطهم ، والمتكبرين يهبطون فى صعودهم . وكل من يريد أن يصعد الى فوق ويلتصق بالله ، عليه أن ينزل الى الأرض ويقول مع داود النبى « لصقت بالتراب نفسى » . وإلهنا الناظر الى المتواضعات « يقيم المسكين من التراب . . ليجلس مع رؤساء شعبه » . .

أما الشخص الذى يرفع نفسه ، انما يهبط بمستواها الروحى . كلما انتفخ يتضاءل ويتضاءل حتى يصبح لاشىء . . مثل هذا شبهه القديس اوغسطينوس بالدخان الذى كلما يرتفع تتسع رقعته ، وكلما تتسع رقعته يتلاشى حتى يصبح لاشىء . . إنه درس أعطاه لنا المسيح المتواضع الذى فى اتضاعه شاء أن يولد فى مزود بقر ، من أم فقيرة ، فى رعاية نجار بسيط . . ولكنه استطاع أن يحول هذا المزود الحقير الى مزار عظيم يسجد فيه الملوك والأباطرة والعظماء وتجد البركة كلها فى تقبيل ترابه . .

هذه التعاليم الجديدة التى قدمها المسيح ، بهرت العالم كله ، فبهت الجميع من تعاليمه . وهكذا بعد ان ألقى عظته على الجبل قيل عنه « فبهتت الجموع من تعاليمه » . .



واستطاع المسيح المعلم الذى قلب موازين الناس الفكرية وأصلح مفاهيمهم الخاطئة ، استطاع أن يقول « سمعتم أنه قيل للقدماء . . أما أنا فأقول لكم » . **فى الوقت الذى ولد فيه السيد المسيح كان الكتبة والفريسيون وزعماء اليهود وكهنتهم ورؤساؤهم قد شوهوا كل شىء وفسروا الدين حسب أهوائهم** ، وأبطلوا وصيه الله بسبب تقاليدهم . . ووضعوا على أكتاف الناس أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، وأغلقوا ملكوت السموات قدام الناس ، فلا هم دخلوا ، ولاجعلوا الداخلين يدخلون » . .

لهذا جاء المسيح يقدم مفاهيم جديدة . جاء يقلب تلك الأوضاع الخاطئة ، ويقيم ثورة فى الحياة الدينية أوكما قال للناس « جئت لألقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت » . . جاء يشعل ثورة ، ما قبلها ثورة ، ولابعدها ثورة . . ثورة على الفهم الخاطىء للدين والفهم الخاطىء للمبادىء .

وأقام السيد المسيح دولة جديدة من الفكر العالى السامى سواء فى حياة الفرد ، أو حياة المجتمع كله ، أو فى نواته الأسرة . .

ورفع المسيح من شان المرأة وحماها من الطلاق . . كانت المرأة قبل المسيح سلعة يشتريها الرجل ، ويطردها متى يشاء ، دون أى سبب مقبول . . ولم تكن للمرأة مكانة فى المجتمع كما هو الحال بعد مجىء المسيح . . فاذا بالمسيحية تقول « ليست المرأة من دون الرجل ، ولا الرجل من دون المرأة » . . وأعطى المسيح تكريما جميلا للزواج ومفهوما جديدا قال فيه أن الزوج وزوجته لايصبحان بعد اثنين بل واحدا ، وأن الرجل ينبغى أن يحب امرأته ويهتم بها ، ولايسمح له بأن يطلقها إلا بعلة واحدة هى الزنا ، إذ أنها الشىء الوحيد الذى لايستطيع الرجل إن يحتمله ، وان استطاع أن يغفره فقد لايستطيع بعده أن يسترجع ثقته بالمرأة .

وخلاف هذا السبب الواحد لم يسمح المسيح بالتطليق . . وهكذا استقرت الأسرة المسيحية . واذ شعر الزوجان أن حياتهما واحدة حتى الموت اصبحا يحلان كل إشكال بعيدا عن احتمال الانفصال . . ومن هنا جاء الاستقرار . . **إنها مفاهيم جديدة روحية وضعها السيد المسيح فى كل مجال . ونحن حينما نحتفل بميلاد المسيح إنما نحتفل معه بهذا المولد العظيم لهذه المفاهيم والمبادىء السامية** .

نحتفل بهذا السمو الذى قدمه لنا المسيح فى حياة الروح ، إذ دعانا للكمال وللقداسة التى بدونها لايعاين أحد الله . وقال لنا « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل ، وكونوا قديسين كما أن اباكم الذى فى السموات هو قدوس » . .

ورفع المسيح من قيمة الانسان ، فجعله هيكلا لله ، هيكلا للروح القدس ، ابنا لله ، وصورة له على الأرض . .

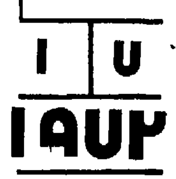


ولقد أثر فى قلبى هذا المعنى الجديد الذى وضعه لنا السيد المسيح ، حتى سجلته ـ وأنا طالب صغير ـ فى تلك الأبيات .

ما أنا طين ولكن
أنا فى الطين سكنت
لست طينا أنا روح
من فم الله خرجت
وسامضى راجعا لله
أحيا حيث كنت

فى مناسبة ميلاد المسيح اقدم تهانئى للجميع ، راجيا من الرب أن يعطينا بركة هذا العيد ، وأن يعطينا قدرة نسلك بها فى المبادىء الجميلة التى وضعها المسيح . واطلب من الرب بركة لدولتنا المصرية العظيمة ، وبركة لدولة الاتحاد العربى الناشئة . وأطلب سلامة لرئيسنا المحبوب انور السادات وللامبراطور الارثوذكسى هيلاسلاسى ، ولجميع اخوتى المواطنين فى مصر العزيزة وفى شرقنا المتدين . وكل عام وجميعكم بخير .





د . محمد أنيس

جولة ..
فى فكر عبد الناصر

لطالما راودتنى مثل هذه المحاولة ـ وبالذات بعد وفاة عبد الناصر ـ هل يمكن أن يبقى الفكر الاشتراكى الذى ارساه عبد الناصر ويتطور بعد رحيل عبد الناصر ؟ والواقع أن الانفتاح الذى جر المجتمع المصرى منذ ١٥ مايو من العام الماضى قد افاد اليمين وافاد اليسار على السواء ولكن اليمين هو الأقوى والأقدر على الحركة والأكثر تنظيما بينما اليسار اقل من ذلك بكثير فى كل ناحية ـ والاستعمار واليمين الغربى المخدوع لن يكتفى باقل من إزالة الفكر الناصرى تماما . اذن هناك علة للابقاء على الفكر الديمقراطى والاشتراكى فى مواجهة اليمين الذى يتحرك الآن ـ منتهزا فرصة الظروف الضاغطة بعد ١٩٦٧ ـ فى الظلام كالأشباح لتخريب الجبهة الداخلية ولكى تضعف من معنويات قواتنا على القناة ، وحتى بين الناس فيما وراء الجبهة .

هذا وغيره من العوامل تدفعنى الى مزيد من الايمان بأن الفكر الناصرى لابد من دراسته وبعمق . أقول ذلك وأنا على وعى تام بالاختلاف بين الفكر والعمل ، كما حدث فى الماضى ، أقوله وأنا على وعى أيضا بصلب المأساة التى تكمن فى قيام ثورة لتغيير القوى والعلاقات الاجتماعية الى الأمام بمؤسسات تنتمى الى العهد القديم المتخلف . وهنا يظهر كتاب لينين (الدولة والثورة) كدليل جاد على تجربة الفكر الناصرى .





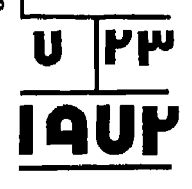
وعلى ذلك فأنا أدعو الى دراسة متعمقة فى فكر عبد الناصر لينطلق منه ومعه الجميع . ولفكر عبد الناصر عناصره المتعددة : التنمية الاقتصادية ـ التنظيم السياسى ـ القومية العربية ـ التلاحم مع الثورة العالمية وغير ذلك . غير أننى اعتقد أن الموضوع الذى تتفرع منه كافة التفريعات هو فهم عبد الناصر للتاريخ والقوانين التى تحكم التطور أو حركة التاريخ .

الاستمرارية فى فكر عبد الناصر

أولا : من الواضح أن عبد الناصر فى وثائقه الرئيسية الثلاث الى جانب خطبه كان شديد الميل لمعرفة ما حدث لشعبه قبل يوليو سنة ١٩٥٢ . إن أهمية ذلك تفترض أن الثورة لاتخرج من فراغ أو أن الجديد لابد أن ينبع من القديم ، ففكرة الاستمرارية عند عبد الناصر من أبرز أفكاره الرئيسية . ولا أريد هنا أن أشير الى الباب الثالث فى الميثاق عن جذور النضال المصرى ، فهو معروف لدينا جميعا ، ولكنى أود أن اقتبس من وثيقة مبكرة بعد قيام الثورة ، مباشرة وهى فلسفة الثورة فهو يقول مشيرا الى فكرة الاستمرارية هذه « إن هذه الخواطر ليست محاولة تاليف كتاب ولاهى محاولة لشرح أهداف ثورة ٢٣ يوليو وحوادثها ، انما هى شىء آخر تماما . إنها أشبه ما تكون بدورية استكشاف . انها محاولة لاستكشاف نفوسنا لكى نعرف من نحن وما دورنا فى تاريخ مصر المتصل الحلقات » . ثم يعود ليؤكد هذا المعنى فى نفس الوثيقة فيقول « إن كفاح أى شعب جيلا بعد جيل بناء يرتفع حجرا ، فوق حجر وكما أن كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها كذلك الأحداث فى قصص كفاح الشعوب » . وهو يحاول تطبيق القانون الأول من قوانين التطور على الواقع المصرى « لقد قام (الشعب) بمحاولة لم تحقق له الأمل الذى تمناه يوم تزعم السيد عمر مكرم حركة تنصيب محمد على واليا على مصر باسم شعبها . وقام بمحاولات متعددة لم تحقق له الأمل الذى تمناه فى فترة الغليان الفكرى التى عاشها بين الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩ ، وكانت الثورة الأخيرة ـ ثورة سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول ـ محاولة أخرى لم تحقق له الأمل الذى تمناه » . ومعنى ذلك أننا لانستطيع أن نفهم الحاضر أو نخطط للمستقبل الا بدراسة الماضى .

صراع المتناقضات محرك التاريخ

ثانيا : صراع المتناقضات . كان عبد الناصر سياسيا تجريبيا يفضل أسلوب الخطأ والصواب ، ولكنه كان مفكرا من الطراز الأول . فلقد تطور فكره من خلال قراءاته وتجاربه حتى وصل الى ما يصح بتسميته بصراع المتناقضات . فمن خلال هذا الصراع تخرج معالم الأوضاع الجديدة ، ويعتبر ذلك من أهم قوانين التطور . فهو يقول فى الباب الثالث من الميثاق « ومع أن اندفاع الشعب الى الثورة (ثورة سنة ١٩١٩) كان واضحا فى مفهومه الاجتماعى ، إلا أن قيادات الثورة لم تتنبه لذلك بوعى ، حتى لقد ساد تحليل خاطىء فى هذا الظرف ردده بعض



المؤرخين مؤداه أن الشعب المصرى ينفرد عن بقية شعوب العالم بأنه لايثور إلا فى حالة الرخاء . وقد استدلوا على ذلك بأن الثورة وقعت فى ظروف الرخاء الذى صاحب ارتفاع أسعار القطن فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . وذلك استدلال سطحى ، فإن هذا الرخاء كان محصورا فى طبقة ملاك الأراضى وطبقة التجار والمصدرين الأجانب الذين استفادوا من ارتفاع الأسعار ، وبذلك زاد التناقض بينهم وبين الكادحين من الفلاحين الذين كانوا يروون حقول القطن بعرقهم ودمائهم دون ان تتغير أحوالهم بارتفاع أسعاره . وكان هذا الحرمان فى القاعدة بتناقضه مع الرخاء فى القمة من أسباب الاحتكاك الذى أشعل شرارة الثورة . إن المحرومين كانوا هم وقود الثورة وضحاياها » . ثم يعود عبد الناصر ليقول فى هذا المعنى « إن ثورات الفلاحين ضد استبداد الاقطاع وصلت الى حد الاشتباك المسلح بين الذين ثاروا على عبودية الأرض وبين سادة الأرض المتحكمين فيها وفى أقدار الذين ارتبطت أقدارهم بها منذ اقدم العصور وإن كانوا منذ أقدم العصور قد حرموا منها . . إن الفئة المتحكمة فى العاصمة لم تكن تشعر باحتياجات الشعب ، وكانت غارقة فى حياتها المترفة لاتشعر بعذاب الجموع أو آلامها » . هذا بمثابة مفجر الثورة ، اقصد التناقض بين الشىء ونقيضه ! ، الجماهير الكادحة فى جانب والطبقة الحاكمة المالكة فى جانب آخر . . .

اهمية القيادة الواعية فى نجاح الثورة

ثالثا : دور القيادة . وكلما ازداد هذا التناقض بين الكادحين والطبقة الحاكمة المالكة تضاعفت امكانيات التغير الثورى ، غير أن السيادة الواعية لهذه الحقيقة تصبح ضرورة اساسية لقيادة هذه الجماهير ؛ بمعنى أنه هناك استحالة لقيام ثورة ناجحة رغم توفر التناقض بين الشىء ونقيضه مالم تتوفر القيادة الواعية لهذه الحقيقة . ولقد أدرك عبد الناصر ذلك مرارا وعبر عنه بحسم فى بيانه فى مجلس الأمة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤ ، مصورا الحالة فى مصر بعد حريق القاهرة فيقول « كان الشعب المصرى يومها فى صورة عظيمة كأنها صورة الانسان البطل فى أعماق البحر يصارع الاخطبوط الرهيب ويناضل لتحرير الحياة من أذرعه المتعددة ، وانتصر الانسان وسادت ارادته فوق ضراوة الوحوش . كيف كانت الصورة العملية لانتصار الانسان المصرى يومها ؟ كانت الصورة العملية للانتصار هى أن بعض الطلائع المنتمية بالولاء للشعب تحفزت تتلقى من الشعب نفسه سيدها ومعلمها العظيم ارادته ، ثم تضع فى خدمته أول ماتملكه وأخر ما تملكه وهو حياتها ثم تتحرك استجابة لندائه » .

بل يطبق عبد الناصر فكرة ضرورة القيادة على تاريخنا بقوله « لقد سكت أحمد عرابى ولكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل فى آفاق مصر . لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بإصلاح الدينى ، وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين ، وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة ، وكانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة مالبثت أن انفجرت سنة ١٩١٩ .



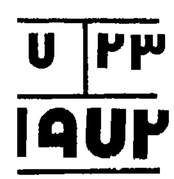
شمولية الحركة الثورية

رابعا : شمولية الحركة الثورية . ولعل عبد الناصر قد قصد بفكرة الشمول عن الحركة الوطنية المصرية أمرين :

إن الحركة الثورية المصرية لايجب أن تعزل نفسها عن الحركة الثورية العربية من ناحية ، وحركة الثورة العالمية ضد الاستعمار من ناحية أخرى . أما بالنسبة للنقطة الأولى ، فقد عبر فى مجال حديثه عن أسباب فشل ثورة سنة ١٩١٩ فيما كانت تسعى اليه للاستقلال الكامل ، ثم ابرزها بشكل حاسم ومقنع فى بيانه فى مجلس الأمة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤ حين عرض للوجود الاسرائيلى فى منطقة الشرق العربى ، ففى هذا البيان يتحدث عن شمولية المعركة ضد الاستعمار وشمولية السلام ايضا . قال « لقد كانت هناك محاولات للتجزئة تريد تفتيت المشاكل . تصوروا بالوهم أن اسرائيل هى مشكلة لاجئين تحل فلا يبقى من قضية فلسطين شىء ، وتصوروا بالوهم أن القوى التى صنعت اسرائيل يمكن أن تكون صلة بيننا وبين اسرائيل أو حكما أو طرفا محايدا . . تحطمت هذه الأوهام . إن خطر اسرائيل هو وجود اسرائيل كما هى موجودة الآن بكل ما تمثله . وأول ما تمثله كما يثبت استقراء التاريخ والتجربة هى أنها بغير الاستعمار لاتكون هى ، له ولخدمته ولأهدافه فى السيطرة والاستغلال يرتبط بذلك أن وجودها هو امتداد للوجود الاستعمارى وينبع من ذلك ان انتصار الحرية والسلام فى تصفية الوجود الاستعمارى لايمكن أن يمضى بغير أثر على الوجود الاسرائيلى . معركة واحدة متصلة وإن أتسع ميدانها ليشمل قارات بأكملها . وحين تحقق الحرية انتصارها الكامل فى أفريقيا فلسوف تصل الى ذلك مهما كانت الصعاب ، فان شمس الاستعمار الغاربة سوف تسقط فى المحيط تجر ذيلها وراءها ولن تهرب اسرائيل من المصير » . ثم يعود الى تأكيد هذا المعنى فى خطاب له فى استقبال خروشوف فى ٩ مايو سنة ١٩٦٤ بالاسكندرية « إن شعبنا يدرك أن قضية الحرية لاتتجزأ ، وأن قضية الرخاء لاتتجزأ كذلك ، فان نضال شعوب آسيا وافريقيا لايجرى فى عزلة عن نضال الأمة العربية » . كذلك نلحظ اتساع فكرة الثورة العالمية فى بيانه فى مجلس الأمة فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٠ حين قال « اننا متفقون مع الاتحاد السوفيتى على ايجاد حل سياسى للأزمة اذا كان هناك سبيل لذلك . وإن الاتحاد السوفيتى ينسق كل تحركاته السياسية معنا واتفاقنا كامل معه على ضرورة توافر شرطين فى أى حل سياسى هما :

١ ـ أن العرب لايمكن أن يقبلوا الا الانسحاب الكامل من أراضيهم .
٢ ـ أن العرب لايمكن ان يقبلوا أى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

والاتحاد السوفيتى أوفى بكل تعهداته تجاهنا فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية .



خامسا العلاقة بين البناء التحتى والبناء الفوقى فى المجتمع . وحول هذه العلاقة يقول عبد الناصر فى الباب الخامس من الميثاق بوضوح تام « إن من الحقائق البديهية التى لاتقبل الجدل ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للأوضاع الاقتصادية ، فإذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان ، فمن المحقق أن الحرية السياسية فى هذا البلد لايمكن أن تكون غير حرية الاقطاع . انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ويفرضه خدمة لمصالحه ، وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل . ولقد كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين رأس المال المستغل ، وكان محتما أن تكون الأشكال السياسية ـ بما فيها الأحزاب ـ تعبيرا عن هذه القوة وواجهة ظاهرة لهذا التحالف بين الاقطاع ورأس المال المستغل » .

. . . هذه ـ بعد قراءة لوثائق عبد الناصر السياسية وخطبة للجماهير وبياناته فى مجلس الأمة ـ هى النقاط الرئيسية التى يستطيع استخلاصها الباحث لفهم عبد الناصر لحركة التطور ، وهى مرة أخرى . الاستمرارية ـ صراع التناقضات ـ القيادة الواعية الشمولية ـ العلاقة بين البناء الفوقى والبناء التحتى للمجتمع .

وفى اعتقادى أن تصور عبد الناصر للتاريخ لايختلف كثيرا عما تسميه الاصول الماركسية « المادية التاريخية » ، وما يسميه بعض الكتاب الذين يتحاشون هذا التعبير فيقولون « التفسير الاشتراكى للتاريخ » أو « التفسير الاقتصادى الاجتماعى له » .

ومن هذا المنطلق لفهم التاريخ ينبع الكثير من مفاهيمه التطبيقية . شىء واحد ربما غاب عن عبد الناصر ، أو ربما لم يغب عنه ولكن الظروف السياسية التى قامت فيها ثورة سنة ١٩٥٢ حالت دون تحقيقه : وهو تكوين التنظيم السياسى البادىء بهذا الفكر المتقدم ، فاضطر عبد الناصر لأن يبنى حركة التطور فى المجتمع من خلال أجهزة العهد القديم . وكان ذلك عسيرا بل تطور الأمر الى أن اصبحت هذه المؤسسات تحاول الحيلولة بينه وبين الجماهير من ناحية ، وبينه وبين التطبيق السليم للاشتراكية فى كثير من الأحيان من ناحية أخرى .

إن من غرائب الأمور أن الرجل الذى شغل العالم كله وجذب شعوبه بالحب وأثار مشاعر البغض والحقد عليه من جانب الاستعمار وأعوانه ، لم يقدر لفكره دراسة متعمقة حتى الآن . ولاتقولوا أن السبب فى ذلك هو الانشغال بالمعركة مع اسرائيل ، فمثل هذه الدراسة تساعد مساعدة جادة على مواجهة اسرائيل والاستعمار الأمريكى من ورائها .





عبد الله الطريقي

لكي يكون البترول سلاحا ماضيا

لقد اثبتت الحرب الرابعة بيننا وبين اسرائيل - التى تساندها وتوجهها الولايات المتحدة الأمريكية - ان العرب أمة واحدة . واننا فى أوقات المحن ننسى كل خلافاتنا ونواجه الاخطار متحدين . وهذه نعمة كبيرة تبشر بالخير وبالمستقبل الافضل ، كما اثبت الانسان العربى انه إذا تم إعداده للقتال نفسيا وعسكريا فهو مقاتل لايقل شجاعة وايمانا عن شهداء معارك بدر واليرموك .

إن ما أريد ايضاحه فى هذه المقالة هو أن سلاح النفط العربى أمضى من كل أسلحتهم ، وأننا اذا اتقنا استخدامه فاننا سنحقق سلاما مشرفا لنا وللأجيال القادمة من بعدنا ، كما أنه قادر بسهولة بالغة ان يحول تخلفنا فى المجالات المختلفة الى تقدم . إننا كأقطار منفصلة محكوم علينا بالضعف والتخلف ، ولكننا كأمة تتعاون أقطارها لتطوير جميع امكانياتها والمحافظة على ارضها وثرواتها نكون نواة أمة عظمى . وفى الفترة القصيرة التى دامت فيها الحرب الرابعة ظهرت قوتنا كأمة عظيمة واضحة للعيان . والنفط الذى هو أمضى أسلحتنا يمكن اعطاء صورة مبسطة عنه على النحو التالى :

تحوى الأرض العربية ٣٣٩ بليون برميل من النفط المعروف وجوده فى الكرة الأرضية ، وهذا الرقم يمثل حوالى ٦٠٪ من احتياطى العالم من النفط . وينتج حاليا من الحقول العربية فى



منطقة الخليج العربى وشمال افريقيا مايعادل ١٨ مليون برميل فى اليوم أو ٩٠٠ مليون طن فى العام .

ومع أن الأمة العربية تنتج حاليا مايعادل ١٨ مليون برميل فى اليوم من انتاج العالم البالغ ٥٢ مليون برميل فى اليوم الواحد ، فانها لاتكرر اكثر من ٣,٥٪ من طاقة العالم على التكرير . والنفط العربى يصدر الى المناطق التالية :

١ ـ أوروبا الغربية وتأخذ ٤٩٧,٥ مليون طن فى العام .
٢ ـ اليابان وتأخذ ١٥٥ مليون طن فى العام .
٣ ـ الولايات المتحدة وتأخذ ٤٠ مليون طن فى العام
٤ ـ بقية أجزاء العالم وتأخذ ١٦٠ مليون طن فى العام .

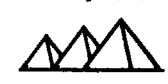
يتضح مما سبق أن المستهلكين للنفط بالدرجة الاولى هم الاوروبيون الغربيون واليابانيون . أما الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى فى الوقت الحاضر لاتأخذ مباشرة من النفط العربى إلا كمية ضئيلة لاتزيد عن ٤,٧٪ من مجموع استهلاكها اليومى البالغ أكثر من ١٧ مليون برميل .

ولكن الكمية التى تأخذها امريكا ليست كل الكميات التى تأخذها من نفطنا ، بل إن الكميات الحقيقية تزيد كثيرا عن هذه الكميات الضئيلة .

كانت الشركات الأمريكية الى أسابيع قليلة مضت تسيطر على أكثر من ٩٠٪ من احتياطى النفط العربى فى شمال افريقيا ، وما يعادل ٤٤٪ من احتياطى النفط العربى فى منطقة الخليج العربى ، ولم تكن الشركات الأمريكية تصدر إلا جزءا قليلا من انتاجها من الأرض العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، بل كانت تقيم صناعات نفطية متكاملة فى أوروبا الغربية واليابان وبقية أجزاء العالم معتمدة على النفط العربى الخام . ولكن هذه الحالة قد تغيرت كثيرا فى السنتين الماضيتين ، فقد بدات ابار النفط فى الولايات المتحدة الأمريكية تجف واصبح الانتاج السنوى من هذه الآبار اقل مما يكتشف سنويا . وبدات الولايات المتحدة الأمريكية تزيد من استيراداتها من الخارج حتى بلغ مجموع هذه الاستيرادات فى اليوم الواحد ما يعادل ٣٤,٢٪ من مجموع استهلاكها ، وهذه نسبة مئوية عالية وغير مطمئنة لهم ، خصوصا وان هذه الزيادة قد تضاعفت فى عام ١٩٧٢ . فاستيراد النفط الخام زادت نسبته ٥٠٪ والمنتجات النفطية زادت بنسبة ٤٥,٨٪ .

■ **ماذا قال كيسنجر ؟**

إن مصدر القلق الامريكى هو أن الحقول الأمريكية تنتج كل سنة أقل من السنة التى سبقتها



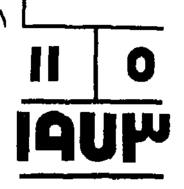
بما يعادل ٢,١٪ ، وفنزويلا وكندا ليس لديهما الاحتياطى الكافى لمواجهة زيادة الاستهلاك فى امريكا التى بلغت فى عام ١٩٧٢ أكثر من ٥٪ ، وحكام أمريكا أصبحوا يشعرون أن المنطقة الوحيدة فى العالم القادرة على إمدادهم بما يحتاجون اليه من المواد النفطية هى الوطن العربى . فخبراء امريكا يقدرون أن تضطر أمريكا الى استيراد مايعادل ١٢ مليون برميل فى اليوم فى عام ١٩٨٠ ، ثمانية ملايين برميل على الأقل من هذه الكمية لابد ان تاتى من الأرض العربية . وكانوا حتى الحرب الأخيرة مطمئنين على أنهم يستطيعون الحصول على كل ما يحتاجون اليه من المملكة العربية السعودية وايران ، وقد عبر عن ذلك هنرى كيسنجر وزير الخارجية الجديد فى رده على سؤال وجه اليه من السناتور كليفورد ب . هانزن عضو مجلس الشيوخ الامريكى :

« إن علاقاتنا مع اهم مصادر استيراداتنا من نفط الشرق الأوسط وهى السعودية وايران حسنة جدا . ونستبعد حدوث تطورات فى المستقبل تجعلهم يقطعون امداداتنا النفطية » . قال المستر كيسنجر هذا الكلام فى منتصف شهر سبتمبر ، وقطعت السعودية امدادات النفط عن الولايات المتحدة الأمريكية فى الأسبوع الثالث من شهر اكتوبر ، وتبعتها معظم الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط . وهذا يعنى حرمان أمريكا من النفط الذى يذهب مباشرة الى الموانىء الأمريكية ، والمواد النفطية التى ترسل لقواتها واساطيلها فيما وراء البحار (الشرق الأقصى وأوروبا الغربية والبحر الأبيض المتوسط) من مصادر عربية .

ماذا يعنى قطع النفط العربى عن أمريكا وهولندا ، وتخفيض كميات الانتاج بنسبة عشرة فى المائة تزيد كل شهر بنسبة خمسة فى المائة ؟

فى السبعة أشهر الاخيرة من عام ١٩٧٣ صدرت البلاد العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية ١٦٨ مليون برميل من النفط .

ولكن هذه ليست كل الكميات التى ترسل الى الولايات المتحدة الامريكية من مصادر عربية ، فهناك كميات كبيرة من المنتجات النفطية استخلصت من نفط خام عربى فى اماكن مختلفة من العالم تصدر الى الولايات المتحدة الامريكية . وقد زادت الكميات المصدرة من البلاد العربية الى امريكا هذا العام عن العام الماضى بنسبة تعادل ٦٣٪ ، وزادت كميات المنتجات النفطية المستوردة للولايات المتحدة الأمريكية من مصادر مختلفة بنسبة تزيد على ٤٨٪ . والزيادة فى النفط الخام جاءت بطبيعة الحال من المصادر الجديدة كالبلاد العربية وغرب افريقيا والشرق الاقصى . اما الزيادة فى المنتجات فقد أتى معظمها من أوروبا الغربية حيث توجد طاقة تكريرية ضخمة .



٦١

■ **كيف يمكننا منع النفط عن أمريكا ؟**

إن أعظم مراكز استيراد النفط العربى هى أوروبا الغربية واليابان . وأوروبا الغربية بطبيعة الحال جزء لايتجزأ من المعسكر الغربى وحلف الأطلنطى ومجموعة التعاون والتنمية الدولية ، وبهذه الصفة فان أوروبا الغربية ستهرع الى مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية فى حالات الطوارىء . **وبما أن أوروبا الغربية لديها طاقة تكريرية كبيرة تزيد عن الكميات التى تستهلكها ، فمن المنتظر ان تستخدم هذه الطاقة التكريرية لتعويض أمريكا عما فقدته نتيجة للمقاطعة العربية .**

ولكى نثبت للعالم كله أننا جادون فى منع وصول النفط العربى الى الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا فلابد لنا من **إحكام تخفيض الانتاج بحيث لاتتوفر كميات فائضة لدى من سمح بوصول نفطنا اليهم لكى لايصدر الى من تقرر منع النفط عنهم . واقترح أن نتبع الخطوات التالية :**

١ ـ تحديد الانتاج بطريقة متفق عليها بين البلاد العربية التى ستخفض انتاجها بطريقة توزع بها الكميات التى يقرر انتاجها كل شهر على البلاد العربية المختلفة ، كل حسب حاجته الى عوائد النفط ومقدار ما لديه من احتياطى النفط .

٢ ـ لابد ان تكون الصادرات العربية من النفط الخام الى كل بلد تتناسب مع متوسط الاستهلاك الفعلى للمنتجات النفطية لذلك البلد فى السنتين الماضيتين ، بحيث لايستطيع ذلك البلد تصدير الفائض لديه الى الولايات المتحدة الامريكية أو الى هولندا . وهذه نقطة مهمة جدا ، فأوروبا الغربية مثلا كمجموعة اقتصادية لديها زيادة فى الطاقة التكريرية عن مجموع استهلاكها قدرها ٢,٩ مليون برميل فى اليوم ، **فاذا استوردت اوروبا الغربية من النفط العربى كميات تعادل طاقتها التكريرية أمكنها تصدير هذا الفائض وقدره ٢,٩ مليون برميل فى اليوم الى الولايات المتحدة الامريكية بسهولة .**

■ **أولا هولندا** : وطاقة التكرير فيها ١٦٤٣٨٠٠ برميل فى اليوم ، بينما لايزيد استهلاكها اليومى للمنتجات النفطية عن ٧١٦٠٠٠ برميل . وهذا معناه أن هناك كميات كبيرة من المنتجات النفطية تبلغ مايعادل ٩٢٧٨٠٠ برميل يوميا يمكن تصديرها الى الولايات المتحدة الأمريكية .

■ **ثانيا ايطاليا** : لدى ايطاليا طاقة تكرير تبلغ ٣٦٣٠٠٠٠ برميل فى اليوم الواحد ، ومقدار ما تستهلكه ايطاليا من المواد النفطية فى اليوم الواحد يبلغ ٢٠٠٥٠٠٠ برميل ، واذا استخدمت ايطاليا كل طاقتها التكريرية يكون لديها فائض من المواد النفطية يبلغ قدره ١٦٢٥٠٠٠ برميل فى اليوم الواحد .





وتأتى بعدها فرنسا ثم انجلترا . أما المانيا الغربية واليابان فطاقتهما التكريرية أقل من حاجياتهما المحلية الفعلية .

يجب ألا نتوقع أثرا سريعا جدا لاجراءاتنا ، فالمخزون فى أوروبا الغربية من المواد النفطية يكفى لتسعين يوما على الأقل ، وسيحاولون سد النقص الحاصل من تخفيض صادراتنا بالمخزون وبتحديد استخدام المواد النفطية وكذلك العودة الى الفحم لتوليد الكهرباء . أما اذا أتى الى أوروبا شتاء قارس غير عادى ، فالكل سيشعر بقساوة الطبيعة ويتذكرون الأسباب التى من أجلها منع النفط عنهم . هذا فى أوروبا الغربية . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فان أثر قطع الامدادات النفطية عنها سيترك أثرا سيئا على الحياة ، وعلى الصناعة ، حيث أن أزمة الطاقة قد بدأت فعلا فى عام ١٩٧٢ . والاجراءات العربية ستزيد من حدة هذه الأزمة فى المدى القصير والطويل .

■ المخططات الأمريكية

بعد أن تسلم الدكتور هنرى كيسنجر وزارة الخارجية الأمريكية بدأت الدوائر الاقتصادية فى هذه الوزارة ـ بالتعاون مع وزارة الخزانة والتجارة فى تلك البلاد ـ فى وضع مخططات لضمان تدفق البترول العربى الى الولايات المتحدة الأمريكية لكى تسد كل النقص الناتج عن تناقص الانتاج المحلى وزيادة الاستهلاك . إن المخططات الأمريكية تهدف الى السيطرة على الاحتياطى النفطى ، وكذلك على عوائده . فالاحتياطى النفطى يضمن مواجهة الزيادة فى الطلب الأمريكى على المواد النفطية ، وتوظيف الأموال العربية فى الولايات المتحدة سيساعد الاقتصاد الأمريكى وسيقلل من الخسارة الناتجة من تحول ميزان المدفوعات لصالح الدول العربية نتيجة للثمن الباهظ الذى ستدفعه أمريكا للنفط المستورد ، والذى قدر له أن يبلغ ستة وعشرين ألف مليون دولار فى عام ١٩٨٠ (٢٦ بليون دولار). كما أن وجود أموال عربية بكميات كبيرة موظفة فى الصناعة الأمريكية قد يجعل بعض العرب يغضون النظر عن تصرفات حكومة الولايات المتحدة المعادية لأمتهم . وخبراء وزارة المال والتجارة الامريكية يتوقعون أن يكون الوضع المالى بين البلاد العربية المنتجة والمصدرة للنفط وبين الولايات المتحدة الامريكية على النحو التالى :

١ ـ سيبلغ صافى أرباح الشركات الأمريكية من صناعة النفط العربية ثلاثة بلايين من الدولارات فى عام ١٩٧٥ ترتفع الى ٤,٣ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ .

٢ ـ يقدرون دخلهم من خدمات النقل مع الوطن العربى بـ ١,٤ بليون دولار فى عام ١٩٧٥ وترتفع الى بليونى دولار فى عام ١٩٨٠ .

٣ ـ يقدرون أن يصدروا بضائع وخدمات الى الوطن العربى بقيمة ٥ بلايين من الدولارات فى عام ١٩٧٥ ترتفع الى ١٠ بلايين من الدولارات فى عام ١٩٨٠ .



٤ ـ إنهم يقدرون أن يزداد حجم صادراتهم مع البلاد الأخرى التى تحصل على عوائد نفطية (بلاد المرور) من ثمانية ملايين من الدولارات فى عام ١٩٧٣ الى ١,٧ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ .

٥ ـ يتوقعون فى وزارتى المالية والتجارة فى أمريكا أن تبدأ الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط بتوظيف أموالها الفائضة عن حاجتها فى الصناعة فى بلادهم ، فتبدأ هذه الأموال العربية تتدفق ابتداء من عام ١٩٧٥ بمعدل سنوى قدره ٢,٧ بليون دولار يرتفع الى ٥,٤ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ .

■ **هذه هى مخططاتهم ، فما هى مخططاتنا ؟**

إن امريكا كانت متأكدة بأنها مهما فعلت فإننا سنظل نرسل النفط والنقود اليها ، ولم يكن كل من المستر نيكسون ووزير خارجيته قادرين على فهم عمق الشعور القومى العربى ، وكان أبعد شىء عن تصورهم أن يعمد جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية الى قطع امدادات النفط عن امريكا وعن جميع المساندين للصهيونية ، وأن يصر ويصر معه المنتجون الآخرون على أن يظل قطع النفط وانخفاض الانتاج ساريا بزيادة مطردة حتى يتم جلاء الصهيونيين عن كل الأرض العربية وتعاد الى شعب فلسطين حقوقه المشروعه . كما يجب أن نتأكد أن مجموع التخفيض الناتج فى انتاجنا من النفط ، والذى يقدر أن يبلغ ٥ ملايين برميل فى اليوم نتيجة لتخفيضه بمقدار ١٠٪ فى معظم البلاد المنتجة الكبرى كالكويت والسعودية وقطر وأبو ظبى ، وكذلك منع النفط العربى من الوصول الى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا ، التى ستصاب فعلا بأضرار جسيمة لأن الحياة فى تلك البلاد الصغيرة تعتمد اعتمادا كبيرا على صناعة النفط ، فشركتها « رويال دوتش شل » تعتبر أكبر شركة مسوقة فى العالم للنفط ، وميناؤها روتردام يعتبر اكبر ميناء للاستيراد والتصدير للنفط الخام والمواد النفطية فى أوروبا . وهذا التخفيض يجب ألا يقلقنا على مواردنا من النفط المصدر ، فقد رفعت الاسعار بما يعادل ٧٠٪ لمواجهة الانخفاض فى القوة الشرائية للعملات التى تدفع ثمنا للنفط نتيجة للتضخم المالى فى الدول الصناعية الكبرى . وعليه فإن دخلنا سيزيد بالرغم من انخفاض انتاجنا .

■ **مخططاتنا للمستقبل**

لقد أظهرت وقفتنا الأخيرة لأننا امة يحسب حسابها اذا تحركت ككتلة اقتصادية واحدة ، وقد اعطت الأحداث الاخيرة كلا منا حجمه الطبيعى ، فبرزت مصر الخالدة كيانا عربيا ضخما ، وظهرت سوريا البطلة شجاعة ترفع الرءوس المنحنية ، كما برزت الجزائر نجما ساطعا فى سماء الأمة العربية ، وظهرت الكويت الصغيرة أكبر من حجمها كثيرا جدا واثبت كل





فرد فيها من أميرها الى أصغر انسان فيها على أنهم جميعا فخر للعرب وللعروبة ، كما أثبت الجيش العراقى ضرورة وجوده فى كل حرب عربية ضد اسرائيل . ولاشك أن مواقف جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ومعه امراء النفط مواقف مشرفة لكل عربى ، كما يجب أن نسجل بفخار وجود الجيش المغربى على جبهتى القتال ، وكذلك مواقف التضحية والنجدة التى اظهرتها مواقف حكومة الثورة الليبية .

■ تخفيض الانتاج العربى واثره فى الحقول العربية

ويجب أن نشكر ربنا على أن الأحداث قد جعلتنا نخفض انتاجنا بنسبة لاتقل عن ٢٧٪ من مجموع الانتاج العام ، فهذا التخفيض اعاد الانتاج الى الحجم الطبيعى والعلمى لانتاج هذه الحقول ، كما أن ارتفاع الأسعار بحوالى ٧٠٪ عما كانت عليه سيعوض النقص فى الدخل ويزيده .

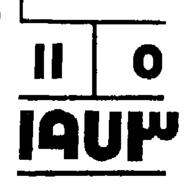
لقد كانت مخططات الدول المستهلكة للنفط العربى هى أن تستخدم النفط العربى لسد الفراغ الذى نتج عن خفض الانتاج الأمريكى وزيادة الطلب فى تلك البلاد على المواد الهايدروكاربونية ، وهم يعتقدون بأن أبحاثهم العلمية لايجاد بديل للمواد الهايدروكاربونية « النفطية » التى يأخذونها من بلادنا ستستمر من عشرة الى عشرين عاما قبل أن يتمكنوا من ايجاد بديل للنفط . ولو أننا أعطيناهم الفرصة لتنفيذ مخططاتهم وسمحنا لهم بزيادة الانتاج من حقولنا لمواجهة الطلب المتزايد على المواد النفطية فى بلادهم ، فسيصل مجموع الانتاج من حقولنا فى عام ١٩٨٠ الى حوالى ٦٠ مليون برميل فى اليوم ، وهذا معناه أن تجف الحقول العربية كلها فى فترة لاتزيد عن ١٨ عاما .

■ الأموال العربية وكيف يمكن الاستفادة منها ؟

يقدر دخل أكبر الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط والتى يزيد دخلها من النفط على حاجتها وفى نفس الوقت لديها احتياطى نقدى بكميات وافرة على النحو التالى :

	الدخل عام ١٩٧٣ مقدرا ببلايين الدولارات	الدخل عام ١٩٨٠ مقدرا ببلايين الدولارات
١ ـ المملكة السعودية	٤,٧	٢٥,٦
٢ ـ الكويت	١,٩	٦,٤
٣ ـ ابو ظبى	,٨٥	٦,٤
٤ ـ قطر	,٣٥	٢,٩
٥ ـ ليبيا	٢,١	٣,٥

أما احتياطى هذه الدول من النقد الأجنبى ، فيمكن تقديره تقديرا أوليا ، إلا أن الأرقام



التى نشرتها الأوساط المالية ومنها تقرير لمجلة « الايكونوميست » اللندنية يقل عما كان متوقعا أن يكون عليه وضع الاحتياطى النقدى مقدرا ببلايين الدولارات والأرقام

الاحتياطى النقدى مقدرا ببلايين الدولارات

	عام ١٩٧٣	عام ١٩٨٠
١ ـ المملكة العربية السعودية	٥	٧٥
٢ ـ الكويت	٣,٥	١٠
٣ ـ ابو ظبى	,٢٧	٨
٤ ـ قطر	,٤٦	٢,٥

مما سبق يتضح لنا أننا فى الفترة مابين عام ٧٣ و ١٩٨٠ نملك قدرات مالية يمكنها ان تلعب دورا هاما فى توثيق الروابط العربية وقيام مشاريع عربية مشتركة . والمسائل الملحة والتى يمكن استخدام عوائد النفط فيها مباشرة هى :

١ ـ اعادة بناء الاقتصاد المصرى والسورى وتعويض الدولتين المحاربتين عما تعرضتا له من اضرار نتيجة الحرب .

٢ ـ الاتفاق على تدبير الأموال اللازمة لاعادة تسليح الجيوش العربية وجعلها مستعدة للقتال فى اى وقت .

٣ ـ البدء فى تنفيذ المشاريع الكبرى على المستوى القومى كمشاريع الصناعات الثقيلة ومشاريع الرى والمشاريع الزراعية .

مرة أخرى لابد من التأكيد بأن الشعور بالمصير الواحد والقدر الذى ظهر اثناء فترة القتال ولازال بين الشعوب العربية من المحيط الى الخليج يجب استثماره الى أقصى الحدود الممكنة ، وذلك بوضع قواعد ثابته للحياة فوق الأرض العربية . فقد تحققت معجزة الوحدة العربية فى كل مكان ووقف العرب وقفة الرجل الواحد ، ومهمة كل فرد منا مهما كان مكانه أن يحافظ على وحدة الشعور هذه ، وهذا لايتم فى نظرى إلا بخلق كيان جديد كتنشيط مؤتمرات القمة أو تطوير الجامعة العربية . وتكون مهمة هذا الكيان قيادة الشعوب العربية فى محنتها لكى تحقق أمتنا انتصارها على أعدائها والطامعين فى ثرواتها ، وفى نفس الوقت بناء الاقتصاد العربى لكى يصل الانسان العربى فى جميع أوطانه الى مستوى معيشى يتناسب وغنى الأرض العربية



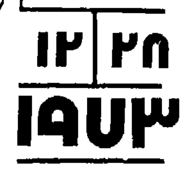
٦٢

د . زكـــى نجيب محمـود

قوميــة ثقافيــة

يخطىء افحش الخطا من يتوهم ان الوطن العربى الذى ننتمى اليه هو الرقعة الجغرافية وحدها ، التى تمتد من الخليج الى المحيط ، فذلك ضرب واحد من الانتماء ، هو الانتماء الى مكان بعينه ، اما الضرب الثانى من الانتماء ، وهو الذى بغيره لاتتكامل للمواطن أبعاده الحقيقية ، فهو الانتماء الى خط زمانى معلوم ، وأعنى به الانتماء الى تاريخ معين ، بكل ما تشمل هذه الكلمة من وجوه واغوار ، ولو كان الوجود المكانى وحده يصنع قومية ، لجاز ان نقول أن يومنا الراهن يكفينا دون امسنا القريب او البعيد ، اما اذا كانت القومية تتالف أساسا من بعدين متكاملين ، هما هذا الوجود الجغرافى الذى تحدده رقعة الأرض ، مضافا اليه وجود زمانى يمتد خلف ظهورنا الى حيث يشاء له تاريخنا ان يمتد ، فلا مناص عندئذ من أن يمتزج الماضى بالحاضر امتزاجا لافكاك لنا منه ، مهما تكن طبيعة المواقف التى تعترضنا وتتطلب منا القرار والعمل ، فحن عرب بالمكان وبالزمان معا ، بالواقع الحاضر وبالتاريخ الماضى ، بالموقع الجغرافى وبالثقافة الموروثة فى آن واحد .

فللعربى أن يهاجر الى أى أرض أراد لكنه سيظل عربيا بثقافته ، بتاريخه ، كما هو عربى بانتمائه الى أبويه ، وانه لمن التناقض أن يتشكك متشكك فى وجود الصلة الوثيقة بين حاضرنا وماضينا ، فى الوقت الذى يجرى شكه هذا فى لغة عربية لم يخلقها لنفسه صباح اليوم ،



٦٢

بل جاءته من ماضيه بمفرداتها وطرائق تركيبها ، وليست اللغة رموزا من نوع الرموز الرياضية المجردة ، **بل ان كل كلمة فيها مشحونه بفكر ووجدان ، تولد عن فكر أسلافنا ووجدانهم على طول التاريخ** ، ولو لم يكن فى مفردات اللغة واساليب تركيبها هذه الشحنة العقلية الشعورية ، لما استطاع كاتب أن يعبر بها عن فكرة تراوده أو عن شعور يختلج فى نفسه ، فأنت مثقف بثقافة عربية موروثة كلما استخدمت اللغة العربية كتابة وكلاما .

لقد أوقعتنى المصادفة ذات يوم منذ عشرين عاما ، على مجلة كانت تصدرها حينئذ جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ـ فيما أذكر ـ فوجدت بها ترجمة انجليزية لصفحة وردت فى كتاب **لتوفيق الحكيم** ، وكانت المادة المنقولة متعلقة بموقف تاريخى ، أظنه كان من مواقف **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ، وأراد المترجم الامريكى أن يوضح المعانى للقارىء ، فراح يكتب شروحا فى الهوامش ، تبين الخلفية التاريخية الثقافية التى لابد منها للقارىء الأمريكى حتى يتمكن من فهم العبارة المنقولة ، فهالتنى كثرة الشروح التى رآها المترجم ضرورية لذلك ، فبينما القارىء العربى تكفيه النظرة الواحدة السريعة الى ذلك النص المنقول فيلم بمعناه ، احتاج القارىء الامريكى الى عدة صفحات من الشروح الهامشية قبل أن يلم بذلك المعنى ، وذلك لان القارىء العربى ممتلىء بثقافته العربية امتلاء قد لايشعر به فى كل لحظة من حياته ، لكنه امتلاء يتبدى فى اللحظة التى يعايش بها الأقدمين ، عند النظر الى شىء من مخلفاتهم التى ورثناها ، على أن هذه المخلفات الموروثة ليست ترقيمات ميتة من مداد مسكوب على ورق ، بل هى معان وقيم ، فلا يكاد العربى يطالعها حتى تنزو فى عقله وفى قلبه حياة نابضة ، يحسها ، هو وان لم يحسها معه سائر البشر أجمعين .

لكننا نسىء الفهم أفظع اساءة ، لو ظننا أن هذا **البعد التاريخى الثقافى** الممدود خلف ظهورنا ليصل حاضرنا بماضينا ، من شأنه أن يرد الحاضر الى الماضى ، بمعنى أن أعود بكل مشكلات يومى هذا الى حلول أبحث عنها فى عصر مضى ، إذ الأقرب الى التصور الصحيح هو أن تلك الصلة الثقافية التاريخية ، من شأنها أن تستحضر ذلك الماضى حضورا يواجه العصر القائم وما تكتنفه من مشكلات ، والفرق بعيد بين رجلين : **أحدهما يفتح دفاتر السابقين بحثا عن صيغة تصلح لموقف حاضر ، واما الآخر فيرى أن مهمته هى أن يضيف دفترا جديدا من عنده إلى دفاتر السابقين** على شرط أن يجىء الجديد فى نفس الاطار الذى جاء فيه القديم ، ليتكون من المرحلتين تاريخ واحد لشعب واحد .

وأعنى بالاطار الواحد هنا ، وجهة النظر العامة الى الكون والانسان ، فها هنا تكمن أصول القومية الثقافية التى تتيح للفرد الواحد أن ينتمى الى أمته العربية انتماء بالبعد الزمنى ، كما ينتمى اليها بالوجود فى مكان جغرافى ذى حدود أرضية معلومة ، وثقافات الشعوب انما يختلف بعضها عن بعض اساسا فى وجهات نظرها العامة ، قبل أن تختلف فى



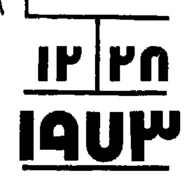


تفصيلات تلك الثقافات ، فمثلا قد يكون التصور الأخلاقى عند غيرنا هو أن مبادىء الأخلاق هى حصيلة خبرات بشرية طويلة ، فما قد ثبت بالخبرة الطويلة أنه فى صالح الناس أثبتوه فى قائمة الفضائل التى يجب على الأفراد مراعاتها فى سلوكهم العملى خلال حياتهم الجارية ، وهى وجهة من النظر تجعل الانسان جزءا من الطبيعة لايعلو عليها ، وأما مبادىء الأخلاق فى تراثنا نحن الثقافى ، فهى مبادىء فرضت فرضا على الطبيعة البشرية لتعلو بها وتتسامى ، ومعنى ذلك أنه اذا حدث اختلاف بين ما تمليه علينا الغرائز ، وما توجبه المبادىء الخلقية ، لم نتردد فى أن نجعل لهذه المبادىء أولوية على تلك الغرائز . . . شىء كهذا هو مما يكون لنا وجهة عامة للنظر ، نرى من خلالها ونحكم ، فاذا احتفظنا نحن المعاصرين بالنظرة نفسها التى كانت للأقدمين ، كان فى ذلك ما يكفى لوصلنا معا فى حياة ثقافية واحدة ، دون أن نلجأ الى نماذج بعينها عند هؤلاء الاقدمين من قول أو من عمل .

إن شر خيانة يخون بها المعاصرون امانة السالفين ، هى أن يقلدوهم تفصيلة بتفصيلة ، وموقفا بموقف ، وانما تصان الأمانة بان نحافظ على المنظار الذى يساعدنا على رؤية ما هو دقيق وما هو بعيد ، دون أن نتوقع رؤية المشاهد نفسها التى كان قد شهدها السابقون بهذا المنظار ، فمن الحقائق الحضارية الكبرى أن الحضارة المعينة تأخذ فى الانحدار اذا ظللنا نحاكى هذا الكمال نفسه كما وقع ، ولكنها تطرد اذا مابلغت درجة عليا من الكمال ، فى الصعود الى كمال اوفى اذا نحن اصطنعنا طريقة السير التى سار بها السابقون ، فالزمن تياره دافق ، والكائنات فى تغير لايقف لحظة ، وليس أمام الانسان حيال هذا التيار الجارف من صيرورة وتغير ، الا أن يختار واحدة من اثنتين : فإما أن يتقدم مع التيار ، وإما ان يذبل ويموت ، وأما أن يختار لحركة الزمن « **الوقوف** » عند خط حضارى معين بكل حذافيره ، أو « **الرجوع** » **الى نمط مضى** زمانه فذلك اختيار للمحال .

والتقدم مع التيار ـ كما قلنا ـ **لايقتضى التنكر للماضى ومبادئه** ، بل إن عكس ذلك تماما هو الصحيح ، لأن ذلك التقدم لاتنتظم خطاه إلا إذا جاء وفق خريطة فكرية رسمت على نظرة معينة الى الانسان وأهدافه ، وهذه النظرة لاتولد عند أصحابها لحظة بلحظة ، ولكنها ـ كالبوصلة عند ربان السفينة ـ تورث ليكون لها فى كل عصر تطبيق جديد .

حاضرا لابد أن يكون نسيجا من قديم وجديد ، القديم هو لحمته والجديد هو سداه ، وكيف يمكن للأمر أن يكون غير ذلك ؟ هل يطير الطائر إلا إذا ورث عن أبويه الجناحين ؟ وهل يبصر الرائى إلا إذا أمده السلف بالعينين ؟ إن الواحد منا ليسافر الى بلد فى أوروبا أو أمريكا ـ مثلا ـ فتصدمه ضروب من العلاقات البشرية لم يألفها ، فيرى الناس يحزنون لما يفرح له هو ، ويفرحون لما يحزن له ، يراهم يهتمون بأمور لا أهمية لها عنده ، ويتجاهلون أمورا لها كل الأهمية عنده ، فكثيرا ما يعجب لسلوكهم عجبهم من سلوكه ، فلكل من الطرفين خريطة حياة تحدد له





المواقع وخطوط السير ، تختلف عن خريطة الآخر فى حياته . . . وتلك هى الثقافة القومية التى بثت فيها قواعد النظر ومبادىء السلوك ، وهى ثقافة لاتولد لقومها بين عشية وضحاها ، بل هى كالشجرة التى لبثت على مر القرون تبدل أوراقا بأوراق كلما دار الحول وجاء الربيع ، لكن جذورها ثابتة فى الأرض ما بقيت لها فى هذه الأرض موارد الغذاء والسقيا .

واخطر الخطر ان يحملنا الاعجاب بشجرتنا الثقافية على أن نجمد أوراقها فوق غصونها ، فنلصقها بالصمغ حتى لاتسقط ، ونطليها بالأخضر حتى لاتصفر مع الخريف ، فالاعجاب بشجرتنا هذه انما يتحقق على أكمل وجه لو تركناها تبدل ثوبها مع دوام جذعها وجذورها ، فكما أن الداعين الى حاضر بلا ماض قد أخطأوا خطأ فاحشا ، فكذلك يخطىء مثل هذا الخطأ من يدعو الى ماض بلا حاضر ، نعم ان التزام الماضى بكل تفصيلاته طريق مأمون من الزلل ، لكنه كذلك طريق يسير بالسائر الى وراء ، ليعود به الى حيث كان الابتداء ، وتدفق الحياة يوجب على الكائن الحى أن يغامر فى الجديد المجهول حتى وإن عرضته المغامرة الى شيء من خطر ، على أن تجيء المغامرة مستندة الى أصول ثابتة ، كقصة الغلام - فى الاسطورة اليونانية - الذى أراد ارتياد جب مجهول ، فربط جسده بخيط وجعل أمه على رأس الجب ممسكة بالطرف الآخر من الخيط ، حتى لايضل ضلالا بلا عودة .

ليست الثقافة القومية ، أو القومية الثقافية ، كومة من أقوال هى أحسن ماقيل ، ولا من أعمال هى أفضل ماعمل ، ثم ما علينا إلا أن ننكت الكومة لنستخرج منها نموذجا من قول أو من عمل ، بل هى « وجهة نظر » نستخلصها من تلك الأقوال والأعمال ، لنسلطها على مشهد آخر من عصر جديد .





محمد حسنين هيكل

٦٣

كيسنجر ... ومعنى النجاح ؟ !

مع بداية سنة جديدة ، تلقيت كثيرا من الخطابات والبطاقات من أصدقاء بغير عدد فى كل أرجاء الدنيا . ومما افعله أحيانا فى هذا « الموسم » ، أننى أخلو إلى نفسى مع هذا الكوم من الخطابات والبطاقات ، أروح اقلبها واقرأ سطورها وما بين سطورها ، ثم أعود إلى أيام لى مع أصحابها ، وذكريات وحكايات وتجارب متنوعة مع الأفكار والناس والظروف !

▩ ▩ ▩

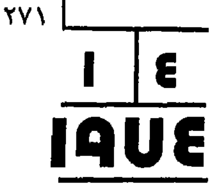
ولفت نظرى هذه السنة خطاب من صديق له مكانه المرموق فى واشنطن . وربما كان ما لفت نظرى أن اسم « هنرى كيسنجر » تكرر فى الخطاب أكثر من مرة ، لمحته وعيناى تجريان على السطور بسرعة . بداية الخطاب طبيعية . . . كلمات رقيقة وحلوة مما يتبادله الأصدقاء فى هذه المناسبات . ولكن اسم هنرى كيسنجر أكثر من مرة فى وسط الخطاب ، كان يستوقف ويستلفت .

كانت العبارة التى ورد فيها اسم هنرى كيسنجر أكثر من مرة وسط الخطاب كما يلى :

. . . .

. . . .

« أننى أستطيع أن أعرف أمانيك للعام الجديد ، وربما سمحت لنفسى أن أقول لك أن





أزمة الشرق الأوسط سوف تجد حلا سنة ١٩٧٤ .

لو أنك سألتنى عن أسباب عقلانية لهذا الذى أقوله لك ، لكان جوابى :

« ليست هناك أسباب يدعونى اليها العقل ، ولكن لدى أسباب يدعونى اليها الشعور » .

لا أعرف كيف أسميها ؟ . . أنك لست متحمسا لأحاديث التفاؤل والتشاؤم ، ولكننا فى أيام الأعياد تتملكنا نزعة شبه غيبية ، تجمح بنا كثيرا ، وتشرد مع خيالات المنى ومع الاحلام .

ومع ذلك فليس ما عندى خيالا وحلما ، وانما هو شىء أخر اسمه **احساس أو شعور .**

لقد رأيت هنرى (كيسنجر) بالأمس ، وكان عائدا من جنيف ، وكان فى حالة معنوية عالية ، كان عطر النجاح يفوح فى الجو من حوله ، وهذا مما جعلنى اطمئن .

لقد كنت ـ كما تتذكر من أحاديثنا الطويلة ـ اريده أن يأخذ أزمة الشرق الأوسط فى يده ، وكان هو يتردد دائما ، وكان يقول كثيرا : « اننى لا اقترب من ازمة الا إذا ضمنت على الأقل ان خمسين فى المائة من عناصر نجاحها فى يدى ، إننى أستطيع ان اقامر وفى يدى خمسون فى المائة ، ولكنى لا استطيع أن اقامر مبتدئا من الصفر » .

كان « هنرى كيسنجر » يردد ذلك دائما ، ويقوله كثيرا ، والآن فان ازمة الشرق الأوسط فى يده ، واعتقادى أنه سوف ينجح فيها ، إنه رجل أصابه « إدمان النجاح » ، وسرى فى كل عروقه وخلاياه !

هو رجل لا يريد لنفسه شفاء مما أصابه وهو كأى مدمن لا يعرف لنفسه شفاء إلا جرعة أخرى من الداء الدواء ! »

. . . .

. . . .

لفتت نظرى هذه العبارة ـ كما قلت ـ فى وسط خطاب من صديق له مكانه المرموق فى واشنطن ، لفتت نظرى بما فيها **ثم انها استعادت إلى ذاكرتى مرات سابقة تكرر فيها ذلك المعنى على سمعى .**

كان آخر من أعاده على سياسى عربى بارز قال لى بالحرف تقريبا :

ـ هل يعقل يا أخى أن يقامر الرجل بكل ما حققه فى العالم حتى الآن ويرضى لنفسه بأن يفشل فى حل أزمة الشرق الأوسط . . . لابد فى رأيى من أن ينجح ، وهو لا يريد هذا النجاح من أجل خاطرنا ولكن يريده من أجل خاطر نفسه ، من أجل تاريخه ، من أجل غروره حتى إذا هبطنا





بحوافز الحركة لدى الانسان إلى هذه الدرجة . إلا ترى ذلك ؟ »

خطر لى أن اعالج هذا الموضوع فى هذا الحديث اليوم !

ولعلى اقول بداية :

■ **اننى أوافق** على أن الدكتور هنرى كيسنجر قد أصابه « **إدمان النجاح** » ـ وبالفعل فإن الرجل تعرض لعدد من أهم قضايا العصر ونجح فيها ، وأحاطه النجاح بهالة ملونة لا أظن أن غيره من وزراء الخارجية فى العالم لهم مثلها !

■ **اننى أوافق** على أن الدكتور هنرى كيسنجر سوف يحاول إلى أقصى جهد أن **ينجح** فى إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط ، أو على الأقل فى المساعدة على ايجاد حل لها .

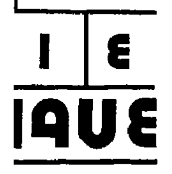
■ **اننى أوافق** على أن الدكتور هنرى كيسنجر لن يسمح مهما كان الثمن **لأسطورة النجاح** التى أصبح بطلا لها أن تضيع أو تشحب أو حتى تتعرض للضياع أو للشحوب .

ذلك كله أوافق عليه فى البداية ، وربما اضفت :

ـ إن السياسة الأمريكية تضع هذا العنصر من عناصر التاثير النفسى فى الميزان وهى تحاول إقناع العرب بتقبل دور رئيسى للولايات المتحدة فى محاولات حل أزمة الشرق الأوسط .

وربما رويت للتدليل على ذلك طرفا مما جرى فى مقابلة شهيرة بين الرئيس الأمريكى « ريتشارد نيكسون » وبين أربعة من وزراء الخارجية العرب وقد تمت هذه المقابلة فى البيت الأبيض الأمريكى فى واشنطن ، يوم ١٧ اكتوبر الماضى وكانت الحرب فى الشرق الأوسط دائرة رحاها ، وكانت الحرب ومضاعفاتها هى موضوع هذه المقابلة ، وكانت ابرز هذه المضاعفات وقتها هو أن الولايات المتحدة بدات جسرا جويا وبحريا من المعونات العسكرية لاسرائيل ، كما أن الرئيس الامريكى أعلن عن اعتمادات طارئة رصدها لهذه المعونات قيمتها الفان وثلاثمائة مليون دولار !

كان وزراء الخارجية العرب ـ وكلهم فى نيويورك لمناقشات مجلس الأمن حول الحرب والأزمة ـ قد التقوا جميعا ، والجو متوتر والأحداث آخذة بنواصى بعضها متلاحقة متدافعة ، ثم قرروا أن الموقف يحتاج إلى مواجهة مباشرة مع القمة الأمريكية .



واتفقوا على أن يبعثوا وفدا يمثلهم من نيويورك إلى واشنطن واختاروا لهذا الوفد أربعة منهم : وزير خارجية المملكة العربية السعودية السيد عمر السقاف ـ ووزير خارجية الجزائر السيد عبد العزيز بوتفليقه ـ ووزير خارجية الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح ـ ووزير خارجية المغرب السيد أحمد الطيب بن هيما »

واتذكر أن السيد محمد المصمودى وزير خارجية تونس وكان بين وزراء الخارجية الذين حضروا جلسة اختيار أعضاء الوفد العربى الذاهب إلى واشنطن ـ قال لى :

ـ لقد اخترنا هؤلاء الأربعة ، ربما بالغريزة

لم يكن هناك اقتراع بالطبع ولا جرت انتخابات

ولكن الأمر كان اختيارا يبدو عفويا لأول وهلة ، ولكننا عندما نتامله أكثر ندرك أنه لم يكن عفويا إلى هذا الحد

لقد كان بينهم المعتدلون والمتشددون ـ وفق التصورات الأمريكية ـ وكان هناك من تربطه بالولايات المتحدة صداقات تقليدية أو عداوات حادة ـ وفق التصورات الأمريكية أيضا ـ وربما أردنا ـ دون أن يكون ذلك متعمدا بطريقة فجة ـ أن يكون بينهم من تفوح حوله رائحة البترول لكى يشمها الرئيس نيكسون ! »

▦ ▦ ▦

المهم ، ذهب الوزراء العرب الأربعة إلى واشنطن ، وحدد لهم الرئيس ريتشارد نيسكون موعدا فى البيت الأبيض . وطلبوا أن يجيئوا معهم بمترجم لأن بينهم اثنين من اتجاه ثقافى فرنسى ـ بوتفليقه وبن هيما ـ وقيل لهم من البيت الأبيض أنه لا داعى لمترجم يجىء معهم وأنهم عندما يجيئون سوف يجدون مترجما أمريكيا مستعدا ، وعندما ذهبوا إلى موعدهم لم يجدوا مترجما ، وإنما وجدوا الرئيس ريتشارد نيكسون ومعه رجل واحد هو : هنرى كيسنجر وزير خارجيته .

وكما كان الاتفاق مسبقا بين وزراء الخارجية فقد كان الذى تولى الحديث هو السيد عمر السقاف وزير خارجية المملكة العربية السعودية .

وعرض الوزير السعودى وجهة النظر العربية بسرعة وهدوء وبدأ الرئيس نيكسون يرد .

كان بين ما قاله الرئيس نيكسون :



- أن الولايات المتحدة على استعداد لبذل نفوذها من أجل حل للأزمة بعد أن يتم وقف إطلاق النار »

ثم قال :

- ان الولايات المتحدة تساعد اسرائيل علنا وبدون أى محاولة للتستر لأنها ملتزمة بضمان أمن اسرائيل »

ثم قال :

- ان امريكا هذه المرة سوف تتخذ موقفا مختلفا عن موقفها سنة ١٩٦٧ : ذلك « لأنكم سنة ١٩٦٧ اثرتم الدنيا ضدنا وقطعتم علاقاتكم معنا ، وأما هذه المرة فانكم جئتم الينا وطلبتم منا أن نمارس نفوذنا فى حل الأزمة » .

ثم قال وهذا هو الأهم فى موضوع هذا الحديث :

- لقد كلفت الدكتور كيسنجر بأن يقوم بدور رئيسى باسم الولايات المتحدة فى حل هذه الأزمة الخطيرة التى وصلت إلى درجة الحرب ، وهى حرب قاتلتم فيها بشرف واستطعتم فيها تغيير موقفكم ، ومن ثم فانكم تقبلون على مواجهة الحل بغير مركبات نقص مما كان يصنعه عجزكم أمام اسرائيل بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ »

ثم التفت إلى هنرى كيسنجر واشار إليه كانه يقدمه للوزراء الأربعة العرب ، واستطرد يقول :

- هذا هو أمامكم . . . هنرى كيسنجر

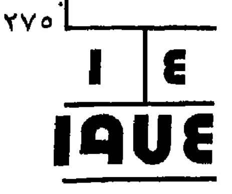
قد يقول بعض الناس أنه يهودى ولكنى أقول إن ولاءه للولايات المتحدة الأمريكية ، ثم انه ينفذ سياستى

لقد استطاع من قبل أن يحل مشاكلنا مع الاتحاد السوفيتى ، واستطاع أن يحل مشاكلنا مع الصين ، واستطاع ان يحل مشكلة فيتنام

وقد نجح فى هذا كله وهو حريص على رصيده من النجاح .

إنه حصل على نصف جائزة نوبل للسلام ، وهو لا يريد ان يفقد استحقاقه لهذه الجائزة ، واريدكم ان تتعاملوا معه »

واستمر الحديث بعد ذلك وبعض ما فيه خارج عن موضوعى اليوم ، وعاد الوزراء العرب الأربعة إلى نيويورك لجلسة عقدوها مع بقية زملائهم من وزراء الخارجية العرب ،



٦٣

وراحوا يحاولون تقييم ما سمعوه وكان تقديرهم فى النهاية وفق تقرير كتبه السيد محمود رياض الأمين العام لجامعة الدول العربية ـ وكان يتولى تنسيق الجهود العربية فى نيويورك ـ كما يلى :

■ أن الموقف الأمريكى مثقل بالالتزامات تجاه اسرائيل

■ أن الولايات المتحدة وعدت بجهد نشيط فى حل الأزمة يتولاه الدكتور هنرى كيسنجر

■ أن النصيحة التى يقدمونها لدولهم هى : التمسك بوحدة العمل العربى ومواصلة النضال بكل الوسائل ، والضغط إلى اقصى حد ممكن بالسلاح وبالبترول وبالنفوذ السياسى حتى يمكن إحداث تاثير أكبر وأعمق على الموقف الأمريكى »

كان ذلك يوم ١٨ أكتوبر ، وفى اليوم التالى ـ ١٩ اكتوبر ـ طار الدكتور هنرى كيسنجر إلى موسكو لمحادثات مع ليونيد بريجنيف ، وبدت حركة القوتين العظميين على القمة الدولية ظاهرة ومؤثرة ، ومساء ٢٠ اكتوبر دعى مجلس الأمن فجاة إلى الاجتماع وجىء باعضائه جميعا من حيث كانوا فى عطلة نهاية الأسبوع وصدر قرار وقف إطلاق النار فى الساعة الأولى من يوم ٢١ اكتوبر لكى يكون نافذ المفعول فى الساعة السادسة مساء اليوم التالى ٢٢ اكتوبر .

ومن لحظتها بدأ دور الدكتور هنرى كيسنجر فى المقدمة من محاولات حل الأزمة

رجل أصابه « إدمان النجاح » . . .

رجل وراءه رصيد ضخم من النجاح » . . .

رجل « مصمم على النجاح » يريد أن يحتفظ بحقه فى نصف جائزة نوبل للسلام

⁂

هناك نقطة أساسية فى هذه القضية ، قضية « النجاح » ، ولابد أن نتوقف عندها وبتركيز شديد لأنها نقطة العصب او القلب أو الصميم فى المسألة كلها

هذه النقطة هى « تعريف النجاح »

« ماهو معنى ان ينجح احد ـ هنرى كيسنجر وغيره ـ او لا ينجح فى مهمة حمل نفسه بها او حمله بها اخرون ؟

إن النجاح ليس معنى مطلقا ، وانما النجاح لابد أن يكون قيمة منسوبة بالقياس إلى معيار معين





***

إن الهدف المحدد لشخص ما هو المعيار الوحيد الذى يمكن أن نقيس عليه نجاح أو عدم نجاح أى جهد يقوم هو به . اليس كذلك ؟

على أساس الهدف المحدد لأى شخص ، فاننا نستطيع أن نقيس جهده ، وهل نجح فيه أو لم ينجح ؟

إن النجاح يختلف من شخص لآخر مع اختلاف الهدف بين الاثنين ، بل اننا نكاد نصل إلى تعارض تام فى قياس النجاح مع اختلاف الأهداف بالنسبة لموضوع واحد .

بمعنى أن ما يعتبر نجاحا ـ فى موضوع معين ـ بالنسبة لأنور السادات مثلا ، يعتبر فشلا لجولدا مائير

ما يعتبر نجاحا بالنسبة لليونيد بريجنيف مثلا ، يعتبر فشلا بالنسبة لماوتسى تونج .

اى أن نتيجة واحدة محددة قد تعنى شيئا ، وقد تعنى هى نفسها نقيض الشىء ـ بالنسبة لطرفين تختلف أهدافهما .

***

وإذا طبقنا ذلك عمليا على هنرى كيسنجر ، وهذا هو موضوع حديث اليوم فاننا لابد أن نقول :

صحيح . . .

نحن أمام رجل اصابه « إدمان النجاح »

نحن أمام رجل لديه « رصيد ضخم من النجاح »

نحن أمام رجل « مصمم على النجاح » يريد أن يحتفظ بحقه فى نصف جائزة نوبل للسلام

صحيح

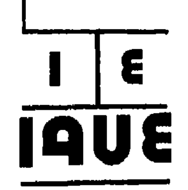
ولكننا يجب أن نسأل انفسنا .

ـ ما هو النجاح بالنسبة لهنرى كيسنجر فى أزمة الشرق الأوسط ؟ »

واذن فإن هذا السؤال لابد أن يقودنا إلى سؤال بعده :

ـ ما هى أهداف هنرى كيسنجر فى أزمة الشرق الأوسط ؟ »

إن الرجل بالطبع يريد أن ينجح فى هدفه وهذا هو المعيار الوحيد ـ كما اتفقنا ـ لقياس النجاح أو عدم النجاح



٦٣

الهدف هو المعيار
الهدف الذى يريده اى انسان هو قانونه للنجاح ، وإلا فنحن نخلط فى قوانين اللعبة السياسية وهى قوانين تربط النتيجة بالهدف

لعلى اضيف ، ولكى لا يكون هناك مجال للخطأ فى فهم ما اقول ، اننى واحد من المعجبين بمواهب هنرى كيسنجر . . . أعجبت به بصفة عامة ومن نتيجة متابعة دقيقة لفكره السياسى وتجربته العملية على أساسه ، ثم أعجبت به بصفه خاصة من نتيجة لقاء بيننا دام حوالى ثلاث ساعات اثناء زيارته الأولى للقاهرة فى شهر نوفمبر الماضى .

ولكنى عادة احب ان افرق وافصل بين الاعجاب العام او الشخصى ، وبين المصلحة الوطنية والقومية

وعلى سبيل المثال فلقد كنت معجبا بدافيد بن جوريون كرجل له إرادة استطاعت تحويل الأسطورة والوعد إلى حقيقة وواقع ، حتى إذا كانت الحقيقة مؤقتة والواقع محكوما عليه بالتاريخ

ومع ذلك فإن جيلى كله ـ وكنت قطرة فى البحر ـ قضى عمره كله فى صراع عنيف ودائم مع دافيد بن جوريون

أردت ان اقول وبغير تحرج اننى واحد من المعجبين بهنرى كيسنجر ، ولكن هذه ليست القضية ، لعلى اقول ما هو أكثر من ذلك :

ـ اننى اخشى ان ينجح هنرى كيسنجر فى حل ازمة الشرق الأوسط

ومبعث خشيتى هو أن نجاحه سوف يكون ـ وهذا هو المعيار الوحيد ـ وفق قانونه هو وليس وفق اى قانون آخر

اى انه قد ينجح ولكن السؤال الحيوى هو .
ـ ماذا يعنى نجاحه ؟
ما قد يكون نجاحا وفق قانونه هو ، قد لا يكون نجاحا وفق قانون غيره .

وهذا هو أختلاف الأهداف ، والهدف كما اتفقنا هو المقياس الذى نستطيع أن ننسب اليه .

وهكذا نجد أنفسنا امام السؤال النهائى :







- ما هى أهداف هنرى كيسنجر فى ازمة الشرق الأوسط وفى محاولته الآن لحلها ؟ »

قد أكون مخطئا وقد اكون مصيبا ، ولكن كل انسان يصف ما يراه ، بحدود بصره وحدود بصيرته ، فهذا هو الأفق لأى واحد منا

وهكذا فان حدود ما أراه فيما يتعلق بأهداف هنرى كيسنجر فى ازمة الشرق الأوسط وفى حلها هو كما يلى .

١ - الهدف الأول لهنرى كيسنجر - وللسياسة الأمريكية عموما - فى منطقة الشرق الأوسط هو حماية وضمان أمن اسرائيل

ولم يفصح هنرى كيسنجر فى احاديثه العامة ولا فى حديثه الخاص معى عن تصوره المحدود التى يتعهد فيها - وتتعهد أمريكا معه - بحماية وضمان أمن أسرائيل

وإذا جاز لى أن أجازف برأى فإنى أقول :

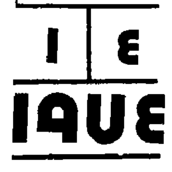
هو لا يوافق على توسع اسرائيلى إلى خط ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ولكنه لا يوافق على عودة اسرائيل إلى خط ٤ يونيو ١٩٦٧ . فى نقطة ما بين هذين الخطين يجد كيسنجر - وتجد امريكا - تعهدها بحماية وضمان أمن اسرائيل .

اين هذه النقطة بالضبط على الخريطة فيما يتعلق بمصر وفيما يتعلق بفلسطين وفيما يتعلق بسوريا ؟ - لا أعرف ، ولا اظن أن غيرى يعرف ، بل اكاد اقول انه هو - هنرى كيسنجر نفسه - حتى الآن لم يقرر !

٢ - الهدف الثانى لهنرى كيسنجر - وللسياسة الأمريكية عموما - فى منطقة الشرق الأوسط هو استمرار تدفق البترول العربى بدون انقطاع وبأسعار مقبولة

والبترول العربى كمصدر للطاقة ليس مسألة حياة او موت للولايات المتحدة فى هذه الفترة ، ولكنه مصدر للقوة الاستراتيجية وللقوة الاقتصادية

ولعلى أكرر القول - مرة أخرى - أن الطريقة التى استعملنا بها سلاح البترول حتى الآن لم تلحق ضررا كبيرا بالولايات المتحدة . ولعلى اتجاوز واقول أنها حتى الآن مستفيدة من هذه الطريقة ، فلعبة الأسعار تناسبها وهى الشريك الأعظم فى كل موارد البترول العربى وارتفاع اسعاره مكسب لها ، ثم ان هذا الارتفاع اداة لها فى إخضاع أوربا الغربية واليابان لسيطرة السياسة الأمريكية بغير تجاوز تحس به أمريكا من أوربا الغربية - وفرنسا بالذات - وبغير منافسة قاتلة تستشعرها امريكا من قوة النمو اليابانى المعجزة او الذى



كان معجزة ، اى ان لعبة الأسعار فى النهاية تقوى الدولار الأمريكى وتضعف أمامه الين اليابانى كما تضعف أمامه بقية العملات الأوروبية !

٣ ـ الهدف الثالث لهنرى كيسنجر ـ وللسياسة الأمريكية عموما ـ فى منطقة الشرق الأوسط هو المحافظة على سريان الوفاق فى هذه المنطقة الحساسة ، ذلك لأن المنطقة بكل ما فيها وبكل ما تمثله ، واحدة من المناطق التى يمكن أن تتحول فيها المنافسة فى ظل الوفاق الى احتكاك ساخن بين القوتين العظميين يفتح أبواب الخطر على مصراعيها

ونلاحظ ان هنرى كيسنجر بدأ محاولته النشيطة فى الشرق الأوسط بعد اجتماع مع ليونيد بريجنيف

ونلاحظ أن هنرى كيسنجر لم يذهب إلى بلد خلال اهتمامه بأزمة الشرق الأوسط إلا وكان السفير السوفيتى فى هذا البلد على موعد معه .

ونلاحظ ان رسائل هنرى كيسنجر إلى زميله فى موسكو أندريه جروميكو تكاد تكون يومية

٤ ـ الهدف الرابع لهنرى كيسنجر ـ وللسياسة الأمريكية عموما ـ فى منطقة الشرق الأوسط هو إعادة أو تثبيت النفوذ الأمريكى فيها كاملا ، ومنفردا

إن مفهوم الوفاق هو تجنب الصدام بين القوتين العظميين

ولكن تجنب الصدام ـ اى الوفاق ـ لا يعنى توافق المصالح بين القوتين العظميين ، ذلك لأن المنافسة بينهما عقائديا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا سوف تظل مستمرة .

ومؤدى ذلك ان كيسنجر لا يعتبر نفسه على طريق صدام مع الاتحاد السوفيتى فى المنطقة وهو لا يريد ذلك ، وانما هو يعتبر نفسه طرفا فى منافسة فى المنطقة مع الاتحاد السوفيتى وهو يريد ذلك .

ومطالبه من هذه المنافسة يمكن تحديدها منطقيا أو عمليا كما يلى :

■ إخراج السلاح السوفيتى ـ باعتباره الرمز الأكبر والأفعل لوجود الاتحاد السوفيتى فى المنطقة ـ وأبعاده عنها

■ تقليص النفوذ السياسى السوفيتى بكل الوسائل

■ أن يحدث ذلك ـ إذا حدث ـ بواسطة القوى المحلية فى المنطقة نفسها وبدون



تدخل أو ضغط مباشر من الولايات المتحدة ـ وذلك لكى لا يؤدى ذلك إلى احتمال احتكاك مباشر بين القوتين

٥ ـ الهدف الخامس لهنرى كيسنجر ـ وللسياسة الأمريكية عموما ـ فى منطقة الشرق الأوسط هو محاولة كسب صداقة النظم الحاكمة فيها ، ثم الشعوب التى تعيش على أرضها إذا أمكن :

■ وبالنسبة للنظم الحاكمة فإن الأولوية الأولى بالطبع موجهة إلى الصداقات التقليدية وخصوصا حيث يكون البترول . . . ولا باس بعد ذلك من نظم أخرى قد لا تكون صداقتها مع الولايات المتحدة تقليدية وقد لا يكون باطن الأرض فيها معبأ بمخزون البترول

■ وبالنسبة للشعوب فإن الافضلية بغير جدال هى للتعامل معها فرادى . . . كيانات منفصلة ، بدلا من التعامل معها كامة واحدة ، مرتبطة باستراتيجية موحدة . ولا باس هنا ايضا من تركيز اضافى على دول لها مكانتها فى المنطقة ولها وزنها شريطة ان تكون مستعدة للتجاوب !

. . . .

. . . . . .

هذه حدود ما أراه !

ولا أريد ان اكون ظالما للدكتور هنرى كيسنجر ، ولكنى لا أريد ان نظلم انفسنا

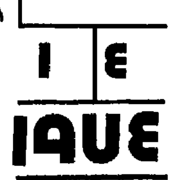
ثم اننا أيضا لسنا أصحاب حق فى أن نظلم نجاحه . . نجاحه وفق قانونه هو وليس وفق قانوننا نحن .

النتيجة فى النجاح أو عدم النجاح لا تقاس ـ كما قلت ـ إلا على الهدف

كان هدف هنرى كيسنجر فى الوفاق هو وضع أساس يضمن تجنب الصدام بين القوتين العظميين بعد تعادل قوة القتل الرهيبة بينهما ـ وقد نجح فى وضع هذا الأساس .

وكان هدف هنرى كيسنجر فى الصين هو فتح أبواب بكين لعلاقات طبيعية مع الولايات المتحدة بعد أن أصبح مستحيلا إنكار وجود ونمو وتعاظم قوة الصين الشعبية ـ وقد نجح فى فتح هذا الباب .

وكان هدف هنرى كيسنجر فى فيتنام هو سحب القوات الأمريكية منها بدون هزيمة



وكسب فترة من الوقت بعد الانسحاب لا ينهار خلالها النظام فى فيتنام الجنوبية ـ وقد نجح فى سحب القوات الامريكية ، ثم إن النظام الحاكم فى سايجون لا زال حتى هذه الساعة على قيد الحياة .

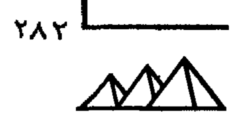
ولقد شرحت هدفه كما أراه فى أزمة الشرق الأوسط
ولعلى اقول :

ـ اننى لا أريد لهنرى كيسنجر ان ينجح فى الشرق الأوسط وفق قانونه .

لعلى اقول أيضا :

ـ اننى أريد لهنرى كيسنجر أن ينجح فى الشرق الأوسط وفق قانون آخر يتعين علينا ان نفرضه ، وقد فعلنا شيئا من ذلك يوم ٦ أكتوبر ، ولكن القانون لا يفرضه يوم واحد ، وانما يفرضه أن يتأكد مفعوله كل يوم . . وليس ضروريا ان يتأكد القانون بالسلاح وحده وإن كان علينا ان نتذكر أن السند النهائى لأى قانون هو قوة الإجبار الظاهرة ـ أو الكامنة ـ وراءه

حتى داخل المجتمع الواحد فإن السلطة فى النهاية سند القانون ، وفى مجتمع الدول تحل القوة محل السلطة ـ سندا نهائيا للقانون
أليس كذلك ؟ ! »



محمد سيد أحمد

ماذا تعنى .. حرية الصحافة ؟

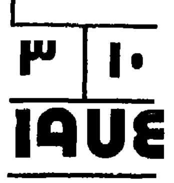
حرية الصحافة قضية جدير بنا أن نناقشها « فى المضمون » ، بعد انقضاء شهر على امر رئيس الجمهورية بالغاء الرقابة على الصحف ، وما زالت الحيرة تنتاب الكثيرين حول سبل ترجمة هذا القرار إلى ممارسة عملية .

ما المطلوب من كتاب الصحافة وأصحاب الراى ، حتى يكتسب الهدف الذى رمى اليه الرئيس السادات من إصدار هذا القرار ، كل معناه فى أذهان ووجدان شعبنا ؟

ذلك أن حرية الصحافة ليست ـ بالتاكيد ـ مجرد اختفاء الرقيب من صالة التحرير ، ولا هى مجرد إلغاء هيئة تتبع وزارة الإعلام ، وتملك سلطة حذف ما تراه من انباء ، أو التدخل لمنع ما تراه من تعليقات .

ولا تتوقف حرية الصحافة على مجرد نزع « الرقيب الداخلى » الذى يمسك بقلم الكاتب ، ولا على أن تكون المحاكم وحدها هى الحكم فى تقرير ما يجوز نشره ، والفصل بين ما يعتبر نقدا بناء ، وما هو تشهير ، أو سب ، أو انتهاك للشرعية ، أو طعن فى حق مواطن ، دون سند أو مبرر .

ثم يختلف مفهوم حرية الصحافة مع اختلاف مفهوم وظيفتها من موقع إلى آخر فى العالم . .



٦٤

قد يعنى فى **الولايات المتحدة** ـ كأبرز نموذج لمفهوم معين ـ حق ملاحقة رئيس الجمهورية حتى يحاط الجمهور علما بكل خفايا فضيحة ووترجيت . . وقد يعنى فى الصين ـ كأبرز نموذج للمفهوم المقابل ـ القدرة على قهر الأمية السياسية ، واستنهاض ٨٠٠ مليون صينى ، واستحثاثهم بجهد يفوق طاقة البشر على تخطى واقع تخلفهم ، فى إطار صحافة صارمة الانضباط ، تخضع تماما للتوجيه » رغم كل ما عرفته الثورة الثقافية من صحف حائط صاخبة ، زلزلت مراكز مسئولين على أعلى قمم السلطة .

وكان لمقالات صدرت فى **القاهرة** دوى هائل ، على الرغم من أنها لم تكن ـ يقينا ـ تجذب نفس الانتباه ، لو نشرت بنفس الاسلوب فى بيروت ، أو باريس ، أو لندن .

حرية الصحافة اذن لا تقاس بمقاييس « فى الفراغ » دون نظر إلى البيئة الاجتماعية التى تعمل فيها ، او الرؤية الاجتماعية التى تخدمها ، او الهدف السياسى الذى ترمى اليه .

ان حرية الصحافة ـ كسائر الحريات ـ تطرح دائما السؤال : **الحرية لمن** ؟ هل باعطاء الأولوية لحريات **المواطن الفرد** ، عملا بفلسفة مجتمعات الاستهلاك والوفرة ؟ أم باعطاء الأولوية للحريات **الاجتماعية** ، فلسفة أغلب المجتمعات النامية ، من أرضية « حاجة » ، والمجتمعات الاشتراكية ، من أرضية « مبدأ » .

والجدل يثور كلما تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة المجتمع ، أو تداخلت مجتمعات الحاجة مع مجتمعات الوفرة .

ومع ذلك ، هناك ضوابط تصلح محكا موضوعيا لاختبار حرية الصحافة ، وضمان عدم انفصالها عن الشعب ، ايا كان التصور عن وظيفتها ، على تباين البيئات الاجتماعية ، وعلى اختلاف الهدف السياسى .

الصحافة الحرة هى التى لا تترك مجالا لانتشار « الشائعات » . . أو « النكت » ، وتزيل مبرر ظهور « صحافة حائط » فى الجامعات ، إلى غير ذلك من المؤشرات التى تنم عن حاجة إلى التنفيس .

هى التى تقضى على « **ازدواجية اللغة** » بين ما ينشر وما يقال ، بين ما تردد وسائل الإعلام فى الداخل ، والأحاديث لوسائل الإعلام فى الخارج .

هى التى لا تجعل اللجوء إلى **الاذاعات الاجنبية** غذاء يوميا لاستقاء الخبر .

هى التى تزيل الحاجة إلى « الرمز » أو « الغمز » . ، أو التقريط والمدح ، سبلا لتسريب رأى ، وجواز مرور إلى صفحات الصحف .





ولن تزدهر حرية الصحافة على أية حال مع صحافة محدودة الصفحات ، يمتص الاعلان قبل الاعلام معظم مساحاتها ، والكثير من محرريها .

إن حرية الصحافة ـ كسائر الحريات ـ مسالة سياسية في المقام الأول . لا إنطلاق لها بعيدا عن السياسة . ولا قيمة لها لو كانت تلهى بدلا من ان تخدم .

ان الجماهير تتطلع ـ بعد ٦ أكتوبر ـ إلى إزالة المطبات في الشوارع ، وتحسين الخدمة في المستشفيات ، وحل مشاكل المواصلات ، ولها في ذلك كل الحق . ولكنها تعلم ـ وإن لم تكن تعلم ، فعلى الصحافة توعيتها ـ **بان المتاعب اليومية لن تحل بمناى عن قضايا المصير ، وما لم يتطرق « الراى الآخر » إلى صميم هذه القضايا المصيرية .**

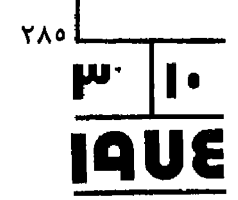
مثلا ، **رؤوس الأموال** المعلقة الآمال الواسعة على قدومها . . قبل أن تسهم في اصلاح الخدمات . . كيف ندرأ خطر **التضخم** . . ونقاوم **الغلاء** . . وتفشى **الفساد** . . ونضمن تنشيط أهداف **التنمية** ؟ ما هو شكل ، وحجم ، ونوعية **القطاع الخاص** القادر على إنجاز هذه المهام . . وما هى الاهداف التى لا غنى عن **قطاع عام** لتحقيقها . . وما هى المواصفات التى ينبغى أن يكون عليها هذا القطاع العام ؟

هذه مجرد نماذج معدودة عن الأسئلة العديدة المثارة . ولا حرية للصحافة ما لم تستحث كل ذى رأى على إجابات شافية لها .

لحرية الصحافة تقاليد عريقة في السياسية المصرية ، وبين الصحفيين المصريين . ناضلوا من أجلها ، وضحوا من أجلها .

وحتى تثمر تضحياتهم ، وتكلل جهودهم بالنجاح ، لابد أن تشعر مصر ، بالأفعال لا بالوعود ، بان صحافتها لا تحجب رأيا واحدا قادرا على خدمة تحرير مصر ، وخدمة تعمير مصر . . وأن حوار الاجتهادات ، المنطلقة من مختلف الرؤى ، هو أساس خصوبة الصحافة ، ومصدر حيويتها ، وأصالتها ، وفعاليتها . .





علـى أمـين

حريـة الصحـافة كمـا أفهمهـا

إن الزميل محمد سيد احمد يحاول فى مقاله ان يسجن حرية الصحافة فى أبوزعبل الاشتراكية المتطرفة !

إنها محاولة جريئة لتقليم اظافر حرية الصحافة ، ووضعها فى سجن مكتوب على بابه « جنة الأحرار » .

وينسى أن كل تحديد للحرية هو اعتداء صارخ عليها ، وهى اشبه بقص جناحى طائر ، ثم دعوته إلى التحليق فى الجو !

وينسى أن حرية الجماعة هى اسم مستعار اختاره الطغاة لخنق حرية الأفراد ، فقد كانوا يخطفون حرية الفرد ، ويوهمونه بأنهم استبدلوها له بحرية الجماعة . وإذا بحرية الجماعة هى فى الواقع حرية الحاكم واستعباد الشعب !

وأننى أوافق الزميل أنه يجب مع حرية الرأى أن نضاعف الصفحات ، ولقد اقتنع الرئيس السادات بهذا الرأى واعتمد مبلغ عشرة ملايين دولار لشراء مزيد من الورق للصحف المصرية .

ولكن أحب أن أذكر الزميل أن الدول الاشتراكية التى تؤمن بحرية الجماعة دون حرية الفرد ، لا توافق على رأيه . فإن جريدة « برافدا » الروسية تصدر فى ٦ صفحات من الحجم





الصغير ، وهى لا تسمح لأى كاتب باستخدام حرف « لا » إلا إذا كان زعيما أو سكرتيرا للحزب !

وحرية الصحافة التى أحلم بها لبلادى غير موجودة فى الولايات المتحدة ، ولا فى بلادى .

فإن معظم صحف أمريكا تخضع لأراء أصحابها ، وكل صحف الاتحاد السوفيتى تخضع لأوامر الحزب ، ولا تنشر نقدا للحكومة أو للحزب باعتبار أن الحرية المثالية هى أن يصفق الكاتب ، لا أن يعترض على القرارات !

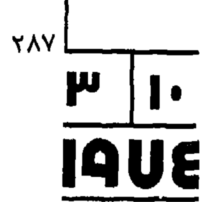
ونحن نريد حرية صحافة تعكس مشاعر الرأى العام وأفكاره المختلفة الاتجاهات . صحف تقول للحاكم « لا » إذا اخطأ ، وتقول « لا » للشعب إذا أغمض عقله !

صحف لا تمشى وراء الطوابير ، وإنما تقود الرأى العام .

صحف تناقش بصراحة التجارب التى مررنا بها ، وتحذرنا من الوقوع فى أخطاء الأمس ، وتساعدنا على تحويل هذه الأخطاء إلى تجارب نستفيد منها . . لا أضرحة أولياء لا يجوز التعرض لها .

نريد صحفا تشجعنا على التخلص من الخوف ! فإن الخوف الذى يعيش فى صدورنا اخطر من الرقيب الذى يعيش فى مكاتبنا .

نريد حوارا صريحا . . . لا إرهاب فيه من الدولة ولا من المتطرفين ولا مانع من أن نسمع بعد ذلك رايا ساذجا ينصحنا أن نحافظ على كرمنا ونموت من الجوع ، فى الوقت الذى تفتح روسيا ابوابها لراس المال الأمريكى ، وتفرش الرمل لكبار الراسماليين الأمريكيين !



د . عبد المنعم القيسونى

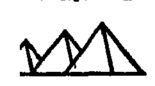
التطورات الاقتصادية فى العالم العربى

إن أهم تطور فى العالم العربى دون نزاع هو الزيادة الكبيرة فى إيرادات البترول . وقد بلغت هذه الزيادة أرقاما خيالية واستدعت إعادة الحساب والتقدير بين وقت وآخر تبعا لزيادة الانتاج ونظرا لارتفاع الأسعار مرة بعد الأخرى ، ونقدر بأن ايرادات البترول التى كانت تبلغ ٤,٧ بليون دولار سنة ١٩٧٠ سوف ترتفع الى ٩٢ بليون دولار سنة ١٩٧٥ ثم الى ١٥٠ بليون دولار سنة ١٩٨٠ . وهذه الزيادة تعنى أنه على حسب تقدير الفايناشيال تايمز انه لو استخدمت الدول العربية كل المبالغ التى تحتاج اليها للتنمية الاقتصادية الداخلية وكل المبالغ التى يحتاج اليها العالم العربى للتنمية الاقتصادية فى العالم العربى كله فانه سيتبقى لديها بعد كل ذلك رصيد يقدر بعشرات الآلاف من الملايين من الدولارات سنويا عاما بعد آخر .

وقد يتساءل البعض : لماذا أتحدث هنا عن فوائض بعض الدول العربية وأنا أنتمى الى دولة ذات عجز ؟

لقد شجعتنى على ذلك عدة عوامل منها :

□ أولا . أن الدول المتقدمة التى لاتربطها بالدول العربية صلة تذكر تبدى فى ذلك العديد من المقترحات ، فمنها من قال إن عملتها خير عملة يمكن أن تحتفظ بها الدول العربية ، ومنها من قال إن هذه الأموال يجب الاحتفاظ بها مقيدة أو محددة الحركة فى سندات غربية أو دولية طويلة



الأجل حتى لاتؤثر على النظام النقدى تأثيرا ضارا وبالتالى تؤثر على الدول العربية ذاتها ، وانطلقت « لجنة العشرين » التى أنشأها صندوق النقد الدولى للبحث عن الحلول اللازمة لاصلاح نظام النقد الدولى تقترح ضمن ما تقترح أن تستثمر الأموال العربية فى سندات وأذونات لايجوز لأصحابها استخدامها أو السحب عليها إلا بشروط معينة وفى ظروف محددة ، أى أنهم يريدون فرض نوع من الوصاية على الدول العربية ، ولكن الجامعة العربية أحسنت صنعا حينما جمعت الخبراء العرب ووزراء المالية العرب لبحث هذا الموضوع الهام وللدفاع عن أموالهم ، مما أدى الى قيامهم صفا واحدا لمعارضة هذه الاقتراحات فى « لجنة العشرين » فبدأت اللجنة تتراجع فى قراراتها . ولكن ما كادت « لجنة العشرين » تتراجع فى قراراتها الخاصة باستخدام هذه الأموال حتى ظهرت مقترحات أخرى تقدمت بها بعض الهيئات الدولية للاحتفاظ بهذه الأموال لديها ، وهى مقترحات تؤدى الى نفس الهدف وهو السيطرة على الأموال العربية بدعوى حسن استخدامها وبدعوى تثبيت قيمتها وبدعوى المحافظة عليها لصالح الأمة العربية ، وكأن الأمة العربية غير قادرة على تبين مصلحتها ومعرفة فائدتها ومعرفة الطريقة المثلى لتحقيقها .

□ ثانيا : فإن من العوامل التى شجعتنى على تناول هذا الموضوع ما قامت به الجامعة العربية من خطوات هامة فى هذا السبيل ، إذ استدعت أكثر من مرة لجنة من الخبراء الاقتصاديين العرب لدراسة نفس هذا الموضوع وللبحث عن أفضل الوسائل لاستخدام الفوائض العربية المختلفة ولعرض النتائج والتوصيات على الوزراء المختصين . وفى الاجتماع الأخير للجنة قدم الخبراء عدة اقتراحات ، منها إنشاء هيئة لضمان تمويل القروض العربية ، ومنها تنظيم التعاون مع المؤسسات المالية العربية ، ومنها دعم صناديق الانماء العربى ، ومنها زيادة القوى التصويتية للدول العربية فى الهيئات المالية الدولية ومناقشه الاقتراحات الخاصة بإصلاح النظام النقدى الدولى وقيام الدول العربية بدور فعال فى ذلك .

فوائض الأموال العربية

ويهمنى فى الحديث عن فوائض الأموال العربية أن اشير الى بعض الآراء التى أبديت فى هذا الصدد ، وأن أتقدم ببعض المقترحات :

١ ـ ظهر مثلا فى ندوة الكويت رأى هام يقول ان مصدر الثروة الرئيسية للدول العربية ، وهو البترول ، لن يدوم لذلك فان الدول العربية اصحاب الفوائض تصر على ان تكون استثماراتها فى الخارج محاطة بما يضمن سلامة رأس المال والحصول على عائد مناسب ، آخذين فى الاعتبار المعايير الدولية ، ومؤكدين أهمية القطاع الخاص وخصائصه المعروفة . وبعبارة أخرى ، فان الدول العربية ذات الفائض تريد عند استخدام أموالها فى المنطقة العربية أو فى الخارج أن تحقق الشروط التالية :





☐ أولا : المحافظة على قيمة أموالها وتنميتها بما يضمن لها مستقبلا العيش الكريم ويجنبها الخسائر التى تتعرض لها فى الخارج .

☐ ثانيا : أن هذه الدول العربية بالذات تفضل الى حد كبير حرية استخدام هذه الأموال فى المشروعات التى يكون لها عليها نوع من السيطرة .

☐ ثالثا : أنها تريد أيضا أن تشعر بالحرية فى استثمار هذه الأموال فى الدول العربية الأخرى ، وأن تستطيع أن تودع الأموال فيها أو أن تسحبها منها وفقا لظروفها ووفقا لحاجتها . فهى لاتريد أن تجمد هذه الأموال تجميدا يحرمها من استخدامها عند الحاجة أو يكبدها أو يعرضها لخسائر قد تستطيع تجنبها .

٢ ـ كما ظهر لدى الدول ذات العجز وخصوصا دول المواجهة رأى هام يقول أن جانبا كبيرا من الأموال التى ترد اليها يجب أن يرد على سبيل المعونة أو الهبة .

وبعبارة أخرى ، فقد تأكد فى أكثر من مناسبة أن البلاد العربية ذات العجز وخصوصا بلاد المواجهة التى تعرضت لتدمير كثير من مرافقها الأساسية Infra-structure ، وبصفة خاصة جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية ، يحق لها أن تنتظر من الدول ذات الفائض معونات أو هبات لا ترد على نظام الـ Marshall Plan الأمريكى للدول الأوربية ، حتى تتمكن من اصلاح مرافقها الاساسية وحتى تستطيع دون إرهاق استقبال الاستثمارات الانتاجية على نطاق واسع وكبير .

مصروفات الحرب

وقد أبدت الدول العربية ذات الفائض فى أكثر من مناسبة استعدادا كريما لتقديم هذه المعونة ، ولكنها طلبت البيانات الكفيلة بتقدير هذه المعونة والمشروعات المختلفة التى ستستخدم فيها . وأعتقد أن من واجب دول المواجهة أن تقدم هذه البيانات بصراحة وبوضوح لكى تعلم الدول ذات الفائض مقدار المبالغ المطلوبة منها لمعاونة الدول ذات العجز فى اصلاح مرافقها الأساسية . ولاشك فى هذا المجال أن الدول العربية الغنية كانت قد قدمت منذ مؤتمر الخرطوم لدول المواجهة معونات سنوية هامة ، ولكن لاشك ان هذه المعونات رغم أهميتها ورغم التقدير الذى لاقته وتلاقيه من الدول التى تستقبلها لم تغط الا جزءا بسيطا من التكاليف الكبيرة التى تكبدتها دول المواجهة والتى مازالت تتكبدها فى النفقات العسكرية ، لصالح الأمة العربية كلها ودفاعا عن عزتها وكرامتها . ومن المنطقى أنه إذا لم تكن هذه المبالغ قد غطت مصروفات الحرب ، فانها لم تمتد الى المساهمة فى نفقات إصلاح المرافق الاقتصادية المختلفة

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد أثير مرارا أن الزيادة فى ثروة الدول العربية الغنية





كان مرجعها بطبيعة الحال عدة عوامل ، منها عوامل دولية مرتبطة بزيادة الطلب على الطاقة ، ومنها عوامل محلية بسبب إغلاق قناة السويس أو بسبب حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، فلولا إغلاق قناة السويس ولولا حرب اكتوبر ولولا تضافر العرب ووحدتهم بعد خرب اكتوبر لما أمكن أن يتحقق للدول العربية هذا الثراء العظيم الذى حققته فى الأشهر الأخيرة والذى ينتظر ان يتزايد عاما بعد آخر . فالدول العربية ذات الفائض قد تشعر أنها مدينة بجزء من فائضها لما قامت به الدول ذات العجز ، وخصوصا دول المواجهة ، ولذلك قد تشعر ايضا بأن عليها دينا تسدده . بمعاونة هذه الدول على إصلاح مرافقها وعلى الاستعداد لتعويض مافات وعلى استقبال التقدم والتنمية والاستثمارات الذى هو من حقها أيضا .

٣ ـ هيئة ضمان التمويل ، وقد كان لى شرف تقديم الاقتراح بانشاء هذه الهيئة الى لجنة الخبراء . ويتلخص المشروع فى أن تقوم الدول العربية مجتمعة بانشاء هيئة لضمان القروض التى تقترضها الدول العربية التى تحتاج اليها ، وبعبارة أخرى ، فبدلا من أن تقوم دولة عربية باقراض دولة عربية اخرى بصفة مباشرة ، أو بدلا من ان تقترض دولة عربية من دول عربية اخرى ، فانها تلجأ الى هيئة تنشئها الجامعة العربية تسمى هيئة ضمان التمويل ، وتشترك فيها الدول العربية بحصص متفاوتة على حسب مقدرتها المالية وعلى حسب إنتاجها من البترول ، إذ انه بدلا من أن تقترض الدولة بضمان دولة واحدة اخرى فانها تقترض بضمان الدول العربية كلها ومن مزاياه :

(ا) أنه يوزع المخاطر ، فبدلا من أن تكون المؤسسة النقدية السعودية هى الوحيدة الضامنة للسودان ، فإن الدول العربية مجتمعة تشترك فى هذا الضمان

(ب) ومن مزاياه أيضا أنه بدلا من أن يضع الدولة المقترضة فى مواجهة الدولة المقرضة بحيث أنه قد يؤدى القرض الى التأثير على العلاقات السياسية بينهما أو قد تلجأ الدولة المقترضة الى الإلحاح أو الى التسويف أو الى مطالبة الدولة المقرضة بتأجيل السداد . . الخ ، فانه يضع الدولة المقترضة أمام مجموعة الدول العربية كلها ، وفى هذه الحالة تضطر الدولة العربية المقترضة ، قبل أن تفكر فى أى تغيير فى شروط القرض أو أى مطالبة بتسويف السداد ، ان تفكر فى مجموعة الدول العربية كلها التى تضمن هذا القرض ومنها طبعا الدول الغنية (بنسبة كبيرة) ومنها أيضا الدول الفقيرة (بنسبة منخفضة) فتتردد فى التسويف أو فى المماطلة وتقوم بالسداد فى مواعيده .

استثمارات مشتركة

٤ ـ أرجو أن أتقدم باقتراح آخر وهو أن من المصلحة أن تكون الاستثمارات العربية فى الدول العربية المختلفة استثمارات مشتركة ، بمعنى الا يقوم فرد من دولة عربية باستثمار



خالص له فى دولة عربية أخرى . وبطبيعة الحال ستكون هناك استثناءات ، فلا يعقل مثلا اذا شاء مواطن من الكويت أو السعودية ان يبنى قصرا أو منزلا له فى القاهرة ان نشترط عليه أن يكون هذا المقر ملكا مشتركا له ولغيره بل يكون هذا المقر ملكا خالصا له ، ولكن إذا أقام مشروعا للأسمنت أو للجلود أو للأسمدة . . الخ ، فانى أعتقد أن من المصلحة أن تكون مثل هذه المشروعات ملكا مشتركا للمصريين وللمستثمرين العرب الذين يرغبون فى استثمار بعض أموالهم فى مصر ، وأعتقد ان هذا الاقتراح فى مصلحة المستثمر العربى كما هو فى مصلحة المستثمر المصرى ، فهو فى مصلحة المستثمر المصرى بطبيعة الحال لانه يشركه فى خيرات بلاده ، وفى مصلحة المستثمر العربى لانه ان آجلا أو عاجلا لابد أن تكون هناك بعض الحساسيات ولابد أن يتساءل رعايا مصر عن الأسباب التى أدت أو تؤدى الى استئثار بعض رعايا الدول العربية الأخرى بجانب من خيرات بلدهم ، ولن يكون هذا الاجراء غريبا بالنسبة للمستثمر العربى اذ أننا نجد فى بعض البلاد العربية مثل الكويت أو ليبيا أو غيرهما أنه لايجوز لمستثمر عربى أو أجنبى أن يستثمر فيها أو أن يفتح مكتبا أو أن يباشر نشاطا إلا عن طريق شخص من رعايا الدولة المضيفة ، وهذا ما اقترحه بالنسبة لمصر ، بل أن ما أقترحه أخف كثيرا من ذلك .

صناديق الإنماء العربية

٥ ـ وارجو أن اشير أيضا الى موضوع صناديق الانماء العربية ، فمنها صناديق محلية مثل صندوق الكويت وصندوق أبو ظبى ، ومنها صناديق إنماء جماعية أو عربية مشتركة مثل صندوق الانماء العربى . وقد لاحظت أن هذه الصناديق تقدم بعض قروضها بأسعار فائدة مخفضة وبشروط ميسرة وبعض القروض الأخرى تقدمها بشروط تجارية أو قريبة من الشروط التجارية ، ومن رأيى أن نفرق بين الأسلوبين فى التمويل ، وأن تكون لنا سياسة فى هذا الصدد ترمى الى التفرقة بينهما ، فننشىء مؤسسة للقروض التجارية وأخرى للقروض الميسرة .

٦ ـ واخيرا أرجو أن اتحدث عن ضرورة التنسيق فى التنمية بين الدول العربية . فالمشروعات المختلفة التى يجب أن نسعى اليها فى العالم العربى والمشروعات التى نمولها فى العالم العربى يجب ألا تقتصر على زيادة التجارة بين اركان العالم العربى فحسب ، ولكن يجب ان تمتد ايضا لزيادة التنسيق بين التنمية فى الدول العربية . فالمشروعات التى تسعى لزيادة التجارة قد تؤدى بعد حين الى ظهور مشروعات متكررة أو متنافسة فى الدول العربية .





د . حسين خلاف

الانفتاح الاقتصادى وكيف يكون ؟

نقتصر هنا على الكلام فى الانفتاح الاقتصادى على الخارج ، وقد يحسن فى ذلك البدء بالاشارة الى أن تعبير الانفتاح الاقتصادى هذا لايجب ان يؤخذ بمعناه الحرفى ، حيث ان عكس الانفتاح لغويا هو الانغلاق كما هو معروف . ولم يكن اقتصاد مصر منغلقا على نفسه طوال تاريخه الحديث ، اى منذ اوائل القرن الماضى ، بل الأمر بالعكس ، حيث انه منذ ذلك التاريخ تزايدت فى هذا الاقتصاد ـ والى درجة مبالغ فيها احيانا ـ اهمية التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا ، كما تزايدت اهمية الاستثمارات الأجنبية التى وردت اليه فى اشكال وصيغ مختلفة ، ولو نظرنا على وجه الخصوص الى الفترة مابين أواخر الخمسينات وأواخر الستينات فاننا نلحظ اطراد الصادرات والواردات على وجه العموم .

إن حجم الأموال الأجنبية الواردة إلى البلاد ، أساسا فى شكل قروض بلغ أضعاف حجمها المتواضع الذى ظلت عليه طوال النصف الأول من القرن الحالى وحتى السنوات الأولى من الثورة . وليس هناك شك انه كان لهذه الفترة رغم سلبياتها بعض ميزات إيجابية أكيدة من اخصها تاكيد الصبغة المصرية لاقتصادنا القومى ، ودخولنا جديا مرحلة التصنيع ، وبدء تكون طبقة جديدة كبيرة نسبيا من المنظمين والفنيين والعمال المهرة لدينا ، وقد اكدت ورقة اكتوبر هذه المعانى كلها خاصة حين ذكرت عن القطاع العام ـ وهو الذى انضوت تحت لوائه أغلب المشروعات الانتاجية حين ذلك ـ انه « بما توافر له من وضع قيادى فى

اقتصادنا القومى كان الأداة الفعالة فى التنمية ، وبفضله تحققت الزيادة الضخمة فى الانتاج ، وقامت المشروعات الكبرى ، ومن عائده استمر تمويل التنمية ، وهو الذى حقق الصمود الاقتصادى بعد العدوان » .

ورغم ذلك يجب الاعتراف بأنه تعاقبت فى السنوات الأخيرة بعض علامات هامة تدل على آثار سيئة لحقت باقتصادنا على نحو تراكمى لأسباب خارجة وداخلية مختلفة . ومن أخص تلك العلامات جمود الصادرات وكثرة الواردات (بما فيها السلع الاستهلاكية) ، وما استتبعه ذلك من عجز مزمن فى الميزان التجارى وميزان المدفوعات ، مع تعاظم الانفاق الداخلى خاصة للأغراض الدفاعية ، وميل الأسعار إلى الارتفاع المستمر ، وعدم كفاية العمالة ، وكبر حجم القروض الداخلية والخارجية ، وضعف معدل النمو نتيجة لجمود الانتاج نسبيا ولضعف عوامل الديناميكية والحيوية فيه . وكان لكل هذا أثره فى ارتفاع تكاليف المعيشة ، وانخفاض مستوى الخدمات ، وانتشار البطالة ، واضطراب تنفيذ الخطط والبرامج التى وضعت منذ منتصف الستينات إلى آخره . كل ذلك فضلا عن فقدان التوازن فى علاقاتنا الاقتصادية بالخارج نتيجة لغلبة تصديرنا للكتلة الشرقية واعتمادنا عليها اعتمادا كبيرا فى التمويل الخارجى .

ولم يكن ممكنا ترك كل هذه العوامل تنال من الاقتصاد المصرى فى صميمه خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار إطراد تزايد السكان ووجوب الوفاء بأعباء الديون ، واستمرار التزايد فى أسعار وقيم وارداتنا من الخارج ، مع التزامنا فى نفس الوقت بنفقات تحويل اقتصادنا من اقتصاد حرب إلى اقتصاد سلم ، وما يستتبع ذلك من نفقات باهظة من أهمها نفقات التعمير ، فاذا أضفنا إلى ذلك ما نؤمله كما ورد فى ورقة أكتوبر من رفع معدلات التنمية إلى المستوى الكفيل بإنطلاق مجتمعنا فى مدارج الرقى ، أمكن أن نتصور مبلغ الصعوبات التى يواجهها شعب مصر فى هذا الخصوص والجهد الذى لابد له من بذله للتغلب عليها ووجوب تنميته فى نفس الوقت لموارده الذاتية وحسن تصرفه فيها .

لذلك فليس هناك شك أن ما تبديه بعض البلاد العربية المنتجة للبترول خصوصا وبعض البلاد الصناعية عموما ، من استعداد طيب للتعاون مع مصر ماليا وفنيا لأغراض التعمير والتنمية فيها وكذلك للاغراض العربية المشتركة ، يشكل فرصة ثمينة يجب الاهتمام بها لما يمكن ان يترتب عليها إذا ما أحسنا الإفادة منها ، من آثار طيبة فى جوانب حياتنا المختلفة وفى علاقاتنا مع الدول العربية والدول النامية خاصة الأفريقية منها ، حيث تستطيع الدول العربية ومن بينها مصر ، أن تقدم لهذه الأخيرة مساعدات قيمة فى هذا المجال .

وعلينا أن نسلم أن المال أو الخبرة الأجنبية ، بفرض توافرهما بالقدر الكافى ، ليس بالعصا السحرية التى تستطيع تذليل جميع صعوباتنا فى طرفة عين ؛ فمن هذه الصعوبات ما لايرجع إلى نقص فى المال أو الخبرة أو إلى هذا النقص وحده . كما ان الاستثمار الأجنبى لا يؤتى أكله إلا



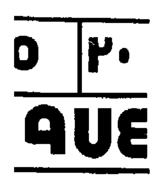


إذا توافرت شرائط ذلك ، كذلك فلابد من وقت حتى ينتج أثره . والواقع فإن التنمية الاقتصادية مثلها مثل التنمية الاجتماعية ، عملية معقدة متشابكة لا يصح أن يقتصر فى علاجها على وجه واحد ، بل لابد من الضرب فيها على أكثر من وتر فى نفس الوقت . وتوفير المال والخبرة الأجنبية هو على الأقل بصفة عامة أحد العوامل الأصيلة فى التنمية أو على الأقل فى التعجيل بها ، لكن سيكون من الخطأ أن نعتقد أن توافر ذلك المال يمكن ان يعفينا من بذل ما يجب من عمل وتضحية ، فإنما المال الأجنبى على أهميته القصوى فى حالتنا عامل مساعد أما العامل الجوهرى فهو مبلغ ما نضطلع به نحن من أعباء ، ونعود فنكرر أننا لا نريد بذلك التقليل فى إحداث التنمية من دور التعاون فى مجال التمويل والخبرة ، بل نزيد فنؤكد أن معاونة هذه البلاد لنا يجب أن تمتد إلى تشجيع صادراتنا اليها ، وذلك بفتح أسواقها لمنتجاتنا وإلا فقدت معونتها المالية أيضا كثيرا من معناها ، إذ أن أثر هذا التعاون المالى والفنى ينبغى أن يظهر أساسا فى زيادة صادراتنا ، ويستلزم ذلك ـ فيما يستلزمه ـ فتح البلاد المتقدمة أبوابها لهذه الصادرات .

ومهما يكن من أمر فأننا نرجو أن تصدق الدلائل القوية القائمة الآن على كبر حجم ذلك التعاون المالى الممكن ، خاصة من قبل البلاد العربية الشقيقة المنتجة للبترول ، وطبيعى أن مصر لن تستوعب إلا جزءا من فوائد تلك البلاد وإن كان من الممكن ، كما ألمحنا حالا ، أن يقوم بينها وبين شقيقاتها تعاون يمتد نطاقه بكثير إلى خارج المنطقة العربية ذاتها .

وكما يبدو حجم التعاون المالى المنتظر كافيا ، ومصدره قابلا للاستمرار ، كذلك تبدو مصادره متنوعة وهو ما يطمئن لأكثر من سبب ، لأنه يسمح بالإفادة من تنوع الخبرات التى تصاحب الأموال الواردة من مصادر مختلفة ، كما يسمح بتحقيق توازن ضرورى واستقلال مالى عن الخارج مما لا يتحقق إذا نحن اعتمدنا اعتمادا كبيرا على مصدر واحد أو مصادر قليلة تابعة لمجموعة واحدة .

كما قد يحسن العمل على أن تأتى تلك الأموال بآجال مختلفة ، قصيرة ومتوسطة وطويلة ، حتى تفيد كل منها بقدر . وبالنسبة للأموال قصيرة الأجل على وجه الخصوص فانه قد يمكن التفكير من الان فى إقامة سوق عربية مستقلة لهذا النوع من الأموال ينشأ بالتدريج وفى الوقت المناسب ويقوم على تنظيم نقدى ملائم بحيث يجذب اليه بعض الأموال العربية التى توجه حاليا إلى عواصم أجنبية معينة كى توظف فيها لآجال قصيرة ، ويتطلب ذلك بالطبع توفير شرائط معينة . كما أن من المسلم به أن مثل هذه السوق إذا وجدت يوما ما ، فانه لا يصح أن تتسرب منها الأموال إلى داخلية البلاد وإلا عرضت وسائل الدفع الداخلية ، وبالتالى الأثمان والتكاليف لتغيرات كبيرة مفاجئة لا قبل للاقتصاد القومى بها . اما عن الاشكال التى تتخذها تلك الاستثمارات ، فتختلف فيما بينها ، إذ يمكن أن تكون قروضا أو استثمارات مباشرة (بما فى ذلك تكوين الشركات المختلطة) ، كما يمكن ان تكون مجرد عقود يتولى المستثمر الأجنبى فيها



إعداد المشروع الانتاجي بكامل معداته وأدواته أو يقوم بموجبه بإدارة المشروع لحساب المستثمر الوطنى ، أو يأذن للمستثمر الوطنى باستخدام بعض تراخيصه أو يقدم له بموجبها بعض خدماتها الفنية . ولابد من النظر إلى كل مشروع بالذات (من حيث طبيعته ونوعه إلى آخره) . وكذلك إلى الشروط التى يعرضها الأجانب بالنسبة لكل من هذه الأشكال ، ومدى حاجة الاقتصاد القومى ومبلغ إفادته من كل منها ، وذلك قبل تقرير أفضلية شكل معين من هذه الأشكال على غيره . وعلى وجه العموم ، فقد نفضل التمويل عن طريق القروض إذا كانت شروطها معقولة ، ولم يصاحبها التزام ما بشراء معدات وآلات إلى آخره بأسعار مرتفعة أو بجودة أقل ، كما قد لا تصلح القروض شكلا للاستثمار فى مشروعات معينة من أهمها بعض الصناعات الرائدة أو تلك التى تتعرض عند التصدير لمنافسة دولية شديدة أو التى تستند فى تصديرها إلى شبكة تسويقية لا تملكها إلا بعض الشركات العالمية الكبرى .

والمهم فى هذا كله هو مراعاة أن البنيان الاقتصادى بأية دولة ، انما هو كما يقال مجموعة معينة من النسب والصلات ، وأصدق ما يكون ذلك فى علاقة الدولة بالخارج . وطبيعى أن نعمل من جانبنا على أن نحدد تلك النسب والصلات فى وقت معين على نحو يحقق لنا أكبر نفع اقتصادى واجتماعى سواء من حيث الانتاج أو التوزيع أو العمالة الخ .

ونتيجة لذلك ، فالأصل أن يكون للاستثمار الأجنبى مجال معين يعمل فى إطاره ، وكما ينطبق ذلك على حجم ذلك الاستثمار والأشكال المختلفة التى قد يتخذها ، كذلك فانه ينطبق على أنواعه ، وبالنسبة لهذه الأنواع فسيقع على عاتق هيئة الاستثمار العربى والأجنبى المهمة الصعبة الخاصة بتحديدها ، أى تتخير المشروعات التى يمكن أن تكون مجالا للتعاون مع الخارج ، وتحديد أولوياتها ، وإجراء المفاوضات بخصوصها مع المستثمرين الأجانب ، وذلك فى إطار التشريع القائم والخطة العامة للدولة والتنسيق العربى المرجو . وفى سبيل ذلك سيكون على تلك الهيئة ان تحدد بطريقة عملية ، مبلغ النفع الصافى المباشر وغير المباشر ، الاقتصادى والاجتماعى الذى يحتمل بالتقريب ان ينتج عن تنفيذ كل من المشروعات المعروضة . كما سيكون على الهيئة المذكورة ، فى اعتقادنا ، مهمة تقييم النتائج الفعلية للتعاون المذكور . ولابد هنا من ان يترك مجال للتجربة والخطأ ، لكن من المسلم به أن الهيمنة على الانتاج وتوجيهه هو أمر يترك للجهات الوطنية المختصة فى كل بلد ، كما تختص هذه الجهات بالمشروعات التى تمثل مفاتيح الحياة الاقتصادية فى البلاد أو التى تقوم على أساس من احتكارات ذات شأن أو تملك أو استغلال الأراضى الزراعية . وفى حالة كحالتنا يمكن أن تظهر فائدة التعاون المالى الأجنبى فى الصناعات الرائدة ، والتى تقوم على أسس فنية وتنظيمية عالية والموجهة أساسا الى التصدير ، والاستغلالات البترولية . بينما لا حاجة بالبلاد إلى أعمال المضاربات والنشاطات الطفيلية المماثلة .





هذا ومن الطبيعي ان يطلب المستثمر الأجنبى منحه تسهيلات معينة ، ويستلزم الأمر تشجيعه فى حدود مقتضيات الصالح العام ، مع التفرقة بين أنواع وأشكال الاستثمارات ومصادرها المختلفة بحيث يقاس كله بمقياس صالحنا القومي . ومن المسلم به ان هذه التسهيلات يجب ان تبقى فى حدود المعقول فلا يجمل التوسع او المغالاة فيها ، كما ينبغى الا يكون فيها مساس بالسيادة على الموارد الطبيعية أو بالمبادىء والقيم التى يقوم المجتمع على اساسها ، او أن تنطوى على تميز مجحف بين المشروع الوطنى والأجنبى .

٦٨

محمد عمارة

أعلام تراثنا .. العربى والإسلامى

العالم يحتفل بهم ونحن نتجاهلهم

هناك ظواهر سلبية تطالع المهتم بالعلاقة بين امتنا العربية وتراثها ، سواء منه الجانب القومى أو الدينى . . وأكتفى هنا بظاهرة واحدة هى إهمالنا فى الاحتفال بذكرى الأعلام فى تراثنا ، وترك الآخرين ، من أصحاب الحضارات والثقافات غير العربية ، يحتفلون بها ، بينما نتفرج نحن أو ـ فى أحسن الظروف ـ نحضر هذه الاحتفالات كضيوف ؟ !

والأمثلة على هذه الظاهرة السلبية كثيرة ، ففى أواخر سنة ١٩٦٨ دعت حركة الاستشراق الأسبانية إلى الاحتفال بمرور ثمانمائة وسبعين عاما على وفاة الفيلسوف العربى الكبير أبو الوليد ابن رشد ، فأصدرت الدولة الأسبانية يومئذ طابعا تذكاريا يحمل صورته ، وأقيمت المهرجانات وألقيت المحاضرات وقدمت الدراسات ، وشاركت حركة الاستشراق العالمية المستشرقين الأسبان فى تلك الجهود والاحتفالات . أما نحن أصحاب ابن رشد وأحفاده وورثة فكره العقلانى العملاق ، فلم نحرك ساكنا .

ونحن نعتقد أن حركة الاستشراق الأوربية عندما احتفلت بالفيلسوف العربى الكبير إنما كانت ـ إلى جانب خدمة الفكر كفكر ـ تفى ببعض دين ابن رشد على عصر النهضة الأوربية الحديثة ، ففى صورة ابن رشد عرف الأوربيون أرسطو ، وهو الذى قادهم فى معركتهم التاريخية ضد الخرافة والكهانة والتخلف والجمود ، ونعتقد أيضا أن فى ساحاتنا الفكرية الكثير من البقايا



والمخلفات والعقبات التى تحتاج إلى الازاحة والتغيير ، ولا يزال فكر ابن رشد احد الأسلحة الفعالة فى حركة تقدمنا الفكرى فى عديد من المجالات ، فمن زاوية « المنفعة » نحن بحاجة اليه . . ومن زاوية « الميراث والعزة القومية » نحن الأحق والأولى بالاعتزاز به .

وذكرى البيرونى

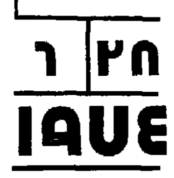
والمفكر والفليسوف والعالم والمؤرخ العربى أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) ذلك الذى خلف لنا أكثر من مائة وعشرين مؤلفا فى الفلك والرياضيات والآداب والفلسفة والتاريخ . . البيرونى هذا يأتى شهر سبتمبر من العام الماضى فيقيم الاتحاد السوفيتى الاحتفالات ويعقد الندوات والمؤتمرات للمستشرقين فى كل من موسكو وطشقند احتفالا بمرور الف عام على ميلاده . بل ويمهدون هناك لهذه الاحتفالات ، فيعقدون فى سنة ١٩٧١ م ندوة فى طشقند حول « البيرونى والعلوم الانسانية » ، ويتبعونها فى سنة ١٩٧٢ م بندوة ثانية عن « البيرونى والعلوم الطبيعية » ، ويطلقون على معهد الدراسات الشرقية بطشقند اسم « معهد أبى الريحان البيرونى » ، وينشرون أعماله المختارة باللغتين ، الروسية والاوزبكية ، وقد يترجمون إلى لغاتهم عددا من أعماله فان الذى صنعه المستشرقون فى الاتحاد السوفيتى كان استجابة لقرار اصدرته منظمة اليونسكو والمؤتمر الدولى للمستشرقين ، وطالبوا فيه بالاحتفال بمرور الف عام على ميلاده باعتبارها « مناسبة ذات أهمية عالمية » ! ! .

وفى الوقت الذى احتفل فيه السوفيت بالبيرونى ، وافق الاتحاد الفلكى الدولى فى اجتماعه الذى انعقد فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ باستراليا على إطلاق اسم البيرونى على أحد أحواض الوجه الأخر للقمر تقديرا منه لجهوده فى علوم الفلك ، حدث ذلك دون أن تتحرك جامعة أو كلية من كليات العلوم .

وذكرى سيبويه

وفى شهر مايو من هذا العام احتفلت ايران بمرور ألف ومائتى عام على وفاة سيبويه ، فانعقدت فى مدينة « شيراز » الايرانية ندوة للاحتفال بذكرى مؤسس النحو العربى ؟ والقيت أغلب البحوث والدراسات بغير لغة سيبويه ؟ ! واقتصر جهد جامعاتنا ودوائر الفكر والثقافة عندنا على الحضور كضيوف !

نحن نعتقد أن هناك مخاطر فكرية ، بل وقومية ، تتهددنا من وراء التفريط فى تراثنا ، ذلك التفريط الذى وصل الى حد ترك الأخرين ـ مشكورين ـ يحتفلون بأعلام تراثنا ، ويقدمون عن تاريخنا وحضارتنا الأبحاث والدراسات ووجهات النظر . ذلك أن « نغمة عرقية » موجودة فى



الدوائر الفكرية ، كما هي موجودة فى الدوائر السياسية . . فالبعض يهمس ، بل ويجهر ، بأن ابن رشد أسبانى لأنه اندلسى ، وليس بعربى ؟ ! وأن البيرونى أوزبكستانى ؟ ! وسيبويه ايرانى ؟ ! والفارابى تركى ؟ ! ومثلهم فى ذلك : الغزالى ، البخارى ، والرازى ، وابن سينا ، وابن باجة . . وغيرهم من أعلام التراث فى حضارتنا . . ومن ثم يفرق أصحاب هذه النظرية العرقية ، بين « العروبة » وبين « الاسلام » فيرون التراث الحضارى عندنا من انتاج « عقول مسلمة » تنحدر من اصول عرقية غير عربية ، ومن ثم فانها ـ فى نظرهم ـ عقول غير عربية » . .

ولكن حجج أصحاب هذا الموقف « العرقى العنصرى » لا تصمد للجدل والنقاش ، فمفهومنا للعروبة مفهوم حضارى لا عرقى ، وهوءلاء العلماء الذين انحدروا من أصول عرقية غير عربية إنما صاروا عربا باللغة والآداب والعادات والتقاليد والثقافة والولاء ، بل ان الاسلام ليخط هذا الطريق غير العرقى منذ نشاته الأولى عندما يقول نبيه الكريم : « ليست العربية بأحدكم من اب او أم ، وانما هى باللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » .

وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فلم لا تكون يقظتنا فى الميدان الفكرى على نفس مستوى يقظتنا فى ميدان السياسة والعمل لاسترداد الحق الوطنى السليب ؟ !

اما عن المستقبل

أما عن المستقبل ، فاننا نقترح على حركتنا الفكرية وجامعاتنا ومؤسساتنا الثقافية أن ترصد المناسبات الفكرية التى ستحل فى الربع قرن المتبقى من هذا القرن العشرين ، كى لا تفاجأ بمناسبات تحل دون أن ندرى ، أو دون أن نستطيع الاحتفال اللائق بأصحابها . . ومن الآن فاننا نقترح على جامعاتنا :

● الاحتفال فى نهاية هذا العام بمرور ألف ومائة عام على ميلاد أبى نصر الفارابى (٨٧٤ ـ ٩٥٠) ذلك المفكر والفيلسوف الذى اقام أول بناء شبه متكامل للمذاهب الفلسفية فى فكرنا العربى ، ففى فكره ومذهبه إضافات خلاقة للفكر الفلسفى الانسانى ، الأمر الذى جعل العالم يصطلح على تلقيبه « بالمعلم الثانى » ، وكان أرسطو هو « المعلم الأول » . . وبالمناسبة فانهم يستعدون الآن فى الاتحاد السوفيتى للاحتفال بذكراه .

● الاحتفال فى سنة ١٩٧٦ ـ أى بعد عامين ـ بمرور ثمانية قرون ونصف على ميلاد ابن رشد ، وأعتقد أن بامكاننا أن نقدم لأمتنا فى تلك المناسبة الأعمال الكاملة لابن رشد ، مجموعة محققة ومنشورة بالعربية ، لأول مرة فى التاريخ ؟ !

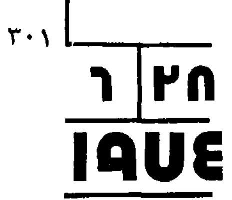




● وفى نهاية هذا العام ستحتفل حركة الاستشراق فى مدينة « سمرقند » بمرور ألف ومائتى عام على مولد الامام البخارى ، وللبخارى منهج فى جمع النصوص ونقدها ، باستطاعتنا إذا درسناه أن نلقى المزيد من الأضواء على المنهج العربى فى فن كتابة التاريخ .

وليست هذه سوى أمثلة نقدمها كنموذج لعمل فكرى نرجو أن يبدأ فى هذا الحقل العزيز على وجدان كل فرد من أفراد هذه الأمة ، ذلك أن الحركة الواعية فى هذا الميدان تستطيع أن تقدم لوجدان هذه الامة طاقات من العزة المستمدة من صفحاتها المشرقة ، تعينها على تخطى الصعاب وتذليل العقبات وصنع الحاضر والمستقبل الذى يليق باحفاد هؤلاء العلماء العظماء الذين أبدعوا حضارتنا وأضاءوا طريق الانسانية بالفكر والعلم والابداع .





٦٩

دكتــور مجــدى وهبــة

أفريقيـــا تبحـث عـن هويتهـــا الثقافيـــة

سنحت لى الفرصة منذ ايام ان احضر اعمال مؤتمر تحضيرى اقيم فى اديس أبابا للاستعداد لمؤتمر افريقى عام ستنظمه اليونسكو فى أكرا سنة ١٩٧٥ ، والغرض من هذا المؤتمر ان يكون منبرا لوزراء الثقافة الافريقيين لتبادل الراى والخبرة فى مجال السياسات الثقافية المختلفة التى يمكن ان تلائم المجتمعات الأفريقية المتحررة من نير الاستعمار مع اختلاف مقوماتها وتطلعاتها وتقاليدها .

كان اجتماعنا فى نطاق ضيق لم يحضره سوى ثمانية ، فقد تخلف البعض لانشغالهم بمهام فى بلادهم . أما البعض الآخر فقد خشى تطورات الموقف الحرج فى اثيوبيا وآثروا عدم الاقتراب فى مثل هذه الظروف .

كنا ثمانية نمثل أغلب التيارات فى قارتنا العملاقة . بعضنا مثلى من الشمال العربى ، والبعض من البلاد الناطقة بالانجليزية ، والبعض الآخر من البلاد الناطقة بالفرنسية ، إلى جانب لغاتهم الوطنية . كانت تجمعنا التجربة الاستعمارية المريرة ونشوة التحرر والحيرة بين المحافظة على الكيان الثقافى (عماد الهوية القومية) وبين التفتح للتيارات العالمية الثقافية الحديثة التى قلما انفصلت عن تراث الغرب (ينبوع الاستعمار الأصلى) . وكنا نتناقش بالفرنسية حينا ، وبالانجليزية حينا والمترجمان الفوريان يشيدان جسور الفهم بيننا ،



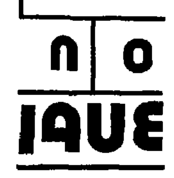


ولم يتكلم احد بلغته الوطنية ، وكم تساءلنا عن مدى تأثر منطقنا ومشاعرنا بالمفهومات الغربية التى كنا نحققها حقنا فى الحديث لنكسبه لونا علميا وروبنقا أكاديميا .

كان أبلغنا عالم طبيعة من غانا شاءت الأقدار أن ينقلب شاعرا (بالانجليزية) . وكان أحكمنا موظفا سنغاليا حصل على أعلى الدرجات العلمية فى النحو الفرنسى ، وكان أقدرنا على ربط الموضوعات بعضها ببعض ربطا علميا أستاذ للأدب العربى من تونس . وكان أعمقنا فهما لمأساة الثقافات الأفريقية فيلسوفا نيجيريا لعب دور سقراط فى مأدبتنا الفكرية يجادلنا تارة ليكشف لبس تعبيراتنا ويثير تارة أخرى غيام الشك حول جلاء ما كنا نظنه يقينا .

كانت مناقشاتنا تدور حول فكرة تحديد موضوعات خاصة بالسياسات الثقافية يمكن أن يجد فيها وزراء افريقيا مجالا للمحاورة . والواضح فى أذهاننا أن **الثقافة الوطنية والتعطش لثقافة عالمية** كانا من أهم بواعث الحركات التحررية فى أفريقيا ، بل من أهم مقومات فلسفة الوجود الأفريقى المستقل . ولاحظنا أنه من الموضوعات التى كانت تتكرر على ألسنتنا من حيث لا ندرى هى ضرورة المحافظة على **التراث الثقافى القومى** ، لا فى مواجهة النهب والاذلال فحسب ، بل أيضا فى مواجهة **الخبرات والنماذج العلمية الأجنبية** . كما دار حديثنا أكثر من مرة **حول المضمون الثقافى** للتربية والتعليم ولوسائل الاتصال بالجماهير فى بلادنا . واجمعنا على أن المجتمعات التى نعيش فيها كلها فقيرة ، وأن اشراك الجماهير فى الحركة الثقافية يكون عن طريق **الاذاعة والتليفزيون والصحافة القومية** وذلك لوجودها فى كل مكان ولضآلة نفقاتها بالنسبة لتلقى الثقافة . أما **الكتاب** فلا يأتى الا فى المرتبة الثانية ، لأنه ليس فى متناول الجميع ، ولأن وقت الجماهير العاملة قلما يتسع للقراءة فى دور الكتب والمكتبات العامة . **كما أجمعنا أيضا على ان الثقافة فى مفهومنا الحديث لايمكن ان تبقى ثقافة قلة او نخبة إذا أرادت أن تعيش** ، الأمر الذى أدى إلى ظهور **وزارات للثقافة** بالضرورة فى أغلب دول أفريقيا المتحررة . فنشر الثقافة أمر لا يمكن أن يكون إلا عن طريق **جهاز حكومى ضخم معقد** ، وذلك مع عدم تجاهل المخاطر المترتبة على مثل هذه **المركزية** فى العمل الثقافى ، وعلى مثل هذا **الاحتكار** فى رعاية الابداع الفنى ، وفى إقامة منابر الأداء والتعبير . كان كل ذلك حاضرا إلى أذهاننا ونحن نعد لاقامة **مؤتمر لوزراء ثقافة أفريقيا** ، ومع ذلك كنا نشعر تماما أنه لابد من العمل على **الحوار الحى** بين السياسات الثقافية فى أفريقيا ، اذ أن نهضة قارتنا وانطلاق الانسان الأفريقى نحو احساس بالكرامة مع عدم التنازل عن حقه فى الثقافة العلمية لن يكون الا مع **التضامن الصادق بين الأجهزة المختلفة المسئولة عن العمل الثقافى فى دول أفريقيا** .

وإذا كان ذلك أمرا مفروغا منه فى مناقشاتنا حول مائدة البحث ، وإذا كان اليونسكو قد مهد لهذا الحوار منذ أول مؤتمر عالمى لوزراء الثقافة فى البندقية سنة ١٩٧٠ ، وفى سلسلة من المؤتمرات الخاصة بأوروبا وبآسيا ، فإن ظروف أفريقيا **تدل على شدة حاجتها إلى عمل عاجل**



٦٩

منظم على مستوى القارة كلها وعلى مستوى التضامن العالمي في الأمم المتحدة . وكنا نجتمع حول مائدة البحث في النهار وحول مائدة العشاء في الليل . والحديث الذى كان يدور على مائدة الطعام كثيرا ما كان يكشف عن حقائق لم ننطق بها في المؤتمر الصغير . فكنا نتصارح في أمر ما يفرق بيننا منذ سنين الكفاح والتخلص من الاستعمار . وكشفت صراحة الليل المترتبة على حظر التجول في مدينة اديس أبابا القلقة ، **كشفت عن التوتر بين لغات وثقافات الاستعمار المنغرسة في نفوس الأفريقيين الناطقين بالانجليزية والفرنسية . كما كشفت عن الحوار الحساس العسير بين الاسلام الأفريقي والمسيحيات الأفريقية والوثنيات الأفريقية الباقية ، وما ترتب على ذلك من بلبلة وحيرة ثقافية** . ومما أظهرته اعترافات نصف الليل **وجود ازدواج ثقافي** للانسان الأفريقي جنوب الصحراء مع تمتع العربي الأفريقي **بتكامل ثقافي** ووحدة حضارية مستمدة من انتمائه إلى ثقافة عالمية تاريخية مستمرة هي العربية والاسلام .

واجمعنا كذلك على ان الشعوب الفقيرة المناضلة كثيرا ما تقصر رؤيتها على مشاكلها الخاصة او ترفع صوت الحوار مع الغرب (الذى يجمع بين صفات العدو والمعلم) ، إلا انها قلما تمد يد التفاهم والتضامن مع الشعوب الأخرى في المنطقة التي تشقى مما تشقى منه . ماذا يعرف العربي عن حضارة أخيه الأسود وتقاليده ؟ وإذا استثنينا التضامن السياسي ، وهو مهم ، ما هو مدى ادراك الأفريقي الأسود لمقومات الحضارة العربية ؟ وهل يستطيع العربي أن يشعر بالمضمون الديني العميق للفنون الزنجية ؟ وهل هناك حوار ممكن بين فلسفة الزنجية والحضارة العربية والثقافة العالمية والمسيحيات الأفريقية والاسلام والتقاليد القبائلية وحضارة الأدغال وحضارة الصحراء وحضارة الجبال وحضارة الوديان ؟

كانت الحيرة تختم عشاءنا الممتد في الليل ولكن ظاهرة جديدة بدت من تلك الحيرة ، هي اننا شعرنا كلنا شعورا صادقا وبصرف النظر عن المكان الجغرافي لمسقط راسنا شعرنا بان الحوار الثقافي الحقيقي قد بدأ ، واننا قد ادركنا اخاءنا العميق من خلال تعرفنا لاختلافاتنا .

اما المستقبل فهو في يد وزراء ثقافة افريقيا والتوصيات التي سيرسلونها لليونسكو ولمنظمة الوحدة الأفريقية .





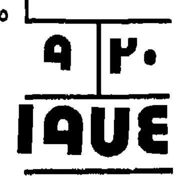
د . وحيـــد رأفـــت

الحجم الجديد ..
للاتحـــاد الاشـــتراكى

ينص الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية الصادر عام ١٩٧١ على أن رئيس الجمهورية هو الذى يضع السياسة العامة للدولة بالاشتراك مع مجلس الوزراء . وقد عودنا الرئيس الحالى منذ توليه الحكم فى اكتوبر ١٩٧٠ على ان يدلى من وقت لآخر إلى الشعب بافكاره وتصوراته فى خصوص تلك السياسة أو فى بعض الشئون الهامة ، لتكون هذه الأفكار او التصورات موضع حوار قبل أن يشرع فى وضعها موضع التنفيذ .

هكذا فعل بالنسبة لما عرف بورقة اكتوبر ، فطرحت هذه الورقة بعد مناقشتها داخل كل من التنظيم السياسى ومجلس الشعب ، فى استفتاء عام . وهذا ما فعله سيادته اليوم بالنسبة لورقة أغسطس المتضمنة تصوره لما ينبغى أن يكون عليه التنظيم السياسى الوحيد ، الاتحاد الاشتراكى العربى . فطالب بحوار حر لهذه الورقة الجديدة لا داخل التنظيم السياسى وحده ـ وهو بالذات موضع البحث والاستقصاء ـ بل وعلى أوسع نطاق . ومع ذلك طلع علينا بعض كتابنا الكبار ممن لهم قدرهم ووزنهم وكأنهم يستكثرون هذا الحوار ، فنراهم يقسمون بكل المقدسات أن ثقتهم المطلقة برئيس الجمهورية وبأخلاقياته ومثالياته وتضحياته ، تجعلهم يستغنون بضميره عن أية ورقة ويقبلون منه حتى حكم الفرد الاتوقراطى الطيب !

كلمات قيلت لكل حاكم فى الماضى وسوف تقال لكل من يحكم مصر مستقبلا ، أيا كان هذا



الرجل . وهذا للأسف هو أصل الداء ، فلندع جانبا نصيحة هؤلاء الكتاب الكرام ، فلهم دينهم ولنا دين ولنقدم على هذا الحوار الذى دعينا اليه فى أمانة وإخلاص استلهاما لقوله تعالى فى كتابه المحكم . . « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » « وهو جل شأنه أصدق القائلين » . .

وإذا سمح لمواطن عادى مثلى بأن يبدى رايه فى ورقة أغسطس فانى سأحاول أن أجمع ما خلفته دراساتها من انطباعات فى نفسى حول نقط أربع :

* حجم الاتحاد الاشتراكى العربى ووزنه .
* الاتحاد الاشتراكى وقضية الاشتراكية .
* الاتحاد الاشتراكى وتعدد الاحزاب .
* عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى وتحولها من الاختيار إلى الإجبار .

أولا : حجم الاتحاد الاشتراكى العربى ووزنه :

من المعلوم أن الاتحاد الاشتراكى العربى هو ثالث تنظيم سياسى شعبى تقيمه الثورة من مركز السلطة منذ نجاحه حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، اذ كان أولها هيئة التحرير التى أعلن عن قيامها فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ وصفيت نهائيا فى ديسمبر ١٩٥٧ بعد أن حاول القائمون عليها تجميع اكبر عدد من المواطنين داخل اطارها لمساندة الثورة ودعمها تحت شعارها الأول (الاتحاد والنظام والعمل) ثم تبخرت وانطفأت شعلة هيئة التحرير ، وحلها محلها بعد أول دستور دائم للثورة فى يناير ١٩٥٦ تنظيم جديد هو « الاتحاد القومى » بناء على نص المادة ١٩٢ من ذلك الدستور . ولم تكن العضوية فى هذا الاتحاد القومى مقصورة على فئات معينة من المصريين دون غيرهم من المواطنين حسب تصنيف عقائدهم السياسة أو غيرها ، بل كان كهيئة التحرير السابقة عليه متاحا لجميع المواطنين باستثناء من جردوا من حقوقهم السياسية والمدنية . وكذلك أيضا كان الترشيح لمجلس الأمة فى ظل ذلك الدستور . حقا كان للاتحاد القومى أن يراجع أسماء المرشحين للنيابة فى الدوائر الانتخابية المختلفة ، وأن يستبعد من يرى استبعادهم « لمقتضيات الصالح العام » كما جاء فى المذكرة التفسيرية للقانون رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٥٦ الخاص بعضوية هذا المجلس ، وانه قد أسيء استخدام هذه السلطة استنادا إلى ما فى عبارة « مقتضيات الصالح العام » من غموض أو إبهام يتحدى كل تحديد ، فاستبعد بعض المرشحين بزعم أنهم خصوم لثورة ٢٣ يوليو ، أو لغرض إنجاح مرشحيها من ذوى الحظوة والنفوذ ، ولكن أحدا لم يستبعد بدعوى أنه ليس تقدميا أو ليس اشتراكيا ، فلم تكن الثورة قد حددت بعد مسيرتها وسط ضباب المذاهب والعقائد الاقتصادية والاجتماعية العالمية المختلفة . ولم يتضح خط هذه المسيرة ويتحدد اتجاهه عقائديا إلا فيما بعد . وهكذا كان الاتحاد القومى ومجلس الأمة ذاته فى ظل دستور سنة ١٩٥٦ يضمان مواطنين ذوى مذاهب اقتصادية واجتماعية شتى ، ويمثلون مختلف الفئات لا يجمعهم إلا الولاء ـ ولو ظاهريا ـ للمبادىء الستة الشهيرة للثورة وهى : القضاء على



الاستعمار وأعوانه ، وعلى الاقطاع ، وعلى الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وإقامة جيش وطنى قوى ، ونشر العدالة الاجتماعية ، وإقامة حياة ديمقراطية سليمة . وإذا كان بعض هذه المبادىء الستة يكشف فى تحفظ وحذر شديدين عن اتجاه اشتراكى محتمل ، غير أن الاشارة الصريحة إلى هذا الاتجاه لبناء المجتمع الجديد لم ترد لأول مرة إلا فى القرار رقم ٩٣٥ الصادر من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء الوحدة مع سوريا لتحديد أغراض الاتحاد القومى الذى أصبح التنظيم السياسى الوحيد المعتمد فى القطرين المصرى والسورى . ومع ذلك فقد ورد ذكر « الاشتراكية » فى هذا القرار الجمهورى مقروناً بمفاهيم أخرى كالديمقراطية والحركة التعاونية ، فغاب عن الكثيرين التقاط كامل مغزاه إلى أن صدرت قوانين التأميم المعروفة فى عام ١٩٦١ و ١٩٦٢ مكرسة الاشتراكية عملا قبل أن تكرس رسميا كمذهب اقتصادى واجتماعى للدولة فى الميثاق الوطنى الذى تقدم به الرئيس الراحل عبد الناصر بعد الانفصال عن سوريا إلى مؤتمر القوى الشعبية فى مايو ١٩٦٢ ، وأقره المؤتمر فى يونيو من نفس العام ، ثم فى الدستور المصرى المؤقت الصادر فى ٢٥ مايو ١٩٦٤ ، حيث نص لأول مرة فى تاريخ الدساتير المصرية على أن « الجمهورية العربية المتحدة دولة ديمقراطية تقوم على تحالف قوى الشعب العامل » . كما سجلت المادة التاسعة منه « أن النظام الاقتصادى للدولة هو النظام الاشتراكى » ، وأكدت نفس المفاهيم المادتان الأولى والرابعة من دستورنا الدائم الحالى الصادر فى عام ١٩٧١ .

وبهذا التحول الاشتراكى ابتداء من عام ١٩٦١ وخاصة بعد إقرار الميثاق الوطنى فى عام ١٩٦٢ انتهت مهمة الاتحاد القومى كتنظيم سياسى شعبى ، ليحل محله الاتحاد الاشتراكى العربى وليصبح هو التنظيم السياسى الشعبى الجديد الوحيد .

وثمة فارق كبير بينه وبين الاتحاد القومى من حيث قاعدة العضوية ونوعيتها ، فبينما كان الاتحاد القومى فى ظل دستور عام ١٩٥٦ تنظيما شموليا كما ذكرنا لا يميز فى عضويته بين المصريين حسب مذاهبهم وعقائدهم الاقتصادية والاجتماعية ، فإن عضوية الاتحاد الاشتراكى غدت مقصورة بطبيعة الحال وبحكم أهدافه ومن بينها « تحقيق الثورة الاشتراكية » على الملتزمين بالخط الاشتراكى ولو فى الظاهر على الأقل . لذلك نص فى القانون الأساسى للاتحاد الاشتراكى الصادر فى عام ١٩٦٨ على أن عضوية هذا الاتحاد مفتوحة لكل مواطن من فئات الشعب العاملة تتوافر فيه الشروط المقررة فى ذلك القانون ، وعلى رأسها أن يؤمن بالميثاق الوطنى وأهدافه ، وأن يتعمق فى فهم مبادىء الميثاق ويتولى شرحه للغير ، وأن يقف بكل قواه ضد أعداء الثورة الاشتراكية .

فالمفروض اذن فى الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى جماهيرى جديد أن يكون الحارس الأمين على المكاسب الاشتراكية ، العامل على تعميق الفكر الاشتراكى ونشره ، وتقصى



أخطاء مرحلة التحول إلى الاشتراكية لتفادى هذه الاخطاء ما أمكن وعلاج ما يقع منها . وأن يكون كذلك اداة الاتصال والتعامل بين القاعدة الشعبية العريضة والسلطة ، واقتراح الحلول لمشاكل الجماهير .

ولا يتسع المجال هنا لتعقب نشاط الاتحاد الاشتراكى العربى فى مراحله المختلفة منذ انشائه ، حسبنا القول أنه قد مرت عليه فترات ركود وخمول ، وفترات حماس وصلت الى درجة الفوران ، فقد ظل راكدا خاملا فى عهد الرئيس السابق للجمهورية ، واضعا نصب عينيه تأييد تصرفات السلطة بالحق والباطل ، ملتزما الصمت المطبق إزاء ما وقع من مظالم من جانب من نطلق عليهم الآن اسم « مراكز القوى » مما أثار سخط الجماهير وغضبها وتجلى ذلك واضحا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ فى المظاهرات التى اجتاحت مدن القاهرة والاسكندرية وغيرهما تهتف للحريات وبسقوط الاتحاد الاشتراكى مطالبة بإلغائه . وتمخضت هذه الصحوة الجماهيرية عما عرف ببيان مارس ١٩٦٨ الذى وعدت السلطة فيه بإعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى لاحلال الانتخاب فيه محل التعيين من القاعدة إلى القمة ، وإزالة أسباب الشكوى منه والقصور فيه . ولم يكن لإعادة التنظيم أثر ملموس حتى وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

وفجاة تذكر الاتحاد الاشتراكى أنه من حيث شكل التنظيم وترتيباته شبيه بنظام الحزب الواحد فى العالم الشيوعى . وأنه من عدة وجوه ندا للحزب الشيوعى الحاكم فى الاتحاد السوفيتى ، فلماذا لا يكون مثله مصدرا لجميع السلطات ؟ ألم ينص قانونه صراحة فى عام ١٩٦٢ ثم فى عام ١٩٦٨ على مبدأ القيادة الجماعية كما فى الاتحاد السوفيتى وسائر الدول الشيوعية ، وعلى التزام مجلس الأمة (مجلس الشعب) وهو مؤسسة دستورية بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى بوصفه السلطة الشعبية ، وعلى قيام الاتحاد الاشتراكى بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة باسم الشعب ؟ الم تصدر عدة أحكام من القضاء الادارى فى مجلس الدولة تقر بأنه سلطة عليا من سلطات الدولة وبأن قراراته لها صفة السيادة فلا تخضع لأية رقابة قضائية ؟ لماذا إذن لا يسعى الاتحاد الاشتراكى كتنظيم شعبى ، أو بعبارة أدق قادة هذا التنظيم الذين يسيطرون على لجنته التنفيذية العليا واللجنة المركزية إلى بسط وصايتهم على الدولة واحتواء مؤسساته الدستورية وإصدار تعليماتهم وتوجيهاتهم إلى كل من السلطتين التنفيذية والتشريعية ؟ وحينما هم قادة التنظيم بوضع هذه الأفكار عملا موضع التنفيذ فى مايو ١٩٧١ ، وقع الصدام العنيف بينهم وبين المؤسسات الدستورية ممثلة فى رئاسة الجمهورية ، فانتصرت هذه المؤسسات وأقصتهم عن الحكم ، وبدأت ما عرف فى تاريخنا السياسى المعاصر بحركة التصحيح . وكان من الطبيعى أن تعنى ورقة اغسطس بمنع تكرار مثل هذه المأساة وذلك بتحديد حجم الاتحاد الاشتراكى ووزنه كتنظيم سياسى شعبى .

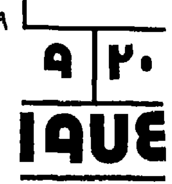




وقد يبدو التنظيم على ضوء هذا التحديد المقترح ضئيلا غاية الضآلة فى نظر البعض خاصة من أعضاء التنظيم ذاته الذين عاصروه من قبل أو مارسوا مراكز قيادية فيه وما زالوا يريدونه سلطة شعبية تقوم بالعمل القيادى والتوجيهى والرقابى ، بينما يبدو على العكس من ذلك مقبولا لدى غيرهم من المواطنين الذين مازالت تفجرهم سلبياته فى الماضى وقلة حيلته وحصيلته طوال سنى وجوده ، « فتجربة الاتحاد الاشتراكى كما جاء فى ورقة أغسطس ، وإن لم تكن سلبية خالصة ، إلا أنها لم تؤت كل الثمار المرجوة منها رغم إعادة التشكيل عدة مرات » . وانطلاقا من ذلك أكدت ورقة أغسطس على أن الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا يملى ارادته على الحكومة أو البرلمان ، وليس السلطة العليا التى تلزم قراراتها السلطتين التنفيذية والتشريعية ، بل وليس سلطة على الاطلاق ! وعلى أن هذا « التصوير للأمور قد أدى إلى تركيز كل السلطات فى يد المسيطرين على اللجنة التنفيذية العليا يمارسونها دون مسئولية أمام أحد وفى نطاق من السرية مستعينين بأجهزة الأرهاب » .

وأضافت تقول فى صراحة قاطعة إنه « حتى بعد تصفية مراكز القوى ظل مفهوم السلطة يؤثر فى بعض قيادات الأتحاد الاشتراكى مما أدخلها فى أحيان كثيرة وخصوصا على المستوى المحلى فى مواجهات مع القيادات التنفيذية بل ومع أعضاء (مجلس الشعب) ، وإذا لم يكن الاتحاد الاشتراكى حزبا حاكما ، ولا سلطة عليا فى الدولة ، ولا سلطة اطلاقا ، فما هو حجمه ووزنه إذن ؟

إن التطوير المقترح فى ورقة أغسطس للاتحاد الاشتراكى لتحالف القوى الشعبية العاملة يجعل منه مجرد « بوتقة للحوار تنصهر فيها الأفكار المتعارضة وتتبلور الاتجاهات التى تعبر بحق عما تريده القاعدة الشعبية العريضة » . ولكى يكون هذا الحوار جادا ومثمرا فسوف يسمح فيه بتعدد الآراء والاتجاهات داخل التنظيم ، لا الاراء الفردية فحسب بل وآراء وإتجاهات الفئات المختلفة التى يتألف منها التحالف من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية . وفى سبيل تحقيق ذلك تقترح ورقة اغسطس أيضا فيما اقترحته ، إصدار صحيفة لتكون منبرا حرا يجد فيه عضو الاتحاد الاشتراكى السبيل المشروع لطرح رأيه والدفاع عنه ويجد غيره الفرصة للرد عليه ، « وهكذا توضع الآراء تحت الأنظار امام كل عضو من أعضاء التنظيم ولا تحبس لتجد سبيلها فى مسالك غير صحية ، وبهذا أيضا تزداد حيوية التنظيم ويتدعم إحساس أعضائه بأهمية عضويتهم كسبيل للاسهام فى الحياة السياسية » . هذا ما جاء فى ورقة أغسطس . ولما كانت ملكية جميع صحفنا قد نقلت منذ سنين إلى الاتحاد الاشتراكى ، فلست أفهم جيدا المقصود بهذا الاقتراح الجديد وهل يعنى تحرر هذه الصحف ما عدا واحدة منها فقط تظل تعمل كلسان حال للاتحاد الاشتراكى ؟ أم يعنى إضافة صحيفة جديدة إليها مع بقاء هذه التبعية الجماعية للاتحاد ؟



وتعويضا عن تحويل الاتحاد الاشتراكى من سلطة أو تنظيم شعبى يتطلع إلى السلطة أو فرض سيطرته على المؤسسات الدستورية ، إلى مركز أو بوتقة حوار كما جاء فى ورقة أغسطس لصهر الأفكار المتعارضة وبلورة الاتجاهات المختلفة وللتعبير عن أحاسيس القاعدة الشعبية العريضة ، ركزت الورقة على دور العضوية العاملة وضرورة تنشيطها لتمكين أعضاء الاتحاد من الممارسة الفعلية والفعالة للعضوية ، وعلى ضرورة عقد اجتماعات دورية منتظمة لمؤتمرات الاتحاد الاشتراكى على مستوى الوحدات الأساسية والجماهيرية ، وعلى مستوى الأقسام والمراكز والبنادر مع إشراك أعضاء مجلس الشعب فيها ، ومراعاة النسبة العددية التى تتألف منها هذه الوحدات وما يعلوها ، فى التمثيل داخل هذه المؤتمرات . وانتهت ورقة أغسطس من تحديد معالم الصورة الجديدة للاتحاد الاشتراكى إلى القول « إن وزن التنظيم السياسى فى الحياة السياسية لايمنح بقانون أو قرار ، وإنما يأتى ثمرة للالتحام بالجماهير والتفاعل معها والتعبير عنها تعبيرا صادقا وموضوعيا » ، والى لفت النظر إلى ما وصفته الورقة « بالدور العظيم » الذى لا يزال ينتظر الاتحاد الاشتراكى بعد تطويره ويتعين عليه أن يؤديه فى « تعبئة الجماهير وتنظيمها وتوجيه جهودها لحل مشاكلها ذاتيا وتوعيتها حتى تحسن اختيار ممثليها فى مجلس الشعب ومجالس إدارة الشركات والمجالس الشعبية الأخرى والجمعيات التعاونية والنقابات العمالية والمهنية » ، فضلا عن دوره تجاه مهام قومية أخرى كتصفية الأمية ، وتنظيم الأسرة ، وتعبئة الطاقات الخلاقة للتنمية والتعمير .

ويحضرنى فى هذه المناسبة الخاصة بتطوير الاتحاد الاشتراكى وفقا لما تصورته ورقة أغسطس ، ما جرى لبابا روما عندما استولت الحكومة الايطالية عام ١٨٧٠ على الأملاك الشاسعة التى كان يمتلكها ويديرها كحاكم دنيوى ، وكيف رأى البعض أن تجريد البابا من سلطاته الدنيوية سوف يضاعف من نفوذه المعنوى والدينى كرئيس أعلى للكنيسة الكاثوليكية العالمية ، وربما كان فى تجريد الاتحاد الأشتراكى بالمثل من بعض سلطاته أو تطالعاته إلى السلطة ما يزيد من نفوذه الأدبى لدى الجماهير ، فيعنى أكثر من ذى قبل ببحث مشاكلها من أجل حلها ذاتيا أو لحث السلطات المختصة على إيجاد الحل المناسب لها ، وبالاسهام عملا فى توعية الشعب ، وما أحوج شعبنا بالذات المتخلف اجتماعيا ويتكاثر بنسب رهيبة عاما بعد عام ، إلى التوعية والتوجيه فى كل المجالات ليرتفع إلى مستوى العصر رغم كل التحديات .

بقى أن نعرف هل تقبل قيادات الاتحاد الاشتراكى الحالية هذا الوضع الجديد ؟

ثانيا : الاتحاد الاشتراكى وقضية الاشتراكية

أكدت ورقة أغسطس على حتمية الحل الاشتراكى كطريق للتقدم والتنمية فى عالم اليوم وخاصة فى ظروف شعب كشعبنا كثير العدد محدود الموارد ، بينما قد يصلح الحل الراسمالى ، فى



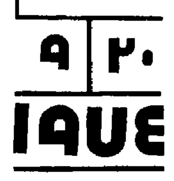


تصورها ، لنوعين من الدول ، الدول الرأسمالية الكبرى التى تطورت فى ظروف تاريخية يستحيل تكرارها الآن ، والدول التى حباها الله بموارد طبيعية ضخمة مع قلة فى عدد السكان بحيث يمكنها أن توفر لمواطنيها الكثير من الخدمات المتقدمة فى إطار أوضاع الحكم التقليدية . وخلصت الورقة إلى القول « أنه لا مفر من أن تتصدى الدولة عندنا لقضية التنمية ، وأن يقودها القطاع العام ، وأن نخطط لها تخطيطا علميا يمكننا من كسب السباق مع الزمن ، وأن نعمل بالكفاية والعدل على تذويب الفوارق بين الطبقات بحيث تحس الغالبية العظمى من المواطنين أنهم لا يصنعون فقط التنمية ولكنهم يجنون ثمارها » . وأضافت تقول . « إن سعينا لرسم طريقنا الاشتراكى هو من وحى واقعنا مستهلمين قيمنا الروحية والاخلاقية التى تمجد التكامل الاجتماعى وترفض الاستغلال وتنبذ الأنانية والحقد » . بهذه العبارات الوجيزة المركزة طرحت ورقة أغسطس قضية الاشتراكية وحتميتها لمجتمعنا .

وقد نختلف ولو من الناحية النظرية حول هذه الحتمية ، فتصدى الدولة لمشاكل التنمية ووجود القطاع العام واستمرار نموه إلى جانب القطاع الخاص والتخطيط الاقتصادى الدقيق ، لم تعد صفات أو مميزات تنفرد بها الدول الاشتراكية وحدها بل تشاركها فيها على درجات متفاوتة فى العمق والمدى الدول الرأسمالية ذاتها ، بحيث أخذت الشقة بين النظم الاشتراكية والنظم الرأسمالية تضيق أكثر فأكثر مع مرور الزمن .

وهذا يتطلب منا أن نحدد أولا وبإيجاز المقصود بالاشتراكية والمجتمع الاشتراكى . فهذا المجتمع ليس كما يتصوره البعض تبسيطا للأمور « مجتمع الكفاية والعدل » هدفه الأول والأخير وفرة الانتاج وعدالة التوزيع ، وإلا لكان العالم أجمع أو معظمه اشتراكيا .

فما من حكومة فى بلد متحضر أو على قدر من الحضارة إلا وتدعى أن فى مقدمة أهدافها إسعاد الشعب لتحقيق العدالة الاجتماعية والحياة الأفضل للمواطنين جميعا . وإنما المجتمع الاشتراكى فى تعريف أهل الرأى هو المجتمع الذى تنقل فيه مختلف وسائل الانتاج من أيدى الأفراد وشركاتهم كما هو الحال فى دول الاقتصاد الحر أو الدول الرأسمالية ، إلى ملكية الشعب أو بعبارة أدق وأقرب إلى الواقع إلى ملكية الدولة . فالدولة بأجهزتها ومؤسساتها وخبرائها وموظفيها وعمالها فى المجتمع الاشتراكى هى التى تتولى إدارة الانتاج تحت مسئوليتها المباشرة ، وقد تمنح بعض المشروعات الاقتصادية التى تقيمها أو تؤممها حق الادارة الذاتية تحت إشرافها كما فى التجربة الاشتراكية اليوجوسلافية ، ولكن تظل هذه المشروعات فى جميع الأحوال داخل إطار ما يسمى بالقطاع العام . ولا تقتصر الدولة فى ادارة وسائل الانتاج أو سيطرتها عليها على القطاع الصناعى وحده ، بل يمتد نشاطها إلى القطاع الزراعى ، والقطاع التجارى أو على الأقل إلى التجارة الخارجية . وذلك كله حسب ظروف كل مجتمع ومدى تغلغل الفكر الاشتراكى فيه وتقبل الشعب له ، أو لتفسير حكامه وقادته لمضمون الاشتراكية متأثرين فى ذلك باجتهادهم



الخاص وتجاربهم ودراستهم لتجارب غيرهم فى الدول الاشتراكية الأخرى . وواضح أن مسئولية الحكومات فى الدول الاشتراكية ثقيلة ومرهقة ، إذ تجاوز إدارة المرافق العامة التقليدية ، كما هو الشأن فى الدول الرأسمالية ، إلى نشاطات جديدة فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة ، وتتطلب بالتالى خبرة كافية ومتطورة بهذه الشئون وتخطيطا اقتصاديا وحسابيا مستمرا ، واخلاصا وتفانيا فى العمل ، وتقديرا سليما للمسئولية من جانب القائمين على هذا النشاط الاقتصادى للدولة مع المرونة اللازمة التى لا يشوبها التعقيد والروتين حتى لا تتعطل أدوات الانتاج أو تتأثر معدلاته ، ورقابة نافذة ومستمرة لصيانة الأموال العامة والقطاع العام لتحميها من التبديد والاهمال ، وتوجيها مبتكرا خلاقا حتى لا يصاب الاقتصاد الاشتراكى بالعجز أو الجمود بينما الاقتصاد الرأسمالى يعمل ساعيا وراء الكسب وبدافع من حوافزه على تجديد نفسه مستفيدا من منجزات العلم والتكنولوجيا ، ومن أخطائه وأخطاء التجارب الاشتراكية ذاتها .

وليس من السهل توافر الصفات والعوامل التى أشرنا اليها جميعا أو معظمها فى كافة المجتمعات الاشتراكية ، لذلك فشل التخطيط الاشتراكى فى عدد من الدول النامية لعجزها حتى عن إدارة المرافق العامة التقليدية الضرورية لشعوبها . ومتى أضفنا إلى ذلك ما صاحب التحول إلى النظام الاشتراكى فى تلك الدول من تدابير استثنائية أو تعسفية أحيانا ، كالاستيلاء على المنشآت والشركات الخاصة بدون أى تعويض أو بتعويض صورى لا يلغى الفارق بين التأميم والمصادرة ، أدركنا لماذا خيبت التجربة الاشتراكية الآمال فى تلك الدول ووجد خصوم الاشتراكية فى هذا الفشل ضالتهم للتنديد بالاقتصاد الاشتراكى والإشادة بمزايا الاقتصاد الحر فى الدول الرأسمالية وبدوره الفعال فى تفوق الولايات المتحدة الامريكية وكندا ودول السوق الأوربية المشتركة وغيرها كدول صناعية متقدمة ، وفى إنعاش بلد كجمهورية ألمانيا الاتحادية ورفعها فى فترة قصيرة إلى مصاف الدول الصناعية الكبرى رغم الهزيمة المنكرة التى منيت بها فى الحرب العالمية الثانية .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص وألقينا نظرة خاطفة على تجربتنا نحن ومدى نصيبها من النجاح أو الفشل ، فأول ما يسترعى الانتباه هو أن تحولنا من الاشتراكية لم يأت من القاعدة نتيجة ثورة اجتماعية شعبية كثورة اكتوبر ١٩١٧ فى الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن نتيجة انتصار حزب تقدمى أو أحزاب تقدمية فى انتخابات عامة حرة وتنافسية كما جرى فى شيلى بأمريكا الجنوبية فى عهد الرئيس الراحل سلفادور الليندى الذى وصل إلى كرسى الحكم بعد فوز حزبه الشيوعى متآلفا مع الأحزاب اليسارية الوطنية الأخرى على أحزاب اليمين والوسط فى الانتخابات التى جرت فى شيلى فى نوفمبر ١٩٧٠ قبل أن يطيح الجيش بهذا الزعيم الشيوعى وبنظام حكمه فى سبتمبر ١٩٧٣ ، بل جرى هذا التحول عندنا إلى الاشتراكية ، وكذلك فى كل من سوريا والعراق ، من موقع القمة ومركز السلطة وفى انقلابات عسكرية اجتاحت هذه الدول الثلاث وتطورت فيما بعد إلى قوة تقدمية دافعة تمثلت فى تشريعات ثورية متعددة ، كقوانين

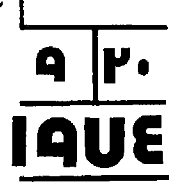




الاصلاح الزراعى وقوانين التأميم ، غيرت فجأة وجذريا ملامح المجتمع الرأسمالى السابق وصورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد ، ولابد لهذا التغيير الجذرى المفاجىء من بعض الوقت لكى تستقر أوضاعه ، وتترسخ المفاهيم الاشتراكية فى سلوك الشعب وأجهزة الحكم والإدارة .

والملاحظة الثانية التى لابد منها أنه قد صاحب هذا التحول إلى الأشتراكية الكثير من المظالم والمآسى فتركت اسوأ الأثر ليس فقط فى نفوس من تعرضوا مباشرة لها ، بل وفى نفوس غيرهم من المواطنين الخيرين . ووقر فى أذهان العديد من الناس أن الأشتراكية تعنى مصادرة المال ومعاداة كل من يملك ولو بالحلال والتنكيل لكل من يرفع صوته بالنقد ولو كان بكلمة حق ، بزعم انه رجعى أو أقطاعى أو عدو للشعب أو عدو للاشتراكية أو متآمر . هذا بينما طفت إلى السطح من قاع المجتمع كما يحدث غالبا فى مثل هذه التحولات الاجتماعية الثورية طبقة جديدة انتهزت قرابتها لذوى الحل والعقد أو تقربها اليهم وتمسحها بأعتاب هذه الثورة التقدمية ، لاكتناز المال والإثراء ثراء فاحشا عن طريق استغلال النفوذ أو الإتجار بقوت الشعب أو نهب وسلب مال القطاع العام وأموال الحراسات . ولكى تستعيد الأشتراكية صورتها الحقيقية الانسانية وتتطهر من هذه الشوائب التى الصقها بها البعض ، لا محيص من محاسبة المستغلين عن مصادر أموالهم وثرواتهم ، ومساءلة من كانوا فى موقع السلطة عما اقترفته أيديهم فى عهد ما قبل ثورة التصحيح باهدارهم حرية المواطنين وكرامة الانسان ضاربين عرض الحائط بالقانون وسيادته . وهو ما يطالب به مع آخرين ، شبابنا الواعى من جيل الثورة كما ورد على لسان أحد ممثليهم ، وأعنى رئيس اتحاد طلاب جامعة الاسكندرية فى ٢٧ يوليو الماضى فى الاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لثورة ٢٣ يوليو . ولا يسع كل مؤمن بسيادة القانون وقدسية العدالة إلا تأييد هذا الطلب الحق حتى تكون فى محاكمة هؤلاء الآثمين محاكمة علنية عظة وعبرة لغيرهم . ومن أسف أن بعضا منهم ما زال يشغل مناصب فى الدولة والبعض الآخر يعيش فى بحبوحة غير نادم على ما فعل ، وكأن ليس للمواطن فى هذا الوطن وزن أو كرامة !

والملاحظة الثالثة أن تجربتنا الاشتراكية وخاصة فى سنواتها الأولى صاحبها سوء التخطيط ، فلقد اندفعنا بتهور على طريق التصنيع ناظرين إلى الكم لا الكيف لكى يقال ويذاع أن معجزة الثورة حولت مصر فى وقت قياسى من بلد زراعى متخلف إلى بلد صناعى ، وانها أقامت فى البلاد ألف مصنع ومصنع ، وإن كان عدد منها فى حد ذاته هو أسوأ دعاية لنا إدارة وإنتاجا . وصرفنا على مديرية التحرير مثلا ملايين الجنيهات دون أن يحقق هذا المشروع من الموارد ما يعوض بعض هذه النفقات الباهظة ، وإن كان قد جنى منها بعض المسئولين منافع خاصة لا يستهان بها . ثم ألم يثبت مؤخرا فى جلسة استماع مجلس الشعب لسياسة استصلاح الأراضى الزراعية أن الاستصلاح يدمر من الأراضى المزروعة القديمة ما يفوق مساحة الأراضى



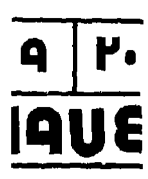
الجديدة ، وإن استصلاح ٣٥ ألف فدان مثلا بوادى كوم أمبو أدى إلى دمار ٤١ ألف فدان ! وحتى مشروع السد العالى أكبر انجازات مصر فى عهد الثورة بدأت تتكشف له عيوب أو ردود فعل جانبية عديدة ، يتطلب علاجها من النفقات ما يساوى إن لم يجاوز ما صرف على السد ذاته ، وقد يؤدى إهمالها إلى اخطار جسيمة كامتلاء مجرى النيل ومجارى الترع بالطحالب ، وتغير المواصفات الطبيعية والكيماوية والبيولوجية لمياه النيل ، وازدياد ملوحة التربة فى بعض اقاليمنا وتآكل سواحلنا والحاجة المتزايدة إلى المخصبات الكيماوية للتعويض عن الطمى أو الغرين ـ الخير الذى كان يأتى به الفيضان المبارك فى كل عام من وراء حدودنا . وليس معنى ذلك أن السد العالى ما كان يجب أن يقام ، ولكن ما أود تسجيله هو أننا بالغنا فى مزاياه أكثر مما ينبغى ، وها هو وزير الكهرباء فى حديث له فى الصحف يوم ٢٧ يوليو ١٩٧٤ يقرر أن البيانات والأرقام التى كانت تعطى عن كهرباء السد العالى هى أكثر من الحقيقة وأقرب إلى الخيال .

يضاف إلى ذلك كله أن شعبنا عاش على مدى أجيال عديدة فى ظل السيطرة الأجنبية ، منها حوالى أربعة قرون ونيف تحت الحكم العثمانى ثم البريطانى ، وظل اثناء ذلك وبعده يقاسى من مرارة الحكم المطلق ، فاستقرت فى أعماق الانسان المصرى وترسبت صفات غير خلاقة يصعب التحرر منها دفعة واحدة أو على المدى القصير كالاستهتار واللامبالاة والتسيب والاتكالية والخوف من تحمل المسئولية ، وكان لهذه الصفات والعوامل أثرها المباشر أو غير المباشر على تجربتنا الاشتراكية ، وهى تجربة حديثة فى سنواتها الأولى لم تستقر بعد . وإذا كان لكل جديد لذة كما يقولون ، فإن لكل مستحدث هفوات وأخطاء .

ولا يجوز عدالة تحميل الاتحاد الاشتراكى وحده كتنظيم سياسى جماهيرى مسئولية هذه الأخطاء والانحرافات التى صاحبت التجربة وشوهتها أحيانا ، بل تتحملها معه وبالدرجة الأولى المؤسسات الدستورية ، بل إن عمليات الانحراف كما لا حظها البعض بحق لم تصدر عن الاتحاد الاشتراكى بل عن موقع السلطة ومن قمتها بالذات . ولا ننسى أن دساتيرنا ابتداء بدستور يناير ١٩٥٦ وحتى دستورنا الحالى لعام ١٩٧١ مرورا بالدستور المؤقت لعام ١٩٦٤ تجعل من منصب رئيس الجمهورية مركز الثقل فى النظام كله ، ومحركه الرئيسى ، وصاحب الأمر والنهى فى البلاد ، بوصف أن شاغله هو رئيس للدولة وللسلطة التنفيذية وللوزارة فى بعض الأحيان والمرشح الأوحد فى الاستفتاء لرئاسة الجمهورية ، بالاضافة الى مشاركته للسلطة التشريعية ورئاسته للاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السياسى الوحيد فى البلاد ! ومتى اختلت المعايير من بين يدى شاغل هذا المنصب ومال إلى الاستئثار بالرأى والانفراد بالسلطة ، كما حدث فى العهد السابق على حركة التصحيح ، اختل النظام كله ولم يجد شاغل هذا المنصب من يقف فى سبيله أو يوقفه عند حدوده . ولم يكن من المتصور أن يتولى الاتحاد الاشتراكى أو الاتحاد القومى قبله هذه المهمة وهما اللذان أقيما لمساندة نظام الحكم وتبرير أساليبه ، كما لم يجرؤ مجلس الأمة على ذلك وكان للحاكم أطوع من بنانه بل ورقص بعض أعضائه نشوة وطربا

عندما استرد رئيس الجمهورية استقالته رغم الهزيمة المنكرة فى يونيو ١٩٦٧ ! ورغم الجهود المبذولة حاليا لخلق الشعور لدى مجلس الشعب بأنه إحدى السلطات الثلاث فى الدولة ، يملك مساءلة الحكومة ومناقشة سياسة رئيس الجمهورية مناقشة جادة ومدققة بلا حدود ، لازالت تركة الضعف والاستكانة التى ورثها عن سلطة مجلس الأمة فى عهد الرئيس السابق الراحل تثقل كاهل المجلس وتحد من قوة نشاطه . وربما كان من الخير أن يقترن تطوير الاتحاد الاشتراكى بتطوير آخر للعلاقات بين المؤسسات الدستورية وخاصة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية يكفل للمجلس النيابى مزيدا من الحيوية بعد تحرره من شبهة أية وصاية من جانب الاتحاد الاشتراكى ، ولن يتحقق ذلك بالتعاون وحده ، بل بالتدقيق قبل أى شىء آخر فى نوعية العضوية عن طريق اختيار الأفضل للنيابة عن الشعب من بين المرشحين دون التقيد لزاما وفى جميع الأحوال بالعقيدة الاقتصادية والاجتماعية للمرشح ، وحسب مجلس الشعب أن ٥٠ فى المائة من أعضائه على الأقل يمثلون العمال والفلاحين ، طلائع الاشتراكية .





UI

على حمدى الجمال

حول ..
سرقة المال العام

تحدث الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب عن كثرة الكلام عن التسيب والانحراف والثراء غير المشروع ، وقال إن بعض القائمين على الجهاز الإدارى فى الدولة والقطاع العام وبعض القائمين على أمور القطاع الخاص يسهمون فى هذا الانحراف ، والحكومة لن تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذه الظواهر ، ولن تتردد فى معاقبة من تثبت عليه وقائع الانحراف مهما كبر منصبه . . بل إن كبر المنصب لابد أن يؤدى إلى كبر حجم العقاب . .

هذه المواجهة الصريحة من جانب رئيس الوزراء مسألة مطمئنة للغاية ، على أساس أن الحكومة لن تتوانى فى معاقبة كل الذين ينحرفون أو يستغلون . ولا شك أن الانفتاح وقدوم رأس المال من الخارج والمشروعات الضخمة التى نحن بصدد تنفيذها ، كل ذلك يفتح المجال أمام أصحاب الضمائر المريضة للاستفادة غير المشروعة ، خصوصا لو كان الموظف فى مكان يملك فيه القبول أو الرفض ، وذلك يسرى على الجميع ، الصغير والكبير .

ولذلك فحماية المال العام ، وأيضا المال الخاص ، تقتضى ، بل تفرض ، على كافة الأجهزة أن تكون عيونها مفتوحة لأى محاولة استغلال أو سرقات أو عمولات أو غير ذلك من مظاهر التسيب .

ولايضير الحكومة مطلقا أن تكشف عن الانحراف عندما تضبطه ، وأن تعلن عن العقاب



الذى توقعه ، فهذا ولا شك سوف يطمئن كل الشرفاء سواء من المصريين الذين يتصدون لخدمة بلدهم ويسعون للكسب المشروع الحلال أو الذين يريدون أن يستثمروا أموالهم فى بلادنا فى المحافظة الكاملة على مصالحها مع مصالحهم سواء بسواء .

٦٢

يحيى حقى

لتكن مسئولية دور النشر

لا شك أن رفع الرقابة عن الكتاب أمر مطلوب . ولكن لابد من إيجاد البديل لمواجهة الكتب التى تتعرض للمسائل الدينية والتى اعترض الأزهر أخيرا على أحدها ، إن اجراءات المحاكمة وطلب المصادرة لا تكون كافية ابدا لرفع ضرر وقع بالفعل . وفى اوقات مضت كنا نجد كتبا على سور الأزبكية تطعن فى الأديان ، وكنا عندما نترجم كتابا لمستشرق يتعرض للدين نكتب فى الهامش هذا رأى المؤلف ، ولم يعد لشىء من هذا وجود الآن . وقد يكون البديل الممكن لرفع الرقابة عن الكتاب هو أن يتولى مسئوليتها المسئول الأول فى كل دار للطباعة والنشر ، فإذا ما وجد فى الكتاب نصا يتعرض لمسألة دينية يكون عليه أن يطلب من المؤلف ضرورة عرضه على الأزهر الشريف .

أما الرقابة على المصنفات الفنية ـ وقد مارست مسئوليتها من سنة ٥٣ إلى سنة ٥٦ وقت أن كنت مديرا لمصلحة الفنون ـ فاننى مقتنع تماما بضرورة بقائها ، لان الفيلم أشد خطرا من الكتاب ، وكثيرا ما يكون المنع أو الحذف ضرورة . لقد منعت مثلا عرض فيلم بعنوان « الشهوة تحت شجرة الدرداء » وكان مأخوذا عن مسرحية منشورة للمؤلف المسرحى العالمى « أوجين أونيل » ذلك لأن الفيلم كان يصور أما تقتل أبنها لتثبت لرجلها أنها تحبه لذاته وليس طمعا فى ميراث منه ، وقد رأيت أن عاطفة الأمومة أرقى من أن تهدر هكذا . ومرة أخرى كتبت على أحد الأفلام أن فيه دعاية صهيونية مستترة . من ذلك كله لابد من وجود الرقابة على المصنفات الفنية ، وإن كنت أرى أن تقوم بها لجنة ولا تترك أبدا لرقيب بمفرده .



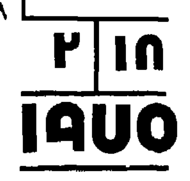
د . علـى السـلمى

الوجـه الآخـر لمشـكلة الجمـع بـين وظيفتـين

مشكلة الجمع بين وظيفتين لا تمثل إلا جزءا يسيرا من مشكلة اعمق وأكثر خطورة على الكيان الانتاجي والاقتصادى فى مصر . وإن لهذه المشكلة الهامشية وجها اخر يحتاج إلى كل الاهتمام الرسمى والشعبى بحثا عن حل جذرى يرسى دعائم النظام الادارى والاقتصادى فى البلاد على اسس سليمة .

وأقصد بالوجه الآخر لمشكلة الجمع بين وظيفتين لبعض الأفراد الذين مهما زادت أعدادهم فلن تتجاوز المئات ، مشكلة الآلاف من الأفراد الذين يشغل كل منهم وظيفة واحدة ، ولكنهم لا يؤدون أى عمل له قيمة ، ولا يسهمون إسهاما ايجابيا معقولا فى تحقيق الناتج القومى . هؤلاء الآلاف من الأفراد الموزعين بين مؤسسات وهيئات وشركات القطاع العام وبين الوزارات والمصالح والأجهزة الحكومية المختلفة يمثلون طاقات بشرية معطلة وقوى إنتاجية مشلولة هذا الوجه الآخر هو الذى يستحق كل الاهتمام لدراسة الأسباب التى أدت إلى ظهوره واستمرار خطره .

إن لتلك الطاقات البشرية المعطلة تأثير مدمر على الاقتصاد القومى ، وهو يتمثل فى ضياع قومى متعدد الأبعاد . فمن ناحية ، نجد الأجور والمرتبات والمكافآت تلتهم سنويا شريحة متزايدة من الموازنة العامة للدولة دون أن تتعادل مع قيمة الانتاج الناشىء عن استخدام هذه الآلاف من



الأفراد . ومن ناحية ثانية ، فإن هذا التراكم الوظيفى غير المنتج يسبب إرباكا فى الهياكل الوظيفية لكثير من الوحدات الانتاجية والإدارية تترتب عليه مشكلات التخلف عن الترقية والرسوب الوظيفى ، مما يضطر الدولة أن تتدخل دوريا لعلاج المشكلة علاجا مصطنعا بما يسمى الآن الاصلاح الوظيفى . وثمة بعد ثالث لتلك المشكلة هو الزيادة الرهيبة فى الانفاق الإدارى اللازم لاسكان هؤلاء العاملين وتهيئة متطلبات توظيفهم من مكاتب وأثاثات وأدوات مكتبية .

والسبب الرئيسى لتلك المشكلة يعود فى تقديرى إلى التوسع غير المخطط ، والنمو غير المتوازن للجهاز الإدارى للدولة ولوحدات القطاع العام خلال السنوات القليلة الماضية . فقد ازدحمت خريطة البناء التنظيمى للدولة بعشرات من الوزارات والأجهزة المركزية والهيئات والمؤسسات العامة والمجالس العليا واللجان وغيرها من التكوينات الإدارية التى تتصف فى كثير من الأحيان بإحدى الصفتين التاليتين أو كلتيهما :

● أن تكون هذه التكوينات قد أنشئت على غير أساس كاف من الدراسة الموضوعية وبلا احتياج حقيقى ، ومن ثم تتناقض تلك التكوينات الجديدة مع وحدات قائمة فعلا وتزاحمها فى أعمالها وتكرر ما تقوم به تلك الوحدات القائمة ، والنتيجة دائما تضخم وظيفى إضافة إلى كل النتائج السالبة من تدهور كفاءة العمل وتميع المسئوليات وزيادة فرص الإهمال والانحراف لانعدام الرقابة وتداخل الاختصاصات .

● أن تتجاوز التكوينات الجديدة الأهداف التى كانت محددة لها وقت قيامها ، وتفتعل لنفسها اختصاصات ليست مطلوبة ، وتتجه بالتالى إلى تضخيم أجهزتها وتكديس العاملين بها ، تحقيقا لأهداف القائمين على إدارتها وإشباعا لرغباتهم فى النمو والصعود السريع لسلم السلطة .

ولكى أكون محددا وموضوعيا فى الوقت ذاته ، يكفينى أن أشير إلى أمثلة لما أقول ، لمجرد التمثيل فقط وليس بغرض الحصر . فان وزارات مثل التخطيط ، القوى العاملة ، الشئون الاجتماعية على سبيل المثال تغص بالاف العاملين دون أن يكون لانجازاتها قيمة تذكر فى علاج المشكلات القومية أو تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما أن وزارات مثل التأمينات ، النقل البحرى ، الثقافة ، الإعلام ، السياحة والطيران ، لا تمثل سوى أجهزة عليا وضعت فوق الوحدات الأصيلة التى كانت ولاتزال تمارس الأنشطة المعنية ، وليس لجهاز الوزارة من دور سوى تكرار ما تقوم به تلك الأجهزة أو إضافة حلقات إلى الروتين الإدارى بها ، حيث أن ما كان ينتهى من أمور عند مستوى رئيس هيئة أصبح الآن يحتاج إلى قرار من الوزير . وثمة هيئات وأجهزة تزدحم بالاف الأفراد وتزداد أعدادهم سنويا بشكل غير معقول دون أن يكون لها وجود حقيقى فى الجهد المبذول من أجل زيادة الانتاج وتحقيق معدلات متواضعة من النمو





الاقتصادى . ولعلى لا أكون متجنيا إذا اتخذت كأمثلة الهيئة العامة للاستعلامات ، الهيئة العامة للمعارض والأسواق الدولية ، الهيئة العامة للرقابة على الواردات والصادرات ، الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة . . ولشديد الأسف لابد من ذكر المعهد القومى للتنمية الإدارية ضمن هذه الفئة من الأجهزة العاطلة أو المعطلة عن العمل منذ سنوات ، هذا بالاضافة إلى عشرات الأجهزة والمصالح والادارات والهيئات والمؤسسات العامة .

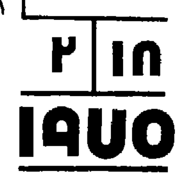
من كل ما سبق نخلص إلى بعض الحقائق الهامة نضعها امام المسئولين بكل أمانة وموضوعية . تلك الحقائق هى :

□ أن المشكلة الحقيقية التى تعترض مسيرة العمل القومى فى مصر من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية هى تجمد وتخلف التنظيم الإدارى العام ، وانهيار كفاءة كثير من الوحدات الإدارية بالحكومة والقطاع العام .

□ أن المدخل السليم لعلاج مشكلات وعيوب البيروقراطية المصرية يقتضى النظرة الشمولية للمشكلة فى كل أبعادها ، والتماس الحلول الجذرية التى تتعامل مع الأسباب الرئيسية ، وليس الاكتفاء بعلاجات مؤقتة وحلول مسكنة لبعض المشكلات الهامشية التى لا يؤثر حلها كثيرا على قيمة الإنجاز الكلى للجهاز الإدارى فى البلاد .

□ أنه لابد حين الحديث عن عدم الجمع بين وظيفتين من الربط بين هذه المشكلة من ناحية والأوضاع والظروف السائدة فى البلاد من ناحية أخرى ، بحيث لا يقتصر الجهد على مجرد تحريم الجمع ، ولكن لابد من إلغاء الأسباب والظروف التى جعلت الجمع بين الوظائف أمرا ممكنا يصل إلى درجة المشكلة .

فى ضوء هذه الحقائق فإن ما ندعو اليه هو التوجه إلى عملية إصلاح إدارى شامل تقوم على أسس ومفاهيم متطورة تجتث الأمراض البيروقراطية من جذورها . ولن يتحقق هذا الاصلاح الشامل ـ الذى ابتدعنا له فى وقت مضى اسم الثورة الادارية ثم مالبثنا أن نسيناه بحكم مزاجنا القومى الذى تحدثنا عنه فى مقدمة هذا المقال ـ إلا إذا تمت مراجعة موضوعية لحقيقة الأهداف التى تخدمها كل وحدة من وحدات الجهاز الحكومى والقطاع العام ، وتحديد قيمة ما يتحقق عنها من إنجازات فعلية وتكلفة هذه الإنجازات . وفى ضوء هذه المراجعة يتم الابقاء على الوحدات ذات الفعالية ويتم توفير الكفاءات الادارية اللازمة لها فقط دون زيادة ونطلق لها حرية العمل المسئول فى إطار أهداف وخطط متفق عليها ، على أن يخضع عملها للتقييم وفقا لمعايير موضوعية مع التطبيق الصارم لقواعد الثواب والعقاب بحسب الإنجاز ، أما ماعدا ذلك من وحدات فلابد وأن نواجه الواقع بصراحة معتمدين فى ذلك منطق الجراح الذى يقرر بتر بعض أعضاء الجسم حماية لباقى الأعضاء ، وذلك حين يكشف عدم جدوى المسكنات .



٥٤

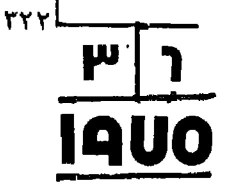
صلاح عبد الصبور

« ثمن الثقافة » في مصر .. فوق المقدرة

مظهر الأزمة هو ارتفاع اثمان المواد الثقافية ، من كتاب ومسرحية واسطوانة وغيرها ، ولكن جوهر الأزمة هو ضعف القدرة الشرائية بالنسبة للمثقف المصرى . فالكتاب المصرى الآن يتراوح ثمنه بين ٢٠ قرشا وجنيهين . والمسرحية تكلف الأسرة المتوسطة الدخل أعباء لا طاقة لها بها ، والاسطوانة الموسيقية تلتهم بالنسبة لنفس الأسرة أجر عمل يوم أو يومين .

ولا أظن أن الناشرين والمنتجين يغالون فى تقدير أثمان سلعهم ، فقد ارتفعت أسعار المواد الخام وتكاليف العمالة ارتفاعا كبيرا فى السنوات الأخيرة .

ولكن هل نقف حائرين تجاه هذه الأزمة . . أما من حل نستطيع أن نوفق به بين نشر الثقافة وبين ارتفاع تكاليف انتاجها .



٦٥

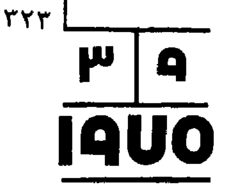
د . سـهير القلمـــاوى

وأيــن المـرأة ؟

ثلاث فئات من المجتمع احتاجت إلى ثورات مستمرة لتتحرر من الظلم والاستغلال داخل إطار المجتمع الواحد : العبيد وقد تحرروا نهائيا واصبحت قضيتهم مجرد بقعة سوداء فى التاريخ ، والعمال والفلاحون وقد بداوا منذ عصر التصنيع اى منذ ثلاثة قرون فى شكل نقابات وروابط يدافعون عن حقوقهم حتى قامت الثورة الاشتراكية الكبرى فرفعت قضيتهم إلى مجال الثورات التحررية العظيمة . وهم لا يزالون من خلال الأنظمة الثورية فى كل مكان يجاهدون فى سبيل التحرر الكامل من الاستغلال . هذا الاستغلال الذى تحاربه الديانات والأنظمة لا يزال واقعا مرا ثقيلا .

والفئة الثالثة هى المرأة وهى لا تزال فى طور النقابات أو الاتحادات أو الروابط أن تتحرر نهائيا بحيث تكون انسانا أولا لها كل حقوق الانسان قبل أن تكون انثى . وفى مصر يسير الأمر فى عملية التحرير فى مسارب سليمة فعالة نصل فيها إلى النتائج بعد جهاد طويل صابر لانه يأنف من العنف الذى ليس فى طبيعتنا ، وقد ضمنت الثورة على طريق الاشتراكية للعمال والفلاحين مقاعد هى ٥٠٪ على الأقل فى كل مستويات القيادة السياسية ، ليسمع صوت هذه الفئة الضخمة التى تكون كل الشعب فعلا والتى ظلت محرومة من حقها الشرعى فى إتخاذ القرارات ورسم الخطط التى تحكم حياتها فى المجتمع ، والتحول فى هذا الاتجاه أصبح واضح المعالم . .

وانى لأتساءل أما كان يجدر أن يكون هناك شرط بأن يكون نصف العمال ونصف



الفلاحين من النساء حتى تتحرر المرأة فى نفس الوقت من هذا الباب الواسع الذى يحرر الكتلة الرئيسية من الشعب كله . . . ألا تتجه المرأة فى سرعة نحو أن تكون نصف العاملين فى الانتاج وهى جزء قد لا يبعد كثيرا عن النصف فى مجال الزراعة والفلاحة والتصنيع الغذائى . . الخ .

لماذا لا تطالب المرأة المصرية وفى عام المرأة إذا أردنا مناسبة للطلب « ولا أجد ما يمنع من ذلك وإن كان الحق هنا أكبر من أى مناسبة » بأن يكون لها نصف مقاعد العمال والفلاحين بصفتها أنها فعلا نصف الشعب المصرى كله . وإذا كانت هناك اعتراضات أكاد أسمعها تخرق اذنى وانا انادى بهذا فلم لا تكون هناك نسبة على نفس الأسس وتحقيقا لنفس الغاية ولتكن ربع مقاعد العمال والفلاحين فى كل المستويات لتشارك المرأة فى إحداث تحررها التام على طريق العدل الاجتماعى أو تكافؤ الفرص أو على طريق الاشتراكية ، سمها ما شئت فللحق معنى واحد واسماء كثيرة . .

قد يكون الرأى الجاد هو الجرىء فى هذه المرحلة . أقول إننا نطمع فى بداية ، ليست أية بداية ، وإنما بداية حقة تقود حتما إلى النتائج السليمة والسريعة أيضا . إن للانسانية مشاكل كبيرة كثيرة ولن تحل هذه المشاكل إذا ظل نصف عقل البشرية مشلولا ونصف أيدى الانسانية مغلولة إلى صدرها .

٥٦

صالح أبو رقيق

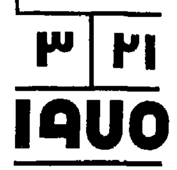
الدعوة الإسلامية مسئولية الدولة

إننى اختلف مع الدكتور عبد العزيز كامل فى طرحه لقضية الانحراف باسم الدين . فهو يقول اننا نشهد فى أعقاب الحروب اندفاعا فى اتجاهين : المبالغة فى التدين والانحلال الأخلاقى . وعزز القول بالإشارة إلى حركات الخنافس والهيبيز ، بكل ما فيها من عناصر الانحلال والتمزق والحيرة . وهذا التشخيص يفسر الظاهرة تفسيرا جزئيا ، ذلك أن الحروب ليست هى السبب الرئيسى ، والفكر المادى السائد فى مجتمعات الغرب والفراغ الروحى الذى أحدثه ، هو محور القضية .

وعندما يضاف إلى ذلك خراب اجتماعى واقتصادى ، نتيجة للحروب ، فإن التمزق والانحلال يبلغان ذروتهما .

واخالف الدكتور عبد العزيز كامل ايضا فى طرحه لموقف الحركات الدينية فى العالم الاسلامى . فلم تكن هذه الحركات ذات علاقة بالحروب لعدة أسباب فى مقدمتها أن العالم الاسلامى لم يشهد حربا مدمرة بالمعنى الذى أشار اليه المقال . وكانت اعنف تلك الحروب ما شهدته الجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى .

والسبب الحقيقى الذى ادى إلى قيام الحركات الاسلامية المعاصرة يكمن فى أن الاسلام هو فى الأساس دين الدولة ، وهى بذلك تتحمل مسئولية خاصة تجاه هذا الدين .





فاذا اغفلت الدولة أحد جوانبه ، فإن ذلك يحفز الغيورين على الدين على التحرك لسد هذه الثغرة . وإذا سمحت لهم الدولة بذلك زاولوا نشاطهم فى العلن ، وإن لم تسمح فإن هؤلاء قد يلجأون إلى التحرك فى الخفاء ، وهو كثيرا ما يؤدى إلى العنف ، والعنف سبب هام من أسباب الانحراف .

أما الرفض الدينى الذى تحدث عنه الدكتور عبد العزيز كامل وقال أنه ملجأ إلى الإثارة القولية والتركيز على السلبيات ، فهو فى حقيقته ناتج عن وجود هذه السلبيات بالفعل فى المجتمع الاسلامى بصورة تبعث على هذه الإثارة ، التى إن أغفلت الايجابيات فلا تنكرها ولا تجحدها والايجابيات نفع وفوائد والسلبيات ضرر وخسائر ، ومن ثم وجب التركيز عليها والتنبيه اليها . أما الرفض الدينى العنيف فلا أحد يرتضيه ولا عذر لفاعليه ، إلا فى حالة غياب القانون وضياع الحريات .

إن الحل الجذرى لتفادى تلك المخاطر هو أن تتبنى الدولة بكل أجهزتها الدعوة الاسلامية ، وهذه الأجهزة وفيرة والحمد لله ، وبذلك يتجه ولاء العاملين فى الحقل الاسلامى والغيورين على دينهم ، من تنظيماتهم – إن وجدت – إلى الدولة وقيادتها .

وهنا تبرز أهمية التركيز على الاهتمام بالتربية الدينية فى مختلف مراحل التعليم وشتى نواحى المجتمع .

إن لدينا الآن تيارا اسلاميا قويا هو أحوج ما يكون إلى قيادة ، وإلا فلت زمامه ، ومصر هى الوحيدة بين أقطار العالم الاسلامى القادرة على أداء هذا الدور بجدارة . وأعداء الاسلام يعلمون ذلك تماما . ومن ثم كانت وما زالت وطأتهم عليها شديدة .





٥٥

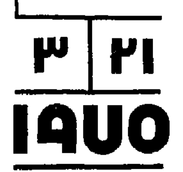
د . عبـد الصبـور شـاهين

التكتيك والاستراتيجية في شخصية النبى

ليست القوة فى التحليل الأخير إلا الثقة والايمان ، أى : إنها موقف نفسى ناشىء احيانا عن توفر بعض العوامل المادية ، كالسلاح والصحة والمال ، ولكنه فى أكثر الأحيان نتيجة رؤيا بعيدة ، عميقة الغور ، حتى لو تجرد صاحبها من كل الوسائل المادية . وتجاربنا على مر التاريخ تؤكد انه لاشىء من عوامل القوة يعدل بناء الانسان من الداخل ، الانسان الذى يشكل السلم الاجتماعى فى الأمة ، ويكون بناؤه على المستوى المادى ، بتقريب المسافات بين درجات هذا السلم ، وعلى المستوى النفسى والأخلاقى بتوفير جو من الحب المتفاعل استعدادا لمعارك الصراع الفكرى والدموى المقبلة ، واستمرارا لرسالة الدين .

وتمثل شخصية النبى صلى الله عليه وسلم معينا لاينضب فى باب الاعداد والتربية على مستوى الفرد والجماعة ، ومنها نتعلم كيف يكون بناء الفرد مستوفيا كل عناصر القوة اذا هو استوفى عنصر الثقة فى كيانه الداخلى .

لقد تعرض النبى فى المرحلة الاولى من الدعوة لمواقف كان من الممكن أن تزلزل كيانه ، ومع ذلك فقد كان يزداد صلابة ومقاومة لضروب الضغط والاغراء ، وكان موقفه إزاءها يتمثل دائما فى رفض كل مساومة على دعوته ، والتمسك بأهداب الثبات ، والصبر على المكاره ، فاذا رجعنا الى كلماته التى قالها ردا على مساومة أعدائه له لمحنا فى حروفها روح المقاومة ، والصلابة ،



والاصرار على بلوغ الهدف ، وتبليغ الدعوة ، وكأنما كان النبى فى مخاطبته لاعدائه يرى صورة المستقبل الذى ينتظره ، وينتظر اعداءه ، ماثلا أمام ناظريه ، فاذا هو يتكلم بلغة تليق بمن يملك الزمام رغم أنه كان فى تلك الفترة قليلا فى كل شىء مادى .

ومازالت كلماته التى قالها لعمه أبى طالب : « والله ياعم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن اترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ـ مازالت هذه الكلمات تعبيرا عن روح التحدى والمقاومة التى ابداها النبى فى مواجهة معارضة ضارية ، وحرب شرسة كان الظالمون فيها يستعجلون المحاولات للقضاء على الدعوة والداعية .

ولقد جاء الى النبى صلوات الله عليه فى مكة من يساومه على مبدئه ، جاءه الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، يعرضون عليه حلا وسطا ، ينتهى به الصراع ، ويحل الوفاق فى البلد الحرام ، قالوا له : « يامحمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر » ، واذا بالوحى ينزل عليه بالكلمة الحاسمة : « قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » .

فهى اذن المباينة بين الحق والباطل . والحق يومئذ أعزل إلا من الايمان والثقة ، والباطل متحكم مستبد متسلط ، ولكن النبى كان يرى مضارع القوم عبر الغيوب ، فهم بين يديه شخوص قائمة حاكمة ، وهم فى رؤيته البعيدة هلكى ، يومهم التمزق ، وغدهم النار .

وربما كان من أدل المواقف على عمق الرؤية وقوتها فى مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن نذكر حادثتين عرضتا به ، إحداهما فى مكة ، إبان ضعف الدعوة ، والاخرى فى المدينة أبان الانتصارات الخالدة ، وقد كان مضمون الحادثتين واحدا ، وكان الرد أو الحكم النبوى فيهما واحدا أيضا ، رغم اختلاف الطرفين ، واختلاف عناصرهما ، وابتعاد ثانيهما عن الأول باكثر من ١٢ سنة .

كانت الأولى يوم عرض النبى نفسه على رجالات العرب فى موسم الحج ، وكان ممن خاطبهم فى ذلك بيحرة بن فراس ، من بنى عامر بن صعصعة ، فلما دعاه النبى الى الاسلام قال له : « ارايت إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ »





فقال النبى : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

ورد بيحرة : « افتهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا اظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ . . لا حاجة لنا بأمرك » .

وكانت الثانية : فى السنة العاشرة للهجرة حين كتب مسيلمة بن حبيب الكذاب الى النبى صلى الله عليه وسلم كتابه الذى يقول فيه : « أما بعد ، فانى قد أشركت فى الأمر معك ، وأن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون » .

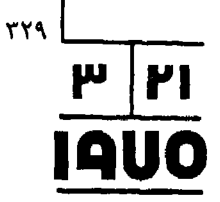
فرد عليه الرسول بهذه الكلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله على مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

الأمر لله يضعه حيث يشاء ، الأرض لله يورثها من يشاء .

هذا هو جوهر الدين ، وهو جوهر الحقيقة التى حملها النبى فى مواجهة اعدائه ، لم يكن الأمر معركة ومساومة تقتضى الكر والفر ، والأخذ والعطاء ، ولكنه كان أمر مبدأ لا يليق معه التفريط بل لايمكن فيه إلا الحسم والثبات ، وكلا الردين لم يكن تكتيكا مرحليا ، بل كان موقفا استراتيجيا بالتعبير الحديث ، ولو كان الأمر أمر تكتيك لاختلف حتما موقف محمد المستضعف عن موقف محمد المنتصر ، لأن لكل ظرف منطقه ، ولغته ، ولكن ذلك إذا جاز فى مستوى السياسات المعاصرة ، القائمة على المناورات والأكاذيب، فإنه لايمكن فى منطق النبوة ، وهى تستمد قوتها من خالق الكون ، القوى القادر ، الذى نفث فى روع محمد : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد » .

إن هدى النبوة يطرح امامنا استراتيجية الصراع وتكتيك المعارك القادمة : الثبات والقوة ، وليست القوة فى التحليل الأخير إلا الثقة والايمان .





السيد ياسين

بحثا عن المنهج الإسلامى فى تحليل المجتمع

يسود الخلط فى كثير من الكتابات التى تدعو إلى صلاحية الاسلام كاساس للحياة المعاصرة بين عدة جوانب للاسلام ، من الضرورى التمييز الواضح بينها ، لان كل جانب منها يثير مشكلات نظرية ومنهجية وتطبيقية قد تختلف من جانب إلى جانب . فالاسلام يمكن النظر اليه فى المقام الأول باعتباره عقيدة تنهض على أساس مجموعة متماسكة من المبادىء والقيم ، ويمكن ـ لو ركزنا على الجانب التاريخى ـ النظر إليه باعتباره حضارة متميزة ، ذلك إن الحضارة الاسلامية التى هى نتاج تطبيق الاسلام فى مجتمعات متباينة عبر حقب تاريخية ممتدة ، قد كونت لنفسها رؤية محددة للعالم عبرت عن نفسها فى عديد من الممارسات الثقافية والسياسية والاجتماعية ، مما اكسبها اصالة خاصة يصح أن تخضع لبحوث المؤرخين للكشف عن كل جوانبها المضيئة . والاسلام يمكن النظر اليه من جانب آخر لو ركزنا على ما يطلق عليها اليوم المجتمعات الاسلامية المعاصرة .

ومنطق هذا التمييز بين هذه المستويات الثلاثة ، العقيدة والحضارة والمجتمع ، إن كلا منها يحتاج فى دراسته إلى منهج متميز . فالبحث فى شئون العقيدة يحتاج لعالم الدين المتفقه الخبير بالعلوم الاسلامية المتعددة . أما البحث فى الحضارة الاسلامية ، فهو يحتاج فى المقام الأول إلى تطبيق منهج البحث التاريخى والمقارن الذى يستطيع من يتقنون تطبيقه من المؤرخين تعقب نشأة الحضارات وتطورها فى صعودها وهبوطها ، وكذلك رصد سلسلة التفاعلات





المعقدة التى تمت بين حضارة ما وبين الحضارات السابقة عليها ، والمواكبة لها ، وتلك التى جاءت بعدها .

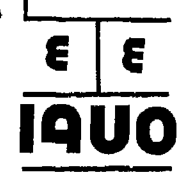
وناتى اخيرا إلى البحث فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، والتى ليس أمامنا سوى المنهج الاجتماعى الذى يستطيع أن يكشف عن بنائها ووظائفها ، وإتساق القيم السائدة فيها ، وضروب الصراعات الكامنة أو الظاهرة بين جنباتها .

ونحن نزعم أن الخلط بين هذه المستويات فى الكتابات الاسلامية المعاصرة ، يؤدى ـ فى كثير من الأحيان ـ إلى تناول عديد من الموضوعات بصورة سطحية ، وينتهى غالبا إلى التوصل الى نتائج بصورة متعسفة ، مما يجعلها لا تصمد كثيرا للنقد العلمى والمنهجى . وغالبية الدراسات الاسلامية تكاد تتركز فى المجال الأول ، وتعنى فى الدراسات الخاصة بالعقيدة ، وتندر الدراسات الاسلامية التى تعمقت فى أصول الحضارة الاسلامية وتطوراتها ، أو تلك التى عنيت بالدراسة العلمية المتكاملة للمجتمعات الاسلامية المعاصرة . وتفسير ذلك أن الخط الأول من الدراسات يستطيع أن يقدم عليه عديد من الكتاب ـ الذين تتفاوت ثقافتهم الاسلامية تفاوتا ضخما ـ والذين يقدم بعضهم بجسارة يحسد عليها على الاجتهاد فى الدين بغير إعداد ضرورى سابق ، وهذا سر ما نراه من تعدد الكتابات الاسلامية السطحية والفجة والتى لا تضيف اى جديد فى المجالات التى تتعرض لدراستها .

وقد أدى ذلك كله فى نهاية الأمر ، إلى أن الموضوعات الحية التى تحتاج لجهد إبداعى حقيقى من المفكرين الاسلاميين تركت نهبا للتجاهل والاهمال . فعلى سبيل المثال ، وبعيدا عن متاهات الالحاد والايمان وغيرها من الموضوعات المعقدة الشائكة ، التى يحاول بعض الكتاب الهواة استدراج القراء العرب اليها ، من خلال معالجات سطحية ومشوهة ، فان قليلين جدا هم الذين قدموا لنا وجهة نظر الاسلام فى تحليل المجتمعات الانسانية ، واجابوا على سؤالنا حول المنهج الاسلامى لتحليل المجتمع .

وطرح هذه القضية يمكن أن يكشف عن الأرضية المشتركة التى تستطيع التيارات الفكرية المعاصرة فى الساحة العربية أن تقف عليها . ونعنى بذلك على وجه التحديد أن المفكرين الاسلاميين لو عنوا بالكشف الدقيق عن المنهج الاسلامى فى تحليل المجتمع ، فقد يتبين انه فى هذا الصدد هناك مجال حقيقى للالتقاء بين الاسلام وتلك التيارات وفى مقدمتها الاشتراكية والماركسية .

ترى لو حاولنا ان نستخلص قواعد المنهج الاسلامى فى تحليل المجتمع ، هل سيكون مختلفا اختلافات جوهرية عن المنهج الاشتراكى العلمى ؟ سؤال مطروح امام الكتاب الاسلاميين الذين ينبغى أن تدفعهم روح المسئولية العلمية والفكرية إلى التصدى لعلاج المشكلات الواقعية التى تجابهها الجماهير فى سعيها الدائب نحو تحرير نفسها من ربقه استغلال الانسان للانسان





بـ حسنين مخلوف

هؤلاء الشبان .. وقمصانهم المشجرة !

حفلت الشريعة الاسلامية ببيان خصائص كل من الرجال والنساء ، وحرمت على الرجال التشبه بالنساء فيما هو من خصائصهن ، كما حرمت على النساء التشبه بالرجال فيما هو من خصائصهم ، ففى الحديث : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، كما لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والتشبه المقصود هو التشبه فى الحركات أو الأزياء ، ولعن الرسول ﷺ الرجل يلبس ملابس النساء ، والمرأة تلبس ملابس الرجل . وقال صلى الله عليه وسلام : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولايجدن ريحها » .

ومعنى قوله فى الصنف الثانى (نساء كاسيات عاريات . .) أن تستر إحداهن بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ، أو تلبس ثوبا رقيقا يصف بدنها ، ومعنى (مائلات مميلات) أنهن يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن ، ومعنى (رءوسهن كأسنمة البخت) أى يكبرنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها ، وذلك ما ذكره شراح الحديث منذ قرون قبل ظهور هذه البدع ، وهو من علامات النبوة واللعن دليل التحريم بإجماع الائمة .

ومعلوم أن الشريعة الغراء ، قرآنا وسنة ، قد كرمت المرأة أعظم التكريم ، وأحاطتها



بسياج منيع يمنع التطاول عليها ، والعدوان على أنوثتها بأى نوع من العدوان ، وجعلت لها حقوقا يجب على الرجال رعايتها واداؤها .

لذلك ندعو الناس ، رجالا ونساء إلى احترام حقوق وخصائص كل منهما ، وحسبنا الآن هذه الإشارة إلى اخواننا المسلمين واخواتنا المسلمات ، والله الموفق .

نفتح الشباك .. والا نقفله ؟ !

قضية أخرى ـ حيوية لمصر ـ أتناولها اليوم ، من واقع ندوة الأهرام عن القطن ! يا عالم نفتح الشباك والا نقفله ؟ نزرع القطن أم لا نزرعه ؟ ـ اختلف علماء الزراعة والاقتصاد والتعاون ، وتركوا لنا نحن المواطنين ـ أن نفكر ، وكاننا لاندفع للدولة الضرائب ليحصلوا هم على مرتبات لكى يفكروا ! !

● رئيس اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب قال : إن الاستغناء عن زراعة القطن وزرع محاصيل أخرى عملية غير مجزية لأنه محصول « نقدى » للفلاح ، ومحصول « غذائى » أكثر منه كسائى ، ومحصول تصدير رئيسى يمثل من ٤٠ إلى ٦٠٪ من صادرات مصر !

● مدير معهد بحوث الاقتصاد الزراعى قال : إن العملية تحتاج إلى دراسة اقتصادية زراعية ـ « كويسة دى » ـ ولما نحسب عائد فدان القطن نجده ٣٥٩ جنيها ـ « زى باتا » ! يعنى لازم نزرع القطن لكى نصدره ونشترى القمح والذرة !

● أمين الفلاحين فى الاتحاد الاشتراكى قال : الفلاح يبذل فى محصول القطن مجهودا كبيرا جدا ولا يجد العائد المطلوب .

● رئيس لجنة الزراعة بمجلس الشعب قال : وزارة الزراعة ما بتتحركش من بدرى مع أنها أغنى وزارة فى العالم بالمهندسين . ما فيش دولة فى العالم بتأخذ عملية القطن « كف لف »

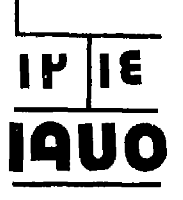


إلا مصر . . مقاومة ورش ، وبدون إرشاد زراعى ! موش ممكن وزارة تمشى بهذا الأسلوب ! طبعا إحنا موش حنزرع قطن لاننا جمعنا دراسات فوجدنا أن الفدان يخسر ٤٠ جنيها (لا حظ التناقض مع العائد الذى قدره مدير معهد بحوث الاقتصاد الزراعى وهو ٣٥٩ جنيها للفدان) !

● مدير معهد بحوث تربية القطن بلهجة خطابية إذا كانت مصر هبة النيل فالقطن هبة لمصر . وأنا بأفكر أزرع أقطانا قصيرة التيلة حول بحيرة ناصر ! (وأنا اناشده ألا يفعلها ، فكفانا تجارب !)

● مدير عام التخطيط بهيئة الإصلاح الزراعى قال : قطن أيه اللى بتتكلموا عليه ؟ عيب ونحن نخطط لسنة ٢٠٠٠ ! هناك ١٠٠ بديل أكثر ربحية من القطن ! .

● يا عالم ! يا علماء ، ياخبراء ، يا هوه نفتح الشباك والا نقفله ؟ نزرع القطن والا نهمله ؟ !



محمد فرغلى

حتى نواجه ..
النقص فى اللحوم

من البديهى ان الحكومة اتخذت وتتخذ العديد من الخطوات والقرارات الاقتصادية الحكيمة ،إلا اننى لا افهم لماذا بقيت مسالة اللحوم متعسرة تبدو وكانها مستحيلة الحل . وقد فكرت كثيرا فى هذا الوضع وحاولت ان افهمه والخيرا استجمعت كل شجاعة وقوة وإقدام الشباب الذى رحل وقررت التقدم باقتراح من شانه ان يثير غضب ـ وربما ـ سخرية الكثيرين .

لاشك أيضا أن الكثيرين من المواطنين عند شرائهم الذبيحة يشعرون مثلى أن الجزارين يقومون بذبحهم أيضا .

لقد حاولت الحكومة الوصول الى تعريفة ودية وقام السادة المختصون بمجهودات مشكورة جبارة وأمضوا ساعات عديدة فى التفاوض ، ولكنى أعتقد أن هذه كانت محاولات لاجدوى منها لان التفاوض لافائدة منه الا إذا كان من مركز القوة . تسمح الحكومة ببيع اللحوم ثلاثة أيام فى الأسبوع ، واننى اعتقد ان هذا إجراء فى حكم العدم لأن من يمتلكون فريجيديرات وثلاجات وهم كثيرون يقومون بشراء مقطوعيتهم من اللحوم لسبعة أيام . أما من لايمتلك الفريجيدير أو الثلاجة وليس عنده المقدرة المالية فلايقوم بشراء إلا ما تسمح له مقدرته ، سواء بيعت اللحوم طول الاسبوع أو ثلاثة أيام فقط .





فكر بعض السادة اعضاء مجلس الشعب القيام بحملة من أجل الايعاز الى المواطنين بمقاطعة استهلاك اللحوم ولو لفترة قصيرة ، ولا أظن أن الحملة نجحت لان اللحوم الى اليوم تباع بحوالى المائة وأربعين قرشا فى الاسكندرية

لذلك اقترح بيع اللحوم على مدى خمسة عشر يوما ثم يوقف بيعها على مدى ستين يوما ، والمخالفة يعاقب عليها بالغرامة الجسيمة او يسجن البائع والمشترى والوسيط ـ فالخوف من السجن سوف يحول دون إرتكاب المخالفات .

وفوائد هذا الاقتراح عديدة منها :

١ ـ **انه لايؤثر مطلقا على الأغلبية العظمى من افراد الشعب** . وهى أغلبية قد تصل الى نحو ٨٠٪ لانه حتى رب العائلة الموظف أو من هو على المعاش الذى يتقاضى خمسين أو حتى سبعين جنيها شهريا ليس فى إمكانه أكل اللحوم أكثر من أيام قلائل كل شهر .

٢ ـ اقترحت ستين يوما بدون لحوم حتى لايكون فى إمكان من يستطيع تخزين اللحوم القيام بذلك .

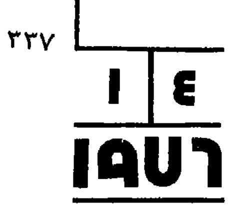
٣ ـ **إن الامتناع عن القيام بالذبح ستين يوما فترة واحدة على فترات مدى السنة سوف تسمح للماشية أن تكتسب الكثير من الوزن ـ ويقدر البعض هذه الزيادة بحوالى الـ ٢٠٪ ـ وبذلك تزيد بطريقة غير مباشرة كميات اللحوم التى سوف تعرض للبيع .**

٤ ـ إن المبالغ الجسيمة التى تقوم الحكومة بصرفها لاستيراد اللحوم يستحسن صرفها فى تخفيض أسعار البعض من السلع الضرورية وجعلها أكثر توفرا .

يستثنى من الاقتراح المتعلق باللحوم الجنود فى الجبهة والأعياد والمستشفيات والفنادق والمطاعم ، على أن تباع اللحوم للفنادق بالأسعار التى كانت تدفعها الى الجزارين حتى لايعيدوا بيعها والفنادق تربح الكفاية حتى بالأسعار المرتفعة .

وأخيرا فإنه لامساس مطلقا بكرامتنا كدولة وكشعب إذا اتبعنا هذا الطريق السليم ، بل بالعكس فإن الكرامة تزداد عندما يكون الشخص لديه الشجاعة بأن يتخذ القرار الحكيم عند الضرورة وأن يعيش فى مدى قدرته .





الملايــين .. والملاليــم

الحكومة عندنا قوة مركزية شمولية تظلل الوطن من جنوبه إلى شماله ، ومن شرقه إلى غربه ، وهى بحكم نظامها القائم تهيمن على الاقتصاد كما تهيمن على السياسة والحياة اليومية ، بيدها أجهزة الرقابة من كل نوع ، وبيدها قوة التنفيذ غير المحدودة ، لذلك فإن مسئوليتها شاملة ، ويجب أن تتعادل مع قوتها ، ولذلك أيضا يعذر الناس ـ إذا أذلهم أمر أو استفحل انحراف ـ أن تساءلوا أين الحكومة ؟

أجل إن أنواعا كثيرة من الانحرافات لا يمكن السيطرة عليها سيطرة كاملة ، فالغش والرشوة والاختلاس لا يمكن حصارها بإحكام يمنعها دائما قبل وقوعها ، وإن أمكن أن تؤدى اليقظة والمتابعة إلى ضبطها وحصرها فى أضيق الحدود . كذلك العنف والاعتداء والخطف والنشل ، كل اولئك انحرافات يمكن مطاردتها ومعالجتها ولا يمكن محقها بضربة واحدة وخاصة فى هذا الزمن العسير المضغوط بشتى العلل .

غير أن كل انحراف يهون نوعا بالقياس إلى ظاهرة خطيرة كثر الكلام حولها هذه الأيام ، ظاهرة أصحاب الملايين الذين افرخهم مجتمعنا المفترض أنه يتجه نحو الاشتراكية أو قل العدالة الاجتماعية . ولا يجوز أن نشك فى حقيقة هذه الظاهرة لسبب بسيط وهو أنها تناهت الينا على السنة رجال من المسئولين لا يجوز الشك فى حسن نواياهم ولا فى وزنهم وتدبرهم لما يخاطبون به





الناس ، ولندع جانبا ما يذاع على ألسنة الناس فى الشوارع . وخطورة هذه الظاهرة تتجاوز المجال الفردى لتمارس أثرها الأسود فى مصائر الناس ، ومعاناة الجماهير ، وسمعة الوطن والدولة .

ويقول البعض لعل هذه الملايين ثمرة عمل مشروع وكسب حلال ، لا خروج به على قانون ، ولا استغلال فيه لجماهير الشعب الكادحة ، وانى اتساءل أى عمل مشروع هذا الذى يجمع الملايين فى فترة قصيرة من الزمن ؟ . . ولو كان العمل مشروعا والرزق حلالا فهل يمكن أن تتراكم ملايين فى ظل قانون الضرائب القائم ؟ .

وإذن فمما لا شك فيه أن هذه الثروات الخيالية قد تكونت من وراء القانون والشرعية والحلال ، وأنها تصبح مفهومة فى دنيا العمولات والتهريب والاحتكارات الخفية وغيرها .

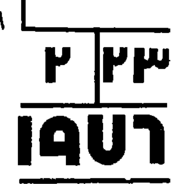
وسؤال آخر يحيرنى ، هل الذين كشفوا الظاهرة قد وصلوا اليها بالاستنتاج والتخيل ؟ ، من خلال أفكار مجردة وظاهرات روحية ؟ ، أو من واقع أمثلة حية وشواهد قائمة ؟ وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يفضوا بما لديهم إلى الجهات المختصة ولو سرا فى حالة عدم استيفاء الأدلة ليولوا الموضوع ما يستحقه من تحريات وبحوث حتى تنال أيديهم المنحرفين ؟ .

وسؤال آخر ، مادام الأمر انكشف للبعض فكيف لم تكشفه بنفسها قبل ذلك ، أو حتى بعد ذلك ، الجهات المختصة بالرقابة والمتابعة .

المسألة ليست ثانوية ولا مما يقنع الانسان فيها بالأسف والحزن ، فالنهب على هذا النحو لا يجوز بحال فى دولة تعانى ما تعانيه دولتنا من اختلال الميزان وسوء الحال ، وهو جريمة شنعاء فى حق الجماهير التى تشقى فى سبيل لقمة العيش ، وتعانى ليلها ونهارها سوء التغذية وكثرة الأمراض ونقص الخدمات .

ولعل حاجتنا إلى الأحزاب أو المنابر أقل ـ فى هذا اللحظة على الأقل ـ من حاجتنا إلى امناء الشرطة والمخبرين والسجون والمشانق .





صلاح طاهر

إرجاء المدنية

وقت ان كنا طلبة كان فريق منا يهوى الموسيقى وكل واحد من هذا الفريق يختص بالعزف على إحدى الالات الموسيقية ، فنجتمع من وقت لاخر فى بيت صديق لنا يمتاز بالرضا والاستعداد لوجودنا عنده كعازفين هواة ، كنا نجتمع لديه مرة فى الأسبوع واحيانا مرتين لهذا الغرض . . فوجئنا مرة بقوله ان والدته ترحب بنا كضيوف وأصدقاء فى كل وقت ، ولكن سوف نؤجل العزف شهرا على الأقل بسبب رسوب ابن الجيران فى امتحان الشهادة الابتدائية تلك السنة . . هذه كانت اولى وابسط المجاملات الاجتماعية التى واجهناها ، ثم توالت خبراتنا بها وشهدناها على اختلاف انواعها فى الريف والحضر على السواء ، فى الأحزان والأفراح . . إن روح المجاملة سمة لطيفة من سمات حياتنا الاجتماعية ، لكنها تجعل تيار الحياة الطبيعية ينحرف عن مساره بعضا من الوقت لدى بعض الناس مجاملة للبعض الاخر . والوقت هو الحياة بالنسبة للانسان ، وما أكثر ما ينحرف تيار الحياة هذا لكثرة ما فيها من احداث ومفاجات ، بل قد يذهب الأمر أحيانا الى ان تكون المجاملات فى الرأى ، ثم فى الأكل والمعدات ، مما قد يودى بحياة المجامل على مائدة الداعى لكثرة ما أكرمه واستحلفه بالله ان يأكل هذا أيضا من أجل خاطره ثم يأكل ذاك ثم تلك . .

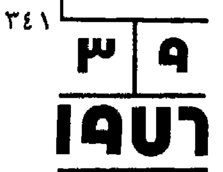
هذا على مستوى الأفراد ، اما على مستوى الأمة بأسرها فهو أمر قائم بالفعل وعلى نطاق





أوضح وأعم وأشمل ، يتخذ شكل الاتجاه العام . . فقد تأتى على الأمة أفراح معينة كأفراح المناسبات السعيدة مثل مناسبات الأعياد والمواسم ، أو الفرح بالنصر فى حرب عظيمة مجيدة ، فتشيع بين الناس ظواهر مشتركة وأحاديث بعينها . . وقد تنتاب البلاد مشاكل جوهرية فى حياتها اليومية تكون هى أيضا الشغل الشاغل لجميع المواطنين ، تنصرف اليها الأنشطة والطاقات المختلفة سواء كانت تلك الأنشطة والطاقات رسمية أو غير رسمية مثل أزمة المواصلات والتموين والمساكن والتليفونات والمجارى الخ . . وفى كلتا الحالتين ، حالة الأفراح أو حالة الأتراح يتجه عادة المجموع كله فى اتجاه واحد قلما يحيد عنه أحد ، لتأخذ عجلة الحياة فى الدوران البطىء الذى يشبه التوقف بالنسبة للأهداف الحضارية الأخرى ، وتصبح التحركات المتصلة بالثقافة والفن تحركات خجلى مترددة محددة غالبا ما تتوارى مجاملة أو من فرط الخجل ، تاركة الميدان للأنشطة السطحية العابرة لأن الناس مشغولون بقضايا عامة لاتنفصل عن حياتهم بحال . . وكل نشاط فنى أوثقافى من ذلك النوع الذى يتطلب التأمل ويضع الانسان وجها لوجه أمام الوجود ـ لا أمام الحياة اليومية العابرة ومطالبها المستهلكة ـ يعتبر نفسه دخيلا أو قد أخطأ التوقيت ، بل ربما قد اخطأ المكان أيضا ، وتبدو الثقافة آنذاك شيئا يجب أن يعتذر عنه .

طافت بذهنى تلك الخواطر حينما قرأت كلمة الدكتور لويس عوض فى هذا المكان من الصحيفة يوم الأربعاء الماضى ، عن الأوبرا ومتحف الفن الحديث وكيف تحول مكانهما الى موقف للسيارات الى آخر مقاله القيم الذى ينضح بالمرارة ، فقد عايشت الأوبرا والمتحف معايشة كاملة لمدة سنوات لن تمحى من نفسى . . كنت اتردد مرات ومرات فى الكتابة عن الفن أو حتى ممارسة الانتاج الفنى على النحو الذى ارتضيه ، باعتبار أن الفن رسالة فى عنق كل فنان . . اقول أنى كنت دائما فيما يشبه الجرح فى تلك الفترة التى انشغل الناس فيها عن تلك المسائل التى يحيا من أجلها المشتغلون بالفن والثقافة ، ظنا منى أن ذلك فى واد وهذا فى واد آخر أو أن البلد غير مستعد لهما الان ، الى أن أتت كلمة الدكتور لويس ففتحت الثغرة فى ذلك الحصار الوهمى الخانق لتنفذ منها الحقائق بعيدا عن مجاملات التيار العام ، الذى أرجو أن يكون مؤقتا . . هل يمكن إرجاء حركة التكامل الحضارى الى أن تحل مشاكل التليفونات والمجارى والمواصلات ؟ ! صحيح أن هذا يؤثر فى خط سير الحضارة لكنه لايوقفها . . لقد ركدت هوايتنا بالنسبة للعزف الموسيقى بضعه أسابيع أيام كنا طلبة مجاملة لابن جيران صاحبنا ثم عدنا اليها بعد ذلك بشهية أكبر ، فالنفس الانسانية تواقة بطبيعتها الى تحدى العقبات من أجل التكامل .





٥٤

د . أحمد كمال أبو المجد

هل نسمح .. للقوى التى انتصرنا عليها .. أن تفرغ نصرنا من أغلى ثمراته ؟

الذى يجرى على الساحة العربية هذه الأيام ـ ومنذ اكتوبر ٧٣ ـ هل يمكن أن يكون محض مصادفة ؟ وهل يمكن ان تتكرر المصادفات وان تتابع هكذا من المحيط الى الخليج دون أن يكون وراءها عقل مفكر ويد مدبرة ؟

التضامن العربى ظهر فى معارك اكتوبر والذى فاجأ العالم كله وفاجأ مع العالم كثيرا من العرب أنفسهم . . اين هوالان ؟

لقد قلنا هنا فى مصر ـ وكان قولا صدقا ـ إن العرب بما حققوه فى اكتوبر قد صدروا الهزيمة والتمزق الى صفوف عدوهم . . وقالت معنا مراكز البحث والتحليل فى بلاد لايمكن أن تتهم بالتحيز لنا أن اسرائيل تتعرض منذ أكتوبر ٧٣ لزلزال شامل أصاب مؤسستها العسكرية أولا ، ثم امتد الى بنيانها السياسى والاقتصادى ، وأصاب فيما أصابه الكيان النفسى لشعبها وهو الكيان الذى اعتمدت عليه الصهيونية فى صراعها الطويل معنا . . ولكن التاريخ لايتوقف ، وحركته لاينفرد بتوجيهها طرف واحد . ومعارك اكتوبر لم تصف جوهر الصراع العربى الصهيونى ولم تطو صفحته . واغلب الظن وأرجحه أن خصومنا قد انتبهوا انتباها كاملا الى الابعاد الخطيرة لفاعلية السلاح الذى استخدمناه فى اكتوبر : سلاح التضامن والعمل المشترك الذى تجاوزت به الوحدة العربية مرحلة الأحاديث الرومانسية عن القومية





والتاريخ المشترك ، متخذة على نحو فعال ومؤثر ، ولأول مرة في التاريخ الحديث للعرب كل الأشكال العسكرية والسياسية والاقتصادية التي اتاحتها ظروف العالم العربي وظروف العالم كله . . وأغلب الظن وأرجحه كذلك أن تخطيطا دقيقا قد وضع ، وأن عملا منظما قد بدىء لتجريدنا من هذا السلاح خطوة خطوة ، أملا في تصفية الكثير من نتائج حرب اكتوبر دون إراقة دماء جديدة ، وبدون تفجير جديد للموقف .

وإلا فهل يكون من قبيل الصدف أن تنفجر النزاعات والانقسامات العربية على هذا النحو الغريب ، كأنها القنابل الموقوتة . . ثم لايجد لها العقلاء حلا ولايجدون منها مخرجا ؟

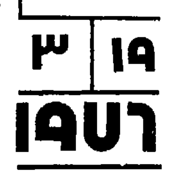
لقد بدا الأمر بحملات التشكيك الليبية ضد مصر وقيادتها منذ الأيام الاولى لحرب اكتوبر ، وانتهت تلك الحملات بالفتور ثم بالجمود في العلاقات المصرية الليبية ، وصل الأمر الى حد القطيعة ، ثم دخل أخيرا مرحلة الاستفزاز والتآمر ومحاولات التخريب . كل ذلك بعد أن كانت الوحدة بين البلدين – في مرحلة سابقة – قاب قوسين أو أدنى .

ثم ظهر على السطح من جديد الصراع السياسى والحزبى بين سوريا والعراق ، حول مياه الفرات تارة ، وحول العلاقات مع ايران تارة ثانية ، وحول العلاقة مع المقاومة الفلسطينية وأجنحتها المختلفة تارة ثالثة اخرى .

ثم تجمعت تدريجيا خطوط أخطر هذه الخلافات : وهو الخلاف بين مصر وسوريا ، دولتى المواجهة اللتين على تضامنهما وتعاونهما يتوقف الى حد كبير مصير المواجهة العسكرية وفاعلية العديد من صور العمل العربى المشترك . ورغم محاولة احتواء هذا الخلاف في مرحلة مبكرة بما أتفق عليه في الرياض – يوم جنازة الملك فيصل عليه رحمة الله – من انشاء لجنة عليا للتنسيق بين البلدين ، فإن الموقف الحاد والمتشنج الذى أتخذه حزب البعث مع اتفاقية سيناء الثانية ، والمدى الذى سمحت به سوريا لموجات نقد هذه الاتفاقية أن تتحول الى إتهامات صارخة ومعاول هدم وتجريح عام لمصر وسياستها وكل مايجرى فيها ، كل ذلك قد وصل بالعلاقات المصرية السورية الى درجة من السوء لاشك في ضررها البالغ على الموقف العربى كله .

ثم انفجرت – على موعد – معركة الحرب الأهلية الغريبة ذات المحاور المتعددة في لبنان ، وبدا – ولايزال يبدو – كما لو أن يدا شيطانية تقف من وراء الحوادث لتصب الزيت على نار الفتنة كلما ظهرت بوادر احتوائها والقضاء عليها . **ثم تفجر نزاع إقليمى هى أقصى الطرف الغربى للعالم العربى بين المغرب والجزائر** ، وصل الى حد الاشتباكات المسلحة وإراقة الدماء العربية ثم الى حد قطع العلاقات بين دولتين كانتا تشكلان جزءا من كيان خاص متماسك داخل الكيان العربى الكبير .

ولن يكن النزاع المغربى الجزائرى أخر تلك النزاعات .



هل يكون ذلك كله من قبيل الصدف !

إن الأقرب الى المنطق والعقل وشواهد التجربة أن الشرارات الأولى لتلك النزاعات تطلقها ثم تغذيها كل القوى التى واجهناها فى اكتوبر ٧٣ والتى اكتشفت ـ فى صمت ـ خطر التضامن العربى على مصالحها واطماعها . . إن الوعى بهذه الحقيقة لايكفى وحده لتطويق هذه المعارك الجانبية ووضع نهاية لها ، ولكنه المدخل الضرورى لذلك كله ، لأنه يعمق الرؤية الاستراتيجية لوحدة المصالح العربية من وراء كل هذه الخلافات والمنازعات ، كما يصحح الرؤية العربية لحقيقة وحجم التغيرات التى ادخلتها آثار حرب اكتوبر على مواقف الأطراف الأخرى .

ويأتى بعد ذلك أسلوب تناول هذه المنازعات . إن مصالح العرب ـ كل العرب ـ لايمكن أن تترك نهبا لخلافات تعالج بحوارات ساخنة من أطراف متباعدة ، أقلها موضوعى ، وأكثرها يواجه مواقف حزبية داخلية أو يصدر عن نزعات ذاتية وإقليمية . .

وإنما تطوق هذه الخلافات حين تجلس الى مائدة الحوار العربى كل القيادات العربية المسئولة ، وحين تجند لتحليل الموقف العربى القائم بكل ايجابياته وسلبياته واحتمالاته وبدائله ومخاطره . . عقول عربية متجردة وقادرة . . تحرسها قلوب عربية مؤمنة بان هذه الأمة امة واحدة ، وأن مصالحها متداخلة متشابكة . وان خدمة هذه المصالح لم تكن محتاجة الى رؤية استراتيجية موحدة وعمل علمى مخطط حاجتها الان الى ذلك كله . .

وليكن السؤال الذى يطرحه كل واحد منا على نفسه قبل أن يبدأ هذا الحوار سؤالا واضحا وصريحا ولتكن الاجابة عنه واضحة وحاسمة . . والسؤال هو هل يمكن ـ حقيقة وفعلا ـ لا خيالا واملا ، خدمة المصالح العربية الاقليمية والقومية على السواء مع استمرار هذه المعارك الجانبية .

وليكن السؤال الثانى سؤالا عن المستفيد الحقيقى من هذه النزاعات والمعارك .

فى يقينى أن الجواب عن السؤال الأول جواب بالنفى ، وفى يقينى كذلك أن كل القوى التى واجهناها فى اكتوبر تستفيد من هذه المعارك وتستريح اليها .

الدولتان الكبريان تستفيدان منها ، وليس عندى فى ذلك شك ، واوروبا وسائر الدول المنتبهة الى تعاظم القوة الاقتصادية للعرب تجد فيها ما يضعف الموقف العربى ويمنحها قوة مساومة اكبر فى اى نزاع اقتصادى مع العرب فى المستقبل .

اما إسرائيل فإن ما تجنيه من هذه المعارك انها تعيد الينا نفس السلعة التى صدرناها لها بعد اكتوبر . . سلعة التمزق .

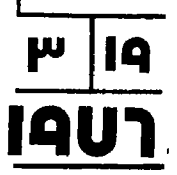


واذكر فى ختام هذا الخطاب المفتوح كلمة للسياسى اللبنانى المخضرم تقى الدين الصلح سمعتها منه وهو فى طريقه للقاء الرئيس السادات بعد المعركة بأيام فى شهر اكتوبر ٧٣ ، قال : إن الأمة العربية قد استطاعت ان تواجه تحديات الحرب ، فهل تقدر على مواجهة تحديات السلام ؟ وبقى أن يذكر كل العرب أن السلام الذى نتطلع اليه لم يتحقق بعد ، وان تحدياته الحقيقيه ليس من حقها بعد ان تبدأ فى الظهور .

أما التحدى الذى نواجهه اليوم جميعا فهو : هل نسمح للقوى التى انتصرنا عليها فى اكتوبر ٧٣ ان تفرغ نصرنا من أغلى ثمراته ، وان تجردنا بغير معركة من سلاحنا الذى نعتمد عليه فى بناء مستقبلنا وفى حراسته .

ذلك هو السؤال

والجواب . . عند العرب . . كل العرب . .



د . مصطفى الجبلى

سياسة الانفتاح .. في التنمية الزراعية بين مايجب ومالايجوز

لعل ابسط تصور لأبعاد الانفتاح ينحصر فى توفير الاستثمارات الاضافية اللازمة لعملية التنمية المكثفة والتى تعجز الموارد المحلية المتاحة عن الوفاء بها . وفى استجلاب التكنولوجيا المتطورة للاستفادة منها ، إما مباشرة أو بعد تحويرها فى تحديث ودفع عملية التنمية والقضاء على التخلف العلمى والتكنولوجي بما يضمن حسن استخدام الموارد المتاحة لتحقيق الرخاء الاقتصادى والرفاء الاجتماعى للقاعدة العريضة من الشعب .

وفى ضوء هذا المفهوم يمكننا أن نناقش الدور الذى يجب أن تلعبه سياسة الانفتاح فى التنمية الشاملة للقطاع الزراعى المصرى وأبعادها والضوابط اللازم توافرها لتحقيق هذه الأهداف فى إطار المصلحة القومية للاقتصاد المصرى .

وقبل محاولة ذلك لابد من تشخيص دقيق لواقع هذا القطاع ، وتحديد المعوقات التى تقف فى طريق الوصول بالتنمية الى أهدافها ، ومايمكن أن تلعبه سياسة الانفتاح فى التغلب على هذه المعوقات .

فبالنسبة لنظام الاستغلال السائد يمكن تقسيم القطاع الزراعى المصرى الى :





● **قطاع خاص :** مكون من مزارعين (ملاك ومستأجرين) منضوين تحت تعاونيات خدمية ويشغل نحو ٩٥ ٪ من المساحات المنزرعة .

● **قطاع عام :** (حكومى) فى وحدات كبيرة (شركات) ويشغل نحو ٥٪ من المساحة المنزرعة تقع كلها فى الأراضى الجديدة المستصلحة .

وبالنسبة للمعوقات التى تعترض عملية التنمية فى كل قطاع فيمكن تلخيصها فى الاتى :

اولا : بالنسبة للأراضى القديمة والجديدة الموزعة :

● **حيازات قزمية** فى نحو ٩٤٪ من المساحة حيث تقل مساحة الحيازة عن خمسة أفدنة موزعة فى أكثر من وحدة .

● **زراعة بدائية** تعتمد على جهد الانسان والحيوان أساسيا فى العمل الزراعى .

● **بعثرة محصولية** نتيجة عدم الأخذ بمبدأى التركيز والتخصص فى الانتاج .

● **نقص مستمر** فى مساحة الأراضى الزراعية وتدهور فى انتاجيتها .

● **مؤسسات ريفية ضعيفة** وعلاقات اجتماعية متخلفة .

● **بعثرة حيوانية لحيوانات منخفضة الكفاءة التحويلية .**

● **عدم استغلال مكثف للموارد الأرضية والمائية والبشرية المتاحة والامكانيات التصنيعية المحتملة .**

ثانيا : بالنسبة للأراضى الجديدة غير الموزعة :

● مشاكل متعلقة بتعديل واستكمال مشاريع الرى والصرف والتسويه والاسكان والمرافق .

● مشاكل متعلقة بضعف الاستثمارات المتاحة للوصول بانتاجية هذه الأراضى الى الانتاج المحتمل .

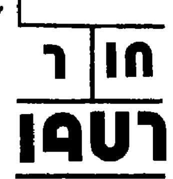
● مشاكل متعلقة بتخطيط وتنظيم منوال استغلال هذه الاراضى نباتيا وحيوانيا وصناعيا بما يضمن تعظيم الانتاج منها .

● مشاكل متعلقة بزيادة فى العمالة من نوعيات غير مطلوبة ونقص فى نوعيات مطلوبة .

والأسئلة التى تتبادر الى الذهن بالنسبة لدور الانفتاح فى تنمية القطاع الزراعى المصرى يمكن حصرها فى الاتى :

١ ـ ماهو الدور الذى يمكن ان تلعبه سياسة الانفتاح فى تنمية كل من القطاع الخاص والقطاع العام فى الزراعة وماهى الضوابط فى كل حالة ؟

٢ ـ هل نسمح للمستثمرين الأجانب بالاشتراك فى زراعة الرقعة الحالية والتى تضيق



كثيرا بمن عليها وما يتبع ذلك من المشاركة في العائد الناتج من الزراعة ؟ أم هل يقتصر دور الانفتاح على المساهمة في خلق انشطة جديدة تغل عائدا إضافيا يفيد المنتجين الزراعيين الحاليين والمستثمرين معا ؟

٣ - هل هناك دور للانفتاح في عملية تطوير الزراعة المصرية والتي ترتبط لحد كبير بالعلاقات الاجتماعية ؟ ام ان هذه مسئولية قومية تتولاها الدولة ؟

٤ - ماهي الأنشطة التي يمكن ان تساهم فيها سياسة الانفتاح في تنمية القطاع الزراعي بما يحقق عائدا إضافيا عن العائد الحالي ؟

إن النهوض بالانتاج الزراعي في الأراضي القديمة والأراضي الجديدة الموزعة (القطاع الخاص) يعتمد أول مايعتمد في التغلب على المعوقات السابقة ، وهذا يحتاج الى تطوير جذري للزراعة بما يمكن من تحديث عمليات الانتاج ، واستخدام وسائل الانتاج الكبير على اساس من التركيز والتخصص ، وتقوية المؤسسات الريفية والتحول الى تعاونيات انتاجية لايجاد علاقات اجتماعية متطورة في الريف المصري .

وهذا التطوير ولاشك هو مسئولية الدولة الأولى ، اذ يرتبط ارتباطا مباشرا بقدرتها في التغلب على المشاكل الاجتماعية والتكنيكية التي قد تحد من سرعة التحول او تقف عثرة في سبيل تحقيق أهدافه . وليس لهذا التطوير خصوصا في مراحله الأولى علاقة مباشرة بسياسة الانفتاح . فاذا ما أمكن تحقيق هذه المرحلة من تطوير الزراعة أمكننا أن ندخل باطمئنان الى المرحلة التالية ، وهي الميكنة والتصنيع الزراعي ، وهنا يمكن أن تلعب سياسة الانفتاح دورا هاما في إدخال التكنولوجيا المستحدثة وخلق الهياكل اللازمة لتعميم المجمعات الزراعية الصناعية ثم أخيرا المجمعات الصناعية الزراعية في الريف المصري .

أما الأراضي الجديدة المجمعة التي مازالت في حوزة الشركات المصرية (القطاع العام) والتي تبلغ مساحتها حوالي ٣٧٠ الف فدان ، فان المساحة التي تتهافت عليها الاستثمارات الاجنبية لاتزيد على ١٥٠ ألف فدان معظمها في قطاعات شمال غرب الدلتا (مريوط - شمال التحرير - غرب النوبارية (حيث وصلت أراضيها الى الحدية الانتاجية أو هي في طريقها اليها بعد انتهاء مراحل الاستصلاح والاستزراع ، وهي بذلك نقطة جذب للاستثمار الأجنبي .

والمتتبع للشروط المقدمة من معظم المستثمرين الاجانب لاستغلال هذه الأراضي يلاحظ الاتي :

- المبالغة في تقدير التكاليف اللازمة لتعديل وتحسين وسائل الري والصرف وإعداد الأرض .
- المبالغة في تقدير الانتاج المتوقع من هذه الأراضي نباتيا كان أم حيوانيا عند حساب الجدوى الاقتصادية للمشروع ، دونما التزام بمسئولية محددة في حالة نقص الانتاج عن ذلك .





● المبالغة كثيرا فى تقدير مرتبات وأجور الكوادر الأجنبية التى ستتولى إدارة هذه الأراضى وفى ثمن الالات والمعداد والمصانع اللازمة .

● الميل الى تحميل الجانب المصرى العبء الأكبر فى الاستثمارات بطريقة غير مباشرة .

● عدم الاقبال على استصلاح مساحات جديدة والتهافت على المساحات التى وصلت الحدية الانتاجية .

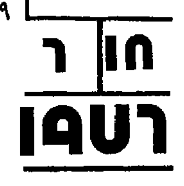
كل ذلك قد يضفى على معظم هذه العروض صورة غير جدية تضع الكسب السريع هدفا لها ، ناسين أو متناسبين أن الخبرة المصرية فى الزراعة واستصلاح واستزراع الاراضى قد بلغت درجة عالية من الكفاءة ، تمكنها من الحكم السليم على المشاريع المقدمة وتحليلها تحليلا اقتصاديا والقيام بمسئولية الزراعة كاملة .

وفى ضوء المبالغة فى العروض المقدمة تكلفة وانتاجا ، فاننا لا نتوقع أن يكون العائد للجانب المصرى من زراعة هذه الأرض أعلى من العائد المتحصل عليه حاليا .

ونظرا للضغط الرهيب على الأراضى الزراعية فى مصر نتيجة لاختلال التوازن بين الزيادة السكانية والموارد الأرضية الزراعية ، فاننا لا نرى أى مبرر لأن تتولى الشركات الأجنبية عملية زراعة الأرض وانتاج المواد الخام الزراعية ، بل يجب ان يترك ذلك كلية للمصريين وأن يكون دور الاستثمارات الاجنبية مقصورا على المساهمة فى عملية التصنيع الزراعى ، وتوفير المصانع والالات والتكنولوجيا على أساس أسعار تنافسية على أساس احتكارى قد يرفع أسعار شرائها أضعافا مضاعفة عن الأسعار السائدة رغبة فى تحقيق اكبر ربح من شرائها ، كما يجب ان يضمن الجانب المستثمر طاقة انتاجية وجودة فى الانتاج تمكن من المنافسة فى الأسواق الأجنبية وتحقق ربحا معقولا للطرفين دون المساس بعائد الأرض من المحاصيل الذى يجب ان يبقى خالصا للمصريين .

اما بالنسبة لتنمية الانتاج الحيوانى والدواجنى والسمكى ، فان دور الاستثمار الأجنبى يجب أن يكتسب أهمية خاصة من خلال قيامه باستيراد انواع من حيوانات اللبن واللحم ذات كفاءة تحويلية عالية ومواد العلف الجافة ومصانع الأعلاف واللحوم والألبان ومنتجاتها واساطيل الصيد فى أعالى البحار ، على أن يشارك الجانب المصرى فى بناء الهياكل الأساسية اللازمة لكل منها وإنتاج الأعلاف الخضراء وتوفير العمالة اللازمة ، مع ضرورة ضمان بيع المنتجات بأسعار مجزية للمنتج وغير مرهقة للمستهلك المصرى .

واللافت للنظر حتى الان عدم اقبال المستثمرين الأجانب على المساهمة فى عملية التنمية الزراعية بالأراضى القديمة والأراضى الجديدة الموزعة والتى تكون الهيكل الرئيسى



للانتاج الزراعى ، وقد يكون ذلك راجعا الى المعوقات التى تعترض عملية التنمية الشاملة فى هذا القطاع والتى لابد من التغلب عليها اولا عن طريق تطوير الزراعة بما يمكن من استخدام التكنولوجيا الحديثة فى عملية التنمية .

وفى راينا ان حل المشكلة الزراعية فى مصر لن يتحقق إذا اقتصر نشاط الانفتاح على بعض الأراضى الجديدة ، وذلك لمحدودية الأثر الناتج عنها فى زيادة الدخل الكلى من الزراعة او خلق فرص عمل للاجيال الجديدة من السكان الريفين غير الأميين الذين اصبحوا يستنكفون العمل اليدوى فى الزراعة ، ولكنهم ولاشك يرحبون بالعمل الفنى المرتبط بميكنة وتصنيع الزراعة ، وهو التحدى الحقيقى الذى يواجهنا . وهذا يؤكد حتمية وضع استراتيجية شاملة لتنمية القطاع الزراعى ككل وما يتوقع من علاقات اجتماعية اقتصادية فى ضوء ما ينتظر حدوثه من متغيرات فى إطار سياسة الانفتاح .

ولاشك أن بيع الأراضى الجديدة فى وحدات صغيرة وبالمزاد العلنى سوف يكرر بل ويزيد المشكلة الرئيسية التى تعانى منها الزراعة المصرية حاليا نتيجة للتفتت ، علاوة على دخول كثير من المضاربين القادرين ماديا على شراء هذه الأرض .

ولما كان المصريون جميعا قد ساهموا فى تكاليف ومعركة بناء السد العالى واستصلاح هذه الأراضى التى تكاد تكون المصدر الوحيد المتاح من الأراضى الزراعية فى المدى المنظور ، فنرى انه يمكن تنظيم استغلال هذه المساحات فى وحدات تسمح باستخدام وسائل الانتاج الكبير ، وذلك عن طريق منح حق الانتفاع بها لعدد مناسب من المزارعين ولمدة محددة (عشر سنوات مثلا) تتجدد طالما أحسن هؤلاء المنتفعون استغلالها ، وطالما بقيت مهنتهم الرئيسية الزراعة وإلا اعطى هذا الحق لمنتفعين جدد قد يكونون فى أمس الحاجة الى زراعتها .

إن ذلك يعطى الدولة المرونة والحرية اللازمتين لتطوير سياسة استغلال هذه الأراضى مستقبلا ويضمن التنافس فى عمليات الانتاج .





٨٦ د . محمد الأحمدى أبو النور

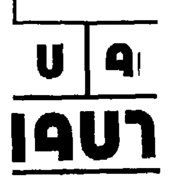
هذا هو الإسلام : فى الوسيلة إلى الله

لرسول الله ﷺ عند الله تعالى من المكانة الكبرى ، مالم يكن لأحد من البشر . . لقد صنعه الله على عينه ، وأواه فى كنفه وعلمه من لدنه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه عظيما .

ولقد اصطفاه خاتما للنبيين ، وإماما للمرسلين ، ورحمة للعالمين ، وأسوة للناس أجمعين . ولم يكن لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، لان منطقه صلى الله عليه وسلم وحى ، وقضاءه حق وسلوكه تشريع ، وإقراره سنة متبعة ، ولأنه لا يصدر عن هوى أو غرض ، وانما يصدر عن الوحى ، أو يسلك فى إطار متابعة الوحى له ، وصدق الله حيث يقول (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى) .

وفى موضوع الوسيلة إلى الله ، فإن منهج الاسلام يقتضينا أن نتتبع آيات القرآن ، ونستقرىء ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث ومن سلوك وكيف كان صنيع الصحابة فى هذه المسألة سواء فى حياته صلى الله عليه وسلم أو من بعده ، لا سيما من أمرنا عليه السلام بالاقتداء بهم ، والتزام سنتهم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين .

يروى البخارى فى صحيحه ، فى أبواب الاستسقاء من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رجلا دخل يوم جمعة إلى المسجد النبوى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال : يا رسول الله : هلكت المواشى ، وانقطعت السبل ! ! (يقصد أن الابل ضعفت ـ لقلة القوت ـ عن





السفر ، أو يقصد نفاد ما عند الناس من الزاد فأصبحوا لا يجدون ما يجلبونه إلى الأسواق ليتجروا فيه) .

ثم أردف الرجل : يا رسول الله فادع الله يغيثنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، فقال : **اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا اللهم اسقنا .**

فما لبثت أن هاجت الريح ، وتكاثف السحاب ، وتساقط المطر ، واستمرت أبواب السماء تنهمر بالماء ستة أيام حتى جاء ذلك الرجل أو غيره فى الجمعة التالية ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب كذلك ، فقال :

يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها (وهو يقصد بهلاك الاموال أن كثرة الماء قد انقطع بسببها المرعى فهلكت المواشى من عدم الرعى ، كما يقصد بانقطاع السبل تعذر سلوك الطرق من كثرة الماء) فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، ثم قال : **اللهم حوالينا ولا علينا** ، فانجابت السحب عن المدينة انجياب الثوب عن الجسد ، وتوقف المطر ، وجفت الأرض رويدا ، وخرج الناس إلى أعمالهم فى نشاط واغتباط بدفء الشمس واشعتها .

ولقد كان هذا ـ هو المنهج فى الوسيلة إلى الله عند الشدائد ـ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

فى عهد عمر :

وعبر الناس السنين ، ثم أصابتهم السنون ، وأجدبوا عام الرمادة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتأثرا بالسنة وانتهاجا للسبيل الذى ارتضاه صلى الله عليه وسلم هرع الناس إلى عمر يستسقون به كما استسقوا من قبل برسول الله صلى الله عليه وسلم . ويذكر ابن حجر فى فتح البارى بشرح البخارى ، عن الزبير بن بكار ، فى الانساب : أن عمر رضى الله عنه دفعه تواضعه الجم إلى أن يقدم فى الدعاء للاستسقاء ، العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وخطب عمر الناس حينئذ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله .

وقد استسقى العباس فقال : **اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بى اليك لمكانى من نبيك ، وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث »** .



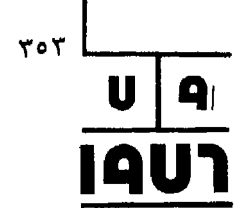


فما لبث أن فتح الله أبواب السماء بماء منهمر ، واخصبت الأرض ، وشكر الناس ربهم الذى انقذهم من الشدة ، فاطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف .

ويروى البخارى فى الموضوع المذكور من حديث انس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فيقول : « اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » فيسقون .

وهذا الذى حدث فى عهد عمر رضى الله عنه ، مع ما حدث فى عهده صلى الله عليه وسلم يبين ـ ايما بيان ـ عن منهج الاسلام فى سلوك المسلمين عند الشدائد النازلة ، والضوائق العامة . ان يهرع الناس إلى الدعاء ، وأن يقدموا فى الدعاء ، افضلهم ليؤمهم فى هذا الدعاء ـ تماما كما يؤمهم فى الصلاة ـ ولقد راينا كيف دعا العباس رضى الله عنه ، ثم كيف كان عمر ـ بدوره ـ يدعو كذلك وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يوجه الناس ـ عند الشدائد ـ الى الدعاء ، ويوجههم كذلك إلى ما يدعم موقف الداعى ، ويقوى جانب الرجاء .





يوسف السباعى

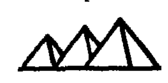
فرصة العمر يامستر بيجين

يبدو لى أن المستر بيجين قد قرر أن يضيع فرصة العمر ، عمره ، وعمر اسرائيل ، بعد أن كان الطريق إلى السلام والأمان واضحا أمام عينيه ، منذ أن أضاءته شعلة المبادرة المذهلة التى أقدم عليها السادات ، وبدلا من أن يتجه مباشرة إلى هدف السلام العادل الذى أوضحه ضوء المبادرة ، بعد طول ضلال فى غياهب انعدام الثقة ومتاهات الشك .

بدلا من أن يتجه إلى السلام العادل الحقيقى ، إذا به يقفز ويتوثب فى موضعه دائرا فى حلقة مفرغة من المشروعات والمقترحات التى لا توحى بأن الرجل قد رأى طريق السلام الحقيقى الذى أضاءته مبادرة السادات ، وأنه ينوى أن يخطو اليه .

وإذا كنا قد سلمنا بأن من حق اسرائيل أن تعيش فى أمان ، وأن تتعامل مع جيرانها تعاملا انسانيا ، وأن تحقق ما سمته سلاما طبيعيا ، بكل ما يحمله من صفات التعامل الطبيعى ، بين الجيران ، فإن ما يفعله المستر بيجين الآن لا يمكن أن يحقق له أى درجة من درجات السلام ، لا طبيعى ولا غير طبيعى .

فبالمنطق العام ـ ورغم أن المستر بيجين يصعب عليه فهمه ـ ليس من الطبيعى أن تحقق الدول أمنها باقتطاع قطع من أراضى دول مجاورة لمجرد أن هذا يهيىء لها أمنا أفضل . فالمفروض أن تهيىء الدول لنفسها من وسائل الدفاع ما يحقق لها أمن حدودها ،



وليس المفروض ان تختار لنفسها من الحدود ـ بالعدوان على الجار ـ ما يحقق لها الدفاع عن نفسها .

وبالاضافة إلى ما هو معروف ـ مما لا يريد أن يفهمه المستر بيجين ـ من أن وسائل الحرب الحديثة قد غيرت كل مفاهيم الدفاع المقترنة بالأرض .

والشعب الاسرائيلى الذى رأيناه فى استقبال السادات ، وأبصرنا فى عينيه الدمعة وعلى وجهه الفرحة ؛ لاحساسه أن السلام يدنو مع خطوات السادات إلى أرضه ، يحب أن يعرف طريق السلام الحقيقى ، الذى يبدو أن المستر بيجين يجهله أو يتجاهله .

الشعب الاسرائيلى الذى أمضى ثلاثين عاما تحت السيف ، بسلاحه معلق فى عنقه ، والذى خدعوه بأحلام الامبراطورية ، وباليد الطويلة ، وبالحدود المفتوحة لكل خطوة يخطوها الجندى الاسرائيلى .

الشعب الاسرائيلى الذى عاش تحت السلاح دافعا أمنه ثمنا لأحلام الغزاة ، يريد أن يقبع فى بيت آمن ، ويعيش كما يعيش البشر المسالمون ، وأن يتعامل مع جيرانه فى أخوة وصداقة .

هل تخطو به يا مستر بيجين إلى هذا الطريق ؟ .

هل يحتم عليك أمن الشعب الاسرائيلى دفعه فى مستعمرات أشبه بالأشواك داخل جسد الجار .

لماذا ؟ . .

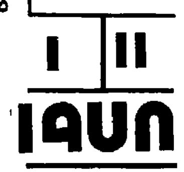
هل تؤمن بهذه المستعمرات الحدود التى لم يؤمنها خط بارليف بكل ما فيه من معدات الدفاع .

هل تمنح المستعمرات التى تعيش فى بحر من المقاومة والكراهية ، أصحابها المزيد من الأمن .

إذا كان الشعب الاسرائيلى لا يشعر بالأمن وهو فى داخل اسرائيل ، هل يشعر بالأمن وهو فى داخل الجسم العربى .

وإذا كانت المستعمرات لا تشكل دفاعا عن اسرائيل ، ولا أمانا لسكانها ، فما سر هذا التمسك الغريب بها . اللهم إلا إذا كانت تشكل أرضا للتوسع ، وهو ما يعتبر مرفوضا رفضا باتا .

لقد قال السادات معبرا عن كل عربى : امن اسرائيل اجل ، توسعها لا .



يجب أن يفهم الشعب الاسرائيلى جيدا ان للتوسع ثمنا من امنه ، وان اية قطعة ارض يقتطعها ستقتطع من أمنه على مدى الدهر . إن مبادرة السادات يجب ان توضع في حجمها الحقيقى ، ويجب على مستر بيجين أن يرتفع إلى مستواها .

لقد كانت اسرائيل تضع طبيعة السلام ، كهدفها الكبير الذى تريد أن تصل اليه ، ولم يكن احد يستطيع أن يتصور سلاما طبيعيا مع اسرائيل يمكن ان يتحقق في هذا الجيل .

السادات نفسه ـ عندما كان يسأل ـ كان يقول اننا لا نستطيع ـ بعد أحقاد السنين الطوال ـ ان نفرض السلام الطبيعي بين يوم وليلة ، يكفى ان ننهى الحرب ، وعلى الأجيال القادمة أن تحقق العلاقات الطبيعية عندما تزول الأحقاد بمضى الوقت في رحاب السلام .

كان هذا هو الموقف قبل المبادرة .

تركة احقاد ، وميراث شك وخوف ، ومحاولة لمجرد إنهاء الحرب . . يبقى بعدها السلام الطبيعي كسراب بعيد المنال .

وخطا السادات خطوته الرائعة ، التى اذهلت العالم كله ، وعبر بها جدار الشك وطوى سنوات المرارة والكراهية ، واصبح السلام الطبيعى الحقيقى ملء البصر .

فماذا فعل به المستر بيجين ؟ هل خطا خطوة على نفس الطريق ؟ هل استطاع الارتفاع إلى نفس المستوى ؟

هل يريد أن يحقق للشعب الاسرائيلى سلاما طبيعيا حقيقيا كيف ؟ . . وبماذا ؟

بالمستعمرات يغرسها في جانب العرب ! بشعبه يدفعه إلى الأرض العربية ؛ ليعيش بالقانون الاسرائيلى في أرض عربية . .

هل هذا هو الأمن الذى سيحققه لشعبه ؟

وهل يقتنع الشعب الاسرائيلى بهذا ؟

ثم ماذا عن الشعب الفلسطينى العربى ، جوهر القضية ؟ هل يريد المستر بيجين أمن الشعب الاسرائيلى بالسيطرة على الضفة الغربية ، وباستمرار احتلالها ، وبنشر المستعمرات الاسرائيلية في أرجائها ؟

هل يتوقع بعد ذلك أمنا واستقرارا للشعب الاسرائيلى ؟

إن العلاقات الطبيعية لا يمكن أن تكون إلا بين البلاد المستقلة . وإذا ارادت اسرائيل علاقات طبيعية مع جيرانها ، فيجب أن تكون بجوارها فلسطين المستقلة ، لا فلسطين المحتلة .



لقد استطاع السادات أن يخطو خطوته ؛ لأنه كان واضحا لنفسه ، واضحا لشعبه ، واضحا للعرب ، واضحا لاسرائيل ، واضحا للعالم كله .

إنه يعرف ما يريد ، ويعرف ما يستطيع ان يعطى . إنه يريد ارضه المقدسة ، ويريد حق الشعب الفلسطيني فى تقرير مصيره وإقامة دولته ، ويستطيع ان يعطى لاسرائيل الامن الحقيقى بكل ضماناته ، ويستطيع ان يحقق السلام الطبيعى بكل صوره .

ولكن المستر بيجين يعرف جانبا واحدا من القضية ، يعرف انه يريد الأمن ، ولكنه لا يعرف حتى كيف يحققه ، يريد الأمن باحتلال اراضى الغير وإقامة المستوطنات وهو بهذا يدور كما كان فى حلقة مفرغة ، ويلف بشعبه فى متاهات الضلال القديمة ؛ ليطفىء بارقة الأمل التى أشعلها السادات ، ويظلم طريق السلام الذى انار شعلته ، ويجد نفسه وشعبه مرة اخرى مواجها شبح الحرب ، بكل ما فيها من تحديات ومرارة وعذاب . لقد ذاق الشعب الاسرائيلى مرارة الحرب ، عرف التيتم والترمل والثكل .

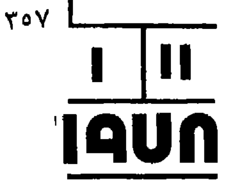
وإذا ما أطفأ المستر بيجين بارقة السلام فسيعود الشعب الاسرائيلى مرة أخرى ليقاسى كل ما قاساه من أمن مهدد فى كل لحظة ، وحرب قد يشتعل أوارها من أجل تحقيق أمن ، لن يتحقق أبدا بعد أن أطفأ المستر بيجين بارقته ، وأغلق بابه .

ويخطىء المستر بيجين إذا ظن أن العرب قد تمزقوا ، وأنه يستطيع ان يفرض السلام الذى يريد اعتمادا على القوة المسلحة ، أو حتى بالتلويح بها ، لان العرب يمكن أن يجمعهم أكتوبر آخر ، بكل ما شهده من تضامن فى القتال وفى البترول وفى الثروة العربية .

ويخطىء لو ظن انه يستطيع أن يناور ويساوم إلى ما لانهاية .

فنحن نريد المضى فى طريق السلام ولكننا نرفض التسكع فيه . أننا نعرف غايتنا ، وأهدافنا .

لقد خطونا اليك فى طريق السلام ، فتقدم ولا تلف وتدور ، فتجد نفسك مرة أخرى فى طريق الحرب . وتفقد فرصة العمر ، عمرك ، وعمر اسرائيل . وتكون أنت الذى تدعو إلى دمار اسرائيل على مدى الأيام بغير مفاوضات





د . يوســـف ادريــس

رأى شعبــى
فى خطـة بيجـين

مع بداية عام جديد أرجو إن شاء الله أن يكون جديدا فعلا ، سأحاول معكم أن افهم ونفهم ماحدث ويحدث . إن مبادرة السلام التى اقدم عليها الرئيس أنور السادات ان كانت قد أوضحت للعالم كله وللاسرائيليين بصفة خاصة أننا جادون حقا فى طلب السلام مما أسعد عالما بأكمله يريد السلام ، وطمأن كثيرا من النفوس التى ادمنت الشك فى الاخرين عبر الاف السنين . إن هذه المبادرة قد تكون للعالم كذلك ولكنها بالنسبة لنا أمر أخطر من السلام ذاته ، لانه أمر يتعلق بمصائرنا ومصير قضيتنا وأرضنا وسيادتنا . إنها إن كانت بالنسبة للعالم سلاما فهى بالنسبة لنا الموت أو الحياة ولهذا لابد ، ليس فقط أن نؤيدها بجماع قلوبنا ولكن أن نشبعها تحليلا وتشخيصا وفهما ، ذلك أننا ـ كما سبق وقلت ـ نواجه ندا متمرسا على فن المفاوضة ، ولعبة الشد والجذب و (التهويش) أحيانا والاستغضاب أحيانا أخرى ، أناس عاشوا المساومة أحقابا وراء أحقاب ، ومن اللاشىء يحصلون على الشىء ، ومن اللاوطن واللامقر يستولون ربما على كل الوطن وكل المقر .

إفشال محاول للسلام كانت ستهدد صقور اسرائيل تماما وتقطع عليهم الطريق ، فهل هذا فى مصلحة اسرائيل ، بل هل هذا فى مصلحة صقور اسرائيل أنفسهم . لقد أراد مستر بيجين أن يدخل التاريخ من باب لايقل اتساعا عن الباب الذى دخل منه بن جوريون تاريخ اسرائيل . باب







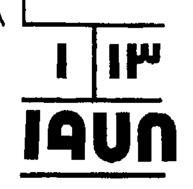
اسرائيل سالمة آمنة بعد أن مكن لها بن جوريون فى الأرض وأبقى انسانها خائفا مذعورا من أى حرب .

يؤسفنى أن أقول أنه اذا كان المستر بيجين قد مسه فى لحظة شعور السعادة بهذا فهى سعادة قصيرة النظر تماما ، فهى قد تسمح لاسرائيل بالاحتفاظ ببعض الأرض وتقيم بعض المستعمرات ، ولكن يامستر بيجين أنت أعلم الناس أن هذا وضع لن يدوم أبدا ، فالوضع الذى خلقته أنت وزملاؤك سيجعل العرب كلهم فى حالة استنفار دائم . حالة يركب القلق المدمر فيها مائة وعشرين مليونا منهم وأنت العليم بماذا يفعل القلق الدائم فى النهاية واى الكوارث ينتهى بها .

لقد سمعت تصريحا لموشى ديان يقول فيه ما معناه إن مصر هى الحريصة على السلام لانها فى حاجة ماسة اقتصادية وعسكرية واجتماعية وسياسية للسلام ، بينما اسرائيل ليست شغوفة بالسلام ولا حاجة لها به الان على الأقل . هذه الكلمات تصدر عن سياسى اسرائيلى اعتقد أنه لايرى إلا ما تحت أقدامه وإلا واقع اليوم ، واذا كان لهذا المفهوم من ضرر فالضرر من المحتم سيلحق بعضه باسرائيل ، وذلك أن الفرصة التى هيأها الرئيس السادات لسلام تعيش فيه اسرائيل فرصة أعتقد أنها لن تتكرر أبدا . ان اضاعتها أكبر جريمة يرتكبها قادة اسرائيل اليوم فى حق الأجيال الناشئة الان فى اسرائيل وحق الأجيال القادمة ، وأبدا لن يسعد المستر بيجين برأى أولئك وهؤلاء فيه وفيما جناه عليهم .

إنى لمندهش حقا ، فتصريحات قادة اسرائيل تتحدث دائما عن العبقرية الاسرائيلية والذكاء الاسرائيلى . مندهش لأن ما يفعلونه اليوم – وليسمحوا لى – ليس فيه ذرة ذكاء . . ربما فيه ذكاء . . اللحظة ولكنه قطعا ملىء بغباء المستقبل . أى ذكاء هذا الذى يجعلهم يفلتون فرصة جاءتهم تدق بابهم فدفعتهم عنجهيتهم لرفضها . . إن هذا الرفض ليس غريبا عليهم ، فهم دائما يظلون يثيرونك حتى تبدأ تثور وأحيانا تبطش وحينذاك يصرخون ويستصرخون العالم قائلين إلحقونا . أهى هواية العيش فى تعذيب الاخرين ليعذبوهم ؟

إنى أقولها صريحة وواضحة لقادة اسرائيل : نحن لسنا فى شغف زائد لحلول السلام ، بل ولايضيرنا أبدا أن تبقى الأوضاع كما هى لعشرة أعوام أخرى . ولكنكم بهذه الطريقة ستجعلوننا بدلا من البناء والتعمير نقضى هذه السنوات فى الاستعداد لدرء الخطر عن أرضنا وعن أنفسنا . النتيجة جثث أخرى منكم ومنا تملأ رمال سيناء . فلماذا أيها العباقرة الأذكياء ؟ أتتصورون لاأقول الرئيس السادات ، ولكنى أقول أبسط مواطن فى مصر أو حتى مقعد من جراء الحرب الماضية ، يرضى أو يراود خاطره ولو للحظة أن يتنازل لكم عن شبر من الأرض أو عن شرط من شروط السلام . . أتتصورون أن المصريين أو الأردنيين أو السوريين أقل تماسكا بترابهم منكم ؟ من أين جاءكم هذا التصور وأنتم الذين انشأتم المعاهد لدراسة العقلية العربية





والشخصية العربية ؟ أمن فرحتنا بمبادرة السلام ، ولكننا لم نفرح بها يأسا أو انتحارا أو مقدمة للتنازل عن سيادة أو أرض ، لقد فرحنا بها لأننا بشر ولسنا وحوشا نريد الحرب من أجل الحرب ، فرحنا بها حتى لانضطر بعد حين أن نقتل ، أو نقتل فرحنا بها لأننا شعب متحضر ولسنا زمرة من المهاويس والمتعصبين .

من كاتب من أبناء هذا الشعب يحاول أن يعبر عنه ، وليس من سياسى أو مسئول ، أقولها لكم ، وأيضا نابعة من ضمير هذا الشعب : إنكم تلعبون بالنار وتضيعون فرصة ستقيمون من أجل الندم عليها حائط مبكى جديد . . وإن كان لايهمكم ارتكاب الجرائم فى حق أنفسكم أفلا تدركون انكم بهذا تجرمون بلا أدنى تأنيب ضمير فى حق أولادكم وبناتكم ؟

أفعلوا شيئا تثبتون فيه أنكم تنتمون إلى جنس البشر .



احمد بهاء الدين

قنبلة الدكتور بدران والحملة المدبرة على القطاع العام

وقع فى القاهرة هذا الأسبوع ، انفجاران يستوقفان النظر ، ويحتاج كل منهما الى وقفة خاصة . . !

● الأول : انفجار ماسورة المياه التى اغرقت وسط المدينة ، وقطعت القاهرة عن العالم أسبوعا كاملا ، دون أى مبرر مقبول ، من قلة معرفة ، أو من قلة مال ، ولهذا حديث طويل ، فإن قلة المال صارت حجة يغطى بها كل عيب وقصور ، دون أن يكون هذا ، فى رأينا ، سببا حقيقيا . .

● الثانى : تلك القنبلة التى ألقاها الدكتور ابراهيم بدران وزير الصحة المصرى ، والرجل الذى لايختلف اثنان فى مصر على نزاهته وصدقه . .

لقد أعلن الدكتور ابراهيم بدران ، وزير الصحة ، أن بعض مستوردى الأدوية الأجنبية ، من ضعاف النفوس ، حاولوا رشوته ثلاث مرات ، ليسهل لهم هدفهم فى تحطيم صناعة الدواء فى مصر ، وتحقيق أرباح طائلة على حساب المستهلك المصرى . . وقال الوزير أنهم استخدموا التزوير فى الحصول على مكاسب بلغت ثمانية ملايين جنيه ، وإنه قرر إحالتهم الى النيابة . . وقال الوزير ابراهيم بدران ان المستوردين يكسبون مليون جنيه فى الصفقة الواحدة باللجوء الى التزوير ، وذلك بدلا من مائة ألف جنيه ، لو التزموا بنسب الربح المحددة .



وقال الوزير ان المستوردين بلغ بهم الأمر الى أنهم كانوا يدفعون رشاوى لسائقى سيارات نقل الأدوية المصرية الصنع حتى لا يوزعوها على الصيدليات ، مما مكنهم - أى المستوردين - من رفع مبيعاتهم الى ١٤ مليون جنيه . . وقال الوزير أن حملة المستوردين ضد الدواء المصرى تهدف الى التأثير على سوق الدواء المصرية صناعة وانتاجا وتوزيعا .

❖ ❖ ❖

إن الوزير المصرى المسئول ، ما كان ليقول هذا الكلام الخطير وهو فى موقع المسئولية ، مالم يكن قد رأى فعلا ما أثقل ضميره الوطنى الى أقصى الحدود .

وبهذا الكلام الخطير ، من وزير رزين ، فنى ، مسئول ، غير حزبى ولامذهبى ، يمكن ان نقول : لقد قطعت جهيزة قول كل خطيب . .

❖ ❖ ❖

فعندما أعلنت سياسة الانفتاح الاقتصادى فى مصر ، كان هناك من عارضوها على أسس عقائدية ، وكان هناك من أصدروا عليها الحكم بالفشل مقدما . . وكاتب هذه السطور لم يعارض سياسة الانفتاح من حيث المبدأ ، **ولكننى حذرت من اليوم الأول ، من ان ينقلب الانفتاح إلى « سداح . . مداح »** ، كما نقول فى لهجتنا المصرية الشعبية . . وكان لهذا التحذير أسباب ، مستمدة من مظاهر غير مريحة بدت ملامحها منذ الوهلة الأولى . . ومن المؤسف انها استشرت وانتصرت ، رغم كل تنبيه وتحذير .

❖ ❖ ❖

كانت هناك فى الدرجة الأولى ، تلك الحملة الضارية الكاسحة على القطاع العام ، وكل معطياته ، وكل من عملوا فيه .

ورغم أن هذه الحملة الكاسحة ، التى أخلى لها الجو تماما ، اخذت شكل الاقتصاد ، إلا أنها كانت حملة سياسية فى الدرجة الأولى ، مع ادراكنا طبعا أنه ليس هناك فاصل بين السياسة والاقتصاد فى هذا العصر ، بل وفى كل العصور .

كانت الحملة على القطاع العام - بصراحة وبساطة - جزءا من حملة شاملة لتدمير ثورة ٢٣ يوليو ، وتدمير تجربة النضال المصرى طوال ربع قرن . . فالذين هاجموا الثورة ، هم الذين هاجموا القطاع العام ، وهم الذين هاجموا حتى السد العالى !

وهاجموا كل صغيرة وكبيرة جرت طوال ربع قرن . . ولم يكن هذا هجوما من باب النقد الموضوعى المفيد ، الذى يدلنا على الحلول الصحيحة . . بل كان هجوما انتقاميا قدم فيه هدف تدمير اسم الثورة ، وتلويث اسم عبد الناصر ، على هدف التصحيح والاصلاح الجدى . .





حتى ولو دمروا فى طريقهم جيلا كاملا أو جيلين من ابناء شعبنا . . وحتى لو دمروا بعض أهم مصالحه الوطنية . .

إن القطاع العام ليس اختراعا فرديا ، ولكنه اسلوب عرفته بلاد شتى ، ولأسباب مختلفة ، طبقه ديجول بعد الحرب العالمية الثانية فى فرنسا على البنوك وبعض المؤسسات الاستراتيجية ، حين وجد أن هذا أساسى لحفظ استقلال فرنسا ، وطبقته **انجلترا** ، ومازالت تطبق المزيد منه لسبب آخر ، هو انقاذ بعض صناعاتها الكبرى فى وجه المنافسات الدولية . . وطبقته **ايطاليا** الرأسمالية ، حين أرادت ان تدخل ساحات جديدة خطيرة ومكلفة ، كالبترول ، لايقوى عليها رأس المال الفردى الايطالى . .

وفى بلاد العالم الثالث ، كان لظهور القطاع العام سبب آخر . . ففى هذه البلاد لم يكن يوجد رأس المال الوطنى الخاص الذى يكفى للنهوض بمشروعات اقتصادية ضخمة ، وبعمليات إقامة البنية الأساسية التى تقوم عليها سائر النشاطات الاقتصادية .

وقد كانت مصر سباقة فى هذا المجال ، وكانت ولاتزال ، بين دول العالم الثالث ، صاحبة اكمل واكبر تجربة فى إقامة قطاع عام ، يقود عملية التنمية .

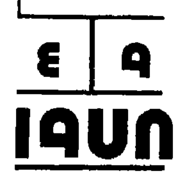
وسواء سمى هذا اشتراكية أو راسمالية دولة أو راسمالية فقط ، فقد علمتنا الأيام ، فيما أرجو ، ان لاتطغى الأسماء على المسميات . فالأسماء فى بلاد مثل بلادنا ، مازالت ترتاد وتتحول وتجرب ، يمكن أن تستخدم للتمجيد أو للتنديد . . وهى تضلل جماهيرنا عن الجوهر . .

الجوهر فى القطاع العام أمران :

■ الأول : حشد الفائض القومى ، والقروض المتاحة ، والجهد الوطنى ، للقيام بالمشروعات الكبرى ، التى تقفز بالمجتمع فى أقصر وقت ممكن . .

■ الثانى : توفير سلع وحاجيات أساسية للشعب ، بأسعار معقولة ، حتى ولو أدى ذلك الى خسارة فى هذا المرفق أو ذاك . .

وقد ارتكبت اخطاء كثيرة ، مرجعها أولا أسباب كان يجب تلافيها ، مثل توسع القطاع العام ورغبته فى امتلاك حتى الصناعات أو التجارات المتوسطة والصغيرة ، ومثل انتقال البيروقراطية الحكومية بلوائحها وشكلياتها الى قطاع قوامه الانتاج . وبعض الاخطاء كان لايمكن تلافيها ، مثال ذلك أن الأمر كله كان تجربة جديدة علينا ، وأن البلد دخل مرة واحدة على جبهة عريضة جدا من الانتاج فى مجالات ليس له بها دراية من قبل . . بكل ما يستتبعه انتاج السلع من خبرة فى خاماتها وصناعتها وتسويقها . . الخ . . وان البلد أحضر الخبراء ، ولكن لم يكن ممكنا فى النهاية أن نستورد الألمان أو الطليان ليديروا لنا شئوننا ، فأخذ القطاع العام كل خبرة متاحة من الجامعات ، ومن الحكومة ، ومن السوق . . وأرسل الى الخارج اكثف عدد عرفته



مصر من الشباب لاكتساب الخبرة ، ولكن ، رغم كل شيء ، كان لابد لنا من هذه « القفزة في الماء » ، حتى نتعلم السباحة !

وقيل . . إن هذه السلعة يتكلف صنعها في مصر اكثر مما يتكلف استيرادها . . طبعا . . فمصر ليست دولة عريقة في الصناعة ، ولكن هل نظل طول عمرنا مستوردين لكل شيء ؟ . . ثم إن الثمن « الأرخص » الذى ندفعه في السلعة الأجنبية يذهب الى الخارج ، ويرفع مستوى العامل والفني في الخارج ، ويزيد ارباحه . . في حين ان الثمن الذى ندفعه في السلعة المصرية يذهب اغلبه الى جيوب مصريين آخرين . . وهذا في حد ذاته هدف اجتماعي أساسي وهام . .

وأى الرغبات أولى . . رغبة القلة المترفة في أن تستمتع بأحدث ما ينتجه الخارج ، أم « حاجة » الأغلبية الساحقة الى الحصول على العمل والخبرة ولقمة العيش ؟

وقيل : إن هناك قطاعات تخسر !

واستشرت الحملة على القطاعات التى تخسر . . ولم يحدثنا أحد عن القطاعات التى تكسب ، والتى هى مصدر التمويل الأساسى لمصر ، تمويل الحكومة بالعائد ، وتمويل الشعب بالأجور والمرتبات . .

ولم تقدم لنا الدولة دراسة دقيقة واجبة عن نوعين من الخسارة · الخسارة التى مردها الفشل أو سوء الادارة أو غيرها ، والخسارة التى مردها أن هناك قطاعات اقامتها الدولة من مال الشعب لتوفير سلع معينة بأسعار معينة ، وكأنها مرفق عام ، وليس بقصد الكسب . .

إنما خلطت الحملة الشعواء بين هذا وذاك ، وصورت للناس القطاع العام وكأنه تركة من الفشل الشامل . . وان كل العاملين فيه جهلاء ، أو سفهاء ، أو لصوص . . !

وقد كانت هذه الحملة تدمر الروح المعنوية لملايين العاملين في القطاع العام تدميرا رهيبا . . أحسن خبرائنا وجيل كامل من فنيينا ، وعمال يقفون أمام آلاتهم الساعات كل يوم ، ثم يقرأون أنهم عبء على المجتمع . . وحثالة هذا المجتمع . . وزوائد يجب استئصالها من جسد المجتمع . . فهم ساعة معرضون للبيع ، وساعة أخرى مهددون بالطرد . .

فاذا خرج البعض واستقال . . وهرب بجلده . . صحنا : هذا خبير عالمى . . وهذا خطفته دولة كذا . . وذاك سرقته الأمم المتحدة . . الى أخره . . ونتحدث عن بناء الفرد ؟

ماهى مسئولية الفرد ؟

اذا كان زائدا عن الحاجة ، فهذه ليست مشكلته ، مهمة القيادة أن تضعه في موقع منتج ، وما أكثر المواقع المنتجة المحتاجة ، ثم تحاسبه . .





ولم نكن نشك لحظة فى انه اذا كان هناك من يريدون إعادة تبعية الاقتصاد المصرى للخارج لأسباب سياسية ، فهناك من ارادوا ذلك لأسباب انتفاعية مباشرة . .

وحين قلنا : إن الانفتاح يتخذ الطابع التجارى ، والتهريبى ، اكثر من الطابع الاستثمارى ، لم يكن كلامنا خفيفا عليهم !

ولكن هذا ما حدث ، الى حد كبير . .

كل مصرى ـ من الرعية طبعا ـ يرى كيف ان محل البقالة فيه الجبن الروكفور الفرنسى وليس فيه الجبن الأبيض المصرى ! وكيف أن كشك السجاير يقول لك صاحبه : ليس عندنا سجائر كليوباترا . . لكى يبيع لك سجائر كنت !

والمهربات صارت اساسا من أسس السوق . والدولة ترفع شعار استيفاء حقها من الضرائب ، ولاتحصل على مليم واحد !

تتشاطر الدولة على اسرة تؤجر شقتها مفروشة لكى تعيش احسن ، وتعجز عن الامساك بذيل الملايين السائبة ، المتحركة ، دخولا وخروجا ، دون ان تحصل منها على شىء .

وبدأنا فى هذه الاثناء نسمع عن سلع القطاع العام المكدسة فى المخازن ، لأن البضائع المستوردة تطاردها . فى التافه والمهم على السواء !

وبدأنا نجد حتى فى بريد قراء الصحف شكاوى منشورة من مديرين أو عمال ، عن سلعهم المتراكمة ، وعن خوفهم أن يكون هذا مقدمة لاثبات فشلهم ، والقضاء عليهم . .

ونفس الشىء عن إنتاج القطاع الخاص !

إننا من أنصار القطاع الخاص بوصفه رأس مال مصرى . ولأنه حتى فى مستواه اليدوى ، يشغل مئات الالاف من الأيدى العاملة ويعول الملايين من افراد اسرهم .

ولكن أى مصنع اقمشة صغير ، أو نجاره أو أحذية ، ينافس ماركات دولية رأسمالها يساوى رأسمال عدة دول ؟

وهل راعينا فى فتح الأبواب ، توفير درجة من الحماية لما نرى انه صناعات ذات مستقبل أو ذات اهمية لمصر ، ولو لمرحلة انتقالية ؟

اتظنون يااصحاب الاقتصاد الحر ، من الطراز القديم ، انه لايوجد شىء اسمه الحماية الجمركية ؟

إن الحماية الجمركية هى بنت الاقتصاد الحر وبنت النظام الرأسمالى ، ولم تنجبها الاشتراكية . لانها أقدم من الاشتراكية . .



واقوى الدول الصناعية المتقدمة ، اذا شعرت بالخطر رفعت راية الحماية الجمركية ، مهما كانت النتائج ، لأنها مسالة حياة او موت !

رفعتها في السنوات الثلاث الأخيرة انجلترا مرة . وفرنسا مرة . وايطاليا مرة . ضاربة كل منها عرض الحائط باتفاقيات السوق الاوروبية المشتركة وبتعهداتها نحوها .

وهاهي امريكا ذاتها . فعلها نيكسون مرة . والان يحاولها كارتر بوسائل اخرى ، لحماية السوق الأمريكية من المنافسة اليابانية ، بكل وسائل الضغط ، والاقناع ، وتخفيض العملة ، والسيطرة على الطاقة . . الى آخره .

وقصة الدواء ، التي أثارها الوزير ابراهيم بدران ، هي النموذج القاطع . سوى أن هناك مثله عشرات . . .

لقد بنت مصر بعرقها وسواعد ابنائها وخبرة شبابها صناعة ضخمة للدواء ، تنمو منذ مايقرب من عشرين عاما .

ارتفع إنتاج مصر الدوائي من خمسة ملايين الى ١٤٣ مليون جنيه مصرى . . .

وصار الدواء المصرى يغطى ٨٥٪ من حاجة السوق المحلية

وصار يعمل في هذه الصناعة مايقرب من عشرين ألف صيدلي وفني وعامل وعاملة . . .

وعرفت بعض الأدوية المصرية طريقها الى بعض الأسواق العربية . فجاء يوم كان العراق فيه يستورد سنويا بملايين الجنيهات . وعرفت بعض الماركات وحازت الثقة . لأن وصف تعلق المريض بماركة معينة هو الثقة والألفة والتجربة .

وصار لدينا خبراء وصيادلة ، لديهم شتى العروض المغرية من كبرى شركات الأدوية في العالم . .

وبعد هذا ، فإن صناعة الدواء ليست ترفا . وليست من الصناعات التي يستغنى عنها بلد ما بسهولة ويستبدل بها الاستيراد الكامل . . .

فهو ـ على الأقل في الأدوية الشائعة الاستعمال ـ ضرورة . وقد اتقنا صناعته . وهو أساسي بالنسبة للناس . وتوفره لايقل أهميه عن توفر الرغيف . والفرق بين الانتاج المصرى والأجنبي لايقل عن ضعف السعر أو ثلاثة أمثاله .

وحتى المنافسة ، ليست حرة . . . ولابريئة . . .

فأمام العاملين الذين لايأخذون إلا مرتباتهم ـ ما هو مرتب رئيس أكبر مصنع للأدوية في مصر ؟ ـ يهجم الذين . . . يقول الوزير ابراهيم بدران أنهم يكسبون مليون جنيه في الصفقة الواحدة بالتزوير . والذين وصل تدخلهم الى درجة محاولة رشوة كل من له صلة بالدواء من الوزير نفسه . . الى سائق السيارة الذى يوزع الأدوية المصرية حتى لايوزعها ! !





اليس هذا كافيا ليؤكد أسوأ الظنون ؟

وأليس رادعا لمن يلعبون بكلمتى « الانفتاح » و « الانغلاق » بلا مسئولية . . لان أى ترشيد للانفتاح معناه إغلاق باب من أبواب الرزق الحرام أو سد ثغرة يدخل منها طوفان يغرق المصالح الحقيقية للوطن !

* * *

إن الحكومة مطالبة بعدة أشياء تقضى على البلبلة ، وتعيد للناس قدرة التفكير المتوازن .

● إن على الحكومة أن تنشر تقارير دقيقة على كل كتلة من كتل القطاع العام . ماذا تكسب ؟ ماذا تخسر ؟ لماذا تخسر ؟ لانها تتحمل عبئا قوميا ام لأنها تنفذ قرارات حكومية أم لأنها فاسدة أو غير صالحة ؟

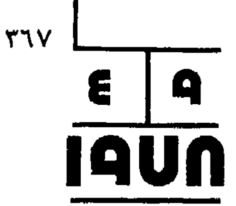
● وعلى الحكومة أن تعلمنا بسياستها ، وترينا آثارها ، إزاء التهريب . . فخير من التهريب السماح بالاستيراد واقتضاء الضرائب .

● وعلى الحكومة أن تنشر دوريا بيانات اكثر دقة عن سياسة الانفتاح . لايكفى أن نقول أن هيئة الاستثمارات « وافقت » على كذا مائة مشروع . المهم . كم مشروعا بدأ فعلا ؟ وماهى هذه المشروعات ؟ حتى نحكم على الانجاز الحقيقى من جهة ، وعلى الطابع العام له من جهة أخرى .

* * *

ثم نتمنى من الله ، أن تجد كل صناعة مصرية ، عامة أو خاصة ، « بدرانها » ! كما وجدته صناعة الدواء ! !





٩٠ اللــواء محمــد نجيــب

اتقــوا اللــه فى وطنكــم

يسألنى الكثيرون فى مناسبات عديدة عن رأيى فيما تعانيه البلاد فى الداخل من التضخم المالى ، وأن الكثير من مرافقها يحتاج الى علاج سريع كالمواصلات التليفونية والمجارى وغيرها ، وذلك بسبب اللامبالاة والتسيب وغيرهما ؟

ولهؤلاء المتسائلين اقول إن كل هذه الأمور الداخلية سببها الحرب ، بل الحروب المتتالية ، وقد حدث مثلها فى معظم الدول اثناء الحرب العالمية الأولى والثانية ، ولكن تغلبت عليها الشعوب الراقية بالصبر وقوة العزيمة والصمود والايمان ، كما ان اللامبالاة وانواع الفساد الأخرى كلها امور لن تزول إلا إذا غيرنا ما بانفسنا . . وقد قال تعالى فى كتابه العزيز : « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (صدق الله العظيم)

وأقول لهؤلاء المتسائلين أيضا إن كل هذه العيوب الداخلية سيتم إصلاحها بعد الفراغ من المشاكل الخارجية ، وبصمودنا وقوة عزيمتنا ان شاء الله ، وأقول لبعض هؤلاء المتسائلين المتشككين : ماذا قدمتم أنتم لبلادكم فى الوقت الذى قام فيه السادات بكل شىء بمفرده ؟

إنه فى هذا الوضع يتفاوض بعد أن اقنع العالم كله بانه رجل السلام ، وأكسب العرب ثقة دول العالم كله ، وعرى اسرائيل ، وأحبط دعاياتها السيئة ضد العرب .





إنه يتفاوض عن مصر وعن العرب جميعا ، مجاهدا فى سبيل مصالحهم وحريتهم ، بينما هناك بعض من يسعون لعرقلة سعيه وجهوده ، منساقين وراء المنافع الذاتية وكراسى الحكم التى مصيرها دائما الى الزوال ، فيحاولون إضعاف موقفه ، بدلا من تقويته وهو يتحدث بلسان جميع الشعوب العربية ، ويعمل لصالح العرب أجمعين .

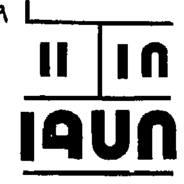
وقد نسى هؤلاء الخصوم المثل العامى الذى يقول : « أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » . . **ونسوا أو تناسوا طرده لأعداء البلاد ، ونسوا العبور ونتائجه العظيمة ، ونسوا ذهابه الى القدس مخاطرا بحياته . . ونسى بعضهم ما قامت به مصر من تضحيات ، كل ذلك فى الوقت الذى يسفك فيه بعض العرب دماء البعض الآخر ـ واسفاه ـ ولايقدم المنتقدون حلا أحسن .**

ماذا كسبنا من هذه الخصومات الرخيصة ؟ . التى يتعجب منها العالم وينكرها ؟ . ياعالم ، ياعرب ، اعتبروا بما حدث للعرب فى الأندلس بسبب التناحر والتخاصم مما أذهب ريحهم ، ومكن منهم خصومهم حتى طردوهم الى شمال افريقيا ثم تعقبوهم هناك مطاردين ، ياعالم اعتبروا بما حدث فى هذا الاسبوع ، لما عرفت اسرائيل بما حدث فى مؤتمر بغداد ، فما كادت اسرائيل أن تسمع عن نتائجه حتى سحب مناحم بيجين موافقته على ربط موضوع مصر بموضوع الضفة الغربية وغزة وغيرهما ، إنه بعد أن وافق على ذلك فى أول الأسبوع عاد ونقض ما أبرمه فى آخر الاسبوع بحجة عدم موافقة الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) .

اعتبروا ياأولى الألباب ، يامن لاتملكون سلاحا يعتد به سوى التضامن ووحدة الصف والتجرد وانكار الذات لخدمة الوطن العربى . تذكروا مافعله هذا السلاح فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، التى رفعت هامات العرب ورؤوسهم عالية ، ومكنهم تضامنهم من شن حرب البترول التى هزت كيان العالم كله .

ياأخوانى العرب ، مهما كان فى نفوس البعض من مطامع شخصية أو أحقاد . فإن الواجب يقضى بإطفائها وقمعها ولو مؤقتا ولفترة محدودة ، اعتبروها هدنة كما نهادن اسرائيل . وذلك الى أن ينتهى السادات وصحبه من المفاوضات ، حتى يحصل بذلك على أعظم قدر ممكن لصالحنا جميعا .

بالله ، اتقوا الله فى وطنكم العربى ، حتى ولو بالتظاهر بمظهر الاتحاد لفترة محدودة إن كنتم لاتستطيعون تحقيق الاتحاد ، ووحدة الصف ، وفى النهاية حاسبوا السادات إن كان ثمة ما يحاسب عليه ، ولاتتفرقوا فتذهب ريحكم والخصم متربص بكم ، واذكروا قول الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » صدق الله العظيم .



٩٠

وفى الختام انى وقد جاوزت الثامنة والسبعين من عمرى ، لا اطمع فى شىء من عرض الدنيا الزائل وزخرفها ، وإنما كل ما يهمنى وأتمناه هو ان نتضامن جميعا وننسى كل شىء إلا الاتحاد والنظام والعمل . وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالتجرد وإنكار الذات لصالح الوطن ، وأن يحقق آمالنا ، إنه سميع مجيب . . والسلام عليكم ورحمة الله .

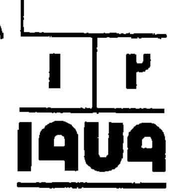
٩١

أحمد حسين

من مشروع القرش إلى مشروع السنة

انا الذى دعوت من على صفحات الأهرام فى عام ١٩٣١ الى مشروع القرش لحل ماتعانيه مصر من مشاكل ، ادعو – ومن على صفحات الأهرام – إلى مشروع يغاير كل المغايرة لمشروع القرش وهو « مشروع السنة » لتحقيق نفس الهدف الذى أردته من مشروع القرش وهو خير مصر وشعبها .

وارجو الا يضيق القراء بما اكتب ، فانا نفسى اضيق بما اكتب ، ولكن لا حيلة فى ذلك فانا عبد من عباد الله ، وقد ابقانى الله حيا ، وافقدنى القدرة على كل شىء ، إلا ان افكر واكتب ، (وهى نعمة كبرى احمد الله عليها) فليس امامى إلا ان أكتب ، وليس يهمنى ان يقال لى : انك تصرخ فى واد ، او انك تسبح ضد التيار ، فانا لا اكتب كما فعلت طول حياتى لارضاء احد او لتفادى سخط احد ، وقد عشت طول حياتى اكتب للشباب ، لابما يريده ، ولكن بما اتصور انا انه الحق ، وانه لخير مصر وشعبها . ولقد قيل عنى ما قيل ، قيل عنى أننى لص ، وسيرت المظاهرات تندد بى باعتبارى (حرامى القرش) ، وقيل عنى صنيعة السراى وصنيعة الاستعمار ، وقيل عنى خائن اعمل لحساب دولة اجنبية ، ولم يكن القائل اقل من « مصطفى النحاس نفسه تحت قبة البرلمان » ، وقيل وقيل مجنون ومتهور . . الى آخر ماقيل .



ومضيت احفل بما يقال او بما الاقى ، واطال الله فى عمرى ، حتى يرينى استفتاء يامر به رئيس جمهورية مصر فى طول البلاد وعرضها ، ليقول الشعب كلمته فى مصر الفتاة ، وأنها « ادت واجبها » . ولم يكن عندى شك فى ان هذا سيكون حكم التاريخ والأجيال القادمة ، ولكن الذى لم أكن اتوقعه بحال أن يتم الله نعمته على فيبقينى على قيد الحياة لأشهد رئيس الجمهورية ، وهو يزور شربين ويكرم أحب الناس الى بمقدار ما عمل وسوف يعمل لتحقيق مادار فى رأسينا فى يوم من الأيام من عز وسؤدد لهذا البلد الأمين ، ومن كرامة وحرية لمواطنى هذا البلد على السواء مسلمين كانوا أم اقباطا ، وأعنى به أخى ابراهيم شكرى . ولقد أعرب رئيس الجمهورية (مشكورا) لآل بيتى عن رغبته فى زيارتى ، واليوم ، فاليهدأ بالا ، فزيارته لابراهيم شكرى تعدل زيارته لى وتفوق ، وتدخل على نفسى من الغبطة والرضا ، اضعاف أضعاف ، فيما لو تفضل بزيارتى .

بعد هذا التمهيد الذى كان لابد منه ، ادخل الى صميم ما جعلته عنوانا لهذا المقال ، فقد نقل الى بعض اقطاب حزب العمل (ممن أجلهم الاجلال كله) أنه يدور عندهم فى الحزب اقتراح حول عمل مشروع قرش جديد ، على أن يصبح القرش عشرة قروش (لمجاراة التطور فى قيمة النقود) . ويقينا أنهم (ولهم الشكر) تصوروا أنهم يدخلون السرور على نفسى ، ولم يتصوروا أبدا أنهم لم يدركوا باقتراح بعث هذا المشروع حقيقة ما أصبحت بلادنا فى حاجة اليه .

فعندما دعوت لهذا المشروع عام ١٩٣١ (واحسبوا أنتم ما الذى يعنيه ذلك) وساعدنى على نشره بجريدة الأهرام أخى الاستاذ أحمد الصاوى محمد ، كانت الفكرة فيه ، هى جعل مصر دولة تشتغل بالصناعة الى جوار اشتغالها بالزراعة ، والتهبت الأمة حماسا للفكرة ، فقد كان الشعب يحس بحاجته الى الصناعة فعلا بعد ان حولته انجلترا بسلطانها ، الى شعب لاعمل له إلا أن يزرع قطنا لحساب مانشستر ولانكشير .

أما اليوم فما أبعدنا عن هذه الصورة ، فقد جاء وقت أصبحنا نصنع فيه كل ما نحتاجه بأيدينا ، حتى الصلب والحديد والالومنيوم ، حتى الصاروخ والطيارة والسيارة ومحركات الديزل وخلافه اصبحنا نصنعها فى مصر ، فلم تعد المشكلة ، مشكلة إنشاء مصنع جديد يضاف الى مئات المصانع فى مصر ، فالذين يقولون ببعث مشروع القرش يدللون على أنهم لايعرفون علة مصر فى الوقت الحاضر .

❖ ❖ ❖

إن رئيس الجمهورية ، لايفتا يكرر ، ان مصر تعيش اليوم (أروع وأمجد ايامها) وانا اوافقه تماما على هذا القول وهو مبعث تاييدى وثقتى الكاملة به ، ولكن هذه الحقيقة الثابتة ، يحجبها عن أعين الكثيرين ، (ولهم العذر كل العذر) مايرونه حولهم فى ظروف

حياتهم ، والذى استطيع أن أؤكده ، انه لولا حضارة هذا الشعب واحترامه للقيم ، والقانون ، والحق (مما يسميه العامة اصولا) اقول لولا هذا لكانت حالة الشعب اسوأ مما هو عليه اليوم عشر مرات . ويتصور من بيدهم الأمر ، أن الشعب يعانى من سوء المواصلات ، وازدحام الطرقات ، وارتفاع الأسعار ، الى آخر هذه القائمة التى اصبحت النفس تعاف تكرارها .

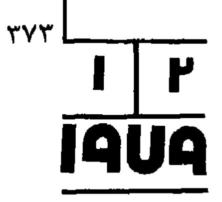
إن ما تعانيه مصر وشعبها أصبح أبعد من ذلك غورا بكثير ، فقد أغلبية الناس الضمير ، وأصبح كل من لديه قبس من القدرة فى اى ميدان من الميادين ، يتاجر فيها ما أستطاع الى ذلك سبيلا ، لايحده حد من عرف أو تقليد أو قانون ، فضلا عن دين ، حتى تحول كل قادر الى طاغية لايجد من يحد طغيانه ، فلا عجب أن تحولت الحياة الى جحيم يعانى منه الجميع وبدون استثناء ، فما من ظالم إلا ويبلى بأظلم ، وما من انسان رضى لنفسه أن يكون طاغية ، ويفعل مايريد إلا ويعيش فى قلق وفزع ، ومن هنا كان علاج مايشكو منه الشعب فى الدرجة الأولى ، فلا التخلف المزعوم ، ولا انتشار الأمية ، ولاكثرة النسل ، واخيرا ، ليس قلة التطور التكنولوجى ، هو علة مايشقى منه المصريون اليوم ، وإنما هو ما صارت اليه نفوسهم ، وتصوراتهم ، والأفكار الفاسدة التى حشيت بها رؤوسهم هو سر ما يعانونه من ويلات ، ولما كان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، ولما كانت اى عملية بناء ، يلزمها اولا هدم القديم الذى تخرب ، وباقل من القليل يجب أن نبدأ بحفر الأرض ، وازالة التراب ، فمن هنا كنت انا الذى دعوت من نصف قرن الى إنشاء مصنع كل عام بجهود الشعب ، لحل ما تعانيه مصر من مشاكل ، فانا الذى ادعو اليوم لمشروع مغاير كل المغايرة لمشروع القرش ، وهو « مشروع السنة » لتحقيق نفس الهدف الذى اردته من مشروع القرش ، وهو خير مصر وشعبها .

ومحور مشروع السنة يقوم على اجراءين اساسيين بدونهما لايقوم المشروع ، وكلا الاجراءين يهدفان الى غاية واحدة ، وهى هز المجتمع المصرى ، أو صدمه ، او إحداث زلزال فى حياته أو سمه ماشئت .

وهذان الاجراءان هما :

١ - إغلاق الجامعات والمدارس العليا والفنية والثانوية لمدة عام .
٢ - إيقاف القروض والاعانات الخارجية والاستيراد لمدة عام .

وهذان الاجراءان لن يحلا مشاكل مصر ، بل وقد يزيدان فى معاناة الشعب ولكن الشىء المحقق أنهما سيضعان الأمة فى الطريق الصحيح ، وسيعيدان الوجه الحضارى لمصر ، وسيجعل منها قدوة للدنيا كلها .



٩١

فلا قضية كثرة النسل ولا قضية الهجرة ، يفسران هذا الذى اصبح يجرى فى مصر الآن من مضحكات مبكيات نشأت من فساد الطبع ، حيث لم يعد يعمل إلا الشيوخ والعجائز وقلة من الكهول والرجال ، وافراد من الشباب ، أما الكثرة الساحقة فيقال عنهم ، أنهم يتعلمون فى المدارس والجامعات .

ولما كان هذا وضع خاطىء ، بل وفاسد ومدمر ، فالعلم النظرى فى الجامعات ، لم يكن ابدا شغل الكثرة فى المجتمع ، وإنما هو شغل القلة الذين أهلتهم الطبيعة لذلك ، والانسان ليس « مخا » كله ، وإنما هو ايد تعمل وأرجل تسير ومعدة تاكل ، وما يجرى الآن فى مصر هو محاولة لتحويل كل من فيها الى خلية من خلايا المخ ، ولا احد ليكون خلية ذراع او ساق ، أو صدر ، وتتوالى النصائح والعظات فى فوائد التعليم الفنى والتدريب المهنى ويشق طلاب عقلاء أو تحت ضغط الحاجة طريقهم الى العمل فيكسبون فى يوم واحد مايمكن أن يكسبوه فى شهر بعد تخرجهم من الجامعة ولكنهم يظلون شواذ واستثناء فى نظر اخوانهم وذويهم .

هذه الروح المدمرة التى أصبحت تصور للناس جميعا ، أن لاحياة لمصر إلا اذا التحق كل شاب بالجامعة هى التى يجب أن تنتهى ، ومن هنا كان جوهر مشروع السنة هو أن تغلق الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية أبوابها عاما كاملا ، لكى يتضح لكل انسان فى مصر انها لن تخرب بل ان هذا الجيش الضخم من العمل سوف ينطلق فى كل مكان يصلح ويعمر ويبنى ويزرع وينتج وينظف وينظم ، وفى نهاية العام سيرجع الى الجامعات والمدارس ، المؤهل فقط لتلقى العلوم النظرية ، أما الأكثرية فسوف تختصر الطريق ، وتكمل تعليمها فى مدرسة الحياة ، وتتخصص فى العلم التطبيقى فى شتى ميادين النشاط ، وبذلك تزداد تعلما وانتاجا لكل من ينفعها وينفع الناس .

● ● الاجراء الثانى إيقاف القروض والاعانات لمدة عام :

أنا أعرف كل مايقال فى هذا الذى يسمونه علم الاقتصاد ، وأنا لا أعترف به علما فهو لايزيد عن كونه بضاعة يهودية لتبرير الربا واخضاع البشر لسلطانهم .

يقول هذا العلم الاقتصادى ، ان الاقتراض اذا كان لانشاء مشروعات استثمارية ، فانه يكون مقبولا ومستحسنا ، وأنا ارفض هذا القول جملة وتفصيلا .

واليوم من حقنا ، بل من واجبنا أن نتساءل أين نحن من دنيا القروض ، تقول الميزانية ، أنها تتضاعف عاما بعد آخر ، وأننا وصلنا اليوم الى ألفى مليون جنيه ، وأن فوائدها هذا العام ١٤٠٠ مليون جنيه .

ومعنى هذا ببساطة متناهية أن ثلث ما ينتجه الشعب المصرى يذهب ليكون فوائد ربوية ، وليس ذلك كله سوى البداية .





ولهذا فاننى كمواطن بسيط عادى محدود الأفق والتفكير أقف عند قول العوام والجهال « على أد لحافك مد رجليك » ومن هنا ، فقد جعلت المحور الثانى من محاور مشروع السنة هو إيقاف القروض والاعانات لمدة سنة ، وسيظهر لنا فى خلال هذه السنة اننا لن نموت جوعا ، ولكننا سنعمل أكثر ، وسوف ننتج أكثر .

○ ○ درس للدنيا بعامة والعالم الثالث بخاصة :

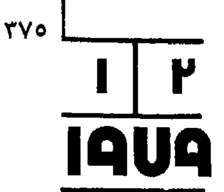
هناك شىء واحد استطيع أن أؤكده ، وهو أن مصر يوم ان تنفذ مشروع السنة ، فسوف تثبت حضارتها واصالتها . وأن من يريد أن يبنى نفسه ، يجب أن يعتمد على نفسه أولا وقبل كل شىء ، وسوف نثبت للدنيا التى اصبحت ترى فى المادة كل شىء ، أن هناك طاقات روحية تفعل المعجزات .

كلمة اخيرة .

أنى أكتب حتى لاتقول الأجيال القادمة أنه لم يكن فى مصر من ينبه للخطر وكيفية مواجهته ، ولما لم يكن الأمر عندى موضوعا حزبيا ، فقد اخترت لنشره جريدة الأهرام التى نشرت دعوتى لمشروع القرش منذ نصف قرن ، وكان لها فضل نشر مشروع السنة ، واليوم وقد أصبح فى مصر حزبان كبيران (الوطنى والعمل) فانى أسوق القول لقادة الحزبين وشبابهما ، بل لقادة وشباب أى حزب آخر قائم أو سوف يقوم ، أن هاكم طريق اقترحه عليكم لخير مصر وشعبها .

وفق الله الجميع الى ما فيه خير مصر والمصريين .





سيد مرعى

النتائج الاقتصادية للسلام فى الشرق الأوسط

يمكن النظر الى السلام من ناحيتين ، ناحية سياسية وناحية اقتصادية ، ولأجل تفهم الناحية الاقتصادية قد يكون من الضرورى التحدث قليلا عن الناحية السياسية .

فمن الناحية السياسية سوف يتوقف السلام فى النهاية على مدى الجدية فى تنفيذ معاهدة السلام . فاذا أمكن تنفيذ البنود الخاصة بها خلال المدة المقررة أو ربما قبل تمام هذه المدة فإن ذلك سوف يؤدى الى الثقة فى هذه المعاهدة ، ثقة تعتمد على الدليل المادى .

ومن الواضح أن جبهة الرفض سوف تزيد من نشاطها لاسيما وأنها تضم حاليا بعض الدول التى تربطها بمصر صلات طيبة ، هذه الصلات التى كان يجب أن تكون عاملا فى تدعيم عملية السلام لا فى تدهور الموقف . أننى أقصد المملكة العربية السعودية ، ولقد كنت أظن أن التفاهم المصرى السعودى المشترك سوف يكون نقطة ارتكاز فى التضامن العربى ، لقد اهتز هذا التفاهم واصيبت آمال الأمة العربية بنكسة .

دعونا نتصور أن معاهدة السلام قد نفذت بنجاح ، فمن المحتمل بعد قيام هذا الدليل المادى أن تتوجه الجماهير فى الدول العربية الى قياداتها متعجبة ومتسائلة .

لقد استعادت مصر أرضها ورسمت طريقا لحق تقرير مصير الفلسطينيين ، وقد يكون هذا الطريق كافيا فى نظر البعض وغير كاف فى نظر البعض الآخر ، ولكن لا أحد يمكن أن ينكر أنه





وضع القضية الفلسطينية ولأول مرة على طريقها الصحيح لتقرير الحق الفلسطيني .

كل هذا سيجعل السؤال يتردد بين شعوب هذه المناطق لقادتها : فماذا قدمتم أنتم من ايجابيات ؟ لاشيء اللهم إلا مجموعة من القرارات الاستنكارية من مؤتمر بغداد وغيره ـ قرارات شديدة جدا ـ وأشد من أية قرارات وجهت ضد اسرائيل نفسها .

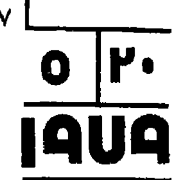
وللأسف فإن هذه هى الصورة الحالية للموقف السياسى . صورة محزنة وغير مستقرة ، واذا استمرت هذه الحالة فإنها سوف تؤثر تأثيرا سيئا على الموقف الاقتصادى ، ولكن ولكى اكون متفائلا دعونا نتصور قيام السلام والاستقرار وفى هذه الحالة سوف تتأثر أيضا ، عمليات التنمية الاقتصادية بالشرق الأوسط ذلك أن الناحية السياسية ، جزء مكمل للصورة الاقتصادية .

بالنسبة للتنمية الاقتصادية ، فأننى لا أود أن أتناول هذا الموضوع فى المدى القصير ذلك أن مشكلات التحول للسلام مشكلات كبيرة فى هذا المدى ، كما اننى سوف لاأقتصر فى تحليل على المزايا التى تعود على كل من مصر واسرائيل ، ذلك ان المزايا المترتبة على السلام بينهما محدودة أيضا لكل منهما فى المدى القصير سيما فى ضوء مشكلات الظروف الاقتصادية التى عمقتها حروب استمرت ثلاثين عاما .

اما فى المدى البعيد فإن المسألة تختلف ، إذ من المنتظر أن تتزايد المزايا المترتبة على عملية السلام فى هذا المدى مرات عديدة ، سوف لاتقتصر هذه المزايا على دول المنطقة ، بل لربما امتد أثرها على الدول الأخرى خارجها . اننى لاأنظر الى التنمية كعمل يتم وينتهى ، ولكننى أنظر اليها كعملية تحتاج لبعض الوقت وذات طبيعة معقدة تتضمن بعض دول المنطقة بينما هى فى الوقت نفسه سباق بين العرب واسرائيل فى المجالات العلمية والتكنولوجية . اذا أدرك ذلك القادة فى الدول العربية ، وأدركوا أن الاستقرار فى المنطقة ضرورة للتنمية الاقتصادية والثقافية فى عالم يتقدم تكنولوجيا ، وحيث يجب أن نجرى سريعا لنقف فى أماكننا ، فان ذلك سوف يؤدى الى التنمية الشاملة .

واذا نظرنا الى المسألة من وجهة أخرى ، فان مزايا السلام يمكن قياسها بتكلفة الفرص البديلة نتيجة فشل عملية السلام فى الوقت الذى لايتعرض فيه الشرق الأوسط فحسب للخطر ، بل تجتاح فيه الأزمات مناطق أخرى كثيرة فى العالم .

إن إمكانات التعاون الاقتصادى بين دول المنطقة إمكانات كبيرة ، فمن ناحية التكامل تتمتع هذه الدول فيما بينها بموارد ضخمة يمكن عن طريقها بالتنمية المشتركة تحقيق مكاسب كبيرة ، فالتنمية ، بصرف النظر عن الطريقة التى ننظر بها اليها ، تحتاج الى رأس المال والمعرفة الفنية والموارد الطبيعية والعمالة وغيرها من المدخولات . واذا نظرنا الى منطقة الشرق الأوسط ،



فانه لما يستلفت النظر بشدة الامكانات الكبيرة المواتية للتعاون الوثيق وللروابط الاقتصادية . فكل هذه الدول تشترك فيما بينها ولحد كبير فى هدف التنمية الاقتصادية وكلها يكمل بعضها بعضا فى مدى واسع من المجالات الاقتصادية .

وبلغة مبسطة يمكن القول بأن مصر تختلف عن كثير من الدول النامية ، إذ أن الزراعة متقدمة فيها ، فمثلا انتاجية الفدان من الذرة فى مصر تعادل ثلاثة أضعاف تلك فى الهند .

وتستطيع مصر أن تسهم بالعمالة غير الماهرة ونصف الماهرة وبالفنيين ممن هم على درجة كبيرة من المهارة . وثلث عدد هؤلاء موجود فعلا وحاليا بالدول العربية . ورغم أن نصف عدد السكان بمصر مازال يقطن بالريف ويشتغل بالزراعة ، فان الصناعة تتميز حاليا بتنوعها وتشمل هذه الصناعة الصناعات الغذائية وصناعة النسيج ومواد البناء والبتروكيماويات والصناعات الردائية وصناعة الأثاث والأدوات المنزلية .

واذا انتقلنا الى السودان ، فهذه الدولة هى أكبر الدول الأفريقية مساحة وتتمتع بوجود مساحات كبيرة من الأراضى وموارد كبيرة من المياه . ومن الواضح أن السودان لايستطيع بمفرده أن يستفيد من كل إمكاناته ، لقد زادت قيمة واردات هذا البلد فى السنوات الأخيرة الى ضعف قيمة صادراته ومازال الناتج الكلى ضئيلا الى الحد الذى لايمكنه من القيام بعمليات التنمية الكبيرة ، ولكنه بتوفير العمالة ورأس المال والتكنولوجيا ، فإن السودان له من الامكانات ما يستطيع به أن يتحول الى سلة خبز لدول الشرق الأوسط .

والدول البترولية من جهة أخرى لها مشكلة من نوع أخر ، فبينما تسبح هذه الدول فى بحر من فوائض الاحتياطى النقدى ، فانها تعانى نقصا فى المواد الغذائية وفى الإدارة ، ولذلك تعتمد هذه الدول حاليا على عملات واقتصاديات الدول المتقدمة اعتمادا يترتب عليه وضع معظم ثرواتها فى اقتصاديات أجنبية ، لا سلطان لها عليها إلا قليلا . وبتحويل حتى بعض هذه الثروة الفائضة للاستثمار فى مشروعات انتاجية فى الجهات ذات الميزة النسبية فى المنطقة ، سوف تتمكن هذه الدول من استثمار ثرواتها فى مشروعات انتاجية تسيطر عليها بدرجة أكبر ، وبالاضافة لذلك - وهى نقطة مهمة - فإن هذه الاستثمارات سوف تكون بداية الكفاية الذاتية للدول البترولية فى منطقة اقتصادية وسياسية سوف تساعد هذه المجهودات فى زيادة استقرارها .

وتقوم حاليا بعض الدول البترولية بإنفاقات كبيرة على المنشآت العسكرية وعلى مشروعات مكلفة غير مخططة ، ويهمنى أن أوضح أنه من الوهم أن نعتقد أن التحديث السريع والانفاق العسكرى الكبير يساعدان على الاستقرار الداخلى . أنه وهم بددته الاضطرابات الأخيرة فى إيران ، وهو درس لايستطيع أحد أن يتغاضى عنه .

وأخيرا فان فرص التنمية التعاونية بين دول المنطقة كبيرة ، كما أن المزايا التى تعود عليها



ومصالحها مشتركة ، كما أنه من الخطأ أن ينظر الى هذا التعاون على أنه إعانة أو استغلال ، فإن منطق التعاون يوحى بالمزايا والمصالح المشتركة ، وسوف يؤدى فى النهاية الى درجة أكبر من الكفاية الذاتية الجماعية .

وكما ألمحت فيما سبق ، فإن المزايا التى تعود على دول المنطقة قد تمتد منها الى العالم الخارجى ، وتدرك جيدا كل من الدول الأوروبية واليابان المزايا التى يمكنها الحصول عليها من المجهودات الشاملة للتعمير وأنها سوف تستفيد استفادة كبيرة من الاستقرار فى الشرق الأوسط . وهذه الدول لديها المعرفة الفنية التى تستطيع تقديمها لا على نمط المشروعات البراقة واسعة النطاق ، بل فى شكل مساعدات مباشرة فى أوجه النشاط الانتاجى والنفقات العامة .

بينت فيما سبق الخطوط العامة للمكاسب المترتبة على الاستقرار فى الشرق الاوسط فى المدى البعيد . وكواقعى يجب ان ألفت النظر الى الصعوبات التى أشرْت اليها من قبل ، فهناك صعوبات حقيقية فى أى مشروع اقتصادى تعاونى بين الدول حتى فى وقت السلم . وغالبا ما تضفى المشكلات قصيرة المدى ظلالا على المزايا فى المدى البعيد ، فوق أنه من غير المحتمل أن تكون المكاسب المترتبة على تنفيذ هذه المشروعات بدرجة كبيرة وكافية فى المدى القصير لتساعد مساعدة كافية فى عملية السلام ، الامر الذى يجعل عملية السلام فى خطر دائم . ولذلك ولتجنب هذه الأوضاع يجب الا نبنى آمالا كبيرة لاتلبث أن تحطمها المكاسب فى المدى القصير ، وأن تستبدل بذلك تحليلا اقتصاديا هادفا وموضوعيا للمزايا التى يمكن تحقيقها على المديين القصير والبعيد مع وضع برامج منظمة للتعمير .

وأخيرا فإن صورة النظام الوليد قد لاتبدو مشرقة فى أول الأمر ، وإن كان الامر قد لايكون كذلك فى النهاية . إن السلام عملية وليست عملا يتم وينتهى . وباستمرار عملية التعاون الاقتصادى فإن الاستقرار والمزايا ، تصبح أوضح ومن ثم يمكن ان تساعد على تقوية النظام كله .

٩٣

رشـــدى صـــالح

تـــاريخ مصـــر مجموعـــة تحـــديات

من متابعتى لتاريخ الحضارة فى مصر وتفاعلها مع الحضارات القديمة وعلى امتداد تاريخها العريق اعتقد أن مصر بلد يشارك فى وضع الحضارات الانسانية على اختلافها ، ومعنى ذلك أن تاريخ دخولها فى التحديات الحضارية المختلفة هو بالدقة الخط الموازى لتاريخ مصر كموطن يمتاز أسلوب حياته بالاستقرار والاستمرار .

وعلى هذا الأساس اعتقد أن مايوصف بالمواجهة الحضارية هو جزء لايتجزأ من جهاد مصر العريقة لتعيش حضارة عصرها . ولست أخشى وينبغى الا يخشى احد من هذه المواجهة لأن مصر غنية للغاية بتجاربها وعلمائها وباحثيها العلميين وفكرها البناء لحياة متحضرة ارفع مستوى من مراحل الحياة التى عشناها . وكما أن مصر دخلت اثناء الحروب الأربع التى دارت بينها وبين اسرائيل وهى لاتخشى الحوار بالنار ، فانها فى السلم ايضا لاتهاب الحوار الحضارى او الفكرى مع اى جانب من جوانب عالمنا المعاصر .

كما أن من أهم ميزات الانسان المصرى قدرته على أن يختار من عطاء الحضارات ما يناسبه وأن يطرح جانبا ما يتعارض مع تقاليده ومعتقداته ، ثم يستوعب هذا الذى يختاره ويحوله الى شىء جديد . . وهو الآن أكثر قدرة على أن يهضم ما استوعبه لا ان يقف موقف المستقبل وحسب لما يرسله الاخرون من عطاء الحضارة أو التقدم التكنولوجى أو الفكر المعاصر .





لقد واجهنا الحضارة الاوروبية وهى فى قمة قدرتها وجبروتها اثناء القرن ١٩ والنصف الأول من القرن ٢٠ ، وان ينشىء رواد الحضارة المصرية الحديثة أسلوبا متحضرا مصريا لحما ودما ، آخذين ما يصلح لمصر من حضارة الغرب ، منصرفين عما لا يصلح . . الأمر أذن ليس مفاجأة أو بدعة جديدة .

وأى انسان يتابع الجهود المبذولة على امتداد سنوات طويلة داخل مراكز البحوث العلمية والاجتماعية والجامعات سيقول كلمة عدل ، وهى أن عديدا من أساتذة الجامعات ومن الباحثين العلميين اصلوا تجاربهم العملية والميدانية والنظرية فى أصعب الظروف واستطاعوا الوصول الى نتائج بناءة ، وكل ما ينقصنا هو كيف نستفيد بجهود علمائنا وكيف نضع تخطيطا دقيقا لتعبئة هذه الجهود بحيث يعتمد التعمير وبناء الانسان المصرى فى الحاضر والمستقبل على كثير من النتائج التى توصل اليها العلماء عندنا وهم يطبقون معارفهم الصحيحة على البيئة المصرية .

فى كل البلاد النامية تتفشى الأمية لكن أهم من تفشى الأمية تفشى الجهل بين أوساط المتعلمين . الاخطر ليس « الأمية » إنما هو « أمية المثقفين » ، لذلك فأنا أركز حديثى على « الصفوة » من المتعلمين أى العلماء ، أما المواطن الذى لا يعرف القراءة فتستطيع أن نقول أن فى اعماقه ـ دون مبالغة ـ سبعة آلاف من السنين هى عمر الحضارة المصرية .

من ناحية ، شعبنا لديه حصانة تقيه صدمة اللقاء الأول أيا كان نوعه ، ومن ناحية أخرى ، فالحضارة ليست هى « التقنية » وحدها ، وانما هى فى الأساس الأول إحياء فكرى جديد لأسلوب حياة هو الذى يحكم فى نهاية الأمر على درجة البقاء أو الفناء .

لقد رأيت اسرائيل ، رأيت بعين رأسى درجة التقدم التى وصل اليها القوم هناك بوضوح . ان الحضارة التى تتمثل فى يهود اسرائيل الآن يمكن عند تصنيفها ان توضع فى المرتبة الثانية او الثالثة أو الرابعة بالنسبة لما بلغته الحضارة المعاصرة فى بلد كألمانيا الغربية أو اليابان وقبل ذلك أمريكا ذاتها .

إن اسرائيل كبقية بلاد الشرق الاوسط هى فى النهاية ينطبق عليها القول المأثور « كلنا فى الهم شرق » فهى بلد صغير يمر بمرحلة التنمية وليست لديها ثروات طبيعية ضخمة ، كما أن عدد علمائها ومثقفيها اقل بالقطع من عدد علمائنا ومثقفينا .

إن دور المثقفين مستمر فى بناء الحياة ، بل هو دور أساسى ، واعتقد أن هذا الدور يعنى فتح المجالات أكثر أمام الاسهام الثقافى الوطنى لبناء حياة أفضل وفتح كل النوافذ للتفاعل بين الثقافات الوطنية المصرية . . وثقافات العالم التى نعيش فيه ، فنحن جزء من هذا العالم شئنا ذلك ام رفضناه ، ولم تعد هناك حدود جغرافية أو سياسية تستطيع أن تمنع تفاعل الثقافات على اختلافها ، فأن وسائل الاعلام ومنها الراديو ألغت هذه الحدود وحولت الكرة الارضية الى قرية صغيرة .



كما إننى أعتبر أن كلمة (الانفتاح) لاتعنى الانفتاح الاقتصادى وحسب ، انما الانفتاح الثقافى والحضارى والاطلال على العالم من خلال رؤية جديدة ، رؤية صناع السلام ورؤية الانسان المصرى .

وفى ظنى أن مسئولية الأجهزة الرسمية المختلفة هى أن تفهم ما حدث من تغيير كبير غير مسبوق فى تاريخ هذه المنطقة ، وأن ترعى كل الرعاية الجهود الثقافية والعلمية المواكبة لهذا التغيير .

« أنا . . دائما متفائل فى أشد الظروف تعاسة وكآبة وفى الظروف العادية ، ومن حقى أن اتفاءل أكثر كلما تجدد مسار التاريخ صوب مستقبل أفضل ، وثقتى لاتتزعزع فى كل قدرات العلماء المصريين سواء كانوا علماء يعملون فى ميدان العلوم البحتة أو التطبيقية أو الانسانية . »



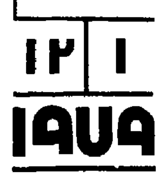


د . محمد عبد الرحمن بيصار

الأزهر فى ألف عام

● لم يقف دور الأزهر محدودا بين جدرانه أو محصورا فى مكانه . . بل كان منطلقا الى كل انحاء الوجود ، فأرسل بعثات من علمائه فى مختلف البقاع ، هداة خير ، ورسل علم ، وطلائع نور ، يقومون بالتدريس ونشر الثقافات الاسلامية وترسيخ العقيدة فيما يربو على خمسين دولة ، ومامن جامعة اسلامية فى العالم إلا وكان الأزهر رائدها وراعيها ●

اذا كان جامع عمرو بن العاص أول جامع اسس بالفسطاط . . فالجامع الأزهر أول جامع اسس بالقاهرة . . ولكل منهما زعامته ورسالته العلمية . . وكان ذلك عندما قدم القائد جوهر الى مصر من قبل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله فاتحا لها . . ولما قدم المعز الى القاهرة اقام بها فصارت مصر دار خلافة . . بعد أن كانت دار إمارة. . وهكذا اختار الله تعالى مصر الطيبة لتكون حاضنة للأزهر . . مناخا خصيبا لهذا النبت الباسق ، الذى نما فيها فاورق ثم ازهر فاثمر . لم يقتصر الأزهر على اداء الفرائض فحسب . . بل امتد الى تدريس علوم الشريعة . . فكانت أول مدرسة اقيمت فيه المدرسة الطيبرسية . . وهذه المدرسة على يمين الداخل الى الأزهر انشاها الأمير علاء الدين طيبرس . . وقرر بها دروسا للفقهاء الشافعية . . ثم المدرسة الاقبضارية التى تشغلها الآن مكتبة الأزهر . . ثم توالت



٩٤

الدهور والأعوام . . وشعب التدريس بالأزهر تزداد يوما بعد يوم . . وازداد أيضا عدد الوافدين الى هذا الجامع العريق . . فكانت حلقات الدروس ، منها ما كان لتعليم العامة من الشعب ، وذلك بتعميق العقيدة . . وترسيخ الايمان عن طريق المواعظ ، ومنها ما كان للخاصة من طلاب العلم والمعرفة على أيدى جهابذة العلماء وائمة الفقه والتفسير والحديث واللغة . .

واتسع نطاق الأزهر حتى صار ميدانا للعلوم ، ومنبعا للمعرفة . واصبح قبلة القاصدين ، وكعبة لراغبى العلم من مختلف البلاد والاقطار . . وأقيمت به الأروقة للمغتربين من أنحاء العالم الذين ينشدون العلم لينتهلوا من ينابيعه الدافقة ومعينه الفياض .

فضل الأزهر على مصر والعالم

وتتعاقب الدهور . . وما من خليفة أو وال أو حاكم إلا ويعطى للأزهر حقه من التكريم والوقار . . ويجعل منه قاعدة ينطلق منها . . وحصانة متينة يتذرع بها . . فأصبح الأزهر بمثابة برلمان تنصهر فيه الأفكار ، ويتولد الوجدان . . فيه يتشاورون . . فيه يتدارسون . . فيه يتعبدون . . فيه يخططون . . ثم منه ينطلقون . . فتأتى خطواتهم ثابتة مباركة . . ويبدو فضل الأزهر على مصر بل والعالم الاسلامى واضحا جليا . . حيث كان إشعاعة نور . . ومنارة علم . . ودار هداية . . وفى الوقت الذى كانت الدنيا فيه راقدة فى جهلها . . غارقة فى ضلالها . . كان الازهر الشريف يقوم بدوره الفعال ورسالته السامية ، مرفوع الرأس وضاء الجبين ، هادفا الى الخير ، متحفزا نحو الكمال . فلقد كانت حلقات الدروس فيه والتفاف الطلاب حول اساتذتهم هى الطريقة المثلى التى تعتبر أوفق أنواع التدريس . والتى تقلدها الآن جامعات أوربا ، وتسير عليها النظريات الحديثة . . ولم يقف الأزهر عبر تاريخه الطويل جامدا ، بل كان متطورا متميزا بالمرونة يتشكل مع الزمان محتفظا بطابعه وقدسيته مؤديا رسالته بأمانة ونزاهة . . فصار جامعة كبرى . . تضم كليات ثلاثا تتمثل فى كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية . . ولم يكن دور الأزهر محدودا بين جدرانه أو محصورا فى مكانه ، بل كان منطلقا الى كل انحاء الوجود . فأرسل بعثات من علمائه فى مختلف البقاع . . هداة خير ورسل علم وطلائع نور . . يقومون بالتدريس ونشر الثقافات الاسلامية وترسيخ العقيدة فيما يربو على خمسين دولة . وما من جامعة اسلامية فى العالم إلا وكان الأزهر رائدها وراعيها ، وكان منها بمثابة القلب والروح ، ويدعمها بالاساتذة ، ويمدها بالكتب ، ويأخذ بيدها حتى تشب وتترعرع ، ولقد كان للأزهر الفضل الاكبر فى انشاء المراكز الاسلامية فى مختلف العواصم ، والتى كان لها النصيب الأول فى حماية الاسلام ورفع رايته الخفاقة عالية شامخة . كذلك مجمع البحوث الاسلامية الذى أصبح مقرا للمؤتمرات الاسلامية العالمية التى تعقد بين الحين والحين لتقديم الابحاث وحل المشاكل وتوطيد العلاقات . . وتوحيد الكلمة . . وتوثيق الروابط . . ثم الخروج بتوصيات حاسمة





تلتزم بها الدول . كما يقوم المجمع باخراج الكتب . . وإصدار المجلة وتوجيه المبعوثين الى مختلف الجهات .

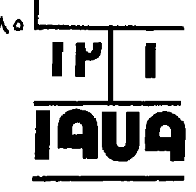
أما عن المكتبات فلقد عنى الأزهر بها ، ولاسيما أن مصر ظلت منذ فجر التاريخ منارة العالم والحضارة ، يشهد لها بذلك مكتبة الاسكندرية العريقة التى أقامها بطليموس الأول فى القرن الثالث قبل الميلاد . . أما الأزهر فقد كان اهتمامه بالكتب الاسلامية لتكون جذوة الهداية على مر الدهور والقرون . . ولأن الشأن فى المساجد ان تكون مدارس علم ومواطن نسك وعبادة لها رسالتها العلمية الى جانب رسالتها الروحية . . ولقد كان دور مكتبة الأزهر هو دور الاكاديميات فى عصرنا .

ومن هنا نرى أن الأزهر ظل ألف عام حيا نابضا . . باسقا شامخا . . واثبت أنه أكبر مؤسسة دينية علمية . . وكأنه يهتف فى مسامع التاريخ أن مصر هى مصر . . العريقة فى حضارتها العتيقة فى مكانتها . . الحفيظة على دينها . . المؤمنة بربها . . الفخورة بأزهرها . . أزهرها الذى كان - ولايزال - موئلا لكل طلاب المسلمين على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم والوانهم . . بعد أن عرفوا فى رحابه المساواة حيث انعدمت الامتيازات بين كل الطلاب ، وعاشوا بين أروقته العديدة ينعمون بالرعاية والعناية .

هيئة امم شعبية

وهكذا نرى الأزهر هيئة أمم شعبية يجتمع فيه الطلاب من مختلف الدول التى تأوى اليه ، من مالى ، السنغال ، النيجر ، نيجيريا ، تشاد ، الكونغو ، الصومال ، زنجبار ، الحبشة ، اوغنده ، غانا ، غينيا ، موريتانيا ، الهند ، اندونيسيا ، الملايو ، الصين ، اليابان ، وكان الأزهر يربط بين الحاضر والماضى حيث كان من قبل مقصدا لسائر العلماء الوافدين على مصر من الشرق والغرب رغبة فى العلم ومن أبرزهم البوصيرى الشاعر الأديب . . ابن دقيق العبد الفقيه . . النويرى صاحب نهاية الأرب . . ابن فضل الله العمرى صاحب مسالك الابصار . . ابن هشام صاحب المؤلفات الشهيرة فى النحو والصرف . . صفى الدين الحلى وابن مكرم صاحب لسان العرب وابن عقيل النحوى المعروف والفيروزبادى صاحب القاموس المحيط والمقريزى والحافظ ابن حجر العسقلانى والسخاوى صاحب الضوء اللامع والسيوطى وله خمسمائة مؤلف وابن اياس المؤرخ وكذلك ابن خلدون وابن بطوطة والاصفهانى . ومن خلال هؤلاء الاعلام يتبين لنا تنوع الثقافات ما بين فلسفة وأدب واجتماع وعقائد وتاريخ ونقد . . وفوق هذا وذاك العلوم الشرعية واللغة العربية .

وإذا أردنا أن نثبت دور الأزهر فى ألف عام . فان ذلك يحتاج الى مجلد ضخم . كما أن من العسير على الباحثين أن يحصروا فضائله أو يحصوا مآثره لتعدد نواحيها وتنوع صورها وعظمة



مواقفها ، تلك المواقف التى لم تقف عند حد بل تخطت ذلك كل المجالات الشريفة والغايات النبيلة . ولعل التاريخ أكبر دليل على ذلك حيث أخبرنا عن موقف الأزهر من الاحتلال والاستعمار من الانجليز والفرنسيين وغيرهم ، فلقد كانت له مواقف مشهودة كان فيها الحصن المنيع والدرع الواقية للاسلام والمسلمين وسيبقى ـ ان شاء الله ـ صامدا عتيدا يؤدى رسالته السامية وارفا بالخير دافقا بالنور شاهدا لمصر بالمجد والفخار .



د . رشـــاد رشـــدى

التسكع على شاطىء الحياة

الشىء الوحيد الذى لا ينفع معه الحب هو البحر . أنت تفلح الأرض بالحب والرعاية فتتحول من تربة جرداء إلى حديقة زاهية الألوان تجسد الفرحة بالحياة . والجبل الوعر لا تناله يد انسان ، ومع ذلك ترى الزهور تشق صخوره الصماء والعشب الأخضر يكسو سطحه ثمرة حبه لماء السماء الذى يروى جسده العطشان يوما بعد يوم . أما البحر فمهما أحببته فلن يكون لحبك أى أثر عليه لأنه لا يعرف سوى القوة أما الحب فلا .

فالبحر طاغية اقوى واقسى من كل الطغاة الذين عرفهم البشر ، ولذلك اتصور اننا لو لم نكن قد حصنا ارضنا ضد عدوان البحر لطغى عليها ودمرها منذ زمن بعيد .

فالبحر لا يعرف الرحمة أو اية مشاعر اخرى ، وتصرفاته لا تصدر عن منطق أو عقل أو سبب ، ولذلك لا يمكن التنبوء بما سوف يصنعه فى اى وقت من الأوقات ، قد يكون هادئا كل الهدوء وديعا كالحمل ولكنه فى لحظة ينقلب إلى وحش يدمر ويلتهم كل ما فى طريقه ، ذلك أن البحر تسيره نزواته وتتحكم فى مسيرته إرادته التى هى إرادة القهر .

لقد عشت مع البحر طويلا وفى فترات مختلفة من حياتى ، ولذلك لا ابالغ إذا قلت



٩٥

انى اتخيل انه يجد متعة فى قهر غيره من العناصر ومن ضمنها بنى الانسان ، فهو يتسلى برؤيانا نتطاحن ونتصالح ، ونحزن ونفرح ، ونامل ونيأس . باختصار ان نكون جميعا تحت رحمته ، ولكن ما هكذا تستقيم الحياة ، فلابد من إرادة تغالب إرادة البحر وتشذ بها ، ولذلك فمن يركب البحر افضل حالا ممن لا يملك إلا أن يتسكع على شاطئه فى انتظار ما قد يجلب له البحر من خير أو من شر ؛ فالأول امره بيده يشق طريقه بنفسه وهو بهذا يحد من طغيان البحر مهما لاقى فى ذلك من صعاب اما الثانى فهو مسلوب الارادة أمام البحر الذى يعبث به كما تعبث الريح بورقة ذابلة من اوراق الخريف ، بعد ان اصبحت الارادة كلها للبحر وحده فهو المسيطر الجبار يخشاه الجميع ويتمنون حظوته ورضاه ، ومع ذلك فلا احد يطمئن إلى الافلات من نزواته .

ولقد أدرك القدماء مدى جبروت البحر وطغيانه ، فصوره الأغريق على صورة إله اسمه (نبتون) . . روت عنه الاساطير الكثير من القصص ، منها أنه اطلق مرة من بين طيات أمواجه وحشا رهيبا كان يغزو مدينة (طروادة) فهو القوة العسكرية عند الأغريق ، فيتسلق شواطئها ويلتهم أهلها ويدمر كل ما يقع عليه بصره ، وهكذا يوما بعد يوم . ويحتار حكام طراودة فى أمر هذا الوحش الذى يأتى من البحر ليهلك الزرع والانسان والحيوان فيسألون العرافة ماذا يصنعون ، وتشير عليهم بأن يقدموا للوحش البحرى فتاة عذراء عله يقنع بها ، وهكذا يفعلون . وبمجرد أن يرى الوحش الفتاة وقد قيدت بالسلاسل على الشاطىء ، يجذبها معه إلى قاع البحر ويلتهمها ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، ففى نفس الوقت من السنة التالية يهاجم الوحش المدينة مرة أخرى ويفديها أهلها بفتاة عذراء أخرى ، وهكذا سنة بعد سنة إلى أن تخلو طروادة من العذروات فيما عدا (هيزيونى) ابنة الملك الوحيدة ، وهنا يتدخل البطل (هرقل) فيقتل الوحش ويخلص أهل (طروادة) من شروره .

ولكن لم تكن لارداة (نبتون) إله البحر من حدود ، فما أن يعود من طروادة حتى يتنازع مع غيره من الالهة حول حكم مدينة اثينا وغيرها من مدن الاغريق ، فقد كانت حياته كلها سلسلة من المنازعات ، اذ كان احساسه بقوته ورغبته فى قهر غيره من البشر والالهة أقوى من أى أحساس ولذلك نجده لا يسكن فوق جبال (الأولب) ـ كغيره من الآلهة ـ بل يختار مقرا له كهوف المرجان فى بحور مملكته الواسعة الارجاء التى كان يحكمها بإرادة لا تعرف الرحمة أو التبصر ، فبكلمة واحدة منه كان فى استطاعته أن يثير اكبر العواصف واعتاها ، وبكلمة أخرى كان فى امكانه أن يشيع الهدوء فى البحر من سطحه إلى أبعد أعماقه .

ليس معنى هذا انى لا احب البحر . . فانا شديد الولع به ارتاح إلى الاستماع إلى هدير امواجه ويفتح صدرى منظره وانا اتجول على شاطئه ، اما عندما اركب البحر فهنا تبدأ متعتى به وتبلغ هذه المتعة اقصاها عندما يشتد هياج البحر وغضبه فيبدأ يعبث



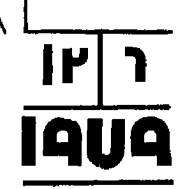


بالمركب ومن عليها عبث الطاغية المجنون الذى لا يهمه مصير من بيده امرهم .

اذكر انى منذ سنوات طويلة وأنا أطلب العلم فى جامعات أوروبا ركبت مركبا صغيرا من إحدى موانىء هولندا لينقلنى عبر مياه بحر الشمال إلى ميناء مقابل على شواطىء انجلترا ، كان الوقت ليلا وما أن وطأت قدمى أرض المركب وهى ما زالت فى الميناء حتى وجدتها تهتز بشدة وكاننا فى عرض البحر ، قلت للقبطان ما الخبر ؟ ـ فهز رأسه وقال إنها عاصفة ـ قلت وهل سنبحر وسط العاصفة ؟ قال انها سوف تستمر عشر ساعات كاملة وأنا لا احب الانتظار . واقلعنا ، كانت المسافة بيننا وبين الشاطىء الانجليزى خمس ساعات وطوال هذه المدة لم تكن مركبنا تسير ابدا فوق مياه البحر ، بل فوق سلسلة من الجبال الوعرة ، فقد كانت تتقاذفها موجة بعد الأخرى فتحملها إلى قمة لا تدرك العين مداها حتى ليخيل اليك انك تطير فى الهواء ، ثم فجاة تنزل بها إلى هوة سحيقة لا تعرف لها قرارا فترتطم بصوت اقوى من صوت ارتطام اقسى الصخور ، حتى ليخيل اليك أن المركب لابد قد انشقت إلى نصفين ولكن شيئا من هذا لا يحدث ، فما ان يموت صوت الارتطام حتى تتلقفها نفس اليد الجبارة فترفعها بسرعة على جسد الموجة التى تليها حتى تبلغ قمتها ثم تهبط بها فجاة إلى قدمى الموجة التالية ـ ولا أقول إلى سطح البحر لأن البحر كان قد تخلى عن سطحه منذ زمن بعيد ، وهكذا صعود وهبوط مستمر ودوى يزلزل الكيان خمس ساعات كاملة ، ومع ذلك فالمركب تشق طريقها فى عناد وإصرار يتحدى إرادة البحر الطاغية فى القهر والتدمير .

كيف كان حالى طوال هذه المدة ؟ هل كنت خائفا ؟ كان يجب أن أكون كذلك فانا لا أعرف العوم ، ولكن حتى لو عرفته فما الفائدة وسط هذا البحر الذى لا شاطىء له والذى لم يكن بحرا على الاطلاق بل شيطانا رجيما لا يمكن للعقل أن يدرك مدى قسوته وجبروته ، ومع ذلك أو رغم ذلك كله لم يداخلنى شىء من الخوف ، كنت فقط أمسك بالقضبان الحديدية التى تمتد بطول المركب حتى لا يختل توازنى فتشج رأسى . . انا لا أدعى الشجاعة ولكن ما كان يشغلنى طوال رحلة العذاب هذه كان اهم عندى واقوى من مجرد الخوف أو الشجاعة ، فقد كان يطيب لى ان ارى إرادة الانسان الحر وهى تتصارع مع إرادة الطاغية وتتحداها ، فقد وصلنا الشاطىء الانجليزى فى سلام ونزلنا من المركب وذهب كل منا إلى طريقه وكأن شيئا لم يحدث .

ففى النهاية لابد للارادة الحرة أن تتغلب ، من أجل هذا خلق الله الانسان لا لكى يسلم نفسه لقوى الشر تعبث بحياته كما تشاء ، بل لكى يطمس هذه القوى او على الأقل يحد من جبروتها ، ففى هذا انتصار وأى انتصار ، إنه ليس انتصار عدو على عدو ، بل إنتصار الخير على الشر وهو اجمل ما فى الحياة ، أو على الاقل بدون هذا الانتصار أو السعى من اجل تحقيقه فلا معنى للحياة او قل لا موجب لوجودها على الاطلاق .



من أجل هذا أحب ركوب البحر . أما التسكع على شاطئه فلا يطيب لى كثيرا ، فأنا فى هذه الحالة كمن يتسكع على هامش الحياة دون أن يصارعها وتصارعه ولذلك تلطمه المرة بعد الأخرى كما تلطم أمواج البحر من يستلقى على شاطئه لا يملك لها ردا أو دفعا بعد أن وضع نفسه تحت رحمتها تفعل به ما تشاء . . وشاطىء البحر غادر خداع اكثر بكثير من البحر نفسه الذى يصارعك فى وضوح وشجاعة . . انظر إلى الأمواج وهى ترتطم يوما بعد يوم بالشاطىء وكانها ترتمى فى احضانه ، مع انها فى الحقيقة تسرقه فى كل مرة ، إذ تستولى على المزيد من الارض لتضمها إلى مملكة البحر ، وانظر اليها وهى تعتدى اعتداء أشد عنفا عندما تغزو الشواطىء ، بالطوفان . فتغرق المدن وتزهق النفوس وتدمر الحياة دون سابق انذار .

وانظر ايضا إلى الطيور المهاجرة تترك أوكارها فى اقصى الشمال وتعبر المحيطات والبحور بحثا عن الدفء والأمان على شواطىء البحر الابيض ، فاذا بها تجد نفسها وقد وقعت فريسة فى الشباك الممتدة بطول الشاطىء . فأى غدر من بنى الانسان الذى دله حسه الغادر على أن يختار اكثر الأماكن غدرا وهو شاطىء البحر .

منذ سنوات كنت اقضى الصيف فى بلطيم وكان من عادتى ـ على غير عادة ـ أن استيقظ مبكرا لأنعم بنسيم الصباح على شاطىء البحر ، وذات صباح وانا فى جلستى هذه وقع بصرى على شىء يتحرك فى بطء وتعثر على رمال الشاطىء ، فقمت اليه وأخذته بين يدى ، كان طيرا من طيور (النورس) التى أحبها كثيرا ، كان يرتجف وقد حملته بين كفى كما أحمل القطط ، فحسبت انه يعانى من البرد فقد كان جسده مبتلا ، ولذلك اخذته إلى (العشة) ومسحت جسده المبتل وادفاته وسقيته بعض قطرات من الماء وجلبت له بعض الحبوب فاكل منها . ونظر إلى بعدها نظرة انسان الى انسان ، فوضعته على الأرض حتى يشعر بحريته فيطير حيثما يريد ـ وفعلا هم بالطير ولكنه ما أن ارتفع عن الأرض قليلا حتى حط عليها مرة ثانية فرفعته بين يدى مرة أخرى ورحت أفحصه بكل عناية . . كان مكسور الجناح ، فقلت فى نفسى لابد انه وقع فى شبكة من شباك الشاطىء وفى محاولته للتخلص من سجنه انكسر جناحه ، ولكن لا باس سابقيه معى وأعنى به وأطلب أحد الأطباء ليضمد جرحه ، ولابد أنه سيشفى ويعيش ويطير مرة اخرى مثل غيره من الطيور ، فالكثيرون من الطير ومن البشر أحيانا يعيشون وقد فقدوا القدرة على التحليق ، أو على الأقل بأجنحة متكسرة .

كان اليقين يملأ قلبى ، ولكن ما هى الا لحظات حتى رايت طائر النورس ينتفض فجاة ويرقد على الأرض ويتصلبُ جسده ويموت .

فى تلك الليلة لم يغمض لى جفن ، فقط كنت أقبع فى الظلام لا أعرف ماذا أفعل أو ماذا أنتظر ، وظللت هكذا إلى أن طلع الفجر وانتشر النور ورايت البحر مرة ثانية والنورس



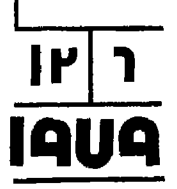
يرقد على مقعد جوار فراشى ، من انا من بين كل هؤلاء ؟ تساءلت البحر ؟ النورس ؟ الظلام ؟ النور ؟ طبعا لم تكن هناك اجابة لسؤالى . . فقط وجدتنى أقوم وأحزم أمتعتى واغادر البحر وشاطئه عائدا إلى القاهرة .

بين الحلم والذكرى ، وما كان وما هو كائن فى بقاع كثيرة من حولنا فى العالم . . رأيت ـ حلمت ـ تخيلت أن نفرا من الناس يتسكعون على شاطىء البحر فى رقعة محدودة لا يملكون الفرار منها ، وبذلك اصبحوا تحت رحمة البحر يعيشون كما يرغب لهم أن يعيشوا . . فالانسان هناك ينتظر ما يقذف به البحر ليتخذ منه طعاما وشرابا ومسكنا وملبسا . . والبحر يقذف يوما مجرد اعشاب سوداء ويوما طحالب عفنة ، واحيانا وحوشا ضارية تلتهم الناس على الشاطىء أو تسقيهم العذاب فتربطهم إلى الصخور بالسلاسل والأغلال ، وفى بعض الأوقات يقذف البحر أكواما من السمك لمن يعجزهم الكسل عن الصيد ، اما الصيادون المهرة فما أن يخرج الرجل منهم بقاربة إلى البحر حتى تلتهمه الحيتان أو تدمره الأمواج العاتية فهذه مشيئة البحر ، أن يكون وحده هو السيد .

وخطر لى خاطر مع هذا الحلم المزعج ، هل يمكن أن تكون حياة المجتمع ـ أى مجتمع ـ كحياة هؤلاء المتسكعين على شاطىء البحر لا يعرف الانسان فيها ما قد يأتى به الغد ، ومهما بذل فيها المرء من جهد فلا قيمة لجهده أو قدراته ، فالقيمة كلها لارادة البحر ، نزواته ورغبته فى أن يكون الجميع تحت رحمته . . . ! !

واجلت ببصرى طويلا ورأيت بعين الخيال ما افزعنى ، فجاءتنى الاجابة ـ نعم إنه من الممكن ، بل وقائم بالفعل فى مجتمعات كثيرة من حولنا أطلق العالم عليها اسم مجتمعات الحكم الشمولى ، فهذه المجتمعات مازال الطغيان والقهر يحكمها كما يتحكم البحر فيمن يتسكعون على شاطئه . .





٩٦ د . نعمات أحمد فؤاد

جريمة سفر الآثار

وحدث ما توقعناه .

وكنت كلما كتبت أو خاطبت مسئولا ، قال فى اطمئنان شديد وسعيد : إنها مؤمن عليها ! ! ما جدوى التامين الآن ؟ وهل يرجع التامين ، السنين والأثر الهشيم الى ما كان عليه ؟

المانيا التى ترفض أن (تعير) مصر ، راس نفرتيتى وهى منها ، ويبوء بالغضب استاذ الاثار الذى طرح الفكرة . المانيا التى تمنع مصر راس نفرتيتى ، نرسل لها ٥٥ قطعة . وعندما تتحطم قطعة فريدة منها ، تعرض على مصر تعويضا عشرين الف جنيه (٥٠ الف مارك) ، حين تعرض على خبير الترميم الامريكى ثمانية عشر الف دولار .

وهى دلالة لا تخفى . هذا هو ثمننا فى نظر المانيا . اثرنا لا يزيد عن أجر ترميم ! ! ولو كنا نحترم أنفسنا لا حترمنا الناس . ولو حدث هذا لغير مصر ، لأقام الدنيا ولم يقعدها . . وطالب بتعويض يفرضه كما يشاء ، ولكننا تسترنا ، كالعادة ، على الجريمة ، ومنعنا تسرب الخبر ليستمر العرض ويستمر سفر المحظوظين لمصاحبة الآثار . لقد أحيط سفر صورة (الموناليزا) بدراسة شاملة للمناخ ووسيلة الانتقال وكافة الضمانات ، ولكن

(سركيت) المصرية يوضع عليها فاترينة أصغر منها ، هكذا ببساطة ، وتتحطم ببساطة ، وتخفى هيئة الاثار ، الخبر ببساطة أبسط ! ! ما اتعسنا قدامى ومحدثين .

وإذا كان هذا قد حدث فى ألمانيا التى تعرف بالدراسة ، خطر آثار مصر ، فما الذى ينتظرنا مع الباقيات الصالحات ؟

إن التى تحطمت هى الاله سيركت Serket التى تقول عنها كريستين نوبلكور فى كتابها (توت عنخ آمون) أنها إحدى التحف الأربع المختلفة ، التى تحرس الملك المصرى الذى يعمل الآن مساحا جغرافيا . وتقول السيدة عالمة الآثار : (إن « سيركت » تنبض بالحياة بفضل عينيها الدعجاوين ، وحاجبيها السوداوين) .

ثمانية عشر عاما ، وآثار مصر بعيدة عنها ، وفى مصر الآن جيل كامل لم ير قناع توت عنخ آمون الذى يراه الصغار والكبار فى كل مكان ماعدا مصر والمصريين ! !

هل يعقل هذا ؟ وهل يحدث هذا فى بلد غير مصر؟

أسأل : .

ماذا جنينا من سفر الآثار فى ثمانية عشر عاما ؟

فى كل بلد تحل به الآثار يتخذونها مادة للتجارة . . يتاجرون فى التذاكر ويتاجرون بتقليد الحلى والآثاث ويكسبون عشرات الألوف ومئاتها من هذه التجارة الرائجة ، بل إن قناع توت عنخ آمون قلد فى اليابان تقليدا كاملا ، ومن يدرى . .

ماذا كسبت مصر ؟

كلما نادينا بترميم أو صيانة متحف أو أثر قيل لنا الجملة التقليدية القميئة الخادعة (ليس عندنا فلوس) ويجرى المال أنهارا فى تفاهات لا تهم الناس ولا تضيف إلى تراثهم أو حتى حياتهم .

عيب ، هذا هو العيب .

سيقول المسبحون الموافقون : إنها دعاية لمصر . . . أى دعاية ؟ إن آثار مصر تملأ المتاحف العالمية والعواصم العالمية فهل كان ينقص الغرب ما فى متحف مصر ؟ لقد زرته الأسبوع الماضى فاذا بفترينات خالية إلا من ورقة صغيرة كتب عليها اسم البلد الذى تحل فيه التحفة المتجولة ! !

إن اكبر دعاية لمصر ان نغالى بنفائسها ، أن نحترم انفسنا ونحفظ تاريخها وآثارها ونجلوها .



٩٦

إن الدعاية لمصر تكون بالأفلام التسجيلية والمحاضرات العلمية ، وهذه تقوم بها السفارات المصرية والمبعوثون المصريون فى الخارج .

إن الدعاية لمصر تكون بتحضير مصر نفسها وتعميق قيم الحرية والعدل والكرامة بها .

إن احترام الانسان المصرى : عقله ورأيه وإرادته وتراثه وتاريخه ، أكبر دعاية لمصر .

فلا تأتى مصر فى آخر احصائية دولية ، ضمن الدول النامية أى المتخلفة ، وهى حتى بين التعساء يأتى ترتيبها فى القاع (الأهرام الاقتصادى العدد ٥٩١ الصادر فى أول ابريل . مقال (مفهوم الرخاء) الذى يتضح منه أن متوسط دخل الفرد من الانتاج القومى الاجمالى فى عام ١٩٧٧ ، ٣٢٠ دولارا فى السنة ، فى حين يبلغ دخل الأنسان الاسبانى ٣١٩٠ دولارا (ثلاثة الاف ومائة وتسعين دولارا) وليس عند اسبانيا من تراث الأديان والحضارات ما عند مصر موصولا ومتأصلا .

فاذا راجعنا احصائية الأمم المتحدة سنة ١٩٧٤ والتى تقول أن متوسط دخل الانسان المصرى ٢٨٠ دولارا ، اتضح اننا لا نتقدم قياسا على فارق السعر بين ١٩٧٤ ، ١٩٧٧ .

تتحطم الآثار ، وتهدى الآثار ، وتسرق الآثار ، وعندنا مجلس شعب ، وهيئة آثار ، وجامعات وعلماء ، وراقصون رقصة الذبيح .

لقد كتبت جريدة (التايمز) عندما بعنا هضبة الأهرام وشاطىء راس الحكمة (إننا نناشد العالم المتمدين أن يتضامن معنا لنحمى آثار مصر ، من مصر)

ليتها ترددها الآن لعل العالم المتحضر يحمى آثارا لا نعرف قيمتها وحرمتها لأننا مسوقون ، لأننا فقدنا كل شىء وهى بعض ما فقدناه .

ولكن لا . . لابد من عودة الآثار ، إنها تراث امة باسرها ، ونحن أبناء هذه الأمة ، على عودتها مصرون .



٩٧

محمد عبد الوهاب

وافقوا سريعا لإنقاذ الكتاب

تلقيت باعتبارى رئيسا لجمعية المؤلفين المصريين رسالة العلاقات الثقافية الخارجية بشان اشتراك الجمعية فى اللجنة التى شكلها السيد عصام الحينى وكيل الوزارة لدراسة جوانب الاتفاقية العالمية لمنع الازدواج الضريبى على الكتاب والأدباء والمفكرين ، وقد أوضحت لنا الدراسة مدى الفائدة الكبرى التى يمكن أن تحققها مصر من انضمامها عضوا فى هذه الاتفاقية ، الأمر الذى يجعلنى أطلب من المسئولين عن الثقافة فى مصر بالإسراع فى إعداد مشروع قانون جديد للانضمام إلى هذه الاتفاقية يعرض على مجلس الشعب فورا ، وبحيث تتم الموافقة عليه قبل نهاية الدورة الحالية حيث المهلة المحددة لاشتراكنا فى هذه الاتفاقية يوم ٣١ أكتوبر القادم ، ولعلى أوضح أهمية انضمامنا إلى هذه الاتفاقية للأسباب الآتية ·

أضرب مثلا عمليا للمسئولين عن الثقافة ليتبين منه مدى الخسارة التى يخسرها الأديب أو الكاتب أو الفنان إذا لم ننضم إلى هذه الاتفاقية ،فاذا كان المستحق للكاتب أو الأديب أو الفنان جنيها واحدا عن عمل اذيع له فى الـ BBC ، فان هذا الجنيه يخضع لضريبة تصل إلى ٢٥٪ فى بريطانيا ، وإذا أرسل صاق الجنيه بعد الخصم الى مركز التوزيع فى باريس ـ وهذا هو المتبع ـ فإن هذا الصاق يخضع لضريبة أخرى تصل إلى ١٥٪ ، ثم عند وصول الصاق الأخير إلى مصر بعد خصم ضريبتى بريطانيا وباريس فانه يخضع لضريبة ثالثة تصل إلى ٣٠٪ ويصبح إجمالى ما تم خصمه من الجنيه ٥٥٪ ، ثم إذا اضفنا إلى هذه الاستقطاعات نسبة تصل إلى

١٩ | ٦
١٩٨٠

١٥٪ مصاريف تحصيل وإدارة يكون إجمالى ما تم استقطاعه من الجنيه ٧٠٪ أى أن الجنيه المستحق للكاتب أو الأديب أو الفنان عن عمل له فى الخارج عندما يصل إلى القاهرة يصبح ٣٠ قرشا .

■ لما كانت مصر بلدا مصدرا للانتاج الفكرى ، فان اشتراكها عضوا فى الاتفاقية الدولية لمنع الازدواج الضريبى يكون لصالحها وليس ضدها . إن إنتاجها الفكرى فى عدد كبير من الدول بحكم الاحصائيات التى ترد إلى جمعية المؤلفين والناشرين يصل إلى ٨٠٪ من نشاط هذه الدول ، الأمر الذى يؤكد مدى الفائدة التى تحققها مصر نتيجة انضمامها للاتفاقية متمثلا فى زيادة الدخل القومى نتيجة زيادة دخول أصحاب الملكية الفكرية والأدبية ، كما يزيد من حصيلة العملات الحرة التى ترد إلى البلاد دون أن تخضع للتعدد فى الخصم الضريبى . فهل نسرع فى وضع مشروع قانون جديد بالانضمام ، ونأخذ الموافقة عليه فى هذه الدورة من مجلس الشعب قبل ضياع الفرصة . المسألة متروكة للمسئولين عن الثقافة .

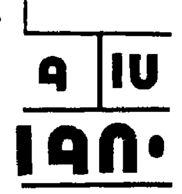
عبد الجليل العمرى

التسعير الجبرى ومشكلة ارتفاع السلع

ينادى البعض بوجوب تحديد أسعار الكثير من السلع تحديدا جبريا حتى نحد من جشع بعض التجار . ومعنى التسعير الجبرى هو أن تفرض السلطات سعرا للسلعة لايجوز للتاجر أن يبيع بسعر أعلى منه وإلا تعرض للعقوبة . وتتدخل السلطات فى فرض سعر لأية سلعة عندما تحس أن التجار يبالغون فى أسعار بيعها .

يجب أن نقف هنا قليلا كى نتدبر الكيفية التى تتحدد بها الأسعار فى الأسواق دون تدخل من السلطات ، فالتاجر يرغب فى بيع سلعته بأعلى سعر يمكن له الحصول عليه والمشترى على العكس يرغب فى أن يشترى السعلة بأقل سعر ممكن ، وعن طريق الأخذ والعطاء وتقريب الفروق يتحدد السعر الذى يباع به أكبر قدر من المعروض أو كله ، ومعنى هذا وهو المهم أن هناك مشترين مستعدين ان يدفعوا هذا السعر .

من المسلم به أن التجار لا يفرضون على المشترين ولا يلزمونهم بشراء السلعة بسعر معين ، ولكن التجار ينتهزون حاجة المشترين إلى السلعة فيرفعون السعر تدريجيا أو على قفزات كلما وجدوا استعدادا من المشترين لدفع الثمن المرتفع وكلما تبينوا أنهم يستطيعون تصريف سلعتهم فى يسر دون أن يبقى لديهم إلا القدر الذى يخزن عادة من يوم ليوم أو من أسبوع لأسبوع . ولكنهم فى اليوم الذى يتبينون أن جمهور المشترين أحجموا عن الشراء ، وأنهم لا يرتضون أن يدفعوا تلك الأسعار المرتفعة ، وان المخزون لدى التجار اخذ فى الازدياد ، فعندئذ



لن يترددوا فى خفض أسعار سلعتهم كى يجذبوا المشترين ثانية . وهكذا لن يرفع الباعة أسعارهم إلا إذا وجودا استعدادا من المشترين فى الشراء بهذا السعر المرتفع .

ولن يغير نظام التسعير الجبرى من الكيفية التى يعمل بها قانون العرض والطلب ، فيما عدا أنه يدفع بغالبية المشترين والبائعين أو كلهم بالتعامل فى السوق السوداء حيث الأسعار تزيد على السعر الجبرى ولكن فى اليوم الذى يعتبر فيه المشترون السعر الجبرى . ملزما لهم ويمتنعون جميعهم أو غالبيتهم عن الشراء بسعر أعلى من السعر الجبرى ، فعندئذ يسود السعر الجبرى ويحترم . فالمشترى هو وحده الذى يستطيع فرض احترام السعر الجبرى ، أما السلطات فلم ولن تستطيع وحدها فرض احترام السعر الجبرى ، اذ طالما ان هناك مشترين مستعدين ان يدفعوا سعرا أعلى حتى لو اقتضى الأمر التعامل فى السوق السوداء . ولم ينجح بلد من البلاد فى فرض احترام السعر الجبرى لاية سلعة إلا إذا اقترنت سياسة الأسعار بسياسة توزيع السلعة بالبطاقات .

لا تتدخل السلطات عادة بفرض سعر جبرى لاية سلعة إلا اذا كان المعروض منها يقل عن الطلب عليها ، وكلما كان الطلب كبيرا وملحا أو غير مرن تمكن التجار من فرض أسعار مرتفعة . فاذا ما تدخلت السلطات وفرضت سعرا أقل ذهب التجار والمشترون إلى السوق السوداء سواء هم بانفسهم أو عن طريق وسطاء ، ولهذا وبعد أن اثبتت التجارب المرة بعد المرة فشل نظام التسعير الجبرى غير المقرون بالتوزيع ببطاقات عدلت حكومات الكثير من البلاد عن اتباع سياسة الأسعار الجبرية . ومن المتبع فى بعض البلاد المتقدمة غير الاشتراكية ان تتفق السلطات مع كبار المنتجين والتجار من ناحية وجماعات المستهليكن من ناحية أخرى على أسعار يرتضونها تباع بها السلعة دون إجبار ، وقد نجحت هذه السياسة فى بعض الحالات حتى فى بلد هو قمة الرأسمالية والتنافس الحر وهى أمريكا . ولكن لا أظن ان تنجح هذه السياسة فى مصر لاسباب قد يطول شرحها ، ثم أنها قد جربت بالفعل فى مصر ولم تأت بالنتيجة المرجوة . كما لا أعتقد ان التسعير الجبرى ينجح فى مصر مالم يقترن بالتوزيع بالبطاقات . وإذا كنا لاحظنا أن بعض السلع التى وضعت لها أسعار جبرية كالبطيخ والعنب تباع بالأسعار الجبرية فذلك لأن محصوليهما كبير ، بل اننا لنشاهد ان العنب مثلا يباع بأسعار تقل عن الأسعار المحددة له لوفرة محصول هذا العام . فالمسألة ليست مسالة فرض أسعار جبرية ، بل يرجع الأمر كله إلى وفرة المعروض مقارنا بالطلب .

ولكن إذا كان التسعير الجبرى غير مجد فى السلع التى يقل فيها العرض عن الطلب فما هو الحل إذا كان متعذرا كذلك اخضاع السلعة للتوزيع بالبطاقات كما هو الحال فى اللحوم بسبب أن أجزاء الحيوان ليست كلها متساوية من حيث قيمتها الغذائية ، على الأقل فى نظر المستهلكين ، فالفخذة تختلف عن الرقبة والبطن . وإذا أردنا توزيع اللحوم ببطاقات دون قيام



سوق سوداء للاجزاء المميزة فيجب أن يقطع الحيوان إلى قطع وتغلف كل قطعة ويكتب عليها السعر الذى يتناسب والجزء الذى اخذت منه ، فالكيلو من الفخذة يجب أن يباع بسعر يزيد على السعر الذى يباع به الكيلو من الأجزاء الأخرى ، ولا أظن أن هذه الطريقة ميسرة أو يمكن احكام الرقابة على تنفيذها .

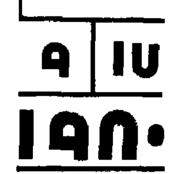
فمشكلة اللحوم كمشكلة أى سلعة أخرى لا يمكن تطبيق نظام التوزيع بالبطاقات عليها فى يسر وسهولة وليس لها من حل إلا فى زيادة المعروض منها . وفى المدى القصير لا يمكن زيادة المعروض من اللحوم إلا عن طريق استيراد كميات كبيرة منها وعرضها فى الأسواق ، بل وإغراق الأسواق بها ثم الدعاية عنها وعن محال بيعها بجميع وسائل الدعاية ، وعن الأسعار التى تباع بها .

وفى تقديرى أن اللحوم المستوردة يجب أن تباع بأسعار تزيد عن الأسعار التى كانت تباع بها قبل سبتمبر الحالى ، فخير للمستهلك أن يجد السلعة بسعر مرتفع من أن لا يجدها أصلا ، ثم أن اللحوم ليست كالخبز لا يمكن الاستغناء عنه ، بل هى فى الأوساط الفقيرة لا تستهلك يوميا وفى بعض العائلات حتى ولا أسبوعيا ، ثم أن غالبية مستهلكيها قادرون على تحمل بعض الزيادة فى أسعارها .

قد أفهم أن تستمر الحكومة فى دعم أسعار الخبز والسكر والشاى دعما كاملا ، فهى من مواد الاستهلاك اليومى بالنسبة لطبقات الشعب والفقيرة منها خاصة ، وإن كان بعض دعم هذه المواد يذهب إلى القادرين إلا أن أغلبيته يذهب إلى حيث يجب أن يؤول ، ولكن دعم أسعار اللحوم يستفيد بأكثره القادرون فلا مبرر لزيادة مبلغ الدعم لها . وإن صح ان الحكومة تدعم أسعار اللحوم بمائة مليون جنيه سنويا فيجب أن لا تزيد عليه بسبب زيادة استيرادنا للحوم ، بل إن أمكن خفضه فإن ذلك يكون أفضل من حيث ترشيد الاستهلاك والمحافظة على أموال الخزانة العامة .

أما فى المدى الطويل فقد يكون حل المشكلة عن طريق إغراق الأسواق بالأعلاف اللازمة للمواشى والدواجن بحيث يجد كل مشترى حاجته ، فلا حصص للمربين أو غير المربين ولا سوق سوداء لأسعار بيع الأعلاف ، واقترح ان تكون متناسبة وتكاليف استيرادها أو تكاليف المنتج منها محليا وستكون بالطبع أقل من الأسعار التى تسود السوق السوداء فى الوقت الحاضر ، وعندئذ فقط تنتشر تربية العجول والدواجن ويكثر المعروض منها ولن ينجح المستغلون بعد ذلك فى استغلال جهود الشعب .

سيقال إن هذا الاقتراح يحتاج إلى الكثير من النقد الاجنبى ولكن يتعذر قبول الاعتراض على صحته فى المدى القصير فى الوقت الذى يتيسر لنا إنفاق النقد الأجنبى على استيراد ، بل وغمر ، الأسواق بالبضائع والسلع الترفهية المستوردة والتى لا ترقى فى ضرورتها واهميتها إلى مرتبة اللحوم بل هى دون ذلك بكثير .





د . ابراهيم بيومى مدكور

هجرة العقول .. بين الصواب والخطأ

* الظاهرة خطأ ـ أم صواب ؟

ـ اعتقد انه فى عالم الانسان ليس ثمة سبيل بأن نقطع بصواب مطلق أو بخطأ مطلق فيما يتعلق بالظواهر الانسانية والاجتماعية بوجه عام ، ولا شك فى أن المهاجرين رسل لبلادهم يعبرون عنها ويربطونها بثقافات وحضارات أخرى . ولكنى اتساءل :

هل هم يعنون جميعا بهذا الهدف ؟

أخشى ان تكون مصلحتهم الشخصية هى التى تسيرهم وهى التى توضع موضع الاعتبار دائما .

وامر آخر لا يصح أن نهمله وهو أن الاسراف فى الهجرة سيؤدى لا محالة الى خسارة ثقافية بالنسبة للوطن الأول ، فاذا كان لابد من تبادل ثقافى فإنى افضل أن يتم على صورة أخذ وعطاء بين طرفين أو أكثر ، وعلى الجامعات والهيئات العلمية الكبرى أن تنظم هذا وتنسقه فيما بينها .

والإعارات المتبادلة بين البلاد المختلفة قد لا تكون هجرة إذا لم يطل زمنها ، ولكنها قد تقود أحيانا إلى الهجرة . ويحاول بعض المعارين إذا كان على قرب من سن المعاش أن يستقيل من وظيفته ليصبح مهاجرا بالمعنى الكامل .



وإذا كانت البلاد المتقدمة يتسع صدرها للهجرات المختلفة فإن البلاد النامية أحوج ما تكون إلى الاحتفاظ بثرواتها الفكرية ، وكما يقول المثل الدارج :

« لا تخرج الحسنة من الحيط قبل أن يستوفى أهل البيت »

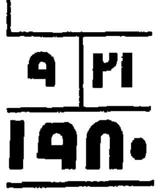
● وعن أسباب الهجرة ودوافعها ؟

ـ اعتقد أن السبب الرئيسى طلب العيش ، ويسقط الطير دائما حيث يلتقط الحب . وطلب العيش مغر ، وقد يتحقق للطالب رصيد يكفيه مدى حياته ولكنه كثيرا ما يقول : هل من مزيد ؟

وماذا فعلنا حتى الآن للحد من هذه الهجرة ؟

لا أعتقد إنا فعلنا شيئا يذكر حتى الآن لأن وسائلنا المالية لا تمكننا من أن نوفر للمثقفين جميعا وسائل عيشة مجزية ، وكم أتمنى أن يجيء يوم يعامل فيه الأستاذ الجامعى فى وطنه على نحو لا يبعد كثيرا عما يعامل به فى بلد آخر .

وربما كان فى حركة الانفتاح الاخيرة ما يمتص بعض المثقفين الذين كانوا يزمعون الهجرة ، ونحن نحس الآن بالفارق الكبير بين معاملة جامعى لايجيد لغة أجنبية وآخر يجيدها ، وذلك لأن هذا الأخير يجد سبيله فى يسر إلى المنشآت المختلفة من مصريين وأجانب .



٥٥ أحمد بهجت

يعود اللحم ولكننى لن آكل

كنت اشتاق إليه فى غيابه ، ولكن كثرة القساوة تقطع عروق المحبة ، وقد غاب اللحم أكثر مما ينبغى ، ومن ثم فلن آكل منه . ثم إن غروره أصبح لا يطاق . . لقد كبرت نفس اللحم ، وتصور أنه لم يعد على الحجر غيره ، أو تصور أن الحياة لن تمضى بدونه .

ومن ثم أمعن فى ارتفاعه ودلاله وتأبيه ونأيه وهجره وخصامه . وقد بدأت بوادر الغرور على اللحم منذ عامين أو ثلاثة ، كان سعره يرتفع كل أسبوع ، كان يعود بعد اجازته فاذا هو قد رفع أسعاره . . وكانت هذه حيلة مكشوفة لكى يتحدث الناس عن مواهبه ، ووقع الناس فى الفخ وصار اللحم على كل لسان ، حديثا وقولا لا مذاقا وفعلا ، صار كلاما ودردشة لا مضغا وبلعا . .

ثم زاد غروره حين تحدث الناس عنه أكثر مما أكلوه ، وظن اللحم أن الحياة لن تمضى بغيره . .

ونسى اللحم أو تناسى أن الجزء الأعظم من تاريخ الانسان مدين للبحر لا للبر ، وأن اكل الحيوان لم يبدأ إلا بعد مرحلة الزراعة ، أما مرحلة الصيد فكان معظمها عبثا على البحار .

ولا حد لكرم البحار الذى تستمده من طبيعة خلقها ، والبحار أغلبية اذا قيست بالأرض ، إن أربعة أخماس الكرة التى نعيش فوقها مياه ، أى أننا نعيش فوق كرة مائية لا كرة أرضية ، وكم ساهم البحر بأسماكه فى إطعام الانسان والحيوان قبل استئناسه . .



نسى اللحم أنه من الأثرياء الجدد ، نسى ماضيه حين كان يتسكع أمام الناس فلا يشتريه أحد ولا ينظر اليه أحد ، وفى عصر البط الميوسينى الثانى ، كان الناس يأكلون البط ولا يلتفتون إلى العجول ، ولم تكن ضخامة العجول بالاغراء الكافى للالتفات إليها ، فكم من مخلوقات ضخمة الحجم ولكنها مسطحة التفكير مشقوقة الحوافر . .

نسى اللحم هذا كله وكانت أخبار الشغت تظهر فى مانشتات الصحف ، ولعل رأس العجل الأول للعجول قد دار غرورا حين أقبلت الدنيا على عجوله من الأحفاد .

وهكذا كبرت الحكاية فى رأسه وازدهاه الغرور . . ولقد أدركت أن معدن اللحم ليس كريما كمعدن الفول وإنما هو لئيم . . واللئيم لا يصلح معه اللطف ، إنه يتمرد . .

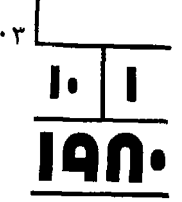
وصدق الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا . .

وقد تمرد اللحم لأنه لئيم .





أنيس منصور

مواقف

دعانى إلى الغداء . فأدهشنى ذلك . وألح فزادت دهشتى وقلت له : دعنى استعر أسلوبك فى فهم الأشياء . أنا لا أعرف لماذا تدعونى إلى الغداء . هل لأنى استضفتك قبل ذلك ، فلابد أن تفعل نفس الشىء . وينتهى هذا الدين الذى عليك .

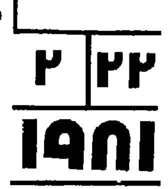
هل لأننا اختلفنا قبل ذلك وأنت تريد أن تسوى حسابا على الطعام ، كما كانت عادة السيد المسيح ، ولكنك يهودى . هل تريد منى شيئا : حديثا . . خبرا . . صورة . . لقاء ؟ هل تريد كل ذلك فى وقت واحد : فيكون غذاء عمل ؟ ولكن كيف تغامر بغداء العمل وأنت تعرف أنه ليس عندى ما أقوله لك . . ثم أن لى تجربة معك لن انساها رغم أنك تحاول أن تعتذر عنها . ولكن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . . ولقد لدغتنى مرتين أنت وغيرك . وليس عندى أدنى أمل فى أن يتغير تكوينك النفسى ، ويستحيل أن يكون من آمالك ان تغير أسلوبى الفكرى ، أو طريقتى فى التعامل معك أو مع غيرك . . فلماذا هذه الدعوة إلى الغداء ، إن لم يكن لكل ذلك !

وقال : هل هذه صورتى عندك . . هل أنا أبدو هكذا بشعا ، وكان كذلك . وعنده أسباب تاريخية معقولة ، وإن لم تكن مقبولة ، فتاريخ بنى اسرائيل فى الدنيا كلها : صور من العذاب والطرد وسوء الظن بكل الناس ، والخوف ، وعدم الشعور بالأمان . ثم أن دينهم يقول لهم : إنه لا جنة ولا نار بعد الحياة . فالجنة والنار هى هذه الحياة . ولذلك يجب اقتناص الفرص ، فلا

أحد يضمن شيئا أو يضمن أحدا ، فليس عندهم وقت لاضاعته . وليس عندهم ثقة فى أحد . وهم ليسوا على يقين مما سوف يحدث بين لحظة وأخرى . . ولذلك فهم أصحاب هذه التعبيرات الوقت ذهب . . والوقت سيف . . واذا كان من تعاليم الجيوش : أن الجندى يجب أن ينام فى أى وقت ويأكل أى طعام لأنه لا يعرف متى سينام أو متى سيأكل مرة أخرى ، فكذلك بنو اسرائيل . . الخ .

ولم يتمسك بدعوتى إلى الغداء . ولم يكن ذلك مفاجأة لى . فكل شيء جائز !





١٠٢

د . عبد المنعم النمر

رأى للمناقشة .. في شهادات الاستثمار

هذا الراى الذى سابديه هنا لا ادعى أننى اسبق العلماء اليه ولكن سبقنى اليه عالمان فقيهان جليلان من اساتذتى واساتذة أجيال متعددة من العلماء ، وهما المرحومان الشيخ على الخفيف والشيخ ياسين سويلم ، حيث تقدم كل منهما الى المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٧٢ ببحث طويل فى شهادات الاستثمار ، وانتهى كل منهما الى إباحة التعامل بها على النحو الجارى الآن . . وقامت مناقشة حادة بينهما وبين المعارضين لهما ولكن لما ينته المجمع الى الآن برأى حاسم فى هذا الموضوع . .

وشهادات الاستثمار المتعامل بها الآن ثلاثة أنواع :

(أ) نوع يعرف بالشهادات ذات القيمة المتزايدة ، حيث يجوز ترك المال لعشر سنوات واكثر دون سحب للمال أو لربحه ويعرف باسم المجموعة «أ» .

(ب) نوع يعرف بالشهادات ذات العائد الجارى ، حيث يمكن سحب الأرباح أولا بأول ويعرف بالمجموعة « ب » .

(جـ) نوع يعرف بالشهادات ذات الجوائز وليس لها أرباح . . وتعرف بالمجموعة « ج » .

وكان رأى الاستاذين جواز التعامل شرعا فى هذه الشهادات بأنواعها الثلاثة بعد ان قدما لهذا الرأى بالأدلة الشرعية التى رأياها . .





ونظرا لأن مجمع البحوث لم ينته الى رأى فيها ، ظل الباب مفتوحا لكل ذى رأى بالجواز او بالحرمة .

ومن هنا رأيت أن أدلى برأيى مقدما له بهذه المقدمات المسلم بها . .

١ ـ الأمور الدينية البحتة الخاصة بالعقيدة والعبادات نأخذها ونعمل بها كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة ، لانملك حق التغيير فيها والاضافة ولاتخضع لتغير الظروف . . والاجتهاد فيها مقصور على بعض كيفياتها كقراءة البسملة والفاتحة ومسح الرأس كله أو بعضه . .

٢ ـ كذلك الفضائل الثابتة كالعدل والصدق والأمانة لانملك حق التغيير فيها فنقلبها الى رذائل . .

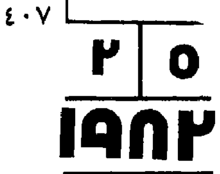
٣ ـ وهناك بجوار هذا وذاك التشريعات العامة لأمور الحياة مما نسميه معاملات ، فبعضها ورد فيه نص تفصيلى مثل المواريث والحدود والزواج والطلاق ، أو نص عام كحل البيع وحرمة الربا واداء الأمانات والحكم بالعدل والوفاء بالعقود وعدم أكل أموال الناس بالباطل الخ . . مما يشبه أن يكون قواعد عامة نلتزم بها فى التفصيلات .

وهذه لانملك حق التغيير فيها ولا التبديل سواء كانت تفصيلية أو عامة . لانملك حق تغيير الأنصبة مثلا فى المواريث ، كما لانملك تحت أى ظرف من الظروف تغيير ما ينطبق عليه تعريف الربا ونقول أنه حلال مع اعترافنا بانطباق مفهوم الربا عليه . .

٤ ـ وبعض المعاملات التى تجرى بيننا فى أمور الحياة لم يأت لها حكم تفصيلى فى القرآن الكريم . . كل معاملة لها حكم لأن هذا غير ممكن وروده فى القرآن الكريم لكثرتها وتغيرها حسب الزمان والمكان ، وهذه ترك أمر الحكم فيها للاجتهاد القائم على القواعد العامة التى أرساها القرآن أو جاءت بها السنة . . أو استخلصها الصحابة والأئمة من روح الشريعة واتجاهها لتحقيق مصالح العباد والتيسير عليهم ومنع النزاع والمشاحنات بينهم .

كيف عالج الرسول أمور هذه المعاملات ؟

عندما تكون المجتمع الاسلامى الجديد فى المدينة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ، واصبح بامكانه تنفيذ شريعة الله وتحويل المجتمع الجاهلى الى مجتمع اسلامى . . أخذ ينظر الى المعاملات التى وجد الناس يتعاملون بها على ضوء ماتقدم . . فما كان فيه نص خاص نفذ النص وحكم به ، وما كان فيه نص عام اجتهد فى تطبيقه على التفصيلات ، فكل معاملة تؤدى الى الربا أو الى الضرر أو النزاع حرمها ومنعها . . وكل معاملة لاتؤدى الى شىء من ذلك أباحها كما هى ، وكل معاملة تحتاج الى شىء من التعديل عدلها لتستقيم مع القواعد العامة الاسلامية .



وكان اذا أقر معاملة من المعاملات الجارية بين الناس ثم وجد أنها تثير نزاعا ومشاحنات عاد ومنعها قطعا للنزاع ، وإذا منع معاملة ثم وجد أن المجتمع فى حاجة اليها وأن فى منعها عسرا على الناس وليس فى إجازتها ضرر أو معارضة لنص عاد فأجازها تيسيرا على الناس . . ولذلك شواهد من السنة مذكورة ومعروفة للعلماء .

فكان الضابط اذن أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لانص فيه حاجة الناس ومصالحهم ومنع الحرج والضرر عنهم وعدم مصادمة نص تفصيلى ، أو نص عام أو قاعدة شرعية عامة مأخوذة من القرآن أو من روح الشريعة . . وبذلك استوجب فى أحكامه كل المعاملات التى كانت جارية فى عهده صلى الله عليه وسلم . . ولم ينزل وحى أو توجيه إلهى فى كل معاملة بخصوصها ، بل استعمل مانزل من القرآن تفصيلا أو عاما فى الحكم على الأمور التفصيلية الجارية متوخيا مصلحة الناس والتيسير عليهم . .

وكان مجتمع المدينة أو الجزيرة عموما مجتمعا محدودا والمعاملات فيه محدودة ، لم يكن مجتمعا زراعيا أو صناعيا بالمعنى المفهوم لنا الآن ، ولم تنعقد فيه المعاملات ، وتتعدد صورها وتتشابك كما هو الحال الآن ، وغالب ما كانوا يشتغلون به للكسب ، البيع والشراء أو التجارة بصفة عامة داخلية وخارجية رحلة الشتاء والصيف مع الزراعة القليلة جدا فى الأماكن القليلة التى كانت تصلح للزراعة لاسيما حول المدينة . .

معاملة المضاربة

وفى هذا المجتمع التجارى تولدت معاملة القراض أو المضاربة من مقتضيات الظروف وقبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم . . حيث كان بعض الناس لديهم مال فائض ولايستطيعون أو لايريدون العمل بالتجارة فيه ، بينما هناك اناس يستطيعون العمل فى التجارة ولكن ليس لديهم مال . . فاقتضت الظروف أن يتعاون الرجل المالى مع الرجل التجارى للكسب والربح فكان المالى يدفع ماله للرجل التجارى ليتاجر له فيه على أن يكون له نسبة من الربح جزاء عمله وجهده . . والباقى لصاحب المال حسب اتفاقهم وسموا هذا مضاربة ، فأصبحت المضاربة عندهم هى العمل فى التجارة لاغير ابتغاء الربح لصاحب المال وللتاجر . . ولم تكن هناك صور أخرى لاستغلال المال غير التجارة فيه . . وقد باشر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه التجارة أو المضاربة وهو شاب قبل بعثته مع السيدة خديجة ، حتى قبل أن تتزوجه .

وحين استقر فى المدينة بعد هجرته واتيح له أن ينظم مجتمعه على أساس اسلامى وجد هذه المعاملة ، فيما وجده من معاملات ، ولم يجد فيها ضررا أو معارضة لنص قرآنى ، بل رأى مصلحة للطرفين فيها ، فأقرها وتركها على النظام الذى كان معمولا به فى الجاهلية لم يضف اليه جديدا . . ولم يؤثر عنه فى حديث أنه تكلم فى موضوع المضاربة ، حتى قال الائمة ورجال الحديث





كالامام الشوكانى فى « نيل الأوطار » : ليس فى المضاربة شىء مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم سوى حديث ضعيف يقول ان فيها بركة ، كما اثر عن الإمام ابن حزم أن كل ابواب الفقه لها أصل من الكتاب والسنة ماعدا القراض « المضاربة » فما وجدنا له أصلا البتة فى الكتاب والسنة . .

شهادات الاستثمار

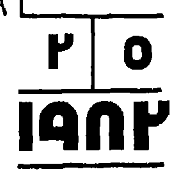
وبعد هذه المقدمة التى كان لابد منها مع طولها ليشارك القراء معى فيما أقوله هنا . . يأتى كلامنا عن شهادات الاستثمار التى يريد بعض العلماء أن يشدها شدا الى المضاربة ولذلك تكلمنا عنها أولا . . ليظهر الفرق بينها وبين الشهادات . .

فشهادات الاستثمار فيها دفع مال من جانب وفيها استثمار لهذا المال من جانب آخر ، فهى من هذه الناحية فيها بعض الشبه بالمضاربة القديمة ، لكنها تختلف عنها فى أن الاستثمار فى المضاربة يكون فى التجارة خاصة ، أما فى شهادة الاستثمار فإن استثمار أموالها ليس فى التجارة وإنما هو فى أمور أخرى تقوم بها الدولة من انشاء وتجديد المرافق وإقامة المساكن الى غير ذلك من مصالح الشعب وليس فى ذلك ضرر ، كما أن الشهادات تختلف عن المضاربة فى أن ربح وعائد الشهادات معين محدد كذا فى المائة من رأس المال وعائد المضاربة نسبة من الربح العشر أو الخمس أو النصف أيا يكن الربح لامن رأس المال ، فاذا لم تربح التجارة فلا عائد .

فشهادة الاستثمار إذن معاملة جديدة غير المضاربة ، ومن الصعب أن نشدها ونقيسها عليها ونجعل المضاربة هى المعاملة المقبولة الوحيدة ونرفض كل ماعداها ، ولو كان فيه مصلحة وتيسير للناس ، ولاأظن أن العقل يقبل الوقوف بمعاملاتنا الآن عند الصورة القديمة التى كانت فى المجتمع الصغير فى الجزيرة العربية ، فما كان فيها موافقا لهذه الصورة قبلناه وتعاملنا به ومالم يكن صورة طبق الأصل منها رفضناه . إن هذا شبيه بوقوفنا فى آلات الحرب عند السيف أو النبل مما كان ذلك المجتمع يحارب به ونرفض كل ماعداهما من أسلحة العصر ! ! !

ان مجتمعنا الحاضر فيه استثمار متعدد الأغراض غير التجارة لم يكن موجودا من قبل ، ففيه استثمار المال فى إنشاء المرافق وغيرها مما يحتاجه الشعب ، وفيه استثمار فى إنشاء المصانع وفى استصلاح الأراضى وفى شركات النقل وغير ذلك من الوجوه ، والحاجة ماسة جدا الى هذه الاستثمارات لمصلحة الشعب وتيسير الحياة عليه غذاء وملبسا وسكنا وتنقلا . . الخ .

فهل مع ذلك نقول : ان الاستثمار الحلال لايكون إلا فى التجارة التى تتحقق صورة المضاربة . . ونرفض كل الصور الأخرى ؟ هذا غير معقول ولامقبول . .



الربح المحدد

فاذا سلمنا أن من الجائز شرعا استثمار الأموال فى الوجوه التى تستثمر فيها الآن . بقى أمامنا محظور وهو تحديد نسبة الربح من رأس المال . . حيث رفض الفقهاء هذا التحديد بأن يكون ١٠٪ مثلا من رأس المال . . ونقول : هل رفض هذا التحديد جاء من كتاب أو سنة أو اجتهاد ؟

والجواب : إنه جاء عن اجتهاد العلماء توخيا منهم لعدم ظلم طرف من الأطراف ولاسيما المستثمر ، فقد لايربح شيئا وعليه أن يسدد هذا الربح المحدد لصاحب المال فتكون الخسارة عليه مضاعفة ، ضياع جهده والتزامه بسداد الربح المحدد لصاحب المال . . ولاشك أن هذا التصوير والاحتياط عدل ، ولكنه منتزع من حالة خاصة هى حالة فرد فى تجارة قد يكسب فيها وقد يخسر فاحتاطوا له هذا الاحتياط .

لكن اذا كان الذى يستثمر شركة مثلا تشتغل فى أموال كثيرة لهذا وذاك . . اذا خسرت فى صفقة أو عملية كسبت فى صفقات وعدة عمليات ، ففى هذه الحالة لايتصور فيها مايتصور فى الفرد من تعرضه للخسارة وقصم ظهره بضرورة السداد ، فلو حددت الشركات أو الدولة نسبة ١٠٪ مثلا من رأس المال المدفوع فإن تحديدها قام على حساب دقيق واحتياط شديد يؤمنها من الخسارة الكلية . .

فالذى خاف منه المجتهدون فى حالة التعامل مع فرد بعيد التصور فى التعامل مع شركة أو بنك أو حكومة ، ومادام الأمر ، أمر اجتهاد ، كان لنا أن نقول : إن هذا المحظور الذى خفتم منه واحتطتم له لاوجود له غالبا ، والمعاملات تبنى على الظن الغالب والحالات الغالبة أما النادر فلا حكم له كما يقال ، فلامجال اذن لهذا الشرط . . وهذا فى التجارة ، أى استثمار المال فى التجارة المعرضة للكسب وللخسارة . .

لكن اذا كان الاستثمار فى غرض آخر غير التجارة ، كما هو الحال فى المال المتجمع من الشهادات فلا نتصور الخسارة حيث تستغله الدولة فى تحقيق مصالح عامة للشعب من إنشاء وتجديد المرافق وشق الطرق وإنشاء المستشفيات والمساكن للمحتاجين اليها وغير ذلك مما يحقق المصلحة العامة للشعب ويعجل بتنفيذ هذه المشروعات ، والدولة والشعب يكسبان بذلك كسبا ماديا وأدبيا كبيرا ، ونظير هذا خصصت الدولة من ميزانيتها مبلغا من الربح حددته وهو ٩ أو ١٠٪ مثلا لكل مشارك فى هذا الاستثمار تشجيعا للأفراد على هذه المشاركة . والذى خافه الفقهاء المجتهدون من تحديد مبلغ على التاجر الفرد المستثمر من أنه قد لايكسب ويضطر الى تحمل هذا المبلغ ودفعه لرب المال لايتصور فى التعامل مع الدولة وميزانيتها . . فلا وجه إذن للتخوف ولاوجه بالتالى لإعمال هذا الشرط الاجتهادى فى هذه المعاملة الجديدة ، إذ لو لم تكن





الدولة هى الرابحة من هذه المعاملة ما استمرت فيها وما طلبت المزيد منها وما رفعت نسبة الربح حينا بعد حين ، ليقبل الشعب عليها .

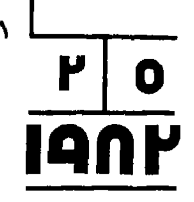
وبناء على هذا كله نقول رأينا بجواز التعامل بشهادات الاستثمار التى لها عائد وربح معين تدفعه الدولة أو البنك ومثل هذا فى الجواز والحل التعامل مع صناديق التوفير وأخذ عائد وربح محدد على المال المودع لديها . . لأن الحكومة هى التى تستثمره فى المصالح السابق الإشارة اليها وهى التى تدفع الربح والعائد .

أما شهادات الاستثمار « ج » ذات الجوائز ، وهى التى لاتعطى ربحا محددا كل سنة ولكنها خصصت مبلغا من أرباحها من هذا المال تمنحه للمتعاملين معها بالقرعة تشجيعا لهم على هذا التعامل ، فهى جائزة أيضا وغير محرمة . . وقد صورها الفقهاء بأن المال كله من جانب رب المال والربح كله للعامل فى مقام تبرع صاحب المال له به كله وهذا جائز على المشهور من مذهب مالك . .

على أن للدولة بصفة عامة أن تستعين بمالية الأفراد على تنفيذ برامجها الاصلاحية ، ولها أن تخصص لهم مبلغا من ميزانيتها تدفعه لهم على سبيل المكافأة والتشجيع وأن تقرر منحا لمن تشاء من أفراد الشعب وطوائفه فى المناسبات كما تساهم فى المعاش . . لا اعتراض عليها فى ذلك ولافيما تعطيه المدخرين عندها من جوائز أو من ربح تحدده تشجيعا لهم على المشاركة معها فى المشروعات الإصلاحية للشعب . .

هذا رأيى الذى توصلت اليه ، واعتقد أن هناك من يخالفنى فيه لأنها معاملة جديدة فى حاجة الى اجتهاد على ضوء المصلحة والقواعد الشرعية العامة . ومن الطبيعى أن تختلف وجهات النظر كما اختلفت من قبل بين الأئمة فى مسائل كثيرة ، والكل حريص على دينه وشريعته يلتمس منها الحلول لمشكلات الحياة دون شطط أو تعنت أو تحلل . . وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .





١٠٣ أحمد صدقى الدجانى

عامل الزمن

هل يعمل الزمن ضدنا نحن العرب ولغير صالحنا فى قضية فلسطين والصراع العربى الاسرائيلى ، أم يعمل معنا ولصالحنا ؟

ويتكرر بروز هذا السؤال بين حين وآخر فى أوساط عربية مختلفة ، ويطرح بالحاح وقت الأزمات واشتداد الأخطار والبحث عن حلول .

يجيب البعض بالاثبات ويجيب آخرون بالنفى . وغالبا ما تكون الاجابة بدون تعليل ، فتاخذ شكل التشاؤم القدرى أو التفاؤل القدرى . ويبدو أولئك الذين يقولون بأن الزمن يعمل ضدنا ولغير صالحنا وهم متوترون يتحرقون عبثا ويتحسرون ، وقد يبدو أولئك القائلون بأن الزمن يعمل معنا ولصالحنا ويركنون للتفاؤل القدرى انهم يهربون من مواجهة حاضرهم الى المستقبل ، ويستنيمون له . ويبدو للمراقب من بعيد أن الغموض يحيط بعامل الزمن فى عقول أولئك وأولئك ، ويبرز سؤال آخر على جانب كبير من الأهمية .

كيف نتعامل مع عامل الزمن بعلمية وبموضوعية ؟

إن إعمالنا الفكر للتوصل الى إجابة صحيحة عن هذين السؤالين شرط لنجاحنا فى معالجة قضية فلسطين والانتصار فى الصراع العربى الاسرائيلى . وما لم نفعل ذلك فإن الأمور تلتبس





علينا ، فيأتى تحركنا فى اتجاه خاطىء أو فى حلقة مفرغة ، ويعمد أعداؤنا الى طرح إجابة مضللة لنا كى نأخذ بها ونعمل بمقتضاها ، فنخسر .

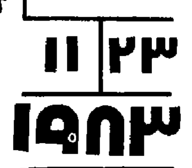
طرحت الولايات المتحدة علينا اجابة تقول « إن الزمن يعمل ضدكم أيها الفلسطينيون وأيها العرب ، فالحقوا أنفسكم قبل فوات الأوان ، وإلا فستندمون ولات ساعة مندم . فهاهى اسرائيل تنفذ سياستها فى الأراضى العربية المحتلة . ونحن لانستطيع إيقافها ومنعها . وقد رفضت مشروعنا لأنها تريد كل شيء . فاقبلوا أنتم المشروع بكل ما فيه كى نستطيع مساعدتكم ونحاول إقناع اسرائيل . ولا مجال لأى تعديل فيه فاما أن تأخذوه كما هو بكليته أو تتركوه . وثقوا بأننا سنبذل قصارى جهدنا كى تنسحب اسرائيل من لبنان . وسندعوها لتجميد الاستيطان . ومطلوب منكم أنتم بداية قبول المشروع وتوطين أنفسكم على الاعتراف باسرائيل وتطبيع العلاقات معها . وعليكم ان تعلموا بأن موقفنا لايعطى الفلسطينيين حق تقرير المصير ، ومن ثم لن نؤيد قيام دولة فلسطينية ، ولايقبل موقفنا بإزالة المستوطنات القائمة حاليا فى الضفة والقطاع ، ويتمسك بقدس موحدة ، وان كانت هذه الأمور قابلة للتفاوض . فاتخذوا قراركم وتذكروا أن الزمن يعمل ضدكم ولغير صالحكم » .

يستطيع المراقب أن يقول إن الطرح الاسرائيلى لم يحدث أى أثر مباشر فى اتجاه التجاوب معه ، لأنه تجاوز كل حد فى تحديه لأمتنا ، وكان له أثر مباشر علينا فى اتجاه مقاومته ، وتغليب الرأى القائل بضرورة الاستعداد للمواجهة .

ويمكن القول أيضا انه كان له أثر غير مباشر على بعضنا تمثل فى التفاتهم الى الطرح الآخر والتعامل معه على اعتبار أنه أهون الشرين .

يمكن القول أن الطرح الأمريكى مقترنا بذلك كله نجح فى شد أنظار البعض فى وطننا العربى ، فكان له أثر مباشر عليهم فى اتجاه التجاوب معه . وكان عامل الزمن يوظف فى المناقشات الدائرة توظيفا يصادر مستقبلنا من منظور يركز على الفترة القصيرة المدى القادمة ، ولايرى أثر عامل الزمن نفسه على الطرف الآخر .

واضح أن عامل الزمن ورد فى الاطروحات الثلاث ، وكان فى الطرحين الاسرائيلى والأمريكى يرد فى معرض الحديث عن تأثيره السلبى علينا نحن العرب . والحق أن الأمر ليس على هذه الصورة ، لأن احسان التعامل مع عامل الزمن يولد له اثر ايجابى كما أن من الضرورى معرفة تأثيره على الطرف الآخر .



١٠٣

فى نهاية العام الماضى نشرت جريدة دافار عنوانا هو « الزمن يعمل لصالح الفلسطينيين » ، عرضت فيه كتابا صدر حديثا عنوانه « خط الدفاع فى يهودا وشمرون » ألفه أرييه شلو وأصدره معهد الدراسات الاستراتيجية فى جامعة تل ابيب وقد جاء فيه :

« إن الزمن يعمل لصالح الفلسطينيين . يجب أن نذكر أنه فى عام ١٩٦٧ اطلقوا عليهم « لاجئين » فى قرار مجلس الأمن ، وفى عام ١٩٧٨ وفى كامب دافيد وبرضا اسرائيل كتب صراحة « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى » وجاء فيه « ما زالت اسرائيل تتمتع بتفوق عسكرى » ، ولكننا لن نستطيع الحفاظ على علاقات القوى الحالية لأننا استنفدنا اليوم كل التجنيد الاجبارى للجيش النظامى ، ولن نستطيع ايضا تخصيص مبالغ طائلة جدا للأمن » .

وقد اوضح شلو أن التسوية السلمية مطلوبة لاسرائيل مثلما هى مطلوبة لشعب فلسطين ، وأنه لايمكن لاسرائيل أن تجمع بين ضم الأراضى وإحلال السلام . وانطلق من ذلك ليبحث فى الترتيبات الامنية التى تتخذ بغية الانسحاب .

وفى مطلع هذا العام ألقى شيمون بيريز نظرة على سنة ١٩٨٣ فرأى **« أن عامل الزمن سيؤثر على علاقات اسرائيل مع مصر ، ففى عام ١٩٨٢ انتهت الاجراءات الخاصة باتفاقيات كامب دافيد ونفذت اسرائيل انسحابها الكامل من سيناء ولكنها لم تحظ باية مكاسب جديدة ، فتطبيع العلاقات مع مصر لم يصبح فى حيز التنفيذ بالصورة التى يجب أن يكون عليها ، اضف الى ذلك انه حدث بعد نفسى بين مصر واسرائيل ، وطرأ فى الوقت نفسه تقارب سياسى بين مصر والدول العربية ، وبدأت مصر فى تحديث قواتها المسلحة ، واصبح الموضوع الفلسطينى يحتل مرة اخرى مكانة هامة فى تصريحاتها » . وقد توقع بيريز انه اذا مضى عام ١٩٨٣ ليكون عاما اخر من البرود بين اسرائيل ومصر ، « فإن شكوك اسرائيل ستزداد إزاء إمكانية استمرار السلام ، كما أن مصر ستزيد من اتهاماتها لاسرائيل بأن السلام الوليد سيصاب بمرض خطير جدا بسبب سياساتها » .**

وفى ربيع هذا العام تحدث يهودا جوتهلب فى دافار عن « المجازفة بمستقبل دولة اسرائيل » ، فاتهم حكومة الليكود بأنها « تجازف بمستقبل اسرائيل وتعرض وجود الدولة اليهودية الوحيدة للخطر وتزور جوهر الصهيونية » .

وركز حديثه على سياسة الاستيطان « التى غيرت شكل اسرائيل تماما سكانيا وقوميا واجتماعيا وحولتها الى دولة عنصرية الشعب المسيطر فيها هو الذى يتمتع بالحقوق الديمقراطية » .





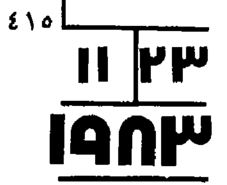
هذه ثلاث وجهات نظر اسرائيلية تعاملت مع عامل الزمن اخترناها بحيث تتكامل ، فالأولى عرضت لمستقبل قضية فلسطين على الصعيد الدولى ، والثانية عرضت لمستقبل علاقات اسرائيل بمصر وأثر حرب لبنان عليها وما يتوقع أن يطرأ من تغيرات على العلاقات الاسرائيلية الأمريكية . والثالثة تحدثت عن داخل فلسطين وسياسة اسرائيل فى الاستيطان ونتائجها ، وجميع وجهات النظر هذه واضحة ولاتحتاج منا الى أى تعليق ، ويبقى أن نورد وجهتى نظر آخريين .

وردت إحداهما فى محاضرة يهوشافاط هركابى عن الحرب والاستراتيجية ضمن ندوة عن حرب لبنان عقدتها الجامعة العبرية فى مطلع هذا العام ، وهى « أن زعماء الدول يميلون فى ظل ظروف صعبة تحيط بهم الى تأجيل حسم المشاكل السياسية الصعبة الى المستقبل ، والخوف هو أنه اذا ما أجلت هذه المشاكل فإن الصراع سيصل فى النهاية الى إندلاعات عنيفة مزعجة »

ووردت الأخرى فى تقديم المؤرخ شاؤول فريد لندر لعهد بيجين وهى « أن بيجين لاينتمى الى المجموعة النادرة من الشخصيات التى صنعت عهودا وإنما هو صنيعة فترته ، وقد ألحق باسرائيل ضررا يصعب إصلاحه ، حيث نجح بأعماله وتصريحاته فى أن يضيف الى معسكر منتقدى اسرائيل فئة واسعة من أشخاص كانوا يتمسكون بمواقف غامضة بالنسبة لاسرائيل فى الماضى أو كانوا من مؤيديها المعتدلين ، وأدت فترة حكمه الى عدة تطورات سلبية فى « المجتمع الاسرائيلى » منها بروز شخصيات لاتعتبر أقل خطرا منه على النظام الديمقراطى .

لنا إذن أن نتهيا لمواجهة العدوان معنويا وماديا ، وننطلق الى العمل الدائب واثقين بانفسنا مادمنا مؤمنين بما نقوم به ، ولنا أن نتأكد من اننا نلتزم السبيل ولا نخرج عنه الى سبل تتفرق بنا ، ونصبر . وعندها سيكون عامل الزمن فى صالحنا ومعنا ، وسيسلم عدونا لنا بحقوقنا .





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠٤

وديـــع فلســـطين

مطلوب ..
برنـامج قومـى للترجمـة

مما يثير الشجن العميق أن نجد أنفسنا بعد كل ما قطعناه من أشواط فى ميادين التقدم العلمى والحضارى مضطرين الى تأكيد بديهيات كان الظن منذ عشرات ، بل مئات من السنين ، بأنها قد استقرت فى العقول استقرارا راسخا .

ومن هذه البديهيات الآمرة التى أصبحنا فى أشد الحاجة إلى إعادة تأكيدها فى يومنا الحاضر أن الترجمة ضرورية لتحقيق التواصل الفكرى الدائم بيننا وبين العالم الذى تتقافز خطواته فى معارج التقدم ، وأن نقل العلوم والآداب الى اللغة العربية فرضا واجبا على الأمة إذا ماأرادت أن يكون لها وجود حضارى فى مجتمع اليوم ومجتمع الغد .

فما بال الترجمة تنحسر فى يومنا الحاضر انحسارا مفزعا ، ومابال المجتمع يغفل عن أهميتها لا لكثرة إتقان لغات الفرنجة ، بل لعجز عن تقدير قيمة الترجمة فى حركة الإنهاض والتقدم .

فهناك إعتقاد خاطىء يدين به البعض مؤداه أن الترجمة تفسد اللغة العربية برطانات أجنبية ، وهى فى نفس الوقت تصرفنا عن إتقان اللغات الأجنبية مادمنا نطالع علوم العصر وآدابه بلغتنا القومية . والصحيح الصحيح من الآراء هو أن الترجمة إن تولاها الأفذاذ الواقفون على أسرارها ترفد اللغة القومية بروافد كثيرة ، أسلوبا وفكرة وآراء وتجارب ، أى أن اللغة القومية



تغتنى بالترجمة ، وتتسع آفاقها بالحصيلة الجديدة التى تضاف الى مذخور تراثها ، وتصبح أقدر على تأدية رسالتها فى مجتمعات العلم والصناعة والتكنولوجيا والأدب بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة .

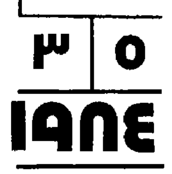
فهجر اللغات الأوروبية طوال ثلاثين عاما بدعوى التفرغ لاتقان اللغة القومية قد جنى على أجيال وأجيال من المتعلمين الذين لم يعودوا يعرفون لغات الفرنجة ، ولم يتأت لهم إحسان لغتهم القومية ، وهى مأساة ينبغى أن تردنا الى طريق الصواب وماطريق الصواب ، الا العناية بالعربية الفصحى من ناحية وإتقان اللغات العالمية من ناحية أخرى ، فيكسب طالب الطب مثلا لغة عربية علمية ولودا إلى جانب اللغة التى يطالع بها كتب الطب ، فلا نضحى بهذه ولابتلك ، بل نجمع بين الاثنتين بأسلوب حضارى رصين .

وإن المرء ليذكر بالأسى غياب هيئات كريمة أسهمت فى حركة الترجمة ، ثم انطوت صفحتها بانطواء القائمين عليها ومن تلك الهيئات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وجماعة علم النفس التكاملى ، ومجلة الكاتب المصرى فى عهد طه حسين ، والإدارة الثقافية للجامعة العربية ، ومؤسسة فرنكلين ، ولجنة دائرة المعارف الاسلامية ، ومشروع الألف كتاب الذى نهضت به إدارة الثقافة بوزارة المعارف ولم تتمه .

وإن الأسى ليزداد اذا عرفنا أن هذه الهيئات جميعا لم تترك وراءها « وريثا » يواصل أداء الرسالة ، اللهم إلا لجنة دائرة المعارف الاسلامية التى تبذل جهدا مستيئسا فى إتمام ترجمة هذه الموسوعة ، وإلا مركز الأهرام للترجمة العلمية الذى يعد اليوم أنشط هيئة علمية رصينة تقدم على ترجمة كتب العلوم وإعداد المعاجم والتصدى لضخام كتب الأصول فى الطب والرياضيات والتكنولوجيا وأبواب العلوم المختلفة ، وهناك أيضا مكتب التعريب فى الرباط .

وليس ثمة ريب فى أن انحسار حركة الترجمة فى يومنا المعاصر يعتبر من الأزمات الفكرية الملحة البعيدة الآثار ، ولاسيما اذا عرفنا أن سير العلوم لايتوقف وأن هدير المطابع فى الغرب يخرج فى كل يوم آلافا من جديد الكتب . وإن كل تهاون فى التصدى لهذه الأزمة يزيد العبء على صناعة الترجمة ، ويزيد الفجوة اتساعا بين حضارة الناطقين بالضاد وحضارة المتكلمين باللغات الأجنبية .

وأول خطوة فى سبيل التصدى لهذه الأزمة تتمثل فى الإقرار بوجودها ، والاحاطة الكاملة بأبعادها ، وإدراك خطورتها ، والتعجيل بعلاجها . ومادامت ، الترجمة لاتقوم إلا على أكتاف المترجمين ، فلابد من وضع برنامج قومى لاعداد المترجمين الأكفاء وتدريبهم على أيدى الخبراء فى الترجمات المتخصصة المختلفة ، لأن هناك اعتقادا خاطئا بأن من يعرف لغتين يستطيع النقل من إحداهما الى الأخرى ، فالترجمة صناعة ، ولابد للمشتغل بها من أن يكون مهيئا لمثل هذا



العمل ، وأن يدرب نفسه عليه أعنف مايكون التدريب بإشراف الخبراء ذوى الباع الطويل فى هذا الميدان وليس يكفيه فى الترجمة أن يكون واقفا على اللغتين .

ولابد من وضع برنامج قومى لترجمة الكتب الشوامخ ، ولاسيما دوائر المعارف المختلفة ، وصولا الى اليوم الذى يتأتى فيه تصنيف دائرة معارف عربية تضاهى دوائر المعارف البريطانية والأمريكية والروسية والايطالية والألمانية وسواها .

ولابد من الاحتشاد لاستكمال معاجم المصطلحات ، لأنها المعوان الأساسى فى الترجمة وفى توحيد المصطلحات لدى المشتغلين بالعلوم . فليس فى المكتبة العربية مثلا معجم خاص بعلوم ريادة الفضاء ، ولامعجم مستوف لألفاظ التكنولوجيا الحديثة ، ولامعجم شاف لألفاظ الحاسب الالكترونى ، ولامعجم للمختصرات العلمية التى شاع استخدامها فى مؤلفات الغرب . صحيح أن هناك محاولات تبذل اليوم فى سبيل اعداد بعض هذه المعاجم ، ولكن الشوط مازال بعيدا ، ولاسيما اذا عرفنا أن العلوم فى تقدمها الحثيث تولد فى كل يوم مصطلحات جديدة تحصى بالآلاف وأن حصرها ونقلها الى الضاد ربما ناءت به حتى جهود المجامع . ولهذا لابد من الاحتشاد لإنجاز المعاجم ، حتى ولو تفرغ لها الأساتذة المتخصصون وأعفوا من كل عمل آخر .



١٠٥ ابراهيم زكى قناوى

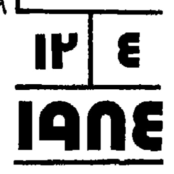
حقائق لابد منها لمن يريد .. أن يهاجم السد العالى

كيف اختير موقع السد العالى ؟

منذ سنين طويلة والدولة ممثلة فى وزارة الرى تبحث عن مصادر جديدة للمياه لامكان زيادة الرقعة الزراعية . وقد شملت الدراسات كثيرا من المواقع سواء فى بحيرة تانا أو البحيرات الاستوائية أو استغلال كميات المياه الهائلة التى تضيع هباء فى أحواض الانهار وفى السودان فى الرصيرص جبل الأولياء مروى وغيرها . وهذه دراسات واسعة ولكننا جددنا النظر فى اختيار سد كبير يدخل ضمن الحدود المصرية لنضمن وجود مياهنا المطلوبة داخل الحدود المصرية .

وبعد ذلك كان راينا أنه إذا لزمت لنا مياه اضافية يمكن عمل مشاريع أخرى فى الخارج وما مشروع جونجلى بجديد ، فمشروع جونجلى يوفر من ٤ ـ ٨ مليارات مكعبة من المياه تؤخذ مناصفة بيننا وبين السودان ، وهاهو المشروع يتعثر وتزيد تكاليفه ، ومادمنا لسنا فى موضع الحكم على هذا المشروع فاننا نضرب به فقط مثلا واحدا للفائدة السريعة التى كفلها لنا السد العالى .

وكانت الفكرة إنشاء سد أعلى من خزان اسوان ، وهذه الفكرة تقدم بها مهندسون من الرى ، ولكن تغير الفكر الى إنشاء سد عال تكون فوائده أشمل وليغطى احتياجات مصر على عدد من سنين متوالية ضئيلة الايراد وهو مايسمى بالتخزين القرنى .



وتم التفكير أول الأمر في إنشاء السد العالى عند كلابشة ، ولاعتبارات فنية في الانشاء ولامكان زيادة سعة الخزان رئى انشاؤه أمام خزان أسوان بسبعة كيلو مترات حيث أن المسافة بين هذا الموقع وموقع كلابشة تزيد سعة الخزان بحوالى ٣٠ مليار متر مكعب أو مايزيد .

وعندما بدأنا في التصميم كانت الزراعة في مصر تستهلك فعلا ٤٨,٥ مليار من الأمتار المكعبة من المياه وكانت السودان تستهلك ٤ مليارات متر مكعب بالاضافة الى مياه الأمطار التى تسقط على أراضى المطرية . . وحين دراسة تصرفات النيل عند أسوان على مدى آلاف السنوات وتطبيق نظرية الاحتمالات رئى أن متوسط كميات المياه الواردة لأسوان سنويا ٨٤ مليار متر مكعب ولذلك تم الحساب كما يلى

- ٤٨,٥ مليار نصيب مصر
- ٤ مليارات نصيب السودان
- ١٠ مليار تبخر وتسرب

فيكون المجموع ٦٢,٥ فاذا طرح هذا من ٨٤ مليارا كان الباقى ٢١,٥ مليارا . وقد اقترح وقتئذ اقتسام هذه الكمية مناصفة بين الدولتين ، لكل ١٠,٧٥ مليار متر مكعب ، ولكن السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أمر أن تحصل السودان على ١٤ مليار متر مكعب ومصر على ٧,٥ مليار متر مكعب .

وبذلك ضمن السد العالى لمصر ٥٥ مليار متر مكعب وللسودان ١٨,٥ مليار متر مكعب . ولنعلم أن هذه الصرفات محسوبة عند اسوان ، أى أن السودان في الحقيقة تحصل على ٢١ مليارا لأنها تستعمل المياه قبل وصولها لأسوان لانه حين وصول المياه الى أسوان تكون قد فقدت ١٥٪ منها ، وفي الحقيقة أيضا أن مصر لاتحصل على ٥٥ مليارا بالتمام لأن أغلب الأراضى الزراعية في الوجه البحرى تبعد حوالى ١٠٠٠ كيلو متر عن أسوان فيفقد منها ١٥٪ ، أى أن مصر تحصل على حوالى ٥٠ مليار متر مكعب بعد خصم المفقود .

الطمى

يعتقد البعض أن مصر كانت تستفيد من جميع كميات الطمى المختلطة بمياه النيل في الفيضان والحقيقة هى انه :

تبلغ كمية الطمى التى تمر عند وادى حلفا حوالى ١١٠ ملايين طن في العام يذهب أكثرها الى البحر ولايصل منها الى الأراضى الزراعية سوى ١٣,٠٨ مليون طن موزعة على النحو الآتى :

٨,٧٧ مليون طن بأراضى الحياض بالوجه القبلى ويخص الفدان منها ٧,٧٧٥ طن .

٢,٨٢ مليون طن بأراضى المشروعات بالوجه القبلى ويخص الفدان منها ,٣٦٦ طن





١,٤٩ مليون طن بأراضى الوجه البحرى ويخص الفدان منها ٠,٤٦١ طن
المجموع ١٣,٠٨ مليون طن

ولانكون قد جاوزنا الحقيقة بكثير إذا اكتفينا فى تقدير قيمة الطمى من حيث مايجلبه من الأغذية الثابتة بالنظر الى الآزوت الذى يحمله ضمن المواد العضوية . وقد دلت التقديرات المتعددة التى أجريت على أن هذا الجزء الصالح من الازوت لايزيد على ثلث مقداره ، وفى الجدول كميات مايصل الى الأراضى الزراعية وبيان بمقدار مايعادله من نترات الجير مع تقدير ثمنه باعتبار أن سعر الطن من النترات ٢٨ج وهذا فى عام ١٩٦٠ حيث أجريت الأبحاث ، ومنه نعرف ان قيمة التسميد الحقيقى من الطمى بجميع الاراضى التى كانت تروى بالمياه الحمراء تبلغ حوالى مليون جنيه وهذا مبلغ لايذكر بجانب فوائد السد ويمكن استعاضته بالأسمدة الكيماوية .

ومن الغريب أن البعض يبالغ دائما فى السلبيات ، وأرجو أن أضع تحت نظر الجميع مايلى :

أولا : أنى اتحدى من يذكر لى نهرا من أنهار أوروبا او امريكا او استراليا يحمل من الطمى مثل مايحمله النيل الأزرق ، فقد زرت ثلاثين دولة مختلفة لم ار فى أنهارها طميا على الاطلاق وكل من هذه الدول تنتج مايكفيها ويزيد من الحبوب والفاكهة والخضر لأن زراعتها مبنية على أساس سليم من استعمال الأسمدة ، وهاهى امريكا تصدر عشرات الملايين من اطنان القمح كل عام الى العالم ، والهند وقد اكتفت ذاتيا بانتاج القمح المكسيكى المتطور الذى كنت قد نصحت باستعماله وانا أعلم انه كثير الانتاج فى القمح قليل الانتاج للتبن .

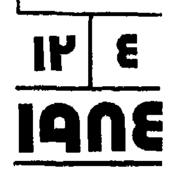
ثانيا : لماذ نبتعد عن بلادنا العزيزة فمثلا :

لم تكن كل حياض الوجه القبلى تتمتع بالطمى سوى الحياض الأولى القبلية وكانت بعض الحياض تستعمل المياه الرائقة التى تتخلف عن الحياض العليا ولم يشتك أصحاب الحياض السفلى من امتناع هذا الطمى عنهم .

أرض الفيوم لم تكن تحصل على المياه الحمراء ـ مياه الفيضان المحملة بالطمى ـ وهى من أحسن الأراضى الزراعية فى القطر .

كلنا نعلم انه قبل انشاء السد العالى لم تكن هناك مياه كافية فى الصيف ، فكنا نترك مايقرب من مليونى فدان شرقى بدون رى ولا نزرع الذرة إلا فى الصعيد وفى ١٣٤ ألف فدان فى الوجه البحرى ، وكانت هذه الملايين من الأفدنة تتمتع بالراحة ثلاثة شهور بالشمس وتروى بالمياه الحمراء عند الفيضان وكان الفدان ينتج بعد ذلك من الذرة النيلية من ٦ الى ٨ أرادب فقط .

وحين تم بناء السد العالى كانت المياه متوافرة فى الصيف خالية من الطمى وتم زراعة هذه



الملايين في الصيف فلم تتمتع هذه الاراضي بشمس أو راحة أو طمي واصبحت تعطي من ١٠ الى ١٢ أردبا للفدان ، وهذا بفضل حرارة الجو فقط التي تلائم زراعة الذرة

وهناك أنواع من الذرة يمكن بسهولة استخدامها في الزراعة الآن تعطي من ٢٠ الى ٣٠ اردبا في الفدان بلا مياه حمراء . وهناك الأرز أيضا ، فاننا نزرع الآن مليون فدان وربع بينما كنا نزرع ٣٠٠ ألف فدان فقط في السنة ، وقد زادت غلة الفدان وتوجد اصناف تستغرق وقتا أقصر ومياها أقل .

ثالثا : جاء في حديث إذاعي يوم ٢٠ نوفمبر الحالي للأستاذ الدكتور مصطفى الجبلي أن طمي النيل به مواد ناعمة جدا ومن رأيه أن هذه المواد الناعمة هي السبب في تماسك الأرض الطينية المصرية وعدم السماح لتخلخل المياه فيها بسهولة مما دعانا الى انشاء المصارف المغطاة التي تكلفت حوالي مليار جنيه .

وبوصفي أول من نفذ مشروعات المصارف المغطاة منتفعين بقرض بسيط من البنك الدولي ، فاني اقول أن هذه المصارف جاءت بفوائد كبيرة في زيادة الانتاج وتخفيض المياه السطحية وتوفير ١٢٪ من الأراضي الزراعية التي كانت ستشملها المصارف المفتوحة ، ولاشك أن الدكتور الجبلي محق في قوله .

المنطقة	كمية الأزوت الصالح بالطن	كمية نترات الجير المعادلة بالطن	الثمن بالجنيه
أراضي حياض			٧٠٩٣٢٤
مشروعات قبلي	٣٨٠٠	٢٥٣٣٣	٢٢٨١١٦
أراضي بحري	١٢٢٢	٨١٤٧	١٢٠٥٩٦
المجموع	٦٤٦	٤٣٠٧	١٠٥٨٠٣٦

رابعا : ولم البكاء على الطمي ونحن نزرع آلاف الأفدنة في أراضي صحراوية رملية في النوبارية وفي الصالحية وقد اتت باحسن الثمار في اقصر وقت وبدون طمي .

بقي أن نعلم متى يعود الطمي ، وهل سيطمي حوض السد العالي كله بما فيه مداخل المحطة ومنافذ المياه ؟

لذلك نقول إنه إذا نظرنا الى القطاع الخاص بمحطة التوربينات التي تصرف منها مياه الري نجد أن أوطى منسوب للفتحات التي يتم تصريف المياه فيها هي ١٢٣م . فعند ملء البحيرة ترتفع المياه من منسوب قاع النهر ٨٥م عند السد شيئا فشيئا الى ان تصل الى منسوب ١٢٣م تدريجيا وتمتد الى الخلف ثم يتم التخزين في البحيرة حتى يصل الى منسوب ١٧٥ م أي بعمق ٩٠م .

فالجزء الأول هو التخزين الميت أي الذي لايستعمل اما الجزء الحي الذي يستعمل فهو ٩٠ مليار متر مكعب من منسوب ١٢٣م الى منسوب ١٧٥م بطول البحيرة ٥٥٠ كم ،





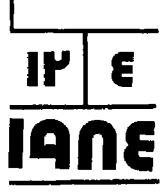
اما الجزء الباقى من منسوب ١٧٥ الى ١٨٢ فهذا يترك للفيضانات العارمة التى تصل فى بعض الاحيان الى ٨٠ مليار وتسمى Flood room .

ومن الصعب حتى بعد البحوث التى عملت تحديد الوقت الذى تملأ فيه هذه المنطقة ويتكون فيها قاع النهر على منسوب ١٢٣ أو أقل قليلا وهى مدة تتراوح من ٢٠٠ الى ٤٠٠ سنة .

وقد بلغنى من مهندس صديق أن أحد المسئولين ذكر له أنه يخشى من إطماء السد العالى نفسه ، وهذا منطق غريب حيث أن سيادة المسئول لم يكلف نفسه البحث فى القطاعات التى تقوم بها وزارة الرى سنويا لفحص موضوع الاطماء ، فليعلم سيادته أنه لم تترسب أى كمية من الطمى فى حوض السد العالى ماقبل السد بمسافة ٢٧٠ كم اللهم إلا النزر الطفيف الذى ترسب عامى ٦٥ و١٩٦٦ ـ وأمامى الآن جدول لتوضيح مقدار ترسب الطمى مع العلم بأنه اذا ارتفع الطمى قليلا فى جنوب البحيرة يمكن استغلاله برفعه الى الهضبة العليا بواسطة كراكات حديثة

ولنعد الى التخزين الحى ، فقد وصل الى ٩٠ مليارا ولكن فى هذه السنوات المتتالية الشحيحة الايراد أضطر الحال الى سحب كميات من المدخر ووصل الموجود من المياه بالتخزين الحى فى شهر أغسطس الماضى ٤٥ مليار متر مكعب فقط ، وهذا مادعانا الى المطالبة بالحد من الاسراف خاصة وأننا سنسحب هذا العام مايزيد على ٢٠ مليار متر مكعب من المدخر .





١٠٦

ياســـــــر عرفـــــات

سبعة مفاتيح للخــروج من المــأزق العربــى

عندما انطلقت الثورة الفلسطينية فى الأول من يناير ١٩٦٥ كان أحد طموحاتها ان تصبح عامل توحيد للعرب جميعا : يلتقون عندها ويحشدون امكاناتهم لتحرير الأرض الفلسطينية المحتلة . كنا نامل أن يساهم انطلاق ثورتنا تدريجيا فى ترميم الجسد العربى المنهك من الخلافات والانقسامات لكن هذا الأمل لم يتحقق بعد عشرين عاما من الثورة رغم العديد من الصحوات التى شهدها الوطن العربى ، وهى صحوات لم تكتمل ولم تستمر ، وهذا هو جوهر المأزق الذى يعانى منه العرب الآن . ويمكننى من موقعى فى الثورة الفلسطينية ان ارى عدة مفاتيح ضرورية للخروج من هذا المأزق :

□ أولا : إيقاف الحرب العراقية الايرانية . وقد بذلت منظمة التحرير الفلسطينية كل جهد ممكن فى الوساطة لوقف هذه الحرب ، وكثيرا ما كنت أبدا حديثى فى الاجتماعات واللقاءات العربية بالتركيز على هذا الهدف لابراز اهميته الخاصة . وقد آن الآوان لأن يبذل العرب جميعا كل جهد للتوصل الى حل سريع للنزاع فى الخليج .

□ ثانيا : عودة مصر لتأخذ دورها الطبيعى داخل الجسد العربى . وقد أكد المجلس الوطنى الفلسطينى السابع عشر بعمان على أهمية المستجدات فى السياسة المصرية . وقبل ذلك خضنا معركة انتهت بعودة مصر الى منظمة المؤتمر الاسلامى رغم أننا كنا ـ ومازلنا ـ مختلفين حول سياسة ونهج اتفاقات كامب ديفيد . لكننا أدركنا أنه لايمكن اختزال مصر بتاريخها ودورها فى



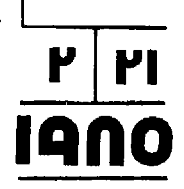
ورقة كامب ديفيد التى كان هدفها الحقيقى عزل مصر عن الأمة العربية ، ونحن نعلم ان الرئيس حسنى مبارك يبذل جهدا كبيرا لاحباط هذا الهدف ، ومما تم فى هذا السبيل سماح الحكومة المصرية بأن تكون كامب ديفيد إحدى قضايا الخلاف فى الانتخابات البرلمانية المصرية مايو ١٩٨٤ ، بينما كان الحزب الرافض لكامب ديفيد فيما قبل عهد مبارك غير مسموح له بالحركة . ويجب أن نعرف ان الشعب المصرى رفض التطبيع مع اسرائيل بايمان لايتزعزع ، ولنا ـ نحن الشعب الفلسطينى ـ ثقة كبيرة فى هذا الشعب وقدرته على أن يتجاوز فى لحظة من اللحظات اتفاقات كامب ديفيد التى يخرقها الاسرائيليون أنفسهم ويستخدمونها كغطاء لعدوانهم . ومن هذا المنطلق ستقاتل الثورة الفلسطينية من أجل إعادة مصر الى موقعها الطبيعى فى جسد الامة العربية : مصر حضارة السبعة آلاف عام . مصر القوة البشرية . مصر القوة الحضارية . مصر القوة العسكرية مصر العربية يجب أن تعود الينا وان نعود اليها .

ولذلك كله كانت زيارتى الى مصر التى لم تنطلق من فراغ ، ولذلك ايضا طلب مجلسنا الوطنى الأخير الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير إنتهاج السياسة التى تعتمد هذا الواقع وتلبى حاجات شعبنا فى مصر وقطاع غزة وتعمل على تعزيز العلاقات بين الشعبين الشقيقين المصرى والفلسطينى .

موقف موحد للمغرب العربى

□ ثالثا : موقف موحد لدول المغرب العربى يضيف الى رصيد الموقف العربى العام . فالثقل العربى فى الجزائر وفى تونس وفى المغرب وفى موريتانيا يجب أن يأتى متضامنا لمساعدتنا فى المشرق العربى . فالمعركة المصيرية التى تخوضها الشعوب العربية فى المشرق بحكم زرع الكيان الصهيونى فى قلب تلك المنطقة هى نفس معركة شعوب المغرب العربى ، لكن الدور العام للمغرب العربى فى معركة المصير يقتضى العمل أولا على إنهاء الخلافات فى تلك المنطقة ثم بلورة موقف موحد لدول المغرب يكون عونا لاشقائها فى المشرق العربى . وعلى جميع الدول العربية بالطبع المساهمة فى إيجاد حل جذرى للخلافات فى المغرب العربى سواء من خلال الوساطة الثنائية ، أو من خلال قمة عربية تنعقد بعد إعداد سليم تحت شعار تضامن عربى شامل فى المشرق وفى المغرب العربى .

□ رابعا . القرار الوطنى الفلسطينى المستقل فى إطار الالتزام القومى الشامل . فيجب أن تقر جميع الدول العربية بمبدأ عدم التدخل فى شئون الثورة الفلسطينية ، ويجب التأكيد فى نفس الوقت على أن القرار الوطنى الفلسطينى المستقل مرتبط بالبعد القومى ، لأن تحرير فلسطين يعتمد على نضال منظمة التحرير والشعب الفلسطينى جنبا الى جنب مع نضال الشعوب العربية ، فالخطر الصهيونى شامل للأمة العربية ولايقتصر على الاحتلال الاستيطانى لفلسطين فحسب ، ولهذا فنحن حريصون على متابعة الجهد لتحقيق وحدة وطنية فلسطينية كاملة مستقلة



الارادة والقرار تكون وفيه للأهداف التى من أجلها كان نضالنا ومنظمتنا وفى سبيلها سقطت قوافل شهدائنا .

□ خامسا : الربط الواعي والمحسوب بين الكفاح المسلح والنضال السياسى ضد الاحتلال الصهيونى للأراضى العربية . فالتحرك السياسى الذى تقوم به منظمة التحرير يهدف الى تهيئة مناخ دولى قادر على تأكيد حقوقنا الوطنية غير القابلة للتصرف ، وفى مقدمتها حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، ولكننا على يقين من واقع خبرتنا والخبرة العالمية لحركات التحرر الوطنى بأن هذا التحرك لايمكن أن ينتج أهدافه إلا بالضغط العسكرى على اسرائيل من خلال تصعيد الكفاح المسلح فى أرضنا المحتلة الفلسطينية والعربية الأخرى ، وحشد جميع الامكانيات والقوى الاقتصادية والعسكرية العربية لتعديل ميزان القوى المختل لصالح عدونا ، وفى هذا الاطار يظل النضال السياسى لمنظمة التحرير وسيلة فعالة لتعزيز التعاطف العالمى على قضيتنا والذى انعكس بوضوح فى الدورة الخاصة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة حول القضية الفلسطينية التى شهدت عزلة اسرائيلية لم ترافقها فيها سوى الولايات المتحدة وكندا .

□ سادسا : تصحيح العلاقة مع سوريا ، وليس مجرد اعادتها ، والفارق كبير بين الكلمتين ، فنحن نفتح قلوبنا وصدورنا وعقولنا إنطلاقا من نقطة أساسية هى : نعم لاعادة العلاقة مع سوريا على قاعدة استقلال القرار الفلسطينى وعدم التدخل فى الشئون الفلسطينية ، فالقضية الفلسطينة ليست ورقة فى يد أحد فهى ملك للشعب الفلسطينى وللأمة العربية ، ولذلك اوصى المجلس الوطنى الفلسطينى السابع عشر بضرورة تجاوز ماأصاب العلاقات الفلسطينية السورية من توتر ، والتسامى على الجراح والآلام ومشاعر المرارة ، بهدف تصحيح العلاقة على أسس واضحة وصريحة تضمن حرية الارادة والقرار الوطنى والتعامل المتكافىء فى إطار الالتزام القومى ، بعيدا عن التدخل فى الشئون الداخلية لأى من الطرفين ، بغرض حشد كل الطاقات فى مواجهة التحالف الأمريكى الاسرائيلى ومخططاته فى الوطن العربى كله .

افشال المخطط الطائفى

□ سابعا : النضال من أجل إحباط المخطط الطائفى لتقسيم لبنان الذى يهدد المنطقة كلها بخطر « البلقنه » . فهو خطر لايقف عند حدود لبنان فحسب إنما يتجاوزه الى المشرق والخليج العربى . ولذلك فإن التصدى له مهمة تقع على عاتق القوى الوطنية العربية كلها وليس القوى الوطنية اللبنانية وحدها ، فعلى هذه القوى أن توحد جهودها لافشال المخطط الطائفى فى لبنان وحماية المنطقة من خطر « البلقنة » الذى يعتبر واحدا من الأهداف الاسرائيلية ـ الأمريكية منذ تفجير الحرب الأهلية فى لبنان عام ١٩٧٥ .

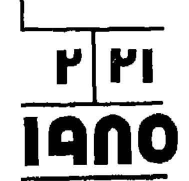




النهوض الوطنى الديمقراطى

هذه هى المفاتيح الضرورية لتجاوز المأزق العربى والحيلولة دون فرض خط الصلح المنفرد الذى اثبتت التجربة أنه لايؤدى الى أية نتائج ايجابية ، بل على العكس فالاتجاه الى مثل هذا الصلح الذى لايمكن أن يكون الا تحت المظلة الأمريكية يزيد من الخطر الاسرائيلى الذى يهدد الأمة العربية بكاملها ، ولاسبيل لدرء هذا الخطر إلا بالنهوض القومى العربى من خلال الاعتماد على وزن وحركة الجماهير العربية المغيبة عن الساحة . ومن هنا تأتى حيوية قضية الديمقراطية فى الوطن العربى ، فرغم كل المحن التى واجهتها الثورة الفلسطينية مضينا بإصرار فى الحفاظ على ديمقراطيتنا من خلال الوعاء الجهدى الذى تمثله منظمة التحرير واعتماد الحوار سبيلا لحل الخلافات . فالحوار هو الطريق الأمثل لتسوية جميع الخلافات العربية لأنها فى النهاية لاتعدو أن تكون ـ فى مرحلة النضال الوطنى ضد الامبريالية والصهيونية ـ خلافات ثانوية لاتجب التناقض الرئيسى مع الصهيونية والاستعمار . لقد تحدثت قبل الحرب الفلسطينية الاسرائيلية فى بيروت عن النفق المظلم ، تحدثت عن « بلقنة » يريدونها للمنطقة العربية ، لكننى قلت ايضا أننى أرى القدس فى نهاية النفق ، لذلك اقول للجميع أننا على موعد فى القدس وان الاستسلام للمحن غير وارد فى حساباتنا .





١٠٧ عبــد الرحمــن الشــرقاوى

الجبهــة والعــزل الســياسى

الذين تعودوا أن يتناجوا بالاثم والعدوان ، لن يستطيعوا أن يتعاونوا على البر والتقوى . والذين ألفوا التآمر فى الظلام ، لايطيقون التكاشف فى النور .

والذين احترفوا كتابة التقارير وهبطوا للايقاع بمخالفيهم لن يسموا لشرف التحاور مع الآخرين !

والذين يكتسبون البطولات الزائفة بتجارة الالام و وبالمزايدات الغوغائية التى يوفرها لهم الجو المتوتر بالصراع المضطرم بالغضب . . هؤلاء يسلبهم التحاور السلمى قيمتهم ، ويدمر مصالحهم . .

والذين كسبوا بالقهر والخلاف ، لا يقبلون التفاهم ولايحاولون التلاقى مع سواهم ، لأنهم يتخيلون أن الحياة يجب أن تكون علاقة تبعية بين المقهورين وقاهر يهم بدلا من ان تكون مودة وتبادل آراء بين الانسان وأخيه الانسان . .

ولكن نداء الجبهة يهز كل ضمير حى ، ويتسلق الأسوار التى يعتزل خلفها الذين يرفضون الجبهة الوطنية التى تسعى كل القوى الشريفة والبناءة الى قيامها لتكون حصنا حصينا لمستقبل هذا الوطن . .





لاريب أن القوى التى تنادى بالجبهة الوطنية والتى تقبلها وتتعجلها ، مختلفة فيما بينها ، ولكنها تريد ان تتفق على حل واحد للفوضى وعلى طريق واحد لحماية المصير . .

هذه القوى تمثل أكثر الناس فى مصر ، منها القوى الحزبية ، ومنها قوى لاتنتمى الى احزاب ، ومنها القوى الاجتماعية والسياسية والدينية . . وكافة هذه القوى تعرف أعداء الوحدة الوطنية ، والذين يشوهون كل جهود للتلاقى حول الأهداف الواحدة ، والمصالح الوطنية العليا . .

إنه ما من قوة من القوى التى ستشكل الجبهة ستتنازل عن شخصيتها أو مبادئها ، ولكنها تبحث عما هو مشترك . وما هو مشترك أكثر مما هو مختلف . ثم أنها تبحث عن الأسلوب الذى يقبله الجميع لحماية المصالح العليا لهذا الوطن ، ولتحقيق آمال هذا الشعب فى التقدم والنماء الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والتمتع بكل حقوق الانسان .

وفى كل دعوة شريفة يجب أن يكابد الدعاة ، وأن يحتملوا ما يقذفهم به السفهاء من أعداء الدعوة وما يلقونه فى طريقهم من أشواك وشراك ! !

ولكن نفرا من خيرة مناضلينا يمثلون كافة الاتجاهات السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية قد استطاعوا أن يتجاوزوا هذه العقبات ، وارتفعوا على الأوحال التى حاول أن يقذفهم بها السفهاء . . فلم تسقط الأوحال والأحجار إلا على وجوه من قذفوها ! !

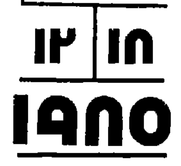
انتصرت الدعوة الى الجبهة وهى تكسب أنصارا جددا . . وتحية للذين يناضلون فى إصرار على إنشاء الجبهة ، ويعملون النهار والليل لبناء جبهة وطنية شامخة ثابتة الاركان وطيدة البنيان . .

ولكن . . اليس من العجب حقا ان يكون بعض هؤلاء المناضلين الرماة عن حوض الوطن معزولين سياسيا بمقتضى قانون شاذ ظهر فى ظروف شاذة ؟ ! . . هى ظروف قد زالت فكيف لانزيل اثارها ؟ ! . . اليس استمرار هذه القوانين جريمة مستمرة ضد حقوق الانسان فى بلادنا ؟ ! .

لقد نبهنى الصديق العزيز المستشار عبد الحميد يونس الى أن عددا من أوتاد الجبهة الوطنية معزولون سياسيا . . وأنا اطالب كل وطنى وكل صاحب قلم أن يغسل هذه الوصمة عنا .

ما العزل السياسى هذا ؟ ! من الذى يملك أن يحرم مواطنا من شرف المواطنة ، ومن عطائه المنتظر والمرتجى لوطنه ؟ !

لقد اتجهت الى نواب الحزب الوطنى أن يتقدموا من تلقاء أنفسهم بمشروع قانون لغسل هذا العار ، ولالغاء كل القوانين الشاذة التى دفعت اليها ايام شاذة . . فهلا استجاب نواب



الحزب الحاكم ؟ ! . . وإلا فلعلهم بالقليل لايعارضون مشروع القانون الذى تقدم به زعيم المعارضة المستشار ممتاز نصار ، أو مشروع القانون الذى تقدم به المناضل أحمد طه عضو مجلس الشعب والزعيم العمالى المعروف .

أننى على ثقة من ان كل نائب يعرف ما فى القوانين الشاذة من مهانة . سيعمل على إخراج هذين المشروعين الى النور . . وانا على ثقة من أن الصديق الاستاذ الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب وهو سياسى حصيف يحترم حقوق الانسان ، سيطرح المشروعين على مجلس الشعب . . ولاريب أن نواب الحزب الحاكم سيوافقون على إلغاء القوانين الشاذة التى تنتهك حقوق الانسان .

خلصونا من هذا العار يانواب الحزب الحاكم . . فإن لم تبادروا أنتم بإلغاء تلك القوانين ، فلا أقل من ان توافقوا على المشروعين المقدمين من المعارضة ! !

إن هذه القوانين باتفاق الجميع سبة وأذى ، وهى وصمة عار . . وسيحاسبكم التاريخ على صمتكم عنها . .

فليكن لكم شرف المبادرة بإلغائها . . أو فى القليل بالموافقة على ما تحت ايديكم من مشروعات لالغاء مايجب الغاؤه منها ، وتعديل مايمكن تعديله !

إن نقابة الصحفيين مطالبة بأن تتقدم باقتراحات لتعديل قانون الصحافة . . وكذلك المجلس الاعلى للصحافة مطالب بهذا . وقد تبين من التجربة ما فى قانون الصحافة من ثغرات يجب سدها وعوج يجب تقويمه ، وقيود يجب رفعها ، وعيوب يجب علاجها . .

ولاشك عندى أن صديقنا الأستاذ الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم فى غيرته على حقوق الانسان سيحث المجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين على تقديم مشروع التعديل الى مجلس الشعب لاقراره . .

يانواب الحزب الحاكم الحق أقول لكم : لاترضوا لأنفسكم بالسكوت على قوانين تقيد إنطلاقنا وتنتهك حقوق الانسان وتحرم الوطن جهد عدد من خيرة بنيه ومن اشرف مناضليه .

إن بقاء هذه القوانين الشاذة وعلى رأسها قانون العزل السياسى لامتهان خاص لكل منكم . . واستمرار هذه القوانين إهانة شخصية لكل مواطن . .

خلصوا انفسكم والوطن والمواطنين من هذا الهوان . . وتذكروا أن هذه القوانين ان استمرت فقد تسلط عليكم أنتم أنفسكم ذات يوم . .





فليكن لكم شرف المبادرة بإلغائها جميعا . . لاتنتظروا توجيهات ياسادة . .

أم يجب أن تحملوا الرئيس حسنى مبارك مسئولية كل شيء . . أيجب ان تنتظروا توجيهاته حتى تعملوا . .

انكم بهذا تكلفونه ان يحملكم فوق رأسه . . .

وهذا كله لايغنيكم ، ولكنه يجعل التجربة الديمقراطية فقيرة جد الفقر . .

فإن لم يكن بد من انتظار التوجيه ، حتى تتعودوا المبادرة ، فيا ايها العزيز حسنى مبارك لقد مسنا وقومنا الضر ، فأوف لنا الكيل وأصدر توجيهاتك ، إنا نراك من المحسنين .



١٠٨ ابراهيم نافع

حديث عن الناصرية والساداتية والمباركية !

● ● بعض المتشككين فى كل شىء ، وفى اى شىء ، يفضلون دائما أن يطلقوا العنان « لتحليلاتهم » و « نظراتهم الثاقبة » التى تقرأ ما بين السطور ! ، وتستشف ما وراء الاخبار وتتنبأ بما سوف يكون ، قبل ان يتحول إلى واقع قريب .

● وهواة « التحليل » هؤلاء . . لم يعودوا كما كانوا من قبل من المشتغلين بالسياسة أو المهتمين بالقضايا العامة فقط وإنما اتسعت الدائرة إتساعا رهيبا فاصبحت تضم المشتغلين بالسياسة والحياة العامة ، والمشتغلين بالاقتصاد والتجارة ، والمثقفين وغير المثقفين ، والحزبيين وغير الحزبيين ، ومن تسمح لهم معارفهم بتقييم الأمور تقييما سليما ، ومن لاتسمح لهم معارفهم بذلك . .

فاصبحنا نسمع الكثير من الاجتهادات فى تفسير بعض ما يجرى فى حياتنا العامة ، تفسيرات متناقضة وعجيبة فى نفس الوقت .

● ولاضرر فى ذلك بصفة عامة ، فحق « الاجتهاد » والتحليل مباح للجميع . . لكن الضرر كله هو فيما ينتج من آثار سلبية على بعض نواحى الحياة فى مصر نتيجة للتحليلات المتسرعة والاجتهادات الخاطئة ، وبسبب الربط بين جزئيات لارابط بينها وتطويعها قسرا للوصول الى نتائج على هوى اصحابها من المحللين ! .



■ ■ ويزيد من أضرار هذه الموجة أنها تأتى فى مجتمع يعلن سياساته بكل وضوح ، وتضع سياساته مؤسسات دستورية مسئولة أمام السلطات الدستورية المختصة ، وترتبط حكومته ببرامج سياسة معلنة تطرح على نواب الشعب وتخضع للمناقشة والتأييد والرفض قبل إقرارها . . فاذا تم إقرارها فأنه لا سبيل لتغييرها إلا التقدم ببرامج مخالفة لها تضعها نفس المؤسسات وتتقدم بها إلى نفس المؤسسات الدستورية ' لأن السياسات الداخلية فى مصر ليست من صنع اشخاص وانما من صنع مؤسسات ، وهذا ما ينبغى أن يتذكره البعض من هواة التحليلات المتسرعة ! .

● ● إن هذه المقدمة تبدو ضرورية . . إذا ما اردنا ان نناقش بعض ما تناثر فوق الساحة خلال الأيام القليلة الماضية من تحليلات . . تحاول أن تربط بين عودة كتابات بعض الكتاب الكبار إلى صفحات الصحف وبين ما يتوهمه البعض من إحتمال عودة اتجاهات معينة إلى السياسات المصرية الداخلية والخارجية .

■ ■ فلقد أراد البعض أن يحملوا هذه الخطوة الديموقراطية فوق ما تحتمل من تحليلات وايماءات . وبالغ البعض فى تحليلاتهم إلى حد توقع تغيرات فى السياسة الاقتصادية لتتفق مع توجهات مراحل سياسية سابقة مرت على مصر .

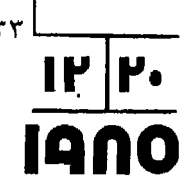
■ وسارع من يشككون دائما فى كل شىء ، وفى اى شىء إلى « استثمار » الفرصة لتاكيد أن هذه الخطوة لها ما بعدها ، وإن ما بعدها لن يكون فى صالح تشجيع الاستثمار وتشجيع الحافز الفردى على الانتاج ، ولافى صالح تشجيع مشاركة القطاع الخاص فى البناء والتنمية .

وما اعجب ما نسمع كل يوم !

● إن من حق كل انسان أن يرى رأيه ، لكن ليس من حقه بالتاكيد أن يفرض تصوراته الخاطئة ومخاوفه على الاخرين . . مدعما أياها باستنباطات زائفة . . وأدلة فاسدة كما يفعل البعض الآن .

● ومن حقه ان يصدق تصوراته مهما كانت خاطئة . . ويتصرف على اساسها ، لكنه ليس من حقه أن يدعو الاخرين للعمل على أساس هذه التصورات الوهمية ! خاصة اذا كانت الحقائق واضحة وضوح الشمس . . والمناخ الديموقراطى السائد لا يسمح بتحولات ، ولابصدمات مفاجئة أو غير مفاجئة ؛ لسبب رئيسى هو أنه مجتمع مؤسسات دستورية وليس مجتمعا يحكم حكما فرديا يسمح بهذه التحولات من اليسار إلى اليمين او من اليمين إلى اليسار بغير الحاجة إلى إبداء الاسباب





١٠٨

■ ■ لقد انقضى هذا العهد منذ زمن بعيد . . وحقائق التاريخ تقول . إنه لن يعود ولا يمكن أن يعود . .

■ **فعجلة التاريخ لا يمكن إعادتها إلى الوراء ، واى تجربة سياسية ترتبط عادة بمرحلتها التاريخية ويصعب بل ويستحيل تكرارها فى غير الظروف التى جرت فيها ، وفى غير اطارها الزمنى والتاريخى .**

● ● **فلقد عايشنا المرحلة الناصرية ، وكانت لها ايجابياتها وسلبياتها ، وكانت لها رموزها وتوجهاتها ، وعايشنا المرحلة الساداتية وكانت لها ايضا ايجابياتها وسلبياتها وتوجهاتها ورموزها .**

● ثم بدأت مرحلة رئاسة حسنى مبارك لمصر ، ولن أقول المرحلة المباركية ؛ لأن الرجل نفسه ينفر من نسبة المراحل فى تاريخ مصر إلى الأشخاص ، ويرى أن التاريخ حلقات متصلة تسلم إحداها الأمانة للأخرى فى تواصل مستمر ، وسعى مستمر إلى الأفضل والأنفع ، رغم الصعوبات والسلبيات ، والعثرات أحيانا ، وأن من واجبنا أن نستثمر ايجابيات كل من العهدين ، وأن نتجنب سلبياتهما .

● **ولقد أجهد البعض انفسهم ، فى بداية حكمه ـ فى محاولة نسبة فكر مبارك وتوجهاته ، إلى أى من هاتين المرحلتين السابقتين ، الناصرية والساداتية ، فلم يفلحوا ، لأن الرئيس مبارك اعلن اكثر من مرة انه ليس ناصر ولا السادات ، وإنما هو رئيس اسمه حسنى مبارك ! تولى الأمانة عن شعب مصر بالانتخاب الحر فى مرحلة الثمانينات بظروفها التاريخية المختلفة . . وعلاقاتها الدولية المتغايرة ، وفى ضوء أولويات مختلفة تفرضها ظروف مصر فى هذه المرحلة ، وانه لايمكن أن يكون إلا حسنى مبارك . .**

■ ■ وعلى حد تعبير الرئيس مبارك لى فى لقائى الأخير معه ، فإنه لا يؤمن بما يسمى بالناصرية ، ولابما يسمى بالساداتية ، وإنما يؤمن فقط بمصر وبما يمكن أن يسمى « بالمصرية » التى تتعامل مع الواقع المصرى فى ضوء الظروف التاريخية المحيطة وتحاول جاهدة العمل لتحقيق المصالح المصرية والمصالح القومية بكل السبل المتاحة .

أما رؤيته التاريخية لعبد الناصر فهى انه زعيم عملاق ، حقق لمصر الكثير فى الداخل والخارج . . ورؤيته التاريخية للسادات أنه قائد حقق لمصر انتصارات عظيمة ، وأن كلا منهما رئيس مصرى اجتهد فى أن يخدم بلاده فى ضوء الظروف التاريخية التى عاصرها .

■ **لا ناصرية . . . إذن . . . ولا ساداتية ؛ لان كل مرحلة من هذه المراحل ، هى نتاج ظروف تاريخية معينة وعلاقات معينة وليس كل ما يصلح لمرحلة معينة يصلح بالضرورة**





لمرحلة مختلفة ، فما كان يصلح للتطبيق فى مصر فى الستينات لا يصلح بالضرورة للتطبيق فيها فى الثمانينات ، وما كان صالحا فى السبعينات ليس بالضرورة صالحا لها الآن فى ظروفنا الحالية .

■ ولقد تسلم الرئيس حسنى مبارك الأمانة فى ظروف لاتخفى وقائعها على أحد ، ومن نتاج هذه الظروف والأوضاع تحددت الخطوط الأساسية لتوجهاته وتم تأصيلها من خلال المؤسسات الدستورية ونالت تأييد ممثلى الشعب .

■ تسلم الأمانة ومشاكل الاقتصاد المصرى فى قمتها ، ومشاكل المرافق قد تحولت إلى معضلات لاتجدى معها محاولات الاصلاح الجزئى أو الترميم ولا سبيل إلى حلها سوى بالحلول الجذرية التى تتطلب المليارات من الجنيهات والعملات الصعبة .

■ وتسلم الأمانة ومصر الدولة مقطوعة الصلة بمعظم دول العالم العربى والاسلامى ودول العالم الثالث والكتلة الشرقية ، فكانت توجهاته الاساسية هى العمل الدائب المستمر لاصلاح الاقتصاد وزيادة الانتاج وحل مشاكله ، وبعث شرارة الخلق والعمل لانهاض مصر ، وتأكيد روح الانتماء لدى ابنائها .

وكانت توجهاته الأساسية . . هى العمل الجاد المضنى لاصلاح المرافق وحل مشاكلها بالضرب فى جذورها ، وتنفيذ الخطط الطموحة الطويلة لعلاجها .

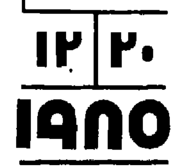
وكانت توجهاته الأساسية هى إعادة مصر إلى مكانتها الطبيعية فى العالم العربى والعالم الاسلامى وبين دول عالم عدم الانحياز ودول القارة الافريقية ، وإعادة شخصيتها الدولية إلى مكانتها اللائقة فى المجتمع الدولى .

■ ■ وكانت توجهاته الأساسية أن يستثمر علاقات مصر الخارجية وسياستها الخارجية فى دعم الاقتصاد المصرى وحل مشاكله ، وادارة عجلته بكل طاقتها .

■ وكانت توجهاته الأساسية هى العمل . . وبكل وسيلة ومن كل طريق على رفع مستوى حياة الشعب المصرى ، وتخفيف معاناة المواطنين مع المرافق والروتين والأداة الحكومية ، وتوفير السلع الأساسية ، وكفالة الحد الأدنى المطلوب من الحياة الكريمة لكل فئات الشعب .

■ وكانت توجهاته الأساسية هى تاكيد مناخ الديموقراطية الحقيقية التى تسمح لكل انسان بممارسة حقه الدستورى فى المشاركة فى حكم بلاده وفى التعبير عن نفسه وفى المشاركة فى الاصلاح بما يراه ويتراءى له من برامج وافكار وحلول .

● ● هذه هى الملامح العامة للتوجهات الأساسية للمرحلة الراهنة ، وهى كلها توجهات



لاترتبط بعهود ولا بسياسات مراحل سابقة ، ولاترفع شعارات مراحل ماضية ، وإنما هى ترتبط بظروف مصر فى المرحلة الحالية أو على حد تعبير الرئيس مبارك :

مصر التى يراد اعادة بنائها . . .

مصر التى يراد تأكيد الانتماء اليها . . .

مصر السلام ، التى تحتاج إلى جهد مضن ، هو فى ضراوته اشد من زمن خوضها الحروب .

● مصر التى تحتاج إلى تغيير مفهوم الاعتماد الكلى على الدولة ، وحتمية اشتراك كل مواطن فى عمل جماعى يكفل لمصر التقدم والانطلاق إلى الأفضل والأحسن .

● ● وهى كلها توجهات تعبر عن مطالبة شعبية عريضة لجماهير تمثل الأغلبية العظمى من جماهير الشعب ، وقد تمت بلورتها وتاصيلها ومناقشتها واقرارها فى برامج الحزب الوطنى الحاكم وتترجمه بيانات حكومات الحزب الى برامج سياسية محددة تتقدم بها إلى مجلس الشعب فى افتتاح كل دورة لتطلب تاييده لها ، ويتاح للجميع داخل المجلس وخارجه حق مناقشتها والاعتراض عليها والتصويت ضدها ، فاذا اقرت بعد ذلك فانها تصبح ملزمة للدولة وللحكومة .

■ ■ فأين اذن هى امكانية وقوع تحولات جذرية مفاجئة فى السياسات العامة للدولة الداخلية أو الخارجية ؟

■ وكيف تصبح عودة كاتب كبير ، أو كتاب كبار للكتابة فى الصحف المصرية ـ وهى قرارات لادخل لرئيس الدولة بها ـ دلالة على عودة سياسات عهد أو رموزه ؟

● ● إن مناخ الديموقراطية السائد فى مصر يتيح لكل كاتب أن يعبر عن نفسه ، وأن يكتب اراءه فى قضايا وطنه وبلاده ، ويعطيه الحق لأن يختار المنبر الذى يريد أن يقول من فوقه كلمته ، والصحف القومية والصحف الحزبية تتردد فيها كل الآراء وتعبر عن أصحاب كافة الاتجاهات .

● ولقد دعا الرئيس مبارك فى خطابه عن الصحوة الكبرى كبار كتاب مصر لأن يكتبوا آراءهم فى مشاكل بلادهم فى صحف مصر ؛ لأن مصر لا تمنع رأيا ؛ ولاتكبت فكرا ، ولأنه من غير المنطقى ان يناقش هؤلاء الكتاب قضايا مصر الداخلية فى الصحف العربية الصادرة من الخارج إذا كانت مصر لا تمنع كاتبا من أن يقول ما يريد ، وفى أى اتجاه يختاره فى صحف مصر قومية وحزبية على السواء .



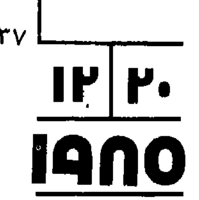


■ ■ ولقد بدات استجابة البعض لذلك . . وهى خطوة تحسب للقيادة السياسية التى لا تمنع رايا ، كما تحسب لهؤلاء الكتاب ايضا الذين استجابوا .

وهى علامة صحة على متانة البناء الديموقراطى فى مصر وعلى حرية الفكر فى مصر ، وخطوة ديموقراطية صحيحة فى الاتجاه الصحيح .

لكنها أبدا ليست « اشارة » إلى عودة سياسات الماضى ولا ممارساته : لأن عجلة التاريخ لا تعود إلى الوراء أبدا ولن تعود ! .





١٠٩ محمد مزالى

الحزب الاشتراكى الدستورى بتونس

التضامن والتكامل المرحلى مع الخصوصية القطرية

يكتشف المؤرخ حينما يبحث عن أصول الحركة التحريرية التونسية التى خاضها الحزب الدستورى ، بقيادة باعثه الرئيس الحبيب بورقيبة ، ان إحساس حزبنا العميق بانتماء تونس إلى الوطن العربى وانشغاله بالقضايا العربية ، انما يعودان إلى فجر الجهاد الوطنى من أجل الكرامة بتكسير اغلال الاستعمار . ويشكلان بحق ارضية ثابتة شدت قادة الحزب فى كل مراحل النضال ثم اعتمدت وظلت مرجعا ثابتا بعد ان تحقق النصر ودخلت البلاد فى مرحلة البناء والتشييد .

إن قراءة فاحصة لكتابات المجاهد الأكبر النضالية فى جرائد : « اللواء التونسى » ١٩٢٩ ، و « صوت التونسى » ، ١٩٣١ ، و « العمل التونسى » ، ١٩٣٢ ، و « العمل » ١٩٧٤ ، تؤكد اعتماد الزعيم فى تعبئة الجماهير وتجنيد طاقات الشعب على تعميق الانتماء إلى العروبة ، واحياء جذوة الاعتزاز بالحضارة العربية الاسلامية ، وإيقاظ الهمم والتغنى بالأمجاد . ذلك ان اخطر ظاهرة كانت تواجه الزعيم هى ما كاد ينجح فيه المستعمر الفرنسى من تشويه الكيان الحضارى للشعب التونسى بزعزعة ثقته فى مقومات اصالته العربية وشخصيته الاسلامية ، وفرضه اللسان الفرنسى ، ودعم مظاهر التعتيم الغيبى للعقيدة الدينية بتشجيع البدع والضلالات وإخماد جذوة الاجتهاد وطمس نور العقل ، موازاة مع ما كان يخطط له المستعمر من إحياء التوجه الصليبى مما تجلى خاصة



فى عقد المؤتمر الأفخارستى عام ١٩٣١ بقرطاج وإيجاد الحواجز لحمل التونسيين على التجنس بالجنسية الفرنسية .

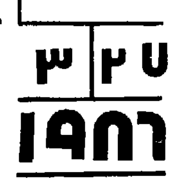
تلك كانت الواجهة الأولى لصراع الحزب الدستورى ضد مؤامرات المسخ الحضارى . وقد تجند الزعيم الحبيب بورقيبة فى كتاباته بصحف الحزب واجتماعاته السياسية ولوائحه الداخلية ورسائله الشخصية لخوض هذه المعركة بمقاومة التجنيس والاستلاب ، حتى كانت محنة الحزب الأولى عام ١٩٣٤ ثم محنته الثانية عام ١٩٣٨ انتصارين عظيمين لاستراتيجية الحزب من أجل تكتل شعب عاد له وعيه العميق بأنه شعب عربى مسلم فجر فيه بورقيبة إرادة الحياة من اجل التحرر والانعتاق .

إعادة الجسور

ونعتقد أنه لا يمكن دراسة الكفاح التحريرى التونسى بقيادة الحزب الدستورى ، الذى أسسه ولا يزال يرأسه الرئيس الحبيب بورقيبة منذ ١٩٣٤ ، ما لم نتذكر طبيعة الاستعمار الفرنسى الذى استولى على بلادنا وعلى المغرب العربى عامة منذ القرن التاسع عشر ، ذلك أن الاستعمار الفرنسى لم يكتف بالهيمنة العسكرية أو بمراقبة الادارة وإسناد كل الخطط الأدارية المهمة إلى أبنائه المدللين ، بل كان يسعى أيضا ، كما اعلن عن ذلك « جول فرى » فى البرلمان الفرنسى ، إلى ابتلاع وطننا بالقضاء على مقوماته الحضارية وخاصة اللغة العربية والدين الاسلامى .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف توخت الأدارة الاستعمارية عزل الشعب التونسى عن الأمة العربية الأسلامية وإقامة جدار سميك بين المغرب والمشرق ، ولكن من منن الله على الشعب التونسى أن وهبه قائدا فذا وزعيما حكيما وهو المحامى الشاب الحبيب بورقيبة الذى فهم مقاصد الاستعمار فأقام كفاحه على خطة ذكية ناجعة تتمثل فى صيانة مقومات الشعب التونسى ، والذود عن دينه ولغته ، ومد ما انقطع من جسور التواصل بين أقطار الأمة العربية جميعها .

وإذا ما عاد المؤرخ إلى مرحلة نشوء الحزب الدستورى التونسى فى ٢ مارس ١٩٣٤ فأنه يجد فى المقالات السياسية للزعيم الحبيب بورقيبة ورسائله للمناضلين وخطبه فى الأجتماعات الشعبية ، ملامح هذا التوجه الحضارى للكفاح التونسى بالاصرار على ربط تونس برقعتها الحضارية الطبيعية أى الأمة العربية ، حتى أن أناشيد الحزب كانت فى تلك المرحلة تذخر بالروح العربية والاعتزاز بالانتماء إلى حضارة العرب مثل نشيد : (بلاد العرب أوطانى) أو نشيد : (يا عرب يا أهل الحمية) . واكتسب حزبنا بهذه الروح الوطنية والقومية الفياضة قلوب الجماهير . كما اكتسح الساحة السياسية وقارع الاستعمار فى معارك قادها المجاهد الأكبر



الزعيم بورقيبة كانت أولاها فى ٣ سبتمبر عام ١٩٣٤ وثانيتها فى ٩ أبريل ١٩٣٨ وثالثتها فى ١٨ يناير ١٩٥٢ .

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وخرج الزعماء من السجون الفرنسية حتى عزم الرئيس الحبيب بورقيبة على التجول سرا وعلى الأقدام عبر الصحارى الليبية خاصة إلى مصر ، ومنها الجولان فى انحاء المشرق العربى كافة وذلك فى مارس ١٩٤٥ للتعريف بحقيقة الكفاح التونسى والمغرب العربى عموما ، وإعادة بناء الجسور بين المشرق والمغرب العربيين بعد قطيعة زمنية طويلة بفعل الاستعمار . ورغم قلة ذات اليد وانعدام وسائل العمل يواصل الجهد وتحسيس القادة العرب وخاصة المسؤولين عن الجامعة العربية الفتية بشرعية القضية التونسية وبعروبة تونس . وتم بعث مكتب المغرب العربى بالقاهرة فى مايو ١٩٤٦ .

وكان الشعب التونسى يتلقف أنباء الشرق ويتابع تحرر شعوبه ويواكب ملاحم رجاله ، بل لقد تطوع تونسيون عديدون فى حرب فلسطين الأولى كما تابع الشعب التونسى بطولات القاوقجى وغيره . وقد وجد الزعيم بورقيبة فى المشرق العربى دعما وتفهما شجعاه على المضى فى التعريف بالقضية التونسية ، رغم أن الحكومات هناك لم تكن دائما متحمسة لاخراج فرنسا ، بل إن الأمر وصل إلى رفض الأمين العام لجامعة الدول العربية إنذاك ، المرحوم عبد الرحمن عزام باشا ، إدراج القضية التونسية فى جدول أعمال الجامعة بسبب انشغاله كما كان يقول بالمسألة الفلسطينية قائلا للزعيم بورقيبة : « إن المشغول لا يشغل » وحالما نخلص من قضية فلسطين نتفرغ لتحرير تونس !

ولم يكن ذلك ليثنى الحزب الدستورى عن توجهاته القومية ، بل ان الحزب نفسه هو الذى تولى تنظيم احتفالات كبرى بالذكرى الأولى لانبعاث الجامعة العربية ، فيما سماه الحزب فى تونس « بعيد العروبة » ، وقد انعقد اجتماع جماهيرى جبار فى أكبر ملعب رياضى بالعاصمة خطب فيه زعماء الحزب ، واذكر أننى حضرته فيمن حضره وقد كنت أنذاك تلميذا بالمعهد الصادقى .

جزء من تحرير الأمة

كل هذه الجهود كان لها انعكاس فيما بعد على الرأى العام بكل من مصر وبلاد الشام والعراق . ونشأ وعى بدأ بالصحافة ثم عم النخبة وأثر على شرائح عريضة من الشعوب العربية إزاء الواقع النضالى لشعوب المغرب العربى وهى تقارع امبراطورية استعمارية قوية عنيدة بلا سند وبلا مدد .

كل هذا توازى مع قيادة حزبنا الدستورى للكفاح المسلح ، وإصراره على أن استقلال تونس لا يكون تاما وباتا إلا باستقلال المغرب الأقصى والجزائر . وهو ما اعتبره حزبنا عقيدة





سياسية ثابتة ، تجلت بعد نيل استقلالنا بحرصنا على إعانة أشقائنا الجزائريين رغم ما نالنا من « عقاب » فرنسا حينما قطعت عنا كل مدد ، وحينما صبت وابل قنابلها على قرية ساقية سيدى يوسف يوم ٨ فبراير ١٩٥٨ ، وهجم جندها على قرى تونسية كثيرة فدمروها وعذبوا أهلها تعذيبا . ويكفى لاستجلاء تلك العقيدة أن نعود لكل اللوائح الصادرة عن مؤتمرات الحزب ، فهى مشحونة بهذا التوجه العربى الأصيل وتأكيد اعتبار تونس جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية وباعتبار أن تحرير المغرب العربى هو فى الحقيقة استكمال طبيعى لتحرير الأمة العربية قاطبة .

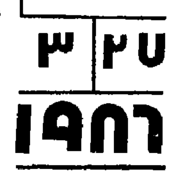
وفى الحقيقة لقد ظل حزبنا ينبض تجاوبا مع كل أحداث المشرق العربى ، وخاصة قضية فلسطين ، رغم ما كنا نعانيه من قمع الاستعمار وعسفه فى تونس ، فخصصت صحيفة « العمل » لسان الحزب ، الأعمدة العديدة لاطلاع الشعب التونسى يوميا على جهاد فلسطين ، وتولى الدستوريون تنظيم عمليات التطوع للكفاح إلى جانب الفلسطينيين فى حرب ١٩٤٨ ، كما نظم حزبنا مظاهرة ضخمة للاحتجاج على عرض السلطات الاستعمارية لشريط (الأرض الموعودة) بقاعة الكوليزى فى أواخر الثلاثينات ، مما انشأ لدى قواعدنا الدستورية وعيا اصيلا بما سماه الزعيم بورقيبة مظلمة القرن العشرين .

مفهوم للوحدة مع الخصوصية

وعند اسقلال البلاد عام ١٩٥٦ ، سعينا من خلال دستورنا إلى مزيد من إحكام اللحمة بين تونس ورقعتها الحضارية أى العروبة والاسلام . لكن بعض حكومات المشرق العربى أنطلت عليها الحيلة « اليوسفية » عندما تولى صالح بن يوسف لطموحات فردية إيهامها بأن الاستقلال الداخلى خطوة للوراء وأنه عزل لتونس عن الأمة العربية ، مما نتج عنه سوء تقدير بعض الزعماء العرب لواقع تونس المستقلة الناهضة ولأصالة قادتها المخلصين ، بل وأحيانا مناوءتها باسم شعارات طالما رددها فى اذاعة القاهرة احمد سعيد وبعض الأبواق الأخرى .

وأدى ذلك طبعا إلى انكماش شعبى فى تونس إزاء مفهوم الوحدة العربية بمعناها الذى تريد فرضه علينا بعض الجهات ، بالاضافة إلى محاولات تسريب عصابات تخريبية للنيل من أمن البلاد واستقرارها . ولكن ذلك كله لم يمنع الدولة التونسية الفتية بقيادة رئيسها وصانع نهضتها الحديثة ، من إقرار علاقاتها المتميزة بجميع الدول العربية ، بل ومن السبق إلى تعريب إدارتها وتعليمها ومجتمعها بنجاح . وأصبحت تونس عضوا نشيطا فى جامعة الدول حتى اصطفاها الأخوة العرب لاحتضان جامعتهم انطلاقا من مؤتمر قمة بغداد .

ويحسن التذكير هنا بأن توجه تونس القومى لا يخضع إلى مجرد تنظير سياسى أو إلى منطلق عاطفى ، بل أن فلسفة حزبنا ترتكز اساسا على انتماء تونس للأمة العربية الأسلامية ولنا فى ذلك نظرتنا الخصوصية ، اذ اننا نحرص على ذلك الانتماء فى نطاق التميز الحضارى لكل



شعب من الشعوب العربية مما يجعل هذه الأمة قوة حضارية واقتصادية وسياسية يعمل لها العالم ألف حساب .

وفى كنف هذه النظرة للأمة العربية ، نظل مؤمنين بأن وحدتها المنشودة لا تتحقق بقرارات فوقية . بل لا تكون الا نتيجة لعمل طويل النفس يتكاتف فيه كل القادة العرب على اساس الثقة المتبادلة والاحترام المشترك مع تخطيط مرحلى ناجح تشترك فى انجاحه المنظمات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية والجامعات العالمية مع انجاز المشاريع الأقتصادية المشتركة إلى جانب تنسيق برامج التربية وتوحيد مناهج الثقافة والاعلام والشباب .

وأرسينا لكفاح حزبنا من أجل بناء دولة عصرية متقدمة قواعد فى السياسة الخارجية تعتمد تنزيل وطننا المنزلة التى هو بها جدير باعتباره الوطن المجيد الذى أسست فيه القيروان ، أول قلعة للفتح العربى الأسلامى ، وباعتباره منطلق الفتوحات منذ عام ٥٠ هجرى نحو أوروبا شمالا والصحراء الأفريقية جنوبا وشواطىء المحيط الأطلسى غربا ، وباعتباره كذلك البلد الذى اطلق اسمه (افريقية) على قارتنا بأسرها .

ولكن شغلتنا كأغلب البلدان المستقلة حديثا مشاكل التخلص من رواسب الأستعمار والحفاظ على هوية شعبنا من المسخ والذوبان ، ومشاكل بناء دولتنا وإقرار مؤسساتها ومقاومة التخلف ، فإننا توجهنا بصدق نحو تجسيم المثل المغربى العربى الأعلى كخطوة أساسية نحو تضامن عربى أرحب . فتحمسنا لعقد ندوة تجمع قادة احزابنا المكافحة فى المغرب العربى وكان ذلك فى مدينة طنجة فى أبريل ١٩٥٨ ، واعتبرنا أن جهاد الشعب الجزائرى هو قضيتنا ، وقد وجد مناضلوه لدى اخوانهم فى تونس نعم السند ونعم النصير ، كما أننا ربطنا علاقات ممتازة بكل دول المشرق العربى ، ومددنا أيدينا مصافحين ومرحبين بكل جسور التعاون السياسى والثقافى والاقتصادى مع كل الشعوب العربية ، يحدونا فى ذلك احترام صادق لسيادة دولها واختلاف اختياراتها ، وقد شارك فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة انطلاقا من هذه الروح فى كل اللقاءات العربية وحرص على اداء زيارات لكل القادة العرب الذين دعوه كما استقبل جلهم فى تونس .

وجهة نظر فى القضية الفلسطينية

ولا يخفى أن هذه العقيدة السياسية العربية الثابتة لدى رئيس الدولة والحزب ، كان لها الانعكاس الأكيد على كل توجهات حزبنا الدستورى ، رغم مشاكلنا الوطنية الخصوصية وانشغالنا بمعارك التنمية وتحقيق النهضة الاجتماعية والاقتصادية ، كما لا يخفى أن مواقف رئيسنا الجليل القومية لم تكن دائما تلقى ـ من بعض الأطراف العربية ـ التفهم الفورى مما أحدث ـ وخاصة منذ اصداع الرئيس بورقيبة بمواقفه المعروفة من قضية فلسطين بأريحا فى





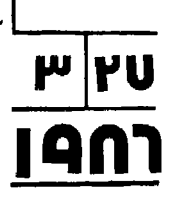
مارس ١٩٦٥ ـ بعض الجفوة بيننا وبين الزعيم الراحل المرحوم جمال عبد الناصر . ومن عبر التاريخ أن يكتشف العرب بعد عشرين سنة من خطاب اريحا أن الرئيس بورقيبة كان على حق وكان ـ قبل وقوع حروب ٦٧ و ٧٣ وغزو لبنان ـ يتمتع بفراسة سياسية ممتازة هى فى الحقيقة خلاصة كفاح مناضل عربى صادق لم يتوخ دائما مجاراة عواطف الجماهير بل كانت له ـ ولا تزال ـ شجاعة الزعيم الذى كان يعكس أحيانا الحماس الفياض غير المدعوم بالعقل النير والمنطق السليم .

وما زال حزبنا يؤمن أنه لا انتصار للعرب على أعدائهم وعلى التخلف إلا بالتحكم فى التكنولوجيا من جهة وبالتخلى عن التطاحن فيما بينهم من جهة أخرى ، واذ ذاك يمكن إقرار تضامن عربى فعال يعتمد الاحترام المتبادل والتكامل الاقتصادى وتوحيد مناهج التربية والتعليم والثقافة . . . وصولا تدريجيا حكيما إلى وحدة عربية لا تقررها النصوص والمعاهدات بل يفرضها واقع إرادى لا رجعة فيه . وما معاهدة الأخاء والوفاق بين تونس والجزائر وموريتانيا إلا خطوة عملية ناجعة على هذا النهج القويم ، كما أن تعاون تونس مع شقيقاتها فى العالم العربى واحتضانها لجامعة دولهم واستضافتها المشرفة لمنظمة التحرير الفلسطينية تجسيم للتوجه العربى لحزبنا الدستورى المعبر عن تطلعات شعبنا ، وهو لا يزال الحزب الجماهيرى التقدمى المتحلى بعقلية المنتصر ، فى معارك التحرير أو فى معارك المصير .

التكامل . . بداية

وإذا اردنا أن نكون صرحاء مع أنفسنا وتساءلنا إلى أى مدى وفقنا نحن العرب فى تحقيق هذه الوحدة المنشودة ؟ وهل توصلنا فعلا إلى تجاوز متناقضاتنا ؟ وهل جمعنا شملنا حول ما يوحدنا فى عالم تسعى أممه إلى التكامل والظهور فى جبهات قوية إزاء التحديات ؟ ثم هل اعطينا لما يجمعنا من تاريخ وحضارة وكفاح مشترك المحتوى السياسى والتجسيم الاقتصادى الضروريين لاقرار التضامن الحقيقى الذى يجعلنا أمة راسخة القدم منيعة المؤسسات قادرة على اكتساح القرن الحادى والعشرين ؟

وعند محاولة الاجابة عن هذه الأسئلة الجوهرية نكتشف مع الأسف أننا لانزال بعيدين عن مثلنا الأعلى ، بل أننا نتألم عندما نرى بلدا عربيا يستورد انتاجا زراعيا من بلد أوروبى أو أسيوى أو أمريكى بينما ينتج شقيقه العربى فى بلد عربى نفس ذلك الانتاج وأجود منه ، وعندما نرى نحن فى المغرب العربى حب الاطلاع خافتا أو متواضعا لدى أخواننا المشارقة لمطالعة الفكر والأدب فى ربوعنا ، اذ أنه مثلا بالرغم من كثافة الحركة الأدبية ودسامتها فى تونس لا يكاد يعرف اخواننا فى المشرق العربى إلا أبا القاسم الشابى بينما يعرف المثقف فى تونس وبلدان المغرب



العربى كل جزئيات الحياة الأدبية فى المشرق وخصائصها وأعلامها ، إلا فى السنوات الأخيرة حيث تكثف التعارف والتزاور وزالت العزلة الثقافية التى كنا نتألم منها .

لكل هذه الأسباب نعتقد أن علينا مزيدا من الجهد ومزيدا من تنسيق الجهد حتى يكون جهادنا القومى متجاوبا عميق التجاوب مع طموحات جماهيرنا وأشواق شبابنا وتطلعات أجيالنا .

١١٠

محمد حافظ اسماعيل

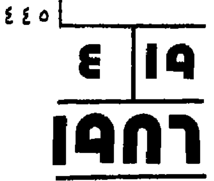
مصر .. وقضية التكامل

الأحداث تتدافع من حول مصر . فعلى حدودها الشرقية تتراجع فرص التوصل إلى سلام يحقق للشعب الفلسطيني حقوقه . . بينما تواجه ليبيا على حدود مصر الغربية ، مواصلة ضربات جوية/بحرية يوجهها الاسطول السادس . اما على حدودها الجنوبية فتوشك ان تبدأ مرحلة جديدة فى كفاح السودان .

والمعارك الثلاث تتصل وتختلط على نحو يثير القلق ، وبخاصة ان القوتين العظميين تشتبكان فى كل منها ، وإن تباينت طبيعة الاشتباك وأهدافه . وهكذا تفرض المواجهة إتساع ساحة العمل ، وإمتداد زمن الالتحام ، وتصاعد حجم الموارد الملقاة فى المعركة ، ومن ثم ، خطورة النتائج التى ستتمخض عنها .

ونحن فى قلب « مثلث الخطر » نتابع التطورات ، من طرابلس إلى جوبا فى جنوب السودان . . امتدادا إلى الضفة الغربية ، فيستثيرنا ما يحدث . فالنتائج النهائية ستنعكس على الاستقرار فى مناطق حدودنا ، وعلى مصالحنا الحيوية وامننا وسلامة اراضينا ، وعلى كفاحنا من اجل ان نجتاز أزمتنا الاقتصادية .





الأزمة التى يجتازها السودان لها فى وجداننا بعدها التاريخى والعاطفى ، فضلا عن بعدها الأمنى . فعبر التاريخ ، مرت علاقاتنا بالسودان بصور متباينة كانت أخرها اتفاقية التكامل بين البلدين والتى تعكس حاجة كل منهما للآخر والاعتماد المتبادل بينهما .

السوادن اليوم بصدد بدء مرحلة تاريخية ـ فى نهاية العام الأول منذ تولى المسئولية مجلس عسكرى انتقالى ـ تستقر فيها الأوضاع السياسية ويجرى فيها التناول المركز للقضايا الأمنية والاقتصادية التى تؤرق البلاد .

وقضية الجنوب التى زرعها البريطانيون منذ أواخر القرن الماضى ، تمثل اليوم تهديدا خطيرا لأمن السودان ووحدة أراضيه . فمنذ ثلاثة أعوام استأنف المتمردون نشاطهم ، ردا على مبادرات الرئيس نميرى الداخلية والخارجية .

واليوم . . يقود جون قرنق من ١٥ إلى ٢٠ الف مقاتل فى الجنوب ، ويسيطر على ثلث أراضى السودان ونصف سكانه . . ويستعد لاقتحام المناطق السكانية فى جوبا وواو ، ويعطل سير العمل فى المشاريع المائية والبترولية ، ويثير قضايا اجتماعية بهجرة الفلاحين من أراضيهم .

***

ولقد هيأت أثيوبيا بصفة خاصة لهذا الموقف البالغ الخطورة ، كما اضافت ليبيا بعدا جديدا له ، وإن كان محدود الأثر .

فعلى امتداد ٢٥ عاما ، استمرت مقاومة شعب اريتريا لقرار الحكومة الأثيوبية بضم الاقليم إلى أراضيها . . تدعمه مصر والسودان ، ويشحذ من عزمها تحالف اثيوبى ـ اسرائيلى . وجاء رد اثيوبيا فى جنوب السودان . . بدعمها للثورة والانفصال .

ومنذ تولى المجلس العسكرى الانتقالى ناصية الأمور ، جاء قراره بتحقيق تسوية سياسية مع المتمردين ليعكس التقييم الصحيح لصعوبة تحقيق انتصار عسكرى سريع دون إهدار موارد ضخمة .

وكانت الخطوة التالية تمهد لتحقيق تحييد اثيوبيا . فجاءت زيارة وفد عسكرى سودانى لموسكو فى نهاية يناير ، للعمل على اقناع أديس أبابا لتكف يدها عن مساعدة المتمردين . وكان للسودان ما أراد .

ولكن الحياة الدولية « أخذ وعطاء » ، ولهذا قرر السودان استئناف علاقاته الدبلوماسية بأثيوبيا ، واغلاق المكاتب الاريترية فى الخرطوم . واقترن ذلك بإعلان وزير الخارجية أن اريتريا « جزء لا يتجزأ » من اثيوبيا .





وتلا ذلك لقاء بين وفد حكومى ووفد جنوبى فى مدينة كوكا الأثيوبية . وانتهت المباحثات الى اتفاق حول « اجتماع دستورى » يتم فى يونيو مع الحكومة السودانية الجديدة ، دون التزام بوقف القتال إلى أن تتخذ الخرطوم ترتيبات عقد المؤتمر .

وربما فوجىء الكثيرون فى مصر بقرار الحكومة السودانية ـ رغم إيمانها بالمبدأ ـ إحالة اتفاقية التكامل المصرية السودانية المبرمة عام ١٩٨٢ إلى الجمعية التأسيسية عند انعقادها لترى رأيها فيها . . بعد أن قررت الحكومة إنهاء العمل بها .

ومن واجبنا تقدير دوافع خطوة الخرطوم ، خاصة لو أنها كانت استجابة لمطلب قدمه الجنوبيون . فمنذ ١٥ عاما اعتذر نميرى عن عدم المشاركة فى الدولة الاتحادية ، استجابة « لظروف » السودان .

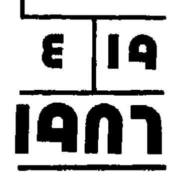
كما أنه من الطبيعى أن تقدم حكومة السودان على المرحلة المقبلة متحررة من أى التزامات خارجية . ولعلنا نذكر كيف اعتذرنا عن عدم متابعة برنامج الوحدة مع ليبيا عام ١٩٧٣ عندما قررنا التفرغ للمواجهة مع اسرائيل .

ونحن بقبولنا الراضى بقرار السودان ، إنما نفسح أمامه سبل النجاح لمبادرته السلمية فى اتجاه الجنوب . إلا أن تجاوزنا عن موقفه من ثورة شعب اريتريا ، لا يعنى بالضرورة استجابتنا لموقف مماثل له .

وعلاوة على ذلك ، فنحن لن نتوانى عن تقديم كل مساعدة تهيىء للحكومة الجديدة إدارة مفاوضات مثمرة مع الجنوبيين ، ونعنى أن يستمر تعزيز مصر للقوات السودانية بالأسلحة والمعدات العسكرية .

ومن ناحية أخرى ، فعلينا مساعدة السودان لكى يحصل على المعونات الاقتصادية الأجنبية التى تخفف من متاعب الشعب السودانى ، وتدعم فى الوقت ذاته قدراته فيما لو امتدت مفاوضاته مع الجنوب .

وإذا كان السودان قد رأى أن تكون له علاقات مع الاتحاد السوفيتى بغرض تحييد اثيوبيا ، فان هذا لا ينبغى أن يثنى الولايات المتحدة عن تقديم معونتها البالغة ٢٢٣ مليون دولار ، أو صندوق النقد الدولى عن تعزيز مركزه المالى لمواجهة التزامات الدين الذى يبلغ ٩ بلايين دولار . . فانهيار السودان فى قلب سبع دول افريقية ، ستكون له نتائجه المباشرة على الاستقرار والتطور فيها .



بقيت لنا كلمة أخيرة للعقيد القذافى . . فلقد تابعنا بقلق زائد الهجمات الجوية التى شنتها القوات الأمريكية من حاملات الطائرات والقواعد البريطانية . . ولا شك أن هذه المواجهة تقتضى من ليبيا أقصى الاهتمام والعناية ، حماية لشعبها ومصالحه الحيوية .

ومن قبل ، كنا نتابع مبادرات ليبيا السياسية والعسكرية منذ سقوط الرئيس نميرى ، والتى استهدفت زيادة ثقل الوجود الليبى فى السودان ، وربما التأثير فى توجهاته الداخلية والخارجية . . الأمر الذى نسمح لأنفسنا بالتحفظ تجاهه . فنحن لا نعترض على حق ليبيا فى تنمية علاقاتها بالسودان أو بغيره من الأقطار . . إلا أن يكون ذلك فى خدمة مشروعات التوسع الليبية فى تشاد ، ضمن إطار دعوة العقيد إلى « الثورة » فى افريقيا ، أو الاساءة لعلاقاتنا بالسودان .

إن كل ما نتطلع إليه . . أن تحقق الحكومة السودانية الوفاق بين شمال وجنوب البلاد . . حفاظا على وحدة أراضيها وتكامل اقتصادها . وسوف نرحب عندئذ بانشائها علاقات متميزة مع جيران السودان . . وخاصة مصر وليبيا . . على نحو يعكس مصالحنا المشتركة . . « وتكاملنا » حتى لو لم ينظمه إتفاق .



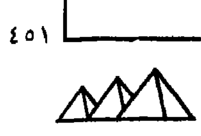


٣- فهرس المقالات و الكتّاب





رقم الصفحة



رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة



رقم الصفحة



رقم الصفحة

رقم الصفحة





رقم الصفحة

رقم الصفحة





رقم الصفحة



رقم الصفحة

رقم الصفحة



رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة



رقم الصفحة



رقم الصفحة

محمد حافظ اسماعيل رجل دولة تولى كثيرا من المناصب الهامة العسكرية والسياسية والدبلوماسية . ولد عام ١٩١٩ .





رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٦ / ٧٣٧٤

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر



الشهود

١ ـ الإمام محمد عبده
١ ـ احمد عرابى
٣ ـ سليم بقلا
٤ ـ بشارة تقلا
٥ ـ الامير شكيب ارسلان
٦ ـ لبيبه هاشم
٧ ـ داود بركات
٨ ـ محمد فريد
٩ ـ نبوية موسى كامل
١٠ ـ خليل مطران
١١ ـ انطون الجميل
١٢ ـ سليم سركيس
١٣ ـ عباس محمود العقاد
١٤ ـ على فهمى كامل
١٥ ـ امين الرافعى
١٦ ـ محمد توفيق دياب
١٧ ـ محمد حسين هيكل
١٨ ـ مرقس سميكه باشا
١٩ ـ فكرى اباظه
٢٠ ـ محمد عبد الله عنان المحامى
٢١ ـ سليم حسن
٢٢ ـ مى الياس زيادة
٢٣ ـ احمد الصاوى محمد
٢٤ ـ توفيق الحكيم
٢٥ ـ الدكتور سليمان عزمى باشا
٢٦ ـ الدكتور عثمان امين
٢٧ ـ عبد الرحمن الرافعى
٢٨ ـ عباس حافظ
٢٩ ـ الدكتورة عائشه عبد الرحمن
٣٠ ـ فتحـــى رضوان
٣١ ـ الدكتور طه حسين
٣٢ ـ الدكتور راشد البراوى
٣٣ ـ الدكتور محمود عزمى
٣٤ ـ الدكتور السيد صبرى
٣٥ ـ جمال عبد الناصر
٣٦ ـ احمد حسن الباقورى
٣٧ ـ خالد محمد خالد
٣٨ ـ الدكتور محمد حلمى مراد
٣٩ ـ المهدى بن بركة
٤٠ ـ انيس صايغ
٤١ ـ الدكتور محمد سعيد العطار
٤٢ ـ وحيد الدقاش
٤٣ ـ لطفى الخولـــى
٤٤ ـ الدكتور جمال العطيفى
٤٥ ـ ناصر الدين النشاشيبى
٤٦ ـ الدكتور رشدى سعيد
٤٧ ـ الدكتور فؤاد مرسى
٤٨ ـ خالد محيى الدين
٤٩ ـ معين بسيسو
٥٠ ـ الدكتور حسين فوزى
٥١ ـ الدكتور لويس عوض
٥٢ ـ الدكتور عبد العزيز كامل
٥٣ ـ الدكتور كلوفيس مقصود
٥٤ ـ الدكتور محمود امين
٥٥ ـ الدكتور محمد صبرى السوربونى
٥٦ ـ الدكتور عبد الحميد يونس
٥٧ ـ الدكتور جمال حمدان
٥٨ ـ الدكتور يونان لبيب رزق
٥٩ ـ البابا شنوده الثالث
٦٠ ـ الدكتور محمد انيس
٦١ ـ عبد الله الطريقى
٦٢ ـ الدكتور زكى نجيب محمود
٦٣ ـ محمد حسنين هيكل
٦٤ ـ محمد سيد احمد
٦٥ ـ على امـــين
٦٦ ـ الدكتور عبد المنعم القيسونى
٦٧ ـ الدكتور حسين خلاف
٦٨ ـ الدكتور محمد عمارة
٧٩ ـ الدكتور مجدى وهبه
٧٠ ـ الدكتور وحيد رافت
٧١ ـ على حمدى الجمال
٧٢ ـ يحيى حقى
٧٣ ـ الدكتور على السلمى
٧٤ ـ صلاح عبد الصبور
٧٥ ـ الدكتورة سهير القلماوى
٧٦ ـ صالح ابو رقيق
٧٧ ـ الدكتور عبد الصبور شاهين
٧٨ ـ السيد ياسين
٧٩ ـ حسنين مخلوف
٨٠ ـ نجيب المستكاوى
٨١ ـ محمد فرغلى
٨٢ ـ نجيب محفوظ
٨٣ ـ صلاح طاهـــر
٨٤ ـ الدكتور احمد كمال ابو المجد
٨٥ ـ الدكتور مصطفى الجبلى
٨٦ ـ الدكتور الأحمدى ابو النور
٨٧ ـ يوسف السباعى
٨٨ ـ الدكتور يوسف ادريس
٨٩ ـ احمد بهاء الدين
٩٠ ـ اللواء محمد نجيب
٩١ ـ احمد حسين
٩٢ ـ سيد مرعى
٩٣ ـ احمد رشدى صالح
٩٤ ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
٩٥ ـ الدكتور رشاد رشدى
٩٦ ـ الدكتورة نعمات احمد فؤاد
٩٧ ـ محمد عبد الوهاب
٩٨ ـ الدكتور عبد الجليل العمرى
٩٩ ـ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
١٠٠ ـ احمد بهجت
١٠١ ـ انيس منصـــور
١٠٢ ـ الدكتور عبد المنعم النمر
١٠٣ ـ الدكتور احمد صدقى الدجانى
١٠٤ ـ وديع فلسطين
١٠٥ ـ ابراهيم زكى قناوى
١٠٦ ـ ياسر عرفات
١٠٧ ـ عبد الرحمن الشرقاوى
١٠٨ ـ ابراهيم نافـــع
١٠٩ ـ محمد مزالى
١١٠ ـ محمد حافظ اسماعيل

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج · وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة

مطابع الأهرام التجارية القاهرة ـ مصر